

تراثنا

النجوم والأقمار في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء السادس

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراقات وفهارس جامعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والمسلمين

الجزء السادس من

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية السلطان صلاح الدين على مصر

هو السلطان الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين
أيوب بن شادى بن مروان ، ويقال : إن مروان من أولاد خلفاء بني أمية ،
وقال ابن القادسي : كان شادى مملوك يهرز الخادم . قال صاحب مرآة الزمان :
« وهذا من غلطات ابن القادسي ، ما كان شادى مملوكا قط ، ولا جرى على
أحد من بني أيوب رقبته ، وإنما شادى خدم يهرز الخادم ، فأستتابه بقاعة
تكرمت » . انتهى .

قلت : كان بداية أمر بني أيوب أن نجم الدين أيوب والد صلاح الدين
هذا ، وأخاه أسد الدين شيركوه - ونجم الدين هو الأكبر - كان أصلهم من

١٥ (١) ورد هذا الاسم في الأصل : « ابن القادسي » بالقاء والراء . وقد ورد في بعض كتب التاريخ
كمرآة الزمان وابن خلكان ومقد الجمان نارة بالقاء والراء . وأخرى بالقاف والهاء . وقد رجعت الرواية الثانية
لكنة ذكرها في الكتب المتقدمة .

(٢) الذي في مرآة الزمان : « وهذه من هتات ابن القادسي » .

دوين : بلدة صغيرة في العجم ، وقيل : هو من الأكراد الروادية ، وهو الأصح .
 فقدم نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه إلى العراق وخرجا مجاهد الدين
 بهروز الخادم شحنة بغداد ، فرأى بهروز من نجم الدين رأياً وعقلاً ، فولاه دُزداراً
 بتكريت^(١) ، وكانت تكريت لبهروز ، أعطاهما له السلطان مسعود بن غياث الدين محمد
 ابن ملكشاه - المقدم ذكره - السلجوقي . وبهروز كان يلقب مجاهد الدين .
 وكان خادماً رومياً أبيض ، ولأه السلطان مسعود شحنة العراق . وبهروز (بكسر
 الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون الواو وبعدها زاي) ، وهو لفظ
 عجمي مناه : يوم جيد . فأقام نجم الدين بتكريت ومعه أخوه أسد الدين إلى أن
 أنهزم الأتابك زنكي بن آق سُنقر من الخليفة المسترشد في سنة ست وعشرين
 وخمسمائة ، ووصل إلى تكريت وبه نجم الدين أيوب ، فأقام له المعابر فعبّر زنكي بن
 آق سُنقر [دجلة]^(٢) من هناك ، وبالغ نجم الدين في إكرامه ، فرأى له زنكي ذلك . وأقام
 نجم الدين بعد ذلك بتكريت إلى أن خرج منها بغير إذن بهروز . وسببه أن نجم الدين
 كان يتبع يوماً بالنشاب فوقع تُسابةً في مملوك بهروز فقتلته من غير قصد ، فأستحى
 نجم الدين من بهروز فخرج هو وأخوه إلى الموصل . وقيل غير ذلك : إن بهروز
 أخرجهما لمن من المعاني ، وقيل في خروجهما غير ذلك أيضاً .

ولما خرجا من تكريت قصدا الأتابك زنكي بن آق سُنقر - المقدم ذكره -
 وهو والد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد ، فأحسن إليهما
 زنكي وأقطعهما إقطاعات كثيرة ، وصارا من جملة أجناده إلى أن فتح زنكي مدينة

(١) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهي إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون
 فرسخاً ، ولها قلعة حصينة (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) النكلة عن الكامل لابن الأثير ووفيات الأعيان لابن خلكان .

- (١) بعلبك، وولى نجم الدين أيوب دُزْدَارًا بقلعتها، والدُّزْدَارُ (بضم الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعدها ألف وراء مهملة) ومعناها بالعجمي : ماسك القلعة . ودام نجم الدين بعلبك إلى أن قُتِلَ زَنْكِي على قلعة جَعْبَر . وتوجه صاحب دمشق [يومئذ يُجِير الدين] وحصر نجم الدين المذكور في بعلبك وضايقه، فكتب نجم الدين إلى نور الدين الشهيد بن زَنْكِي وسيف الدين غازي يطلب منهما نجدة، فأشتغلا عنه بملك جديد، واشتد الحصار على بعلبك، فخاف نجم الدين من فتحها عنوة وتسليم أهلها، فصالح يُجِير الدين صاحب دمشق على مال؛ وأنتقل هو وأخوه أسد الدين شيركوه إلى دمشق وصارا من كبار أمرائها . ولا زال بها أسد الدين شيركوه حتى اتصل بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي [صاحب حلب] وصار من أكابر دولته . فرأى منه محمود نجابة وشجاعة فأعطاه حصص والرحبة، وجعله مقدم عساكره . فلما صرف نور الدين همته لأخذ دمشق أمر أسد الدين أن يكتب أخاه نجم الدين أيوب على المساعدة على فتحها، فكتب أسد الدين إلى أخيه، وقال له : هذا يجب عليك؛ فإن يُجِير الدين قد أعطى الفيرنج بانياس وربما سلم إليهم دمشق بعد ذلك؛ فأجابه نجم الدين، وطلبا من نور الدين إقطاعا وأملاكا فأعطاهما، وحلف لهما ووفى بيمينه . وأما يُجِير الدين المذكور صاحب دمشق، فكان

- (١) بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية بحرية وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل (عن معجم البلدان لياقوت) .
 (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
 (٣) الزيادة عن وفيات الأعيان لابن خلكان وما ساقى ذكره قريبا . (٤) عبارة ابن خلكان : « فأرسل نجم الدين أيوب إلى سيف الدين غازي بن زَنْكِي صاحب الموصل، وقد قام بالملك بعد والده، لينهى إليه الحال و يطلب منه عسكرا ليرجل صاحب دمشق عنه، وكان سيف الدين في ذلك الوقت في أول ملكه وهو مشغول بإصلاح ملوك الأطراف المجاورين فلم يتفرغ له » . (٥) زيادة عن وفيات الأعيان لابن خلكان . (٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

أسمه آبق بن محمد بن بُورى بن الأتابك ظهير الدين طُغتكين . وطفتكين مولى تُتُش
أبن ألب أرسلان أخى مَلِكشاه السَلجُوق .

ولما ملك نور الدين محمود دمشق وفقى لها بما وعدهما ، وصارا من أكابر
أمرائه خصوصا نجم الدين ؛ فإنَّ جميع الأمراء كانوا إذا دخلوا على نور الدين
لا يقعد أحد حتى يأمره نور الدين بالعود إلّا نجم الدين هذا ، فإنه كان إذا دخل
قعد من غير إذن . وداما عند نور الدين فى أعلى المنازل إلى أن وقع من أمر شاور
وزير مصر ما وقع — وقد حكيناه فى ترجمة العاضد العُيُدي — ودخول أسد الدين
شِيرْكُوهُ إلى الديار المصرية ثلاث مرّات ، ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف
هذا ، حتى ملك أسد الدين الديار المصرية فى الثالثة ، وقُتِل شاور ؛ وولى أسد الدين
وزارة مصر ، ولُقِّب بالمنصور ، ومات بعد شهرين ؛ فولى العاضد الخليفة صلاح الدين
هذا الوزارة ، ولقبه الملك الناصر ؛ وذلك فى العشر الأخير من جمادى الآخرة
سنة أربع وستين وخمسمائة . وأستولى على الديار المصرية ومهد أمورها . وصار
يُدعى للعاضد ، ثم من بعده لملك العادل نور الدين محمود ، ثم من بعدهما لصلاح الدين
هذا . ونذكر ولايته إن شاء الله بأوسع من هذا من كلام ابن خلكان ، بعد أن
نذكر نبذة من أموره .

وأستمر صلاح الدين بمصر وأرسل يطلب أباه نجم الدين أيوب من الملك العادل
نور الدين محمود الشهيد ، فأرسله إليه معظما مبعثا ؛ وكان وصوله (أعنى نجم الدين)
إلى القاهرة فى شهر رجب سنة خمس وستين وخمسمائة ؛ فلما قرب نجم الدين إلى الديار
المصرية خرج أبنه السلطان صلاح الدين بجميع أمراء مصر إلى ملاقاته ، وترجل
صلاح الدين وجميع الأمراء ومشوا فى ركابه ؛ ثم قال له أبنه صلاح الدين : هذا
الأمر لك (يعنى الوزارة) وهى السلطنة الآن ، وتدير ملك مصر ، ونحن بين يديك ؛

فقال له نجم الدين : يا بنى ، ما أختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت أهل له ، وأبى نجم الدين عن قبول السلطنة ، غير أنه حكمه أبسه صلاح الدين في الخزائن ، فكان يُطلق منها ما يختار من غير مراجعة صلاح الدين . وكانت الفرنج تَوَلَّتْ على دِمَياط في ثالث صفر من السنة المذكورة وجَدُّوا في قتالها ، وأقاموا عليها نحو الشهرين يحاصرونها بالمجانيق ويزحفون عليها ليلا ونهارا ، وصلاح الدين يوجِّه إليها المساكر مع خاله شهاب الدين وتبقى الدين ، وطلب من العاضد مالا فبعث إليه شيئا كثيرا ، حتى قال صلاح الدين : ما رأيت أكرم من العاضد ! جهَّز إلى في حصار الفرنج لِدِمَياط ألف ألف دينار سوى الثياب وغيرها .

- ولما سمع نور الدين بما وقع لِدِمَياط أخذ في غزو الفرنج بالغارات عليهم .
 ١٠ ثم وقع فيهم الوباء والفناء فرحلوا عن دِمَياط بعد أن مات منهم خلق كثير . كل ذلك في حيلة العاضد في أوائل أمر صلاح الدين ، ثم أخذ السلطان صلاح الدين في إصلاح أحوال مصر وعمارة البلاد وبينما هو في ذلك ورد عليه كتاب الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من دمشق ، فأمره فيه بقطع خطبة العاضد وإقامتها لبني العباس خلفاء بغداد ، نخاف صلاح الدين من أهل مصر ألا يجيبوه إلى ذلك ، وربما وقعت فتنة ؛ فعاد الجواب لنور الدين يخبره بذلك ، فلم يسمع له نور الدين ؛ وأرسل إليه وختن له في القول ، وألزمه بذلك إلزاما كَلِّبَ إلى أن وقع ذلك ؛ وقُطِعَت خطبة العاضد في أول المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان العاضد مريضا فأخفى عنه أهله ذلك حتى مات يوم عاشوراء ، فندم صلاح الدين على قطع خطبته ، وقال : ليتني صبرت حتى مات . وقد ذكرنا ذلك كله مفصلا في ترجمة العاضد السابقة لهذه الترجمة . ومن هنا نذكر — إن شاء الله تعالى — أقوال المؤرخين في أحوال السلطان ٢٠ صلاح الدين هذا وغزواته وأموره ، كل مؤرخ على حدته . ومن يوم مات العاضد

عظم أمر صلاح الدين وأستولى على خزائن مصر وأستبدت بأمورها من غير منازع .
غير أنه كان من تحت أوامر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف
بالشهيد صاحب دمشق على ما سنبينه في هذا المحل . وكان يدعو له الخطيب بمصر
وأعمالها بعد نور الدين المذكور ويدعو لنور الدين بعد الخليفة .

وكان مولد صلاح الدين يتكرت في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، ونشأ في حجر
أبيه نجم الدين أيوب في الدولة النورية ، وترقى فيها ، وكان ولده نور الدين قبل
خروجه مع عمه أسد الدين شيركوه الثالثة إلى ديار مصر ، فتحتجة دمشق ، فخرج
عنها غضباً على ما سذكروه إن شاء الله .

قال العلامة أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه مرآة الزمان :
« كان السلطان صلاح الدين شجاعاً شهماً مجاهداً في سبيل الله ، وكان مغرماً
بالإنفاق في سبيل الله ، وحسب ما أطلقه ووجهه مدة مقامه على عكا مرابطاً
للفرنج ، من شهر رجب سنة خمس وثمانين ، إلى يوم أنفصاله عنها في شعبان سنة ثمان
وثمانين ، فكان آنحى عشر ألف رأس من الخيل العرب والأكاديش الجياد للحاضرين
معه للجهاد ، غير ما أطلقه من الأموال . قال العماد الكاتب : لم يكن له فرس
يركب إلا وهو موهوب ، ولا جاءه قود إلا وهو مطلوب ، وما كان يلبس إلا
ما يحل لبسه ، كالكتان والقطن والصوف ، وكانت مجالسه متهمة عن الهزء والهزل ،
ومحافله حافلة بأهل العلم والفضل ، ويؤثر سماع الحديث وكان من جالسه لا يعلم

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) الخيل العرب : خلاف البراذن . (٣) كذا في الأصل . عبارة العماد الكاتب

في الفصح القسي : « ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ملازم في طلبه ،
وما حضر اللقاء إلا أستعار فرساً فركبه وهجر جياده ، فإذا نزل جاء صاحبه فاستعاده » .

أنه جالس سلطانا لتواضعه . قال : ورأى معى يوما دواة محلاة بفضة فانكر على وقال : ما هذا ! فلم أكتب بها عنده بعدها . وكان محافظا على الصلوات في أوقاتها لا يصلى إلّا في جماعة، وكان لا يلتفت إلى قول منجّم، وإذا عزم على أمر توكل على الله . انتهى كلام العباد باختصار .

- وذكره القاضي ابن شداد في السيرة فقال : كان حسن العقيدة، كثير الذكر لله تعالى؛ وإذا جاء وقت صلاة وهو راكب نزل فصلّى، وما قطعها إلّا في مرضه الذى مات فيه ثلاثة أيام أخلط ذهنه فيها . وكان قد قرأ عقيدة القطب النيسابورى^(١) . وعلمها أولاده الصغار لترسخ في أذهانهم، وكان يأخذها عليهم . وأما الزكاة فإنه مات ولم تجب عليه قط . وأما صدقة النوافل فاستنفدت أمواله كلها فيها . وكان يحب سماع القرآن؛ وأجتاز يوما على صبي صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته، فوقف عليه وعلى أبيه مزرعة . وكان شديد الحياء خاشع الطرف، رقيق القلب، سريع الدمعة، شديد الرغبة في سماع الحديث . وإذا بلغه عن شيخ رواية عالية وكان ممن يحضر عنده، استحضره وسمع عليه وأسمع أولاده ومواليه، ويأمرهم بالقيود عند سماع الحديث إجلالا له، وإن لم يكن ممن يحضر عنده، ولا يطرق أبواب الملوك سعى إليه . وكان مبيضا لكتب الفلاسفة وأرباب المنطق ومن يعاند الشريعة . ولم يبلغه عن السهروردى^(٢) ما بلغه أمر ولده الملك

(١) هو أبو المال مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى الفقيه الشافعى الملقب قطب الدين . جمع لسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في أمر دينه وحفظها أولاده الصغار حتى ترسخ في أذهانهم من الصغر . توفي سنة ٥٧٨ هـ - وسبذكرها المؤلف - (عن ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤ طبع بولاق) .

(٢) في الأصل : « استحضر عليه » . وما أثبتناه عن سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر للسلطانية والخاصة باليوسفية . (٣) السهروردى هو أبو الفتح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم المقتول بحلب . وسبذكر المؤلف وفاته سنة ٥٨٧ هـ .

الظاهر بقتله . وكان محباً للعدل يجلس في كل يوم اثنين وخميس ^(١) [في] مجلس عام يحضره القضاة والفقهاء ، ويصل إليه الكبير والصغير والشيخ والهجوم ، وما استغاث إليه أحد إلا أجابه وكشف ظلامته ، واستغاث إليه ابن زهير الدمشقي على تقي الدين عمر ^(٢) [ابن أخيه] وقال : ما يحضر معي مجلس الشرع ، فأمر تقي الدين بالحضور معه .

• وأدعى رجل على السلطان صلاح الدين المذكور بأن سُنقر الخلاطي مملوكه ومات على ملكه . قال ابن شداد : فأخبرته فأحضر الرجل ، وقد خرج عن طراحته وسأواه في الجلوس ، فأدعى الرجل ؛ فرفع السلطان رأسه إلى جماعة الأمراء والشيوخ الأخيار ، وهم وقوف على رأسه ، فقال : أتعرفون سُنقرَ الخلاطي ؟ قالوا : نشهد أنه مملوكك ، وأنه مات على ملكك . ولم يكن للرجل المدعى بيّنة ، فأسقط في يده .

١٠ فقلت : يا مولانا ، رجل غريب ، وقد جاء من خلاط في طمع ، وفقدت نفقته ، وما تحسن أن يرجع خائباً ، فقال : يا قاضي ، هذا إنما يكون على غير هذا الوجه ، ووهب له نفقة وخلعة وبقلة وأحسن إليه .

قال : وفتح أمد ، ووهبها لابن قرأ أرسلان . واجتمع عنده وفود بالقدس ولم يكن عنده مال ، فباع ضيعة وفزق ثمنها فيهم . قال ابن شداد : وسألت باليان بن إريزان يوم أنعقاد الصلح عن عدة الفرنج الذين كانوا على عكا ، وهو

١٥ جالس بين يدي السلطان ، فقال للتركان : قل له كانوا من خمسمائة ألف إلى ستمائة ألف ، قُتل منهم أكثر من مائة ألف وغرق معظمهم . قال : وكان يوم المصاف يدور على الأطلاب ويقول : وهل أنا إلا واحد منكم ! وكان

(١) الزيادة عن السيرة .

(٢) الزيادة عن السيرة . وهو الملك المظفر أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب .

(٣) في الأصل ومراة الزمان : « وسألت ابن ميروان » . وما أثبتناه عن السيرة والروضتين .

- في الشتاء يعطى العساكر دستورا وهو نازل على برج عكا، ويقم طول الشتاء في نفر يسير . وكان على الزملة بجاءه كتاب بوفاة تقي الدين [ابن أخيه ^(٢)] ، فقال وقد خنته العبرة : مات تقي الدين ! أكتموا خبره مخافة العدو . قال : ولقد واجهه ^(٣) الجناح على يافا بذلك الكلام القبيح ، فما قال له كلمة ، وأستدعاه فأيقن بالهلاك ، وأرتقب الناس أن يضرب رقبته فأ طعمه فأكهة قدمت من دمشق وسقاه ماء .
- ونلجا . قال : وكان للمسلمين لصوص يدخلون خيام الفرنج بالليل ويسرقونهم ، فسرقوا ليلة صبيها رضيعا فباتت أمه تبكي طول الليل ، فقال لها الفرنج : إن سلطانهم رحيم القلب فأذهبي إليه ، بجاءته وهو على تل الخروبة راجب ، ففرت وجهها وبكت ، فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فرق لها ودمعت عيناه ، وتقدم إلى مقدم اللصوص بإحضار الطفل ، ولم يزل واقفا حتى أحضروه ، فلما رآته بكت وشهقت وأخذته وأرضعته ساعة وطمته إليها ، وأشارت إلى ناحية الفرنج ، فأمر أن تمجّل على فرس وتلتحق بالفرنج ففعلوا . قال ابن شداد : وكان حسن العشرة طيب الخلق حافظا لأنساب العرب ، عارفا بخيولهم ، طاهر اللسان والقلم ، فاشتّم أحدا قط ولا كتب بيده ما فيه أذى مسلم . وما حضريين يديه يتيم ^(٤) إلا وترحم على من خلفه ، وجبر قلبه وأعطاه ما يكفيه ، فإن كان له كافل [سلمه إليه ^(٥)] وإلا كفله . وسرق يوما من خزانته ألفا دينار وجعل في الكيس فلوس فما قال شيئا . انتهى كلام ابن شداد باختصار .

(١) الزملة : مدينة عظيمة بفلسطين . (٢) زيادة عن السيرة .

(٣) هو الجناح بن علي بن أحمد الهكاري أخو المشطوب بن علي وكلاهما كان من أمراء صلاح الدين .

(٤) عن ابن الأثير ج ١٢ ص ٥٥ . (٥) عبارة ابن الأثير : « فقال له : يا صلاح الدين »

٢٠ قل لما ليالك الذين أخذوا أمس النخبة وضربوا الناس بالجماعات يتقدمون فيقاتلون ؛ إذا كان القتال فتحن ، وإذا كانت النخبة فلهم ! » . (٥) الخروبة : حصن بساحل الشام مشرف على عكا (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) التكلة عن السيرة . (٧) عبارة السيرة : « ولقد أبدل في خزانته كيسان من الذهب المصري بكيسين من الفلوس ، فعمل بالتواب شيئا سوى أن صرفهم من عملهم لا غير » .

قال أبو المظفر : وحكى لى المبارز سُتْقِرُ الحلبي^(١) - رحمه الله تعالى - قال : كان
النجاب يزدحمون على طزاحته بغاء سُتْقِرُ الخلاطى - ومعه قِصَصٌ فقدم إليه قِصَّة ،
وكان السلطان مَدَّ يده اليمنى على الأرض ليستريح ، فداسها سُتْقِرُ الخلاطى - ولم يعلم ؛
وقال له : علم عليها ، فلم يُجِبْهُ ، فكَرَّرَ عليه القول ؛ فقال له : ياطَوَّائى ، أعلم بيدي
أم برجلي ! فنظر ستقر فرأى يد السلطان تحت رجله ففجل ، وتمعجب الحاضرون
من هذا الحلم ؛ ثم قال السلطان : هات القِصَّة فعلم عليها .

وقال القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان - رحمه الله - فى تاريخه :
« وصلاح الدين كان واسطة العقد ، وشهرته أكبر من أن يحتاج إلى التنبيه عليه .
اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دُوين (بضم الدال المهملة وكسر الواو
وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون) ، وهى بلدة فى آخر عمل أذربيجان من
جهة أران وبلاد الكرج ، وأنهم أكراد رَوَادِيَّةٌ (بفتح الراء والواو وبعء الألف
دال مهملة [مكسورة^(٢)] ثم ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء) . والروادية : بطن
من الهدبانية (بفتح الهاء والذال المعجمة وبعء الألف نون مكسورة^(٣) ثم ياء
مثناة مشددة من تحتها وبعدها هاء) وهى قبيلة كبيرة من الأكراد . وقال لى
رجل عارف بما يقول ، وهو من أهل دُوين : إن على باب دُوين قرية يقال لها :
أجداتقان (بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعء الألف نون مفتوحة
ثم قاف وبعء الألف الثانية نون أخرى) وجميع أهلها أكراد رَوَادِيَّةٌ ؛ ومولد
أيوب والد صلاح الدين بها ، وشادى أخذ ولديه ، [منها] : أسد الدين شيركوه ،

(١) فى مرآة الزمان : « المارز » (٢) زيادة عن ابن خلكان .

(٣) فى الأصل : « الهدبانية » وقد ضبطها المؤلف بفتح الهاء والذال المعجمة والياء الموحدة ... الخ
وفى عقد الجمان : « الهدبانية » بالذال المهملة والياء . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

- ونجم الدين أيوب، ونخرج بهما إلى بغداد؛ ومن هناك إلى تكريت. ومات شادي بها، وعلى قبره قبة داخل البلد. ولقد تَبِعْتُ نسبهم كثيرا فلم أجد أحدا [ذكر] ^(١) بعد شادي أبا آخر، حتى إني وقفتُ على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك بأسم شيركوه وأيوب فلم أر فيها سوى شيركوه بن شادي [وأيوب] ^(١) بن شادي لا غير. وقال لي بعض أعوانهم: هو شادي بن مروان، وقد ذكرته في ترجمة أيوب وشيركوه.
- قال: ورأيت مدرجا رتبته الحسن بن غريب بن عمران ^(٢) الحرمي يتضمن أن أيوب ^(٣) ابن شادي بن مروان بن [أبي] ^(١) علي بن عنترة بن الحسن بن علي بن أحمد ^(٤) ابن علي بن عبد العزيز بن هذبة بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن أسامة بن يهيس بن الحارث صاحب الحاملة ابن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن مُسَبِّة بن عَظِيط بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن دُبيان بن بَغِيض ^(٥) ابن رَيْث بن غَطَفَان [بن سعد] ^(٦) بن قَيْس بن عَيْلان بن الياس بن مضر بن نزار ^(٧) ابن معد بن عدنان، ثم رفع هذا النسب إلى أن انتهى إلى آدم عليه السلام. ثم ذكر بعد ذلك أن علي بن أحمد بن أبي علي فقال: هو ممدوح المتنبى، ويعرف بالخراساني.
- وفيه يقول من جملة قصيدة:

شَرِقَ الجَوْ بِالْغُبَارِ إِذَا سَا * رَعَى بَنُ أَحْمَدَ الْقَمَقَامِ

١٥

- (١) الكلمة عن ابن خلكان. (٢) في الأصل: «الحسن بن عمرو بن عمران». وما أثبتناه عن ابن خلكان. (٣) كذا في ابن خلكان المطبوع. وفي بعض نسخه المخطوطة: «عزيرة». وفي الأصل: «عنترة». (٤) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «ابن أبي علي». (٥) في الأصل: «ابن مهين». وفي ابن خلكان: «ابن نهس». وما أثبتناه عن عقد الجمان. (٦) في الأصل: «شبة». وما أثبتناه عن ابن خلكان المطبوع والمخطوط. (٧) الكلمة عن ابن خلكان وعقد الجمان. (٨) في الأصل: «نزار بن سعد». وما أثبتناه عن عقد الجمان وابن خلكان.

٢٠

وأما الحارث بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحمالة فهو الذي حمل السماء
بين عبس وذبيان ، وشاركه في الحمالة خارجة بن سنان أخو هيرم بن سنان .
وفيهما قال زهير بن أبي سلمى المزني قصائد كثيرة ، منها قوله :
وهل يُنبت الخطيُّ إلّا وشيجه * وتقرس إلّا في منابتها النخل

هذا آخر ما ذكره في المدرج وكان قد قدمه إلى الملك المعظم شرف الدين
عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر
صلاح الدين أبو المفاخر داود بن الملك المعظم ، وكتب لهما بسماعهما عليه في آخر
رجب سنة تسع عشرة وستمائة . والله أعلم . انتهى ما ذكرته من المدرج . ثم قال :

« وأقول ذكر المؤرخون أن أسد الدين شيركوه لما مات استقرت الأمور
بعده لصلاح الدين يوسف بن أيوب وتمهدت القواعد ، ومشي الحال على أحسن
الأوضاع ، وبذل الأموال وملك قلوب الرجال ، وشكر نعمة الله تعالى عليه ، فتاب عن
الخمر وأعرض عن أسباب اللهو ، وتقصص بقميص الجدة والاجتهاد ، ولا زال على
قدم الخير وما يقربه إلى الله تعالى إلى أن مات » . قال : « وقال شيخنا ابن شداد
— رحمه الله — : [سمعته ^(١) يقول قال صلاح الدين — رحمه الله — : لما يسر الله تعالى
بملك الديار المصرية علمت أن الله أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسي . قال :

ومن حين استقام له الأمر مازال صلاح الدين يثبّن الغارات على الفرنج إلى أن ملك
الكرك ^(٢) والشوبك ^(٣) وغيرها من البلاد ، وغشى الناس من بحائب الإفضال والإينام ^(٤)
[مالم يؤرخ غير تلك الأيام . و] هذا كله وهو وزير متاج للقوم ، ولكنه يقول ^(١)

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) الكرك : اسم قلعة حصية جدًا في طرف الشام من
نواحي البلقاء في جبالها (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الشوبك : قلعة حصية في أطراف الشام بين
عمان وقرب الكرك (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) كذا في ابن خلكان . وفي الأصل : « وبلادهما » .

بمذهب أهل السنة؛ [مارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين، والناس يهرعون إليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب وهو لا يُخَيِّب قاصداً، ولا يعدم وافداً] إلى سنة خمس وستين وخمسمائة . فلما عرف نور الدين استقرار أمر صلاح الدين بمصر أخذ حصص من ثواب أسد الدين شيركوه، وذلك في رجب سنة أربع وستين . ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم، وما تم للسلطان من استقامة الأمر له بالبلاد المصرية علموا أنه يملك بلادهم، ويخرب ديارهم، ويقطع آثارهم؛ فأجتمع الفرنج والروم جميعاً وقصدوا الديار المصرية، ونزلوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاج إليه .

قلت : وهذه الواقعة التي ذكرناها في أول هذه الترجمة . غير أننا نذكرها

أيضاً من قول ابن خلكان لزيادات تأتي فيها .

قال : « ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد أمرهم، فسرقوا حصن عكا من المسلمين وأسرأوا صاحبها، وكان مملوكاً لنور الدين محمود، يقال له : « خَطْلُخُ العلم دار » . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين . ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم، فقتل على الكرك فحاصرها في شعبان من السنة المذكورة، فقصد فرنج الساحل فرحل عنها، وقصد لقاءهم فلم يقولوا له . ثم بلغه وفاة مجد الدين بن الداية، وكانت وفاته بجلب في [شهر] رمضان سنة خمس وستين، فأشغل قلبه، فإنه كان صاحب أمره . وعاد يطلب الشام فبلغه أمر الزلازل بحلب التي أنحربت البلاد، وكانت في ثاني عشر شوال فصار يطلب حلب، فبلغه موت أخيه

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) في الأصل : « استقلال » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

(٣) في الأصل : « ماجرى للمسلمين وعساكرهم » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

(٤) الزيادة عن ابن خلكان .

قطب الدين مودود بالموصل، وبلغه خبر موته وهو بتلّ باشر، فصار من ليلته طالباً لبلاد
 للموصل . ودام صلاح الدين في قتال الفرنج بدمياط إلى ان رحلوا عنها خائنين .
 قال ابن خلكان : «والذى ذكره شيخنا عز الدين بن الأثير: [أما] كيفية ولاية^(٢١)
 صلاح الدين فإن جماعة من الأمراء التورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على
 العساكرو [ولاية] الوزارة (يعنى بعد موت أسد الدين شيركوه) : منهم الأمير
 عين الدولة الياروق؛ وقطب الدين خسرو بن تليل^(٢٢) ، وهو ابن أمى أبى الهتباء
 الهدباني الذى كان صاحب إربيل . قلت : [وهو] صاحب المدرسة القطبية^(٢٣)
 بالقاهرة؛ ومنهم سيف الدين على بن أحمد الهكاري، وجده كان صاحب القلاع
 الهكارية . قلت : هو المعروف بالمشطوب — ولوالده أحمد ترجمة في تاريخنا
 « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » — ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي، وهو
 خال صلاح الدين ؛ وكل واحد من هؤلاء قد خطبها لنفسه ؛ فأرسل العاضد^(٢٤)
 صاحب مصر إلى صلاح الدين يأمره بالحضور إلى قصره ليخلع عليه خلع الوزارة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) الزيادة عن تاريخ الدولة الأتابكية ملوك الموصل ص ٢٥٥ (نسخة طبع أورباموجودة بالخرانة
 للتميرية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٠٧ تاريخ) والكامل ، وكلاهما لابن الأثير . (٣) الزيادة
 عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية والكامل . (٤) كذا في ابن خلكان وتاريخ الدولة
 الأتابكية . وفي الأصل والمقرئ في الكلام على المدرسة القطبية ص ٣٦٥ ج ٢ : « ابن بليل » .
 (٥) في الأصل وابن خلكان « الهديان » بالذال المعجمة والياء . وما أئنتاه عن تاريخ الدولة
 الأتابكية والمقرئ . (٦) زيادة عن ابن خلكان . (٧) المدرسة القطبية هي كما في مخطوط
 المقرئ في الجزء الثاني ص ٣٦٥ تقع في خط سويقة صاحب بداخل درب الحريري وقد كانت هي
 والمدرسة السيفية (جامع الخطاب اليوم) من حقوق دار الديباج ، وأنشأ هذه المدرسة الأمير قطب الدين
 خسرو بن بليل بن شجاع الهدباني في سنة ٥٧٠ هـ وجعلها وفقاً على الفقهاء الشافعية وهذه المدرسة درست .
 وبالبحث تبين أن محلها اليوم الدار وقف النلاوى رقم ١٠ بحارة اللطى (درب الحريري سابقاً) المتفرقة
 عن سكة البوذية بالحزاوى . (٨) الهكارية ، قرية قريبة من الموصل ويسكنها أكراد .
 (٩) في الأصل : « قد خطبها » . وما أئنتاه عن تاريخ الدولة الأتابكية .

- ويؤيّه الأمر بعد عمه . وكان الذي حمل العاضد على تولية صلاح الدين ضعف صلاح الدين ، فإنه ظنّ أنه إذا ولي صلاح الدين ، وليس له حسكر ولا رجال ، كان في ولايته مستضعفاً ، يحكم عليه ولا يقدر على المخالفة ، وأنه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم ، فإذا صار معه البعض أخرج الباقين ، وتعود البلاد إليه ؛ وعنده من المساكر الكثيمة من يتجها من الفرنج ونور الدين . والقصة مشهورة " أردتُ عمراً وأراد الله خارِجة " . فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام ، فازمه العاضد وأخذ كارهاً ، إن الله ليعجب من قوم يُقادون إلى الجنة بالسلاسل . فلما حضر في القصر خلع عليه خلعة الوزارة : الجبة والعمامة وغيرهما ، ولقب بالملك الناصر ، وعاد إلى دار عمه أسد الدين شيركوه وأقام بها ، ولم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خدموه . وكان الفقيه ضياء الدين صهيبي المهكاري معه ، فسعى مع سيف الدين علي بن أحمد حتى أماله إليه ، وقال له : إن هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل ، فال إلى صلاح الدين . ثم قصد شهاب الدين الحارمي ، وقال له : إن هذا صلاح الدين هو ابن أختك ومملكك لك ، وقد آستقام له الأمر فلا تكن أول من يسعى في إخراجك عنه [ولا يصل إليك] ، ولم يزل به حتى أحضره أيضاً عنده وحلقه له . ثم عدل إلى قطب الدين وقال له : إن صلاح الدين قد أطاعه الناس ولم يبق فيرك وغير البأروقي ، وعلى كل حال فيجتمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الأكراد ، ووعده وزاد في إقطاعه فأطاع صلاح الدين . ثم عدل إلى عين الدولة

- (١) في تاريخ الدولة الأتابكية لابن الأمير «التامة» . (٢) في الأصل : «عن القيام» .
وما أثبتناه من ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . (٣) في الأصل : «وملكه له» .
وما أثبتناه من ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . (٤) الزيادة عن ابن خلكان .
(٥) في الأصل : «وزاد في إقطاعه» . وما أثبتناه من ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية .

الْيَارُوقِ ، وكان أكبر الجماعة وأكثرهم جمعا ، فأجتمع به فلم ينفع فيه رُقاه ولا نَقْد فيه سحره ، وقال : 'أنا لا أخدُم يوسف أبدا ! وعاد إلى نور الدين محمود ومعه غيره . فانكر عليهم نور الدين فراقه ، وقد فات الأمر ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا . وثبت قدم صلاح الدين ورَتَّخ ملكه ، وهو نائب عن الملك العادل نور الدين ، والخطبة لنور الدين في البلاد كُلِّها ، ولا يتصرفون إلَّا عن أمره . وكان نور الدين يكتب صلاح الدين بالأمير الإسْفَهْسَالار ، ويكتب علامته في الكتب تعظيما أن يكتب اسمه ، وكان لا يُفَرِّده بمكانة ، بل يكتب الأمير الإسْفَهْسَالار صلاح الدين ، وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا . وأسما لصلاح الدين قلوب الناس وبَدَل الأموال مما كان أسد الدين قد جمعه ، فمال الناس إليه وأحبُّوه ، وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه ؛ وضَعُف أمر العاضد ، وكان العاضد كالباحث عن حتفه يَظْلِقُه » .

قال ابن الأثير في تاريخه الكبير : قد أعتبرتُ التواريخ فرايت كثيرا من التواريخ الإسلامية ، ورايت كثيرا ممن يتبدى الملك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله وأقاربه : منهم في أول الإسلام معاوية بن أبي سفيان ، أول من ملك من أهل بيته ، تنتقل الملك عن أعقابه إلى بنى مروان من بنى عمه . ثم من بعده السفاح أول من ملك من ملوك بنى العباس ، أنتقل الملك عن أعقابه إلى أخيه أبي جعفر المنصور . ثم السامانية أول من ملك منهم نصر بن أحمد فانتقل الملك عنه إلى أخيه إسماعيل بن أحمد وأعقابه . ثم يعقوب الصفار أول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك عنه إلى أخيه عمرو وأعقابه . ثم عماد الدولة بن بويه أول من ملك

(١) كذا في ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . وفي الأصل « ... فراه لصلاح الدين » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

- من أهل بيته ثم انتقل الملك عنه إلى أخويه : ركن الدولة ومعر الدولة . ثم السلجوقية أول من ملك منهم طغرل بك . ثم انتقل الملك إلى أولاد أخيه داود . ثم هذا شيركوه كما ذكرنا . ثم انتقل الملك عنه إلى ولد أخيه نجم الدين أيوب . ولولا خوف الإطالة لذكرنا أكثر من هذا . والذي أظنه السبب في ذلك أن الذي يكون أول دولة يكثر القتل ، فيأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به ، فلهذا يحرم الله تعالى .
- أعقابه ويفعل ذلك لأجلهم عقوبة^(١١) [له] . انتهى .

- قلت : وما ذكره ابن الأثير من انتقال الملك من عقيب من على الملك أولا إلى أقاربه ، هو بعكس ما وقع لخلفاء مصر بنى عبّيد ، فإنه لم يَلِ الخلافة منهم أحد بعد أخيه من أولهم المعز إلى آخرهم العاضد . قلت : ونادرة أخرى وقعت لخليفة زماننا هذا ، فإنه خامس أخ ولي الخلافة بعد إخوته ، وهو أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف ، وهم خمسة إخوة من أولاد المتوكل ، كل منهم ولي الخلافة : وأولهم المستعين بالله العباسي ، الذي تسلطن بعد خلع الملك الناصر فرج بن برقوق ، في سنة خمس عشرة [وثمانمائة] ، ثم من بعده المعتضد داود ، ثم من بعده المستكفي سليمان ، ثم من بعده القائم حمزة ، ثم يوسف هذا خليفة زماننا .

- (١) الزيادة عن ابن خلكان . (٢) هو أمير المؤمنين المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ابن المتوكل على بن سليمان الهاشمي العباسي . توفي في المحرم سنة ٨٨٥ هـ (عن شذرات الذهب) .
- (٣) هو أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد ابن الخليفة المعتمد بالله أبي بكر ابن الخليفة المستنجد بالله سليمان ابن الحاكم بأمر الله أحد الهاشمي العباسي المصري . وسذكر المؤلف وفاته سنة ٨٠٨ هـ .
- (٤) هو أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل العباسي ابن المتوكل . وسذكر المؤلف وفاته بالطاعون سنة ٨٣٣ هـ .
- (٥) هو أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد . وسذكر المؤلف وفاته سنة ٨٤٥ هـ .
- (٦) هو الخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد . وسذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٥ هـ .
- (٧) هو الخليفة أمير المؤمنين القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل على الله . وسذكر المؤلف وفاته سنة ٨٦٢ هـ .

وأكثر من ولى من بنى أمية أربعة من أولاد عبد الملك بن مروان : وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام ؛ قيل : إن عبد الملك رأى في نومه أنه بال في محراب النبي صلى الله عليه وسلم أربع بولات ، فأوله المعبرون بأنه يلى الخلافة من ولده لصلبه أربعة ، فكان كذلك . وأما ثلاثة الإخوة : فالأمين محمد والمأمون عبد الله والمعتصم محمد أولاد الرشيد هارون . ثم وقع ذلك أيضا لبني العباس في أولاد المنوكل جعفر ، ولى من أولاده ثلاثة : المتصر والمعتز والمعتد . ثم وقع ذلك أيضا للمعتضد ولى من أولاده ثلاثة : وهم المكتفي^(١) على والمقتدر جعفر والقاهر محمد . ثم وقع ذلك للمقتدر جعفر ولى من أولاده ثلاثة : الراضى والمتقى والمطيع . ونادرة أخرى ، قيل : إن المستنجد بن المكتفي رأى في حياة والده في منامه كأن ملكا نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات معجمات ، فعبّوه أنه يلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك . وقد خرجنا عن المقصود ، ونعود إلى ذكر صلاح الدين .

ثم ذكر ابن الأثير شيئا عن أحوال صلاح الدين إلى أن قال : وتوفي العاضد وجلس صلاح الدين للعزاء ، وأستولى على قصره وجميع ما فيه ؛ فكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش ، وهو خصي يحفظه ، فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ، ونقل صلاح الدين أهله إلى مكان منفرد ، ووثق بهم من يحفظهم ، وجعل أولاده وعمومته وأبناءه في إيوان بالقصر ، وأخرج من كان فيه من العبيد والإماء ، فأعتق البعض ووهب البعض وأخل بالقصر من سكانه وأهله . فبيحان من لا يزول ملكه ! قال : ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد ، ووهب أهله وأمرأه ، وباع منه كثيرا ، وكان فيه من

(١) في الأصل : « المكتفي » . والتصويب عما تقدم ذكره للؤلؤ في الكلام على خلافة المكتفي

الجواهر النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك . قال ابن الأثير : ^(١١) ولما وصل الخبر إلى الإمام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن الإمام المستنجد ، وهو والد الإمام الناصر لدين الله ، بما تجدد من أمر مصر ، وعود الخطبة والسكة بها باسمه بعد انقطاعها بمصر هذه المدة الطويلة عمل أبو الفتح محمد سبط [ابن] التعاويذي ^(١٢) قصيدة طنانة مدح بها المستضيء ، وذكر هذا الفتح المتجدد له ، وفتح بلاد اليمن ، ^(١٣) وهلاك الخارجى بها الذى سمي نفسه المهدي . نذكر في آخر ترجمته أمر القصيدة التى نظمها ابن التعاويذي من كلام ابن خلكان وغيرها إن شاء الله تعالى . وكان صلاح الدين قد أرسل له من ذخائر مصر وأسلاف المصريين شيئا كثيرا .

ثم ذكر ابن الأثير فصلاً في سنة سبع وستين وخمسمائة يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين الشهيد وبين صلاح الدين باطنا ، فقال : « في هذه السنة جرت أمور ^(١٤) أوجبت تأثر نور الدين من صلاح الدين ، ولم يظهر ذلك . وكان سببه أن صلاح الدين سار [عن مصر] في صفر منها إلى بلاد الفرنج ، ونازل حصن الشوبك ، وبينه وبين الكرك يوم ، وحصره وضيق على من به من الفرنج ، وأدام القتال ؛ فطلبوا

(١) ليس هذا من كلام ابن الأثير إذ لم تجده في تاريخه الكبير ولا في تاريخ الدولة الأتابكية ؛ وإنما نقله المؤلف عن ابن خلكان . (٢) الزيادة عن ابن خلكان . وهو أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور ، كان أبوه مولى لابن المظفر واسمه تشكين فبناه والده المذكور عبيد الله وهو سبط أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المعروف بابن التعاويذي . توفي ثاني شوال سنة أربع ، وقيل ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد (عن ابن خلكان) . وسيد ذكر المؤلف وفاته سنة ٥٨٣ هـ . (٣) هي قصيدة طويلة ذكر منها ابن خلكان نحو أربعين بيتاً ، ومطلعها :

قل للصحاب إذا مرت * يد الخائب فارجهن

(٤) هو علي بن مهدي أبو الحسن المعروف بعبد النبي صاحب زبيد . كان قطع الخطبة العباسية ، وكان ظالماً فائقاً ، فاستأذن صلاح الدين نور الدين الشهيد أن يسير إليه فأذن له ، فسير إليه أخاه شمس الدولة توران شاه بن أيوب ؛ فأمره وملك زبيد وأقام فيها الخطبة العباسية . وسيد ذكر المؤلف هذه الحادثة سنة ٥٦٩ هـ . (٥) الزيادة عن ابن الأثير .

- الأمان وأستملوه عشرة أيام ، فأجابهم إلى ذلك . فلما سمع نور الدين ما فعله صلاح الدين سار من دِمَشْق قاصداً بلاد الفرنج ليدخل إليها من جهة أخرى ، فقبل لصلاح الدين : إن دخل نور الدين إلى بلاد الفرنج وهم على هذه الحال — أنت من جانب ونور الدين من جانب — مآكلها ، ومتى زال ملك الفرنج عن الطريق لم يبق لك بديار مصر مقام مع نور الدين ؛ ومتى جاء نور الدين إليك وأنت هادئ فلا بد لك من الاجتماع به ؛ وحينئذ يكون هو المتحكِّم^(١) فيك ، إن شاء تركك وإن شاء عزك ، ولا تقدر على الامتناع عليه ؛ وحينئذ المصلحة الرجوع إلى مصر .
- فرحل عن الشوبك عائداً إلى مصر [ولم يأخذه من الفرنج] . وكتب إلى نور الدين يستدّر باختلال الديار المصرية لأمر بلغته عن بعض شيعة العلويين ، وأنهم عازمون على الوثوب بها ، وأنه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلف بها .
- فلم يقبل نور الدين هذا الاعتذار منه وتغيّر عليه ، وعزم على الدخول إلى مصر وإنراجه عنها . وظهر ذلك لصلاح الدين فجمع أهله وفيهم أبوه نجم الدين أيوب ، وخاله شهاب الدين الحارمي وسائر الأمراء ، وأعلمهم بما بلغه من عزم نور الدين وحركته إليه ، فاستشارهم فلم يجبه أحد منهم بكلمة ؛ فقام تقي الدين عمر بن أخيه وقال : إذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد ، ووافقنا غيره من أهله ؛ فستمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك وأستعظمه ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك ، ونحن أكثر حجة لك من جميع من ترى ، والله لو رأيتُ أنا وخالك نور الدين لم يمكنا إلا أن نقبل الأرض بين يديه ، ولو أمرنا أن نضرب عنقك لفعلنا ، فإذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا ! وكل من ترى من الأمراء لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسروا من الثبات على سُروجهم . ثم قال : وهذه البلاد له ، ونحن مماليكه ونوابه فيها ،

(١) في الأصل : « فيه » . وما أثبتناه عن ابن الأثير . (٢) الزيادة عن ابن الأثير .

- فإن اراد غير ذلك سَمِعْنَا وأطعنا؛ والرأى أن تكتب إليه وتقول : بلغني أنك تريد الحركة لأجل البلاد، فأى حاجة إلى هذا! يُرْسِلُ المولى تجابا يضعُ في رقبتي منديلا ويأخذني إليك، فما هاهنا من يمتنع عليك؛ وقام الأمراء وتفترقوا . فلما خلا نجم الدين أيوب بأبْنِه صلاح الدين قال له : يا بني ، بأى عقل قلت هذا !
- أما علمت أن نورالدين متى سمع عز منا على منعه ومحاربتَه جعلنا أهمَّ الوجوه عنده؛
- وحينئذٍ لا تقوى به؛ وإذا بلغه طاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا، والأقدار تعمل عملها؛ والله لو أراد نور الدين قسبةً من قصب السُّكر لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل .
- ففعل صلاح الدين ما أشار به والله عليه؛ فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره؛ فكان الأمر كما ظنه أيوب . وتوَقَّى نورالدين ولم يقصده . وملك صلاح الدين البلاد، وكان هذا من أصوب الآراء وأحسنها . . انتهى كلام ابن الأثير باختصار .
-
- قال ابن شداد : « ولم يزل صلاح الدين في نشر الإحسان وإفاضة النعم على الناس إلى سنة ثمان وستين وخمسمائة ، فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك ، وأما بدأ بها لأنها كانت أقرب إليه ، وكانت على الطريق تمنع من يقصده الديار المصرية ، وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يغيرها ، فأراد توسيع الطريق وتسهيلها ، فحاصرها في هذه السنة ، وجرى بينه وبين الفرنج وقعات ،
- ١٥ وعاد إلى مصر ولم يظفر منها بشيء . ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين قبل وصوله إليه . قال : ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة عدده ، وكان بلغه أن باليمن إنسانا استولى عليها وملك حصونها ، وكان يسمى عبد النبي^(١) ابن مهدي ، فأرسل أخاه ثوران شاه فقتله وأخذ البلاد منه . ثم مات الملك
- العادل نور الدين محمود صاحب دمشق في سنة تسع وستين وخمسمائة . على
- ٢٠

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢١ من هذا الجزء .

ما سيأتي ذكره في الوقایات . ثم بلغ صلاح الدين أن إنسانا جمع بأسوان خلقا كثيرا من السودان، وزعم أنه يعيد الدولة العبيدية المصرية . وكان أهل مصر يؤثرون عودهم وأنصافوا إليه، فسیر صلاح الدين إليه جيشا كثيفا وجعل مقدمه أخاه الملك العادل، فساروا وألقوا به، وكسروه في السابع من صفر سنة سبعين وخمسمائة . ثم بعد ذلك استقرت له قواعد الملك . وكان نور الدين محمود قد خلف ولده الملك الصالح إسماعيل، وكان بدمشق عند وفاة أبيه . وكان بجلب شمس الدين علي بن النّاية، وكان ابن النّاية حدث نفسه بأمور، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب، فوصل إلى ظاهرها في المحرم سنة سبعين ومعه سابق الدين، فخرج بدر الدين حسن بن النّاية قَبَضَ على سابق الدين . ولما دخل الملك الصالح قلعة حلب قبض على شمس الدين علي بن النّاية، وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور، وأودع الثلاثة السجن . وفي ذلك اليوم قُتِل أبو الفضل بن الخشّاب لفتنة جرث [جلب]، وقيل : بل قُتِل قبل القبض على أولاد النّاية .

ثم إن صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أن ولده الملك الصالح صبي لا يستقل بالأمر، ولا ينهض بأعباء الملك، وأختلفت الأحوال بالشام . وكتب شمس الدين [محمد بن عبد الملك] بن المقدم صلاح الدين، فتجهّز صلاح الدين من مصر في جيش كثيف، وترك بالقاهرة من يحفظها، وقصد دمشق مظهرًا أنه يتولى مصالح الملك الصالح، فدخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلّخ شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة، وتسلم قلعتها وأجمع الناس إليه وفرحوا به، وأنفق في ذلك اليوم مالا

(١) هو سابق الدين عثمان بن النّاية صاحب قلعة جعبر وتل باشر . (عن الروضين) .

(٢) هو صاحب حارم وعين ناب واعزاز (من الروضين) . (٣) كان رئيس قلعة حلب (عن ابن الأثير) . (٤) زيادة عن السيرة وابن خلكان . (٥) زيادة عن الروضين وابن الأثير . وهو الأمير الذي تولى تربية الملك الصالح إسماعيل بعد وفاة والده نور الدين .

جزئلاً ، وأظهر السرور بالدستقيين وصعيد القلعة؛ ثم سار إلى حلب ونازل حِمص وأخذ مدينتها في أول جمادى الأولى، ولم يشتغل بقلعتها وتوجه إلى حلب، ونازلاً في يوم الجمعة سَلَخَ جمادى الأولى من السنة، وهي الوقعة الأولى .

- ثم لَمَّ سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زَنْكِي صاحب الموصل لما أَحَسَّ بما جرى علم أن الرجل قد استنحل أمره وعظم شأنه، فخاف إن غفل عنه .
- استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى الأمر إليه، فأرسل عسكرياً وافراً ، وجيشاً عظيماً، وقدم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قُطْب الدين مودود، وساروا يريدون لقاء صلاح الدين تَجِدَةً لابن عمه الملك الصالح ابن نور الدين، ليردوا صلاح الدين عن البلاد. فلما علم صلاح الدين ذلك رحل من حلب في مستهل رجب من السنة تائلاً إلى حماة، ثم رجع إلى حِمص وأخذ قلعتها . ووصل عز الدين مسعود إلى حلب وأخذ معه عسكرياً ابن عمه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود، وهو صاحب حلب يومئذ، وخرجوا في جمع عظيم؛ وما علم صلاح الدين بخروجهم حتى وافاهم على قُرون حماة، فراسلهم وراسلوه، وأجتهد صلاح الدين على أن يصالحوه فلم يصالحوه؛ ورأى أن ضرب المصاف معهم ربما نالوا به غرضهم، والقضاء يجزى إلى أموره وهم لا يشعرون، فتلاقوا ففضى الله تعالى أنهم أنكسروا بين يديه، وأسر جماعة منهم قُرن عليهم وأطلقهم، وذلك في تاسع عشر شهر رمضان من السنة عند قُرون حماة. ثم سار صلاح الدين عَقِيبَ أنكسارهم^(١) ونزل على حلب، وهي الدفعة الثانية فصالحوه على المنصرة وكفّر طاب وبأرين . ولما جرت هذه الواقعة كان سيف الدين غازي محاصراً أخاه عماد الدين زَنْكِي صاحب سنجار، وعزم على أخذها.

(١) في الأصل : «عقب عسكرهم» . وما أثبتناه عن السيرة وابن خلكان .

(٢) بأرين : مدينة حسة بين حلب وحماة من جهة الغرب (عن معجم البلدان لباقوت) .

منه، لأنه كان قد انتهى إلى صلاح الدين، وكان قد قارب أخذها، فلما بلغه خبر هذه الواقعة، وأنّ عسكره أنكر من صلاح الدين على قُرون حمّة خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتدّ أمره ويقوى جأشه، فراسله وصالحه. ثم سار غازي من وقته إلى نصيبين وأهّم بجمع العساكر والاتفاق فيها، وسار إلى الفُرات وعبر البيرة^(١) وخيم على الجانب الشامي، وراسل ابن عمه الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين صاحب حلب حتى تستقر له قاعدة يصل إليها. ثم إنّه وصل إلى حلب ونخرج ابن عمه الملك الصالح صاحب حلب إلى لقائه، وأقام غازي على حلب مدّة، وصعد قلعتها جريدة، ثم نزل وسار إلى تل السلطان، وهي متلة بين حلب وحمّة ومعه جمع كبير. وأرسل صلاح الدين إلى مصر وطلب عسكرها، فوصل إليه منها جمع كبير؛ فسار بهم صلاح الدين حتى نزل قُرون حمّة ثانيا، وتَصافوا بركة يوم الخميس العاشر من شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وجرى قتالٌ عظيم، وأنكسرت مبصرة صلاح الدين من مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل؛ فإنه كان على متينة سيف الدين غازي، فحصل صلاح الدين بنفسه على عسكر سيف الدين غازي حملة شديدة فأنكر القوم، وأسر منهم جماعة من كبار الأمراء، فنن عليهم صلاح الدين وأطلقهم. وعاد سيف الدين غازي إلى حلب فأخذ منها خزانته وسار حتى عبر الفرات، وترك ابن عمه الملك الصالح صاحب حلب بها وعاد إلى بلاده. ومنع صلاح الدين من تتبع القوم، ونزل في بقية اليوم في خيامهم، فلأنهم تركوا أنقلاهم وأنهمزموا، وفرق صلاح الدين الأطلاب وهب الخزان وأعطى خيمة سيف الدين غازي لأخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب أنى تقي الدين عمر صاحب

(١) البيرة : بلد قرب سيماط بين حلب والفرات الرومية، وهي قلعة حصينة ولها رستاق واسع (من

معجم البلدان لياقوت).

حمّاة ، وكان فرخشاه صاحب بعلبك . ثم سار صلاح الدين إلى مَنبِج^(١) قسّمها ، ثم سار إلى قلعة عزّاز وحاصرها في رابع ذى القعدة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . وبينما صلاح الدين بها وثب عليه جماعة من الإسماعيلية (أعنى الفداوية) فنجاه الله منهم وظفّر بهم . وأقام عليها حتى أخذها في رابع عشر ذى الحجة من السنة . ثم سار فقتل على حلب في سادس عشر ذى الحجة وأقام عليها مدة . ثم رحل عنها بعد أن أخرجوا له أبنه صغيرة لنور الدين محمود فسألته عزّاز فوهبها لها . ثم عاد صلاح الدين إلى مصر ليتفقّد أحوالها ، وكان مسيره إليها في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ؛ وكان أخوه شمس الدولة توران شاه بن أيوب قد وصل إليه من اليمن فاستخلفه بدمشق . ثم بعد ذلك تأهب صلاح الدين للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة ، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك الوقت ، ولما أنهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأوون إليه ، فطلبوا جهة الديار المصرية وضلّوا في الطريق وتبدّدوا ، وأمير منهم جماعة : منهم الفقيه عيسى الهكاري ، وكان ذلك وهنا عظيما ، جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة .

١٥ ووصل صلاح الدين إلى مصر ولم شعثه وشعث أصحابه من أثر كسرة الرملة^(٢) ثم بلغه تخبط الشام فعاد إليه وأهتم بالغزاة ، فوصله رسول صاحب الروم يلتبس الصلح ويتضرّر من الأرمن ، يقصد بلاد ابن لاون^(٣) (يعنى بلاد سيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل) ؛ فتوجّه صلاح الدين إليه ، وأستدعى عسكر

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) عزاز (وربما

٢٠ نلت بالألف في أولها) : بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمال حلب ، بينها يوم (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) صححتنا هذه الجملة عن ابن خلكان . وهي محزنة في الأصل .

(٤) في الأصل : « ابن لاوى » والتصحيح عن ابن خلكان والسيرة .

- حَلَبَ، لأنه كان في الصلح متى استدعاه حضر إليه؛ (يعني صلح صلاح الدين مع الملك الصالح صاحب حلب). ثم دخل صلاح الدين بلاد آبن لاون وأخذ في طريقه حصنا وأخر به، ورغبوا إليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم. ثم سألهم فليج أرسلان [صاحب الروم] في صلح الشرقيين بأسرهم (يعني سيف الدين غازي وإخوته) فأجاب ذلك صلاح الدين وحلف في عاشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وخمسمائة، ودخل في الصلح فليج أرسلان والمواصلة. ثم عاد صلاح الدين بعد تمام الصلح إلى دمشق؛ ثم منها إلى مصر. فورد عليه الخبر بموت الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بعد أن استعطف أمراء حلب وأجنادها قبل موته لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل، وهو ابن عم قطب الدين مودود. ولما بلغ عز الدين مسعودا خبر موت ابن عمه الملك الصالح المذكور، وأنه أوصى له بحلب بادر إلى التوجه إليها خوفاً أن يسبقه صلاح الدين إليها فآخذها. وكان أول قادم إليها مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل، وكان إذ ذاك صاحب حران، وهو مضاف إلى الموصل، ووصلها مظفر الدين المذكور في ثالث شعبان من سنة سبع وسبعين. وفي العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وطلع إلى القلعة وأستولى على ما فيها من الخواصل، وتزوج بأُم الملك الصالح في الخامس من شوال من السنة. قال: وحاصل الأمر أن عز الدين مسعوداً قايض عماد الدين زنكي صاحب سنجار عن حلب بسنجار، وخرج عز الدين من حلب ودخلها عماد الدين زنكي، فلما بلغ صلاح الدين ذلك توجه إليه وحاصره فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب، وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين من المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة. فتحدث عماد الدين زنكي مع الأمير حسام الدين طهان بن غازي في السر

- بما يفعله ، فأشار عليه أن يطلب من صلاح الدين بلاداً ويُنزل له عن حلب ، بشرط أن يكون له جميع ما في القلعة من الأموال ؛ فقال له عماد الدين : وهذا كان في نفسي .
- ثم اجتمع حسام الدين طمان بن غازي مع صلاح الدين في السرّ على تقرير القاعدة لذلك ، فأجابه صلاح الدين إلى ما طلب ووقع له بسنجار وخابور وتَصْيِيْبين وسُرُوج^(١) ، ووقع لَطْمَان المذكور بالرقّة لسفارته بينهما ، وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع^(٢) صفر من السنة ؛ وكان صلاح الدين قد نزل قبل تاريخه على سِنْجَار وأخذها في ثاني شهر رمضان من سنة ثمان وسبعين وأعطاهما لابن أخيه تقيّ الدين عمر ؛ فلما جرى الصالح على هذا أخذها من عمر وأعطاهما لعماد الدين المذكور . وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد إليها في يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر^(٣) سنة تسع وسبعين وخمسمائة [، وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وجعل فيها ولده الملك الظاهر وكان صبيّاً ، وولى القلعة لسيف الدين يازكوج^(٤) الأَسَدِيّ وجعله يرّتب مصالح ولده .

- ثم سار صلاح الدين إلى دمشق وتوجّه من دمشق لقصد محاصرة الكرك في الثالث من رجب من السنة ، وسير إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر ، يستدعيه ليجتمع به على الكرك ، فسار إليه الملك العادل أبو بكر يجمع عظيم وجيش كبير ، واجتمع به على الكرك في رابع شعبان . فلما بلغ الفرنج نزولهُ على الكرك حشدوا خلقاً عظيماً وجاءوا إلى الكرك ليكونوا من خارج قُبالة عسكر المسلمين ، يخاف صلاح الدين على الديار المصرية ، فسير إليها ابن أخيه تقيّ الدين عمر ، ثم تزحزح^(٥)

(١) في ابن خلكان : « في سابع عشر صفر من السنة » . (٢) في ابن خلكان « في ثامن » .

(٣) الزيادة عن ابن خلكان . (٤) كذا في الأصل وابن خلكان والروضتين .

وفي السيرة : « يازكج » . (٥) في الأصل : « ثم رحل » . وما أثبتناه عن السيرة .

صلاح الدين عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة (وأستصحب أخاه الملك العادل معه ودخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان من السنة ، وأعطى أخاه العادل حلب ، فتوجه إليها العادل ودخلها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة . وخرج الملك الظاهر ويازكوج من حلب ودخلا دمشق يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال من السنة . وكان الملك الظاهر أحب أولاد أبيه إليه لما فيه من الحلال الحميدة ، ولم يأخذ منه حلب إلا المصلحة رآها أبوه صلاح الدين في ذلك الوقت . وقيل : إن الملك العادل أعطاه على أخذ حلب ثمانية ألف دينار يستعين بها على الجهاد . ثم إن صلاح الدين رأى أن عود الملك العادل إلى مصر، وعود الملك الظاهر إلى حلب أصلح . قيل : إن علم الدين سليمان بن جندر^(١) كان هو السبب لذلك، فإنه قال لصلاح الدين ، وكانت بينهما مؤانسة قبل أن يملك البلاد ، وقد ساره يوما ، وكان من أمراء حلب ، والملك العادل لا ينصفه، وقدم عليه غيره ، وكان صلاح الدين قد مريض على حصار الموصل ! وميل إلى حران وأشفى على الهلاك ، ولما عوفي ورجع إلى الشام واجتمعا في المسير، قال له : وكان صلاح الدين قد أوصى لكل واحد من أولاده بنىء من البلاد - : بأى رأي كنت تظن أن وصيتك تنفذ ! كأنك كنت خارجا إلى الصيد ثم تعود فلا يخالفوك ! أما تستحي [أن] يكون الطائر أهدى منك إلى المصلحة ! قال صلاح الدين : وكيف ذلك ؟ وهو يضحك ؛ قال : إذا أراد الطائر أن يعمل عُشا لفراخه قصده أعلى الشجر ليحصى فراخه ، وأنت سلمت الحصون إلى أهلك وجعلت أولادك على الأرض ، هذه حلب - وهى أم البلاد - بيد أخيك ،

(١) في الأصل : « ابن حيدر » . وما أثبتناه عن ابن الأثير والروضتين والفتح القسى وعقد الجمان .

(٢) التلمذة عن ابن خلكان .

- وحمّاه بيد ابن أخيك،^(١) ويخص بيد ابن عمك أسد الدين ؛ وأبنيك الأفضل مع
تقي الدين بمصر يُخرجه متى شاء، وأبنيك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد؛
فقال له صلاح الدين : صدقتَ ، فأَكُتُم هذا الأمر؛ ثم أخذ حلب من أخيه العادل
وأعادها إلى ابنه الملك الظاهر ، وأعطى العادل بعد ذلك حرّان والرّها وميّا فارفين
ليخرجه من الشام . وفرق الشام على أولاده ، فكان ما كان . وزوج السلطان
صلاح الدين ولده الملك الظاهر بغازية خاتون ابنة أخيه الملك العادل المذكور .

- ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين ، وكانت في يوم السبت رابع عشر
شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في وسط نهار الجمعة . وكان صلاح الدين
كثيرا ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبرّكا بدناء المسلمين
والخطباء على المنابر ، فسار في ذلك الوقت واجتمع له من العساكر الإسلامية عدد
يقوت الحصر ، وكان قد بلغه أن العدو اجتمع في عدّة كثيرة بمرج صفورية بأرض عكا^(٢)
عند ما بلغهم اجتماع العساكر الإسلامية ، فسار صلاح الدين ونزل على طبرية^(٣) على
سطح الجبل ينظر قصد الفرنج ؛ فلما بلغهم نزوله في الموضع المذكور لم يتحركوا
ولا خرجوا من مقرّاتهم ، وكان نزولهم في الموضع المذكور يوم الأربعاء
الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر؛ فلما رأهم لا يتحركون ترك جريدة على طبرية ،
وترك الأطلاب على حاملها قبالة العدو، ونزل طبرية وهجمها وأخذها في ساعة واحدة ،
وأتهب الناس ما فيها ، وأخذوا في القتل والسبي والحريق ؛ وبقيت القلعة ممتنعة

(١) كذا في ابن خلكان . وفي الأصل : « بيد ابن أخيك تقي الدين عمر » . ومعلوم مما تقدم
أن تقي الدين كان بمصر مع ولده الأفضل . (٢) في الأصل : « بمرج صفر » . وما أثبتناه
عن ابن خلكان والسيرة وابن الأثير . (٣) طبرية : بلدة مطلة على البحيرة المعروفة بحيرة طبرية ،
وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، وهي من أعمال الأردن في طرف الفجر ، بينها وبين دمشق
ثلاثة أيام ، وكذلك بينها وبين بيت المقدس ، وبينها وبين عكا برمان (عن معجم البلدان لياقوت) .

بمن فيها . ولما بلغ العدو ماجرى في طبرية قَلِقُوا لذلك ورحلوا نحوها ، فبلغ السلطان صلاح الدين ذلك فترك على طبرية من يحاصرها ولحق بالعسكر ، وألتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربى منها ، وذلك في يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فحال الليل بين العسكرين ^(١) ، فناما على المصاف إلى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين منه ، فركب العسكران وتصادما وألحمت القتال واشتد الأمر ، ودام القتال حتى لم يبق إلا الظفر ، فحال الليل بينهم ، وناما على المصاف ، وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ، ومن بين أيديهم بلاد العدو ، وأنهم لا يُنجيهم إلا القتال والجهاد ، وأصبحوا من الغد فحملت أطلاب المسلمين من جميع الجوانب ، وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد : [الله أكبر ^(٢)] وألقى الله الرعب في قلوب الكافرين ، وكان حقا عليه نصر المؤمنين .

ولما أحس الملك القويم بالخذلان هرب في أوائل الأمر ، فتيه جماعة من المسلمين ، فجا منهم ، وأحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب ، وأطلقوا عليهم السهام ، وحملوا عليهم بالسيوف ، وسقوهم كأس الحمام ، وأنهزمت طائفة منهم فتيههم المسلمون يقتلونهم ، واعتصمت طائفة منهم بتل يقال [له] : تل حطين ، وهى قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام ، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران ، واشتد بهم العطش فأمسكوا ^(٣) [للأسر خوفا من] القتال ، فأيسر مقدمتهم ، وقُتل الباقون ، وكان ممن أسير من مقدميهم الملك جُفرى وأخوه الملك ، [وأليريس أرناط] صاحب الكرك والشوبك ، وأبن المنقرى وأبن صاحب طبرية .

(١) فى الأصل : « حال الليل بين العسكر » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

(٢) النكلة عن ابن خلكان « (٣) زيادة عن ابن خلكان . (٤) النكلة والتصحيح

عن ابن خلكان والسيرة والروضتين . (٥) النكلة عن السيرة وابن خلكان والفيح القسى .

قال ابن شداد : لقد حكى لي مَنْ أُنقِ به أنه رأى بحورانَ شخصاً واحداً ومعه نيف وثلاثون أسيراً ربطهم بطنُب خيمة ، لما وقع عليهم من الخلدان ؛ ثم إن الملك القويمص الذي هرب في أول الوقعة وصل إلى طرابلس ، وأصابه ذات الجنب فهلك . وأما مقدم الأسبصار والديوية^(١) فإنه قتلها السلطان صلاح الدين ، وقتل مَنْ بقي من أصحابها حياً ، وأما ألبرنس أرناط فإن السلطان كان نذر أنه إن ظفر به قتله ، وذلك أنه كان عبر إليه بالشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فقدر بهم وقتلهم ، فناشدوه الصلح الذي بينه وبين السلطان ، فقال : ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ وبلغ ذلك السلطان ، فحملته حمية دينه على أن أهدر دمه .

- ١٠ ولما فتح الله عليه بالنصر جلس بالدهليز (يعني الخيمة) فإنها لم تكن نصبت بعد لشغل السلطان بالجهاد ، وعرضت عليه الأماري ، وصار الناس يتقربون إليه بما في أيديهم منهم ، وهو فرح بما فتح الله عليه ؛ واستحضر الملك جفري وأخاه ، وألبرنس أرناط ، وتناول السلطان الملك جفري شربة من جلاب وتلج فشرب منها ، وكان على أشد حال من العطش ثم ناولها للبرنس ، ثم قال السلطان للبرنجان : قل لللك أنت الذي سقيته وإلا أنا فما سقيته ، فإنه كان من جميل عادة العرب

(١) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) الأسبصار : طائفة من رجال الدين . كان مبدأ أمرهم في القرن التاسع الميلادي في إيطاليا بعنوان : (Notre-Dame de la Scala) ثم زاد عددهم في الحروب الصليبية لمساعدة الصليبيين من جهة ، والدعاية لنشر الدين من جهة أخرى ، وهم فرق كثيرة مختلفة (ملخص عن دائرة المعارف الفرنسية ج ٢٠ ص ٢٩١) . (٣) الديوية ويقال الداوية : قوم من الأفرنج يحسبون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمتنعون أنفسهم عن النكاح وغيره ، ولهم أموال وسلاح ويتعاونون القوة ويحاولون السلاح ولا طاعة عابهم لأحد . ينسبون إلى حصن حصين بواحي الشام (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٧٦) . (٤) كذا في وفيات الأعيان والسيرة والروشتين . وفي الأصل : «وأشخاص» .

- وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن ؛ فلذا قال
السلطان للترجمان : أنت الذي سقيته . ثم أمر السلطان بمسيرهم إلى موضع عينه
لهم فاكلوا شيئاً ، ثم عادوا بهم ولم يبق عند السلطان سوى بعض الخدم ،
فاستحضرهم وأقعده الملك في دهايز الخيمة ، فطلب آليرئس أرناط وأوقفه بين يديه ،
وقال [له] : هانا أنتصر لمحمد منك ، ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل ، فسل
النيمجاه^(٢) فضربه بها فحل كتفه ، وتم قتله من حضر ، وأخرجت جثته ورُميت على
باب الخيمة ، فلما رآها الملك جفري لم يشك أنه يلحقه به ، فاستحضره السلطان
وطيب قلبه ، وقال له : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك إلا أن هذا تجاوز الحد
وتجزأ على الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم أمره بالانصراف . وبات الناس تلك
الليلة على أتم سرور . وفي هذه الواقعة يقول العماد الكاتب قصيدة طنانة منها :
حططت على حطين قدر ملوكهم * ولم تبق من أجناس كفرهم جنساً
بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم * ولم ترض أرض أن تكون لهم رمساً
وقد طاب ريانا على طبرية * فيا طيبها ريا ويا حُسْنها مرمى
وقال ابن الساعاتي قصيدة أخرى عظيمة في هذا الفتح ، أولها :
جلت عز ماتك الفتح المينا * فقد قزت عيون المؤمنين

(١) زيادة عن السيرة وابن خلكان . (٢) النيمجاه : الخنجر أو السيف الصغير أو السكين
المنحنية (فارسي معرب) عن القاموس الفارسي والإنجليزي . (٣) هذه الأبيات ضمن قصيدة
طويلة أوردها صاحب كتاب الروضتين (ج ٢ ص ٨٣) ومطلعها :

يا يوم حطين والأبطال عابسة * وبالعباجة وجه الشمس قد عبا

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن رسم المعروف بابن الساعاتي الشاعر الملقب بهاء الدين ، المتوفى
بالقاهرة في يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٦٠٤ . (عن ابن خلكان وشذوات الذهب) .
(٥) هذا البيت مطلع قصيدة طويلة في فتح طبرية كما في كتاب الروضتين (ج ٢ ص ٨٤) .

- ثم رحل السلطان بعد أن تسلم طبرية ونزل على عكا في يوم الأربعاء سلخ شهر ربيع الآخر، وفاتها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وأخذها واستنقذ من كان معها من أسارى المسلمين، وكانوا أكثر من أربعة آلاف أسير، وأستولى على ما كان فيها من الأموال والذخائر والبضائع، لأنها كانت مظنة التجار، وتفزقت المساكن في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع.
- ثم سار السلطان من عكا ونزل على تبين^(١) يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى، وهى قلعة منيعة، فحاصرها حتى أخذها في يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى المذكور عتوة. ثم رحل عنها إلى صيدا فقتل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها.
- ثم رحل عنها وأتى يثروت فنازلها يوم الخميس الثانى والعشرين من جمادى الأولى، حتى أخذها في يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى. ولما فرغ باله من هذا رأى قصد عسقلان، ولم ير الاشتغال بصور بعد أن نزل عليها، ثم رأى أن العسكر قد تفزق في الساحل وكانوا قد ضرسوا من القتال، وكان قد اجتمع بصور من يقي من الفرنج فرأى أن قصده عسقلان أولى، لأنها أيسر من صور، فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة. وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه مدينة غزة وبيت جبريل والمياطرون^(٢) من غير قتال، وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها ثانيا من المسلمين خمس وثلاثون سنة، فإن أخذها كان في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة. ولما تسلم السلطان عسقلان والبلاد المحيطة
- ١٠
- ١٥

(١) تبين: بلدة في جبال بني عامر المطلّة على بلد باتياس بين دمشق وصور (عن معجم البلدان لياقوت).

(٢) بيت جبريل (بيت جبرين): بليد بين بيت المقدس وغزة، بينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة

أقل من ذلك، وكانت فيه قلعة حصينة تحربها صلاح الدين (عن معجم البلدان لياقوت). (٣) في الأصل وابن خلكان «الطرون». وفي السيرة والروضتين «الطرون». والنصيب عن شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت، وهو موضع بالنام قرب دمشق.

٢٠

بالقدس شمر عن ساق الجُد والاجتهاد في قصد القدس المبارك ، واجتمع عليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل ، فسار بهم نحو القدس معتمداً على الله تعالى مفوضاً أمره إليه منتها الفرصة في فتح باب الخير الذي حُت على أتمهازه بقوله صلى الله عليه وسلم : ” مَنْ فَتَحَ لَهُ بَابُ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزْهُ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَتَى يُغْلَقُ دُونَهُ “ .

وكان نزول السلطان على القدس في يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، ونزل بالجانب الغربي ، وكان مشحوناً بالمقاتلة من الخيالة والرَّجالة حتى إنه حَزَرَ أَهْلَ الْخَبْرَةِ ، ثَمَّ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ ، مَنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ فَكَانُوا يَزِيدُونَ عَلَى سِتِينَ أَلْفًا خَارِجًا عَنِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، ثُمَّ أُنْقَلَتِ السُّلْطَانُ لِمَصْلَحَةِ رَأَاهَا إِلَى الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ وَنَصَّبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ وَضَاقَ الْبَلَدُ بِالرَّحْفِ وَالْقِتَالِ حَتَّى أَخَذَ النَّقَبَ فِي السُّورِ تَمَّ إِلَى وَادِي جَهَنَّمَ ، وَلَمَّا رَأَى الْعَدُوُّ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي لَا مَدْفَعَ لَهُ مِنْهُ ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَمَارَاتُ فَتْحِ الْمَدِينَةِ وَظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ قَدْ أَشْتَدَّ رَوْعُهُمْ لِمَا جَرَى عَلَى أَبْطَالِهِمْ مَا جَرَى ، فَاسْتَكَانُوا إِلَى طَلَبِ الْأَمَانِ ، وَسَامُوا الْمَدِينَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ ، وَلَيْلَتُهُ كَانَتْ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْأَتْفَاقِ الْعَظِيمِ ، كَيْفَ يَسِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَوْدَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي مِثْلِ زَمَانٍ الْإِسْرَاءِ بِنَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- (١) عبارة الأصل : « حتى إنه حَزَرَ أَهْلَ الْخَبْرَةِ مَنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ مِنَ الْقَلَمَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا ... » . وما أثبتناه عن ابن خلكان ، وهو معنى عبارة السيرة والروضتين .
- (٢) وادى جهنم : بظاهر المقدس (عن معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٧٦٢) . (٣) عبارة وفيات الأعيان : « وكان قد أشدَّ روعهم لما جرى على أبطالهم وحامتهم من القتل والأسر ، وعلى حصونهم من التخريب والهدم ، وتحققوا أنهم صارتون إلى ما صار أولئك إليه فاستكانوا وأخذوا في طلب الأمان » .
- (٤) في الأصل : « السادس والعشرين » . وما أثبتناه عن السيرة وابن خلكان والروضتين ، وهو المناسب لما تقدم .

- (١) قال : وكان فتحاً عظيماً شهده من العلماء خلق ، ومن أرباب الحرب والزهد عالم كثير ، وأرفعت الأصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير ، وصليت فيه الجمعة يوم فتحه ، وتكس الصليب الذي كان على قبة الصخرة ، وكان الصليب شكلاً عظيماً ، ونصر الله الإسلام . وكان الفرنج قد استولوا على القدس - بعد فتحه الأول في زمن عمر - في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين .
- وأربانة ؛ وقيل : في ثاني شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة (أعنى سنة اثنتين وتسعين) ، وذلك كان في خلافة المستعلي أبي القاسم أحد خلفاء مصر من بني عبيد ، وكان في وزارة بدر الجمالي بديار مصر . وقد حكينا طرفاً من ذلك في ترجمة المستعلي في هذا الكتاب . قلت : وعلى هذا الحساب يكون القدس أقام بيد الفرنج نيفاً وتسعين سنة من يوم أخذوه في خلافة المستعلي إلى أن فتحه السلطان صلاح الدين في هذه المرة ثانياً . والله الحمد . قال ابن شداد : « وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين ديناراً ، وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية ، وعن كل صغير ذكر أو أنثى ديناراً واحداً ، فمن أحضر قطيعته نجا بنفسه وإلا أخذ أسيراً ، وأفرج عمن كان بالقدس من أسارى المسلمين ، وكانوا خلقاً عظيماً ؛ وأقام السلطان بالقدس يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والرجال ، ثم رسم بإيصال من قام بقطيعته من الفرنج إلى مأمنه ، وهي مدينة صور ، فلم يرحل السلطان من القدس ومعه من المال الذي جنى شيء ، وكان يقارب مائتي ألف دينار [وعشرين ألف دينار] . »

(١) في ابن خلكان : « ومن أرباب الحق » . (٢) في السيرة : « من كل رجل عشرة

دنانير » . (٣) في ابن خلكان : « وتقدم بإيصال » . (٤) زيادة من ابن خلكان والسيرة . ٢٠

- ولما فتح القدس حسنٌ عنده فتحُ صور، وعلم أنه متى أقره عُسْر عليه فتحه، فسار نحوها حتى أتى عكا فزل عليها ونظر في أمورها؛ ثم رحل عنها متوجهاً إلى صور في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين المذكورة، فزل قريباً منها، وأرسل لإحضار آلات القتال حتى تكاملت عنده، نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور، وقاتل أهلها قتالاً شديداً وضايقها، وأستدعى أسطول مصر، وكان السلطان يضايقها في البر والبحر؛ وخرج أسطول صور في الليل فكبس أسطول المسلمين في البحر، وأخذوا المقدم والريس ونحس قطعاً للمسلمين، وقتلوا خلقاً كثيراً من الرجال، وذلك في السابع والعشرين من شهر شوال؛ وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره؛ وكان الشتاء قد هجم وتراكت الأمطار وأمتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار، فجمع السلطان الأمراء واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال، فرحل عنها في يوم الأحد ثاني ذى القعدة وتفرقت العساكر، وأعطى كل طائفة منها دستورا؛ فسار كل قوم إلى بلادهم، وأقام هو في جماعة من خواصه بمدينة عكا إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة. فرحل وزل على كوكب في أول المحرم، ولم يبق معه من المسكر إلا القليل؛ وكان كوكب حصناً حصيناً فيه الرجال [والأقوات]، فعلم السلطان أنه لا يؤخذ إلا بقتال شديد. فرحل إلى دمشق فدخلها في سادس عشرين شهر ربيع الأول من السنة؛ وأقام بدمشق خمسة أيام. وبلغه أن الفرنج قصدوا جبلة وأغتالوها، ونفج مسرعاً وقد سير يستدعى العساكر
- (١) في السيرة: «في الثامن والعشرين». (٢) في الأصل: «من الشهر المذكور». والتصويب عن السيرة. (٣) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية، حصينة رصينة تشرف على الأردن. افتتحها صلاح الدين فيما افتتحه من البلاد ثم خربت بعد. (عن معجم البلدان لياقوت). (٤) زيادة عن ابن خلكان. (٥) في ابن خلكان: «في سادس عشر». وفي السيرة والفتح القسبي والروضتين: «في سادس شهر ربيع الأول». (٦) كذا في الأصل والفتح القسبي. وفي ابن خلكان والروضتين والسيرة: «جبل» وكلاهما موضع بالشام.

من جميع البلاد ، وسار يطلب جَبَلَة ؛ فلما علم الفرنجُ بخروجه كفّوا عن ذلك . وكان السلطان بلغه وصولُ عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين [بن] زَيْن الدين صاحب إزِيل وعسكر المَوْصِل إلى حلب قاصدين خدمته والقَزَاة معه ؛ فسار السلطان نحو حصن الأكراد حتى اجتمع بالمذكورين [و] تقوّى بهم للغاية . انتهى كلام ابن شداد .

- وقال القاضي شمس الدين بن خلكان : « وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى دخل السلطان (يعنى صلاح الدين) بلادَ العدو على تهيئة حسنة ورتب الأطلاب ، وسارت الميمنة أولاً ومقدمها عمادُ الدين زَنْكِي ، والقلبُ في الوسط ، والميسرة في الأخير ومقدمُ الميسرة مظفرُ الدين بن زَيْن الدين صاحب إزِيل ، فوصل إلى أنطَرطوس يوم الأحد سادسُ جمادى الأولى ، فوقف قبالتها ينظرُ إليها فإن قصده ١٠ جَبَلَة ، فاستهان أمرها وعزم على قتلها فسيرَ من رد الميمنة ، وأمرها بالتزول إلى جانب البحر ، والميسرة على الجانب الآخر ، ونزل هو موضعه والعساكرُ مُحْدِقة بها من البحر إلى البحر ، وهي مدينة راکبة على البحر ولها بُرجان ، فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا عليها ، وأشدت القتال فما استتمَّ نصبُ الحيام حتى صعد المسلمون سورها وأخذوها بالسيف ، وغنم المسلمون جميع ما فيها ، وأحرق البلد وأقام عليها إلى ١٥ رابع عشر جمادى الأولى ، وسلم أحد البُرجين إلى مظفر الدين ، فما زال يحاربه حتى أخربه . وحضر إلى السلطان ولده الملك الظاهر بعساكر حلب ، لأنه كان طلبه بقاء بعساكر عظيمة . ثم سار السلطان يريد جَبَلَة فوصلها في ثاني عشر جمادى الأولى ،

(١) حصن الأكراد ، هو حصن منيع حصين على الجبل الذي مقابل حصن من جهة الغرب (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٧٦) . (٢) في الأصل وابن خلكان والسيرة : « أنطرسوس » . والتصويب عن الروتين وتقويم البلدان لأبي القدا إسماعيل ، دراجع الحاشية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وما أستمَ تزولُ المسكر عليها حتى أخذت البلد؛ وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم، وقوتلت القلعة قتالا شديداً ثم سَلِمَت بالأمان. ثم سار السلطان عنها إلى اللاذقية فزَل عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى، ولها قلعان (يعنى اللاذقية) متصلتان على تلٍّ مُشْرِف على البلد، واشتد القتال إلى آخر النهار، فأخذ البلد دون القلعتين، وغنم المسلمون منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار؛ ثم جدوا في أمر القلعتين بالنُّقُوب حتى بلغ طول الثقب ستين ذراعاً وعرضه أربع أذرع. فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان، وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر، وأتَمَسُوا الصلح على سلامة أنفسهم وذرائعهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغلال والذخائر والسلاح وآلات الحرب، فأجاب السلطانُ إلى ذلك، ورفع العلم الإسلامي عليها في يوم السبت وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر. ثم رحل عنها وزل صهيون^(١) وقتلهم أشد قتال حتى أخذ البلد يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة؛ ثم تقدموا إلى القلعة وصَدُّوا القتال، فلما عابوا الملاك طلبوا الأمان فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير، ومن المرأة خمسة دنانير، ومن كل صغير ديناران، الذكر والأنثى سواء. وأقام السلطان صلاح الدين بهذه الجهات حتى أخذ عِدَّة فِلَاح منها وبَلَاطُنُس^(٢) وغيرها من الحصون المتعلقة بصهيون. ثم رحل عنها وأتى بَكَّاس، وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها، وكان التزول عليها في يوم الثلاثاء

(١) صهيون: حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه ليس بمشرف على البحر، وهي قلعة حصينة مكية في طرف جبل، خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق مخفور إلا من جهة واحدة... كانت بيد الفرنج منذ هرب حتى استرجعها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من يد الفرنج سنة ٥٨٤ هـ (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) بلاطنس: حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت).

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.

- (١١) سادس بُجَادي الآخرة، وقاتلوا قتالا شديداً إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ففتحها عنوةً، فقتل أكثر من بها وأسير الباقون، وغنم المسلمون جميع ما كان فيها، ولها قلعة تسمى الشُّغْرُ، وهي في غاية المنعة يُعبر إليها بحمر وليس عليها طريق، فسَلَطَت المجانيق عليها من جميع الجوانب، فرأوا أن لا ناصر لهم فطلبوا الأمان في يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر. ثم سار السلطان إلى بُرْزِيَه، وهي أيضاً من الحصون المنيعة في غاية القوة يُضرب بها المثل، ويحيط بها أودية من جميع جوانبها، وعلاؤها تَحْمُمَانَةٌ ونيف وسبعون ذراعاً، وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر، فقاتلونها حتى أخذوها عنوة في يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه. ثم سار السلطان إلى دَرَبَسَاك فَنَزَلَ عليها يوم الجمعة ثامن رجب، وهي قلعة منيعة فقاتلها قتالا شديداً حتى أخذها وترقى العلم الإسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب، وأعطاهما للأمير عَلم الدين سليمان بن جَندَر، وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من رجب ونزل على بَنَرَّاس، وهي قلعة حصينة بالقرب من أنطاكية، وقاتلها قتالا شديداً حتى صعد العلم الإسلامي عليها في ثاني شعبان؛ وراسله أهل أنطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة حَجَرِ العسكر؛ فكان الصلح بينهم على أن يُطْلِقُوا كُلَّ أسير عندهم لا غير، والصلح إلى سبعة أشهر؛ فإن جاءهم من ينصرهم وإلا سلموا البلد.

- (١) في الأصل: «سادس عشر جمادى الآخرة». وما أثبتناه من ابن خلدان والفتح القسي والسيرة، (٢) الشحر: قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين، بينهما واد كالخندق لها، كل واحدة تناوح الأخرى، وهما قرب أنطاكية (عن معجم البلدان لياقوت). (٣) برزیه: قلعة صغيرة مستطيلة مبنية في ذيل الجبل المعروف بالحيط من شرقيه مطلة على بحيرات قامية (عن تقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل). قال ياقوت: وهي لغة عامية تصحيفها «برزويه». (٤) في الأصل: «درسال». وما أثبتناه عن الفتح القسي والروضتين والسيرة وتقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل، وقد ضبطها بالعبارة فقال: (فتح الدال وسكون الراء المهملتين وفتح الباء الموحدة والياء المهملة ثم ألف وكاف).

ثم رَحَلَ السلطان فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به فأجابه إلى ذلك ، فوصل إلى حلب في حادى عشر شعبان ، وأقام بالقلعة ثلاثة أيام ، وولده يقوم بالضيافة حتى القيام . ثم سار من حلب فأعرضه تقي الدين عمر ابن أخيه ، وأصعده إلى قلعة حماة ، وصنع له طعاما وأحضر له سمًا من جنس ما يقتل الصوفية ، وبات فيها ليلة واحدة ، وأعطاه السلطان جبلة والأذقية . ثم سار السلطان على طريق بعلبك ، ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة . ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد^(١) ، فزل عليها ولم يزل القتال عمالا في كل يوم حتى نزلها بالأمان في رابع عشر شوال ؛ وفي شهر رمضان المذكور سلمت الكرك ، سلمها نواب صاحبها وخلصوا صاحبها بذلك ، فإنه كان في الأسر من نوبة حطين . ثم نزل السلطان بالغور ، وأقام بقية الشهر ، فأعطى الجماعة دستورًا . وسار السلطان مع أخيه العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه العادل المذكور ، لأن العادل المذكور كان متوجهًا إلى مصر ، فدخل السلطان القدس في ثامن ذى الحجة وصلى به العيد . وتوجه في حادى عشر ذى الحجة إلى عسقلان لينظر في أمورها ، فتوجه إليها وأخذها من أخيه ، وعوضه عنها الكرك . ثم مرّ على بلاد الساحل يتفقد أحوالها . ثم سار فدخل عكا وأقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين وخمسمائة يصلح أحوالها ، ورتب فيها الأمير بهاء الدين قراقوش ، وأمره بعمارة سورها . ودخل السلطان دِشَق في مستهل صفر من السنة ، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من السنة . ثم خرج إلى شَقيق^(٢) أرنون ، وهو موضع حصين ، تخيم في مرج عيون

(١) صفد : مدينة في جبال حاملة المطلة على حصص بالشام وهي من جبال لبنان .

(٢) في الأصل : « بالغور » . وما أثبتناه عن الفتح القسري ابن خلكان والسيرة . والمراد به عور الأردن بالشام بين البيت المقدس ودمشق (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) شقيق أرنون : قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب باتياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل (عن معجم البلدان لياقوت) .

- بالقرب من الشَّيْف في سابع عشر شهر ربيع الأول فأقام أياماً على قتاله ، والعسكر تتواصل إليه ؛ فلما تحقق صاحبُ الشَّيْف أنه لا طاقة له به نزل إليه بنفسه ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على باب خيمته ، فأذن له في الدخول وأكرمه السلطان وأحترمه ، وكان من أكبر الفرج قَدْرًا ، وكان يعرف بالعريسة ، وعنده أطلاع على بعض التواريخ والأحاديث ، وكان حسن التأني ؛ لما حضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ، ثم خلا به وذكر أنه مملوكه وتحت طاعته ، وأنه يُسلم إليه المكان من غير تعب ، وأُشترط عليه أن يُعطى موضعاً يسكنه بدمشق ، فإنه بعد ذلك لا يقدر على مُساكنة الفرج ، وإقطاعاً بدمشق يقوم به وبأهله ، وشروطا غير ذلك ، فأجاب به إلى ذلك . وفي أثناء شهر ربيع الأول وصل إلى السلطان [الخبَرُ]^(٢١) بتسليم الشُّوبَك ، وكان قد أقام عليه جمعاً يحاصرونه مدة سنة كاملة إلى أن نَفَذَ زاد من كان فيه فسَلَّموه بالأمان . ثم ظهر للسلطان بعد ذلك أن جميع ما قاله صاحب شَيْف كان خديعةً ، فرسم عليه . ثم بلغه أن الفرج قُصدوا عَكَا ونزلوا عليها في ثالث عشر شهر رجب من سنة خمس وثمانين المذكورة . وفي ذلك اليوم سَير السلطانُ صاحبَ الشَّيْف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة . ثم سار السلطان وأتى عَكَا ودخلها بَغْنةً لِقَوَى قلوب من بها ، وأستدعى العساكر من كل ناحية ؛ وكان العدو مقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ، وتكاثر الفرجُ وأستفحل أمرهم ، وأحاطوا بعَكَا ومنعوا من يدخل إليها ويخرج ، وذلك في يوم الخميس سَلَخَ رجب ، فضاقت صدرُ السلطان لذلك ، ثم آجَته في فتح الطريق إليها لتستمر السابلة باليمرة والنجدة ، وشاور الأمراء فاتفقوا على مضايقة العدو لفتح الطريق ،

(١) في الأصل : « سابع عشرين » . وما أُشْتُناه عن ابن خلكان والسيرة والفتح القس .

(٢) زيادة عن ابن خلكان والسيرة .

ف فعلوا ذلك وأنفتح الطريق وسلّكه المسلمون؛ ودخل السلطان عكّا فأشرف على أمورها؛ ثم جرى بين الفريقين مناوشاتٌ في عِدَّةِ أيام، وتأنّر الناس إلى تلّ العِياضِية وهو مُشْرِف على عكّا. وفي هذه المِثْلَة تُوِّقَ الأمير حُسام الدين طُهاش المقدّم ذكره، وذلك في نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وكان من الشُّجَمان.»

قال ابن خلكان: «قال شيخنا ابن شدّاد: وسمعت السلطان يُنشد — وقد قيل له: إنَّ الوَحْمَ قد عَظُمَ بِعَكّا، وإنَّ الموت قد فُتِنَا بين الطائفتين — :
أَقْتُلَانِي وَمَالِكَا ^(١) . وَأَقْتُلَا مَالِكَا مَعِي

— قلت: وهذا الشعر له سبب ذكرناه في ترجمة الأشتر النخعي، اسمه مالك، في أوائل هذا الكتاب فإنه ملّك مصر، وكان الأشتر من أصحاب علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — والحكاية مطوّلة تُنظر في ترجمة مالك (أعني الأشتر النخعي من هذا الكتاب — .

قال ابن شدّاد: ثم إنَّ الفرنج جاءهم الإمداد من البحر، وأسْتَظْهَرُوا على الجماعة الإسلامية بعكّا، وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب، والأمير بهاء الدين قرأقوش الخادم الصّلاحي، وضايقُوم أشدّ مضايقة إلى أن غلبوا عن حفظ البلد. فلما كان يوم الجمعة سابع عشر ^(٢) جمادى الآخرة [سنة سبع وثمانين وخمسمائة] خرج من عكّا رجل عَوّام في البحر، ومعه كُتُبٌ إلى السلطان من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه، وأنهم يَتَقِنُوا

(١) كذا في الأصل هنا وما تقدّم في الجزء الأول من هذه الطبعة ص ١٠٥ وابن خلكان.

وفي جميع الأمثال وطرانده الألك، * اظنوني ومالكا * براد الجماعة.

(٢) زيادة من ابن خلكان.

- المهلك، ومتى أخذوا البلد عنوةً ضُربت رِقَابُهُمْ، وأنهم صالحوا على أن يَسْلَمُوا البلد وجميع ما فيه من الآلات والأسلحة والمراكب، وماتى ألف دينار وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جماعتهم، و صليب الصليبوت، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين، وما معهم من الأموال والأقشة المختصة بهم وذَرَارِيَهُمْ ونسائهم، وَصَيَّنُوا لِلرَّكِيْس - لأنه كان الوساطة في هذا الأمر - أربعة آلاف دينار. فلما وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكاراً عظيماً، وعظم عليه هذا الأمر، وجمع أهل الرأي من أكابر دولته، وشاورهم فيما يصنع، وأضطربت آراؤه، وتقسّم فكره وتشوش حاله، وعزم أن تُكتب في تلك الليلة كتبٌ مع الرسل العوام الذى قديم عليه بهذا الخبر يُنكر المصالحة على هذا الوجه، وبينما هو يتردد في هذا فلم يشعر إلا وقد أرتفعت أعلام العدو وُصِّلَ بانه وناره على سور البلد؛ وذلك في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة؛ وصاح الفرنجُ صيحةً واحدة، وعظمت المصيبة على المسلمين، وأشدت حزنهم، ووقع من الصباح والعويل والبكاء ما لا يُذكر.
- ثم خرجت الفرنج بعد أن ملكوا عكاً قاصدين عَسَقْلان لِيأخذوها أيضاً من المسلمين، وساروا على الساحل والسلطان وعساكره قَبَّلتهم إلى أن وصلوا إلى أرسوف^(٥) فكان بينهما قتال عظيم، ونال المسامين وهنٌ شديد. ثم ساروا على تلك الهبئة نِيْمَةً غير منازل من سيرهم من عكاً، فأقى السلطان الزملة، فأتاه من أخبر بأن القوم على عزمِ عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات، فأحضر السلطان أرماب

(١) في السيرة والروضتين والفتح القسّى: « وألف وخمسمائة فارس أسير مجاهيل » .
 (٢) في السيرة والروضتين والفتح القسّى: « وضمنوا للركيْس عشرة آلاف دينار، لأنه كان واسطة، ولأصحابه أربعة آلاف دينار » . (٣) في الأصل: « ورجع » . وما أتينا عن ابن خلكان والسيرة والروضتين . (٤) في الأصل: « وفرسانه » . وما أتينا عن السيرة وابن خلكان والروضتين .
 (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

مشورته ، وشاورهم في أمر عسقلان ، وهل الصواب خرابها أو بقاؤها ؟ فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل في قبالة العدو ، ويتوجه السلطان بنفسه ويخربها خوفاً من أن يصل العدو إليها ويستولى عليها وهي عامرة يأخذها القدس ، وينقطع بها طريق مصر ، وأمتنع العسكر من الدخول وخافوا تماماً جرى على المسلمين بمكاً . فلا قوة إلا بالله . وראوا أن حفظ القدس أولى ، فعين خرابها من عدة جهات ؛ وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان من سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فسار إليها السلطان في تَحَرُّ يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان المذكور . قال ابن شداد : وتحدث معي في معنى خرابها (يعني عسقلان) بعد أن تحدث مع ولده الملك الأفضل أيضاً في أمرها ، ثم قال السلطان : لَأَنْ أَفْقِدَ ولدى جميعهم أحبُّ إلى من أهدم منها حجراً واحداً ، ولكن إذا قضى الله تعالى ذلك ، وكان فيه مصلحة للمسلمين ، فما الحيلة في ذلك ! فلما أتفق الرأي على خرابها أوقع الله ذلك في نفسه ، وأن المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها . وشرع في إخراجها في تَحَرُّ يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة المذكورة ، وقسم السور على الناس وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بذنة معلومة وبرجاً معلوماً يخربه ، ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء لفُرقة بلدهم وأوطانهم ، وكانت بلدة خفيفاً على القلب مُحْكَمَ الأسوار عظيم البناء مرغوباً في سكنه ، فلحق الناس على خرابه حُزْنٌ عظيم . وشرع أهل البلد في بيع مالا يقدرون على حمله ، فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد ، حتى باعوا اثنتي عشر طير دجاج بدرهم ، وأختبط أهل البلد وخرجوا بأولادهم وأهلهم إلى الحميم وتشتتوا ، فذهب منهم قوم إلى مصر وقوم إلى الشام ، وجرت عليهم أمور عظيمة ، وأجهد السلطان وأولاده في خراب البلد كي لا يسمع العدو فيسرع إليها ؛

(١) كذا في ابن خلكان . وفي الأمل : « وامتنع العسكر من العدو وخافوا » .

فلا يمكن إخراجه، وكانت الناس على أصعب حال، واشتدَّ تعب الناس مما قاسوه في إخراجها .

- وفي تلك الليلة وصل للملك العادل من حلب من أخبره أن الفرنج تحدّثوا معه في الصلح ، وطلبوا جميع البلاد الساحلية ، فرأى السلطان أن ذلك مصلحةٌ لما علم من نفوس الناس والعساكر من الضَّجَر من القتال وكثرة ما عليه من الديون ؛ فكتب السلطان إلى أخيه الملك العادل يأذن له في ذلك ، وفوض الأمر إلى رايه ، وأصبح السلطان يوم الجمعة وهو مصرٌّ على الإخراج ، ويستعجل الناس عليه ويحثُّهم على العجلة فيه ، وأباحهم مافي الهَرَمَى الذي كان مدخراً للبيعة خوفاً من أن يهجم العدو والعجز عن نقله . ثم أمر السلطان بإحراق البلد فأضرمَت النيرانُ في بيوته ، ولم يزل الإخراج يعمل في البلد إلى سَلَخ شعبان المذكور؛ ثم أصبح السلطان يوم الاثنين مستهلَّ شهر رمضان ، أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر خراب البلد بنفسه وخواصه . قال ابن شدَّاد ، ولقد رأيتُه يحمل الخشب بنفسه (يعني الملك الأفضل) . وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى السلطان الرملة وأشرف عليها ، وأمر أيضا بإحراقها وإخراج قلعتها (يعني الرملة) فأحرقت وأحرقت قلعتها خوفاً أيضا من الفرنج . وفي يوم السبت ثالث عشر رمضان تأخر السلطان والعسكر إلى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسير دوابهم لإحضار ما يحتاجون إليه . ثم شرع السلطان أيضا في خراب قلعة المَاطِرُون^(٢) ، وكانت قلعة منبئة فشرع الناس في ذلك . ثم ذكر ابن شدَّاد فصلا طويلاً يتضمَّن الصلح بين الأنكثير ملك الفرنج وبين السلطان صلاح الدين المذكور إلى أن قال : وحاصل الأمر أنه تمَّ الصلح بينهم ، وكانت الأيمان يوم

(١) الهري : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان . (٢) راجع الخلفانية رقم ٢ ص ٢٥ .
من هذا الجزء . (٣) في الأصل : « الأنكار » . وفي السيرة : « الأنكار » . وفي ابن خلكان :
« الأنكار » . والنصب عن القنق والقنق .

الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ؛ ونادى المنادى باتظام الصلح ، وأن البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة في الأمن والمسالمة ، ^(١) فن شاء من كل طائفة أن يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور . وكان يوماً مشهوداً نال الطائفتين فيه من السرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ وقد علم الله تعالى أن الصلح لم يكن عن مرضاة السلطان ، لكنه رأى المصلحة في الصلح لسامة العسكر من القتال ، ومظاهرتهم للخلافة . وكان مصلحة في علم الله تعالى ، فإنه آتفت وفاته بعد الصلح ، فلو آتفت ذلك في أثناء وقعاته كان الإسلام على خطر .

ثم إن السلطان أعطى العساكر الوافدة عليه من البلاد البعيدة برسم الغزاة ^(٢) والنجدة دُستوراً ، فساروا عنه . وعزم السلطان على الحج لما فرغ بالله من هذه الجهة ، وأمن الناس وتردد المسلمون إلى بلاد الفرنج ، وجاءواهم أيضاً إلى بلاد المسلمين ، وحملت البضائع والمتاجر إلى البلاد ؛ وتوجه السلطان إلى القدس ليتفقد أحواله ، وتوجه أخوه الملك العادل إلى الكرك ، وأبنته الملك الظاهر إلى حلب ، وأبنته الملك الأفضل إلى دمشق . ثم تأهب السلطان إلى المسير إلى الديار المصرية ؛ ولم يزل كذلك إلى أن صح عنه سير مرتكب الأنكثير ملك الفرنج إلى بلاده في مستهل شوال ، فعند ذلك قوى عزمه على أن يدخل الساحل بحريّة يتفقد أحواله وأحوال القلاع البحريّة إلى بانياس . ثم يدخل دمشق فيقيم بها قليلاً ، ثم يعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصرية .

(١) في الأصل : « في الأمن والسالمية » . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٢) عبارة ابن خلكان والسيرة والروضتين : « فن شاء أن يدخل من بلاده إلى بلادنا فقبل ، ومن شاء من بلادنا أن يدخل إلى بلادهم فقبل » . (٣) أي سار كل عسكر إلى بلده وكان أول من سار عسكر لادبل فاته سار في مستهل شهر رمضان ، ثم سار بعده عسكر الموصل وسنجار والحصن (انظر سيرة ابن شداد في الكلام على عهود العساكر الإسلامية إلى أوطانهم) .

- قال ابن شداد : وأمرني بالمقام بالقدس إلى حين عَوْدِهِ إِلَيْهِ لِعِمَارَةِ بَيْمَارِسْتَانِ
 أَنشَأَهُ بِهِ ، وَتَكْيِيلِ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنشَأَهَا بِهِ ، وَسَارِ صَحْوَةِ^(١) نَهَارِ الْخَمِيسِ السَّادِسِ مِنْ
 شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . فَلَمَّا فَرَّغَ السُّلْطَانُ مِنْ أَتْقَادِ أَحْوَالِ الْقِلَاعِ
 وَإِزَاحَةِ خَلْقِهَا دَخَلَ دِمَشْقَ بَكْرَةَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسِ عَشْرِينَ شَوَّالَ ، وَفِيهَا أَوْلَادُهُ :
 الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ ، وَالْمَلِكُ الظَّاهِرُ ، وَالْمَلِكُ الظَّافِرُ مَقْفَرُ الدِّينِ الْخَضِرِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَشْرِ^(٢) .
 وَأَوْلَادُهُ الصَّغَارُ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ يَحِبُّ الْبِلَدَ (بَعْنَى دِمَشْقَ) وَيُؤَثِّرُ الْإِقَامَةَ بِهِ عَلَى
 سَائِرِ الْبِلَادِ ، وَجَلَسَ لِلنَّاسِ فِي بَكْرَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ ، وَحَضَرُوا
 عَنْده وَبَلَّوْا أَشْوَاقَهُمْ مِنْهُ ، وَأَنشَدَهُ الشُّعْرَاءُ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ،
 وَأَقَامَ يَنْشُرُ جَنَاحَ عَدْلِهِ بِدِمَشْقَ إِلَى أَنْ كَانَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ^(٣) مُسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ ، عَمِلَ
 الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ دَعْوَةَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أَخِيهِ لِأَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ وَبَلَغَهُ حَرَكَةُ
 السُّلْطَانِ أَقَامَ بِهَا [حَتَّى يَتِمَّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ ثَانِيًا] ، وَلَمَّا عَمِلَ الْأَفْضَلُ الدَّعْوَةَ أَظْهَرَ^(٤)
 فِيهَا مِنَ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ مَا يَلِيقُ بِهِمَّتِهِ ، وَكَانَ أَرَادَ بِذَلِكَ مَجَازَاتَهُ لِمَا خَدَمَهُ [بِهِ] حِينَ
 وَصُولِهِ إِلَى بَلَدِهِ ، وَحَضَرَ الدَّعْوَةَ الْمَذْكُورَةَ أَرْبَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَسَالِ الْأَفْضَلُ
 وَالدَّهَ السُّلْطَانُ فِي الْحَضُورِ فَخْصَرُ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا عَلَى مَا بَلَغْنِي . قَالَ : وَلَمَّا
 أَصْلَحَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ الْكَرَّكَ سَارَ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْفُرَاتِيَّةَ^(٥) ، وَأَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ دِمَشْقَ ،
 ١٥

(١) في الأصل وابن خلكان : « وسار ضاحي نهار الخميس » . وما أثبتناه عن السيرة .

(٢) في الأصل : « سادس عشر شوال » وهو خطأ . والتصويب عن السيرة والروضتين .

(٣) في الأصل : « المستمر » . والتصويب عن ابن خلكان وقد ذكر سببا لتلقيبه بذلك فراجع فيه .

(٤) في الأصل : « يوم الخميس » وهو خطأ . والتصويب عن ابن خلكان والسيرة والروضتين .

(٥) زيادة عن السيرة وابن خلكان والروضتين .

(٦) في الأصل : « الديار المصرية » . والتصويب عن السيرة وابن خلكان والروضتين .

فوصل إليها وخرج السلطان إلى لقائه، وأقام يتصيد^(١) حول غَبَاغِب إلى الكُسوة حتى لَقِيَ أَخَاهُ الْمَلِكَ الْعَادِلَ وَسَارَا جَمِيعًا يَتَصِيدَانِ^(٢)، ثُمَّ عَادَا إِلَى دِمَشْقَ؛ فَكَانَ دُخُولُهُمَا دِمَشْقَ آخِرَ نَهَارِ يَوْمِ الْأَحَدِ حَادِي عَشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَأَقَامَ السُّلْطَانُ بِدِمَشْقَ يَتَصِيدُ هُوَ وَأَخُوهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ وَأَوْلَادُهُ وَيَتَفَرَّجُونَ فِي أَرَاضِي دِمَشْقَ، وَكَانَهُ وَجَدَ رَاحَةً تَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ مَلَازِمَةِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ وَسَمَّاهُ اللَّيْلَ، فَكَانَ ذَلِكَ كَالْوَدَاعِ لِأَوْلَادِهِ، وَنَسِيَ عِزْمَتَهُ إِلَى مِصْرَ، وَعَرَّضَتْ لَهُ أُمُورُ أُخْرَى وَعِزَمَاتٌ غَيْرُهَا تَقْدُمُ .

قال ابن شداد : ووصلني كتابه إلى القدس يستدعيني لخدمته ، فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان الوصول إلى دمشق يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة . وركب السلطان ليتلقى الحاج في يوم الجمعة خامس عشر صفر، وكان ذلك آخر ركوبه . ولما كانت ليلة السبت وجد كسلاً عظيماً وما أنتصف الليل حتى غشبه حُمَّى صَفْرَاوِيَّةٌ ، وكانت في باطنه أكثر مما في ظاهره، وأصبح يوم السبت متكسلاً، عليه أثر الحمى، ولم يُظْهِرْ ذَلِكَ لِلنَّاسِ ، لَكِنْ حَضَرَتْ عِنْدَهُ أَنَا وَالْقَاضِي الْفَاضِلُ ، فَدَخَلَ وَلَدُهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ وَطَالَ جُلُوسُنَا عِنْدَهُ وَأَخَذَ يَشْكُو قَلْقَهُ بِاللَّيْلِ ، وَطَابَ لَهُ الْحَدِيثُ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ، ثُمَّ أَنْصَرَفْنَا وَقُلُوبُنَا عِنْدَهُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا بِالْحَضُورِ عَلَى الطَّعَامِ فِي خِدْمَةِ

(١) عبارة الأصل : « وتصيد حول الكسوة » . وما أثبتناه عن الروضتين وأبن خلكان . وغباغب : قرية في أول عمل حوران من نواحي دمشق بينهما ستة فراسخ . والكسوة : قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) في الأصل : « وسارا جميعا حتى يتصيدان » . وما أثبتناه عن الروضتين وأبن خلكان .

(٣) في الأصل : « حادي عشر ذى القعدة » . وفي ابن خلكان : « حادي عشر ذى الحجة » وكلاما خطأ . والنصوب عن السيرة والروضتين .

- ولده الأفضل، ولم يكن للقاضي الفاضل في ذلك عادةً فأنصرف، ودخلت إلى الإيوان القبلي - وقد مُدَّ السَّطَّاءُ ، وأبته الملك الأفضل قد جلس موضعه ، فأنصرفت وما كانت لي قوة للجلوس استباحاشاً له ، وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاؤلاً بجلوس ولده الأفضل موضعه . ثم أخذ المرض يترايد به من حينئذ ، ونحن نلازم التردد له طرقي النهار ، وكان مرضه في رأسه . وكان من أمارات انتهاء العمر غيبةً طبيبه الذي كان قد عرف مزاجه سقراً وحضراً ، ورأى الأطباء قصده فقصده في الرابع ، فأشدت مرضه وحلت رطوبات بدنه ، وكان يغلب على مزاجه اليأس ، فلم يزل المرض يترايد به حتى انتهى إلى غاية الضعف ، وأشدت مرضه في السادس والسابع والثامن ، ولم يزل يترايد ويغيب ذهنه ، ولما كان التاسع حدث له غشية وأمتنع من تناول المشروب ، وأشدت الخوف في البلد ، وخاف الناس ونقلوا أقشمتهم من الأسواق ، وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا يمكن حكايته . ولما كان اليوم العاشر من مرضه أيس منه الأطباء . ثم شرع ولده الملك الأفضل في تحليف الناس له . ثم إنه توفى - إلى رحمة الله تعالى - بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وكان يوم موته يوماً لم يُصَبَّ الإسلام والمسلمون بمثله بعد فقد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - وغشي القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله تعالى . وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم ، وكنت أنوهم أن هذا على ضرب من التجوز والترخص إلى ذلك اليوم ، فأني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قيل الفداء لفدى

بالأنفس . ثم جلس ولده الملك الأفضل للعزاء وغسله أبو القاسم ضياء الدين عبد الملك بن زيد النُّوْلِيُّ^(١) خطيب دمشق ، وأُخرج تابوت السلطان — رحمه الله تعالى — بعد صلاة الظهر مسجى بنوب قُوطٍ ، فأرتفعت الأصوات عند مشاهدته ، وعظم الضجيج وأخذ الناس في البكاء والعيول ، وصلّوا عليه أرسالاً ، ثم أُعيد إلى داره التي في البستان ، وهي التي كان ممترضاً بها ، ودُفن في الضفة الغربية منها . وكان نزوله في حُفرته قريباً من صلاة العصر . ثم أطل ابن شداد القول في هذا المعنى إلى أن أنشد في آخر السيرة بيت أبي تمام الطائي ، وهو قوله :

ثم أنقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنتهم أحلام

١٠ ولقد كان — رحمه الله تعالى — . من محاسن الدنيا وغرائبها .

ثم ذكر ابن شداد أنه مات ولم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية وديناراً واحداً ذهباً صورياً ، ولم يخلف ملوكاً ولا داراً ولا عقاراً ولا بُستاناً ولا قرية ولا مزرعة . وفي ساعة موته كتب القاضي الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقةً مضمونها :

١٥ « لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنة . إن زلزلة الساعة شيء عظيم .

كتبْتُ إلى مولانا السلطان الملك الظاهر ، أحسن الله عزاءه وجبر مُصابه ؛ وجعل

(١) الدولي ، نسبة إلى الدولية : قرية كبيرة بينها وبين الموصل يوم واحد على سير القوافل في طريق

نصيبين . وسيدكر المؤلف وفاته سنة ٥٩٨ هـ . (٢) في الأصل هكذا : « وحرماً واحداً » .

وفي السيرة هكذا : « وجرم واحد » . وما أثبتناه عن الرضين .

فيه الخَلَفَ لمالك المرحوم وأصحابه ، وقد زُلِزِلَ المسلمون زِلْزَالًا شديدًا ؛ [وقد
 حَفَرَتْ ^(٢) الدُمُوعُ المحاجر ، وبلغت القلوبُ الحناجر ؛ وقد وَدَّعْتُ أباك ومخدومي ودَانَا
 لا تلاقى بعده] ؛ وقد قَبِلْتُ وجهه عَنَى وعنك ، وأسلمتُه إلى الله تعالى مغلوبَ
 الحيلة ، ضعیفَ القوة ، راضيًا عن الله ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله ؛ وبالباب من
 الجنود المجنِّدة ، والأسلحة المُقَمَّدة ؛ ما لا يدفعُ البلاء ، ولا يردُّ القضاء ؛ ^(٣) وتدَمَّعُ
 العين ويخشعُ القلب ، ولا أقول إلا ما يُرضى الربُّ ؛ وإنا عليك يا يوسفُ لمحزونون .
 وأما الوصايا فما يُحتاج إليها ، والآراء فقد شغلني المصائب عنها ؛ وأما لائح الأمر
 فإنه إن وقع اتفاق فما عدتم إلا شخصه الكريم ، وإن كان غير ذلك فالمصائب
 المستقبلَة أهونها موته ، وهو المول العظيم والسلام . » انتهى كلام القاضي الفاضل
 بما كتبه لملك الظاهر .

١٠

قال ابن خلكان : « وأسقط السلطان صلاح الدين مدفونًا بقلعة دمشق إلى أن
 بُيِّتَ له قُبَّةٌ شمالي الكَلَّاسَةِ ^(٤) التي هي شمالي جامع دمشق ، ولها بابان ، أحدهما
 إلى الكَلَّاسَةِ والآخري زقاق غير نافذ ؛ وهو مجاور المدرسة العزيزية . ثم قُبِلَ من
 مدفنه بالقلعة إلى هذه القُبَّة في يوم عاشوراء في يوم الخميس من سنة اثنتين وتسعين
 وخمسمائة . ثم إن ولده الملك العزيز عثمان لما ملك دمشق من أخيه الملك الأفضل
 بنى إلى جانب هذه القُبَّة المدرسة العزيزية » . قلت : في أيامه بنى الخِصْيَ

١٥

(١) كذا في عقد الجمان ومرآة الزمان . وفي الأصل وابن خلكان : « وجعل فيه الخلف في الساعة
 المذكورة » . وانظر هذا الكتاب في هذين الكتابين ففيه اختلاف وزيادة عما في الأصل .
 (٢) زيادة عن ابن خلكان . (٣) في الأصل : « ولا ملك يرد القضاء » .
 (٤) في الأصل : « الكاسية » . وما أثبتناه من ابن خلكان والسيرة وشرح القاموس .

٢٠

بهاء الدين قَرَاقُوش قلعة الجبل ثم قلعة المقس ثم سُوَر القاهرة، وذَرَعُ السور المذكور سبعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع .

قال ابن خلكان : «وكان السلطان صلاح لما ملك الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس ، فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية ، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء ، فعمر السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسية

(١) قلعة الجبل : هذه القلعة لا تزال موجودة إلى اليوم قائمة بأسوارها العالية على قطعة مرتفعة مفصلة من جبل المقطم شرق القاهرة تشرف على ميدان صلاح الدين بل على القاهرة كلها ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٢ هـ . وكان يقيم بها بعض الأيام . وسكنها ابنه الملك العزيز عثمان في أيام أبيه مدة ثم انتقل منها إلى دار الوزارة . ولما تولى الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سلطة مصر أتم بناء القلعة في سنة ٦٠٤ هـ ، وأنشأ بها الدور السلطانية . وقد استمرت من ذلك الوقت دار مملكة مصر حيث كان بها الدور السلطانية ودور دواوين الحكومة إلى زمن الأسرة الحمدية العلوية . وفي عهد الخديوي إسماعيل نقل من القلعة ما كان باقيا بها من تلك الدور والدواوين إلى دور أخرى بالمدينة . وقد أنشأ محمد علي باشا الكبير وإلى مصر في هذه القلعة أبنية كثيرة في مقدماتها جامع الفخيم الذي يشرف على المدينة وضواحيها ، ثم سراي الجوهرة وأبنية الدواوين القديمة وتكنات الصكر وغيرها من المباني التي لها علاقة بالأعمال الحربية . ولا تزال القلعة إلى اليوم يسكنها الصكر وبها من الآثار أثر يوسف التي أنشأها الملك الناصر يوسف صلاح الدين ومسجد قديم أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٥٧١٨ هـ ، ولا يزال قائما بجوار جامع محمد علي باشا . ويوجد في الزاوية البحرية الشرقية من القلعة جامع قديم يعرف باسم سيدى سارية أنشأه نحر الدين أبو منصور قسطة الأرمنى في سنة ٥٣٥ هـ . ثم جده سليمان باشا الخادم وإلى مصر سنة ٩٣٥ هـ . أثناء ولايته الأولى على مصر (راجع ص ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ من الجزء الثاني من المخطط المقيزية عند الكلام على القلعة وما كان عليه موضعها) .

(٢) قلعة المقس : راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) الذى تقدم في الجزء الرابع ص ٤٠ من هذه الطبعة أن طول السور تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذراعان . (٤) الإمامية هم القائلون بإمامة علي بن أبي طالب بعد النبي عليه الصلاة والسلام . (عن الملل والنحل للشهرستاني) . (٥) نص الجبرق بصريح اللفظ في الجزء الثاني من كتابه عمائى الآثار في ترجمة الأمير عبد الرحمن كنفخا القازغل : أن الأمير المذكور عمر المسجد الجبائى لضريح الإمام الشافى في مكان المدرسة الصلاحية التي أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٧٢ هـ . ومن هذا يعلم أن مدرسة صلاح الدين التي تعرف بالمدرسة الصلاحية بجوارقة الإمام الشافى — وكانت تاج المدارس بل أعظمها قدرا لشرفها بجوار الإمام الشافى — محلها اليوم جامع الإمام الشافى — رضى الله عنه — . ويؤيد الجبرق في ذلك ما ذكره المقرئى في الجزء الثاني من خطه عند الكلام على المدرسة الناصرية بالقرافة ، وما ذكره السخاوى في كتاب التبر المسبوك ، وما ذكره جلال الدين السيوطى في الجزء الثاني من كتاب حسن المحاضرة في كلامه على المدرسة الصلاحية .

- المجاورة للإمام الشافعي - رضى الله عنه - وبني مدرسة مجاورة للشهد المنسوب للحسين
 ابن علي - رضى الله عنهما - بالقاهرة . وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء
 المصريين خانقاه ، ووقف عليها وقفاً هائلاً ، وكذلك وقف على كل مدرسة عمرها وقفاً
 جيداً ، وجعل دار عباس الوزير العبيدي مدرسة للحنفية ، وأوقف عليها وقفاً جيداً
 أيضاً وهي بالقاهرة ، وبني المدرسة التي بمصر المعروفة [بأبن] زين التجار للشافعية ،
 ووقف عليها وقفاً جيداً ، وبني بالقصر داخل القاهرة بيمارستاناً ، وأوقف له وقفاً
 جيداً ، وله بالقدس مدرسة وخانقاه .

- قال ابن خلكان : « ولقد فكّرت في نفسي في أمور هذا الرجل ، وقلت : إنه
 سعيد في الدنيا والآخرة ، فإنه فعل في الدنيا هذه الأعمال المشهورة من الفتوحات
 الكثيرة وغيرها ، ورتب هذه الأوقاف العظيمة ، وليس شيء منسوب إليه في الظاهر ،

- (١) بعد أن تكلم المقرئ في الجزء الأول ص ٤٢٧ من خطه على الخزان التي كانت بالقصر الكبير
 تكلم أيضاً على المشهد الحسيني ، ويستفاد مما ذكره أن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ملك
 مصر جعل بالمشهد الحسيني حلقة لتدريس وفقهاء وفوضها للفقهاء البهاء الدمشقي ، وكان يجلس للتدريس فيها
 عند المحراب الذي من خلقه الضريح . ولما آل أمر المشهد إلى الوزير معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ
 ابن حويه بن به إيوان التدريس . ومن هذا ينضح أن مدرسة صلاح الدين التي كانت بجوار المشهد الحسيني
 بالقاهرة أصبحت اليوم ضمن المسجد الحسيني الشهير باسم جامع سيدنا الحسين ، وعملها في إيوان الشرق
 عند المحراب الحالي للجامع . (٢) خانقاه سعيد السعداء : هذه الخانقاه سبق الكلام عليها بصفحة ٥٠
 من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ ، والسطر الثالث ص ٣١٠
 من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن المقرئ . وهذه المدرسة هي بذاتها
 المدرسة الشريفة التي سبق الكلام عليها بصفحة ٣٨٥ بالجزء الخامس من هذه الطبعة باسم مدرسة للشافعية .
 ويستفاد مما ذكره المقرئ بالجزء الثاني ص ٣٦٣ من خطه عند الكلام على المدرسة الناصرية التي بجوار
 الجامع العتيق بمصر أن هذه المدرسة عرفت أولاً بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بأبن زين التجار نسبة إلى
 أبي البباس أحمد بن المظفر ابن الحسين الدمشقي المعروف بأبن زين التجار أحد علماء الشافعية ، ودرس
 بهذه المدرسة مدة طويلة عرفت بأسمه . ومات رحمه الله في ذي القعدة سنة ٥٩١ هـ ، ثم عرفت بعد ذلك
 بالمدرسة الشريفة وقد سبق الكلام عليها في الحاشية رقم ١ ص ٣٨٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
 (٥) هذا البيرستان سبق الكلام عليه بالحاشية رقم ٣ صفحة ١٠١ بالجزء الرابع من هذه الطبعة باسم
 البيرستان العتيق .

فإن المدرسة التي بالقرافة ما يسمونها الناس إلا بالشافعي، والمجاورة للشهد لا يقولون إلا المشهد، والخانقاه لا يقولون إلا سعيد السعداء، والمدرسة الحنفية لا يقولون إلا السيوفية، والتي بمصر لا يقولون إلا مدرسة زين التجار، والتي بمصر أيضا مدرسة المالكية، وهذه صدقة السر على الحقيقة. والعجب أن له بدمشق في جانب البيارستان الثوري مدرسة أيضا، ويقال لها : الصلاحية، وهي منسوبة إليه وليس لها وقف .

قال : وكان مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع والالطف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمدارة، وكان يحب العلماء وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم ؛ وكان يميل إلى الفضائل ، ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها في مجالسه، حتى قيل : إنه كان كثيرا ما يُنشد قول أبي المنصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحميري، وهو قوله :

وزارني طَيْفٌ مَنْ أهوى على حَدَرٍ * من الوُشاة وداعى الصبح قد هَمَّنا
فكدتُ أوقظ مَنْ حولى به قَرَحًا * وكاد يَتَكَّ سِتْرَ الحُبِّ بى شَفَقًا
ثم أَنتَبَهْتُ وآمالى تَحْيَلُ لى * نَيْلَ المني فاستعالت غِبْطى أَسْفا

وقيل : إنه كان يعجبه قول تشو الملك أبي الحسن علي بن مفترج المعروف بأبن المنتجم المغربي^(١) الأصل المصرى الدار والوفاة، وهو فى خضاب الشيب وأجاد :

وما خضِبَ النَّاسُ البياضَ لُفْيَهِ * وأفْبَحُ مِنْهُ حينَ يَظْهَرُ ناصِلُهُ
ولكنه مات الشبابُ فَسُودَتْ * على الرسمِ مِنْ حُزْنٍ عليه منازلُه

قالوا : فكان [إذا قال : مات الشباب] يُمسِكُ كريمة وينظر إليها ويقول :

إلى والله مات الشباب ! . وذكر اليماد الكاتب الأصبهاني في كتابه الخريدة أن السلطان صلاح الدين فى أوّل ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق :

(١) فى ابن خلكان : « المعرى » . (٢) زيادة عن ابن خلكان .

أيها الغائبون عنا وإن كنتم * تم لقلبي بذكركم جيراناً
أنتى مذهبكم لأراكم * بعيون الضمير عندى عياناً

قال ابن خلكان : وأما القصيدتان اللتان ذكرتُ أن سبط بن التمار يذى
أنفذهما إليه من بغداد، وأن إحداهما وأزن بها قصيدة صردز الشاعر، وقد ذكرت
منها أبياتاً في ترجمة الكندري^(١) وأزلهما :
١٠

أكذا يُحازى وذكل قرين * أم هذه شيم الطباء العين

ثم ذكر قصيدة سبط [بن] التمار يذى . وهى على هذا الوزن أضربت عن ذكرها
لطولها . ثم قال ابن خلكان : وأما القصيدة الثانية (يعنى التى كتبها إليه الخليفة
في أوائل أمر صلاح الدين) قال : فنها قوله :

- ١٠ حَتَّامَ أَرْضِي فِي هَوَاكَ وَتَغَضُّبُ * وَإِلَى مَتَى تَجْنِي عَلَى وَتَعْتَبُ
بِمَا كَانَ لِي لَوْلَا مَلَأُكَ زَلَّةً * لِمَا مَلَكْتَ زَعَمْتُ أَنِّي مَذْنُبُ
خَذْ فِي أَفَانِينَ الصُّدُودِ فَإِنَّ لِي * قَلْبًا عَلَى الْعِلَاتِ لَا يَتَقَلَّبُ
أَنْظَنِي أَضْمَرْتُ بِعَدِكَ سَلَوَةً * هِيَاثَ عَطْفُكَ مِنْ سَلَوَى أَقْرَبُ
لِي فِيكَ نَارُ جَوَانِحٍ مَا تَنْطَفِئُ * حَزَنًا وَمَاءَ مَدَامِعٍ مَا يَنْضُبُ
١٥ أَنْسَيْتَ أَيَّامًا لَنَا وَلِيَالِيًا * لَلْهُوَ فِيهَا وَالْبَطَالَةَ مَلْعَبُ
أَيَّامٌ لَا الْوَاشِي يَعُدُّ ضَلَالَةً * وَلَهْيَ عَلَيْكَ وَلَا الْعَذُولُ يُونُبُ
قَدْ كُنْتُ تُنْصِفُنِي الْمَوَدَّةَ رَأْبًا * فِي الْحَبِّ مِنْ أَخْطَارِهِ مَا أُرْكَبُ

(١) هو الرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن الفضل الكاتب المشهور بصردز . وقد ذكر المؤلف وفاته
سنة ٤٦٥ هـ (ج ٥ ص ٩٤) من هذه الطبعة . (٢) هو أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب
عبد الملك الكندري ، كان من رجال الدهر جوداً وسخاءً وكفاً وشهامة . استوزره السلطان طغرل بك
السلجوق . وقد ذكر المؤلف وفاته سنة ٤٥٧ هـ (ج ٥ ص ٧٦) من هذه الطبعة . وفي الأصل هنا :
«الكندى» وهو خطأ . وما أثبتناه عن ابن خلكان وديوان سبط بن التمار يذى .

واليوم أفنع أن يمر بمَضَجِي * في النوم طَيْفَ خيالك المَنَاقِبِ
 ما خلت أن جديد أيام الصَّبَا * يَلَى ولا ثوبَ الشَّيْبَةِ يُسَلِّبُ
 حتَّى أنجلي ليلَ النَّوَايَةِ وأهتدى * سارى الدجى وأنجذب ذاك الغَيْبُ^(٢)
 وتافر اليَـضُّ الحِسان فأعرضتُ * عَنى سُعاد وأُنكرتني زينبُ
 قالت وريعتُ من بياض مَفَارِقِي * ونحولِ جسمى بان منك الأُطِيبُ
 إن تُنكرى سَقَمِي نخصرُك ناحِلٌ * أو تُنكرى شِبي فنغرُك أُنسَبُ
 يا طالباً بعد المشيب غَضَارَةٌ * من عيشه ذَهَبَ الزمانُ المُنْهَبُ
 أتروم بعد الأربعين تَعُدُّها * وصل الدُمى هيهات عزَّ المطْلَبُ

والقصيدة طويلة ذكرها ابن خلكان، وقد نقلتها من خط عَمِر . ثم قال
 ١٠ ابن خلكان : وقد مدحه جميع شعراء عصره، فمنهم العَلَمُ الشَّاتَانِي^(٣) وأسمه الحسن
 — رحمه الله — مدحه بقصيدة أولها :

أرى النصر مقروناً برايتك الصُّفْرَا * فسر وأملك الدنيا فانت بها أحرى
 ومدحه المهدَّب أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر المعروف بابن الشُّحْنَةِ
 الموصلي الشاعر المشهور بقصيدته التي أولها :

١٥ سلام مشوق قد برآه التَّشَوُّقُ * على حِيرة الحى الذين نفرَقُوا
 وعدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً، وفيها البيتان السائران أحدهما :
 وإني أمرُّ وأحبُّتُكم لمكارِم * سمعت بها والأُذُنُ كالعين تَعَشِّقُ

(١) رواية هذا البيت في الديوان :

ما خلت أوراق الصبا تزدى نضا * رتها ولا ثوب الشَّيْبَةِ يسلب

(٢) في الأصل : « وأنساب » وهو تحريف . وما أثبتناه عن ابن خلكان والديوان .

٢٠ (٣) الشاتاني، نسبة إلى شاتان : قلعة بديار بكر، وهو الحسن بن علي بن سعيد بن عداقه
 أبو الحسن علم الدين . كان أديبا شاعرا فاضلا . وكانت وفاته سنة ٥٧٩ هـ كما في باقوت أوسنة ٥٩٩ هـ
 كما في ابن خلكان . وفي الأصل : « الساماني » وهو تحريف .

وقد أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد، وهو :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة * والأذن تمشق قبل العين أحيانا

والبيت الثاني من قول ابن الشحنة المذكور .

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقا * بأبناء أيسوب فانت الموفق

- قال : ومدحه ابن قلايس وابن الدروى وابن المنجم وابن سناء الملك وابن الساعاتي والإربلي ومحمد بن إسماعيل بن حمدان . انتهى ما أورده من كلام ابن خلكان ومن كلام ابن شداد وابن الأثير وابن الجوزي وغيرهم باختصار .

وقال العلامة أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان : « ولما كان في سادس عشر

صفر وجد السلطان كسلا وحتم حمى صفراوية ، ثم ذكر نحو ما ذكره ابن شداد إلى أن

- قال : وأحضر الأفضل (يعني ولده) الأمراء : سعد الدين مسعودا أخا بدر الدين مودود شحنة دمشق ، وناصر الدين صاحب صهيون ، وسابق الدين عثمان صاحب شيزر ابن الداية ، وميمونا القصري ، والبكي الفارسي ، وأبيك فطيس ، وحسام الدين

- (١) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلايس القاضي الأزهر الشاعر المشهور الاسكندري الأزهرى ، كان شاعرا مجيدا ، وقاضيا نبلا . توفي ثالث شوال سنة ٥٦٧ هـ (عن ابن خلكان) . (٢) الدروى : نسبة إلى ذروة ، بلد باليمن ، وهو وجه الدين علي بن الحسين ابن الدروى أبو الحسن من مشاهير الشعراء بمصر . (٣) هو نسل الملك أبو الحسن علي بن مفرج المعروف بأبن المنجم (عن ابن خلكان) وكما تقدم للؤلؤ ص ٥٦ من هذا الجزء . (٤) هو أبو القاسم القاضي السعيد ابن سناء الملك هبة الله ابن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المتعمد سناء الملك الشاعر المشهور المصرى صاحب ديوان الشعر البديع والنظم الرائع ، أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء — وسيد كرم المؤلف وفاته سنة ٥٦٠ هـ (عن شذرات الذهب وابن خلكان) . (٥) هو بهاء الدين علي بن محمد بن رستم بن هرروز المعروف بأبن الساعاتي المصرى ، شاعر مبرز في حلبة المتأخرين ، له ديوان شعر أجاد فيه كل الإجابة ، وديوان آخر لطيف ، سماه مقطعات النيل . توفي سنة ٦٠٤ هـ (عن ابن خلكان وشذرات الذهب) . (٦) هو محمد بن يوسف بن محمد الملقب موفق الدين الإربلي الشاعر المشهور كان إماما حقا في علم العربية ، ومن أعلم الناس بالعروض وأحذقهم بنقد الشعر ، وأعرفهم بمجده من رديحه ، واشتمل بطوم الأوائل . أقام بشهر زور مدة ثم رحل إلى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين . توفي سنة ٥٨٥ هـ (عن عقد الجمان) . (٧) في الأصل : « وعون الدين القصري » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وابن الأثير وعقد الجمان .

بِسَارَةٍ، وَأَسَامَةُ الْحَلَبِيِّ وَغَيْرِهِمْ، فَاسْتَحْلَفَهُمْ لِنَفْسِهِ . وَكَانَ عِنْدَ السُّلْطَانِ أَبُو جَعْفَرٍ
إِمَامُ الْكَلَّاسَةِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا أَتَمَّى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ، وَكَانَ قَدْ غَابَ ذَهْنُهُ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : صَحِيحٌ . ثُمَّ قَالَ
أَبُو الْمُظَفَّرِ : وَغَسَلَهُ أَبُو الدَّوْلَتِيِّ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ بْنِ الزُّكَيْ . وَبَعَثَ
الْقَاضِي الْفَاضِلُ لَهُ الْأَكْفَانَ وَالْحَنُوطَ مِنْ أَجْلِ الْجَهَاتِ . ثُمَّ قَالَ : « وَقَالَ الْعِمَادُ
الكَاتِبُ : دَخَلْنَا عَلَيْهِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِلْعِيَادَةِ ، وَمرضُهُ فِي زِيَادَةٍ ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَضَعُفُ
الْقُلُوبُ ، وَتَتَضَاعَفُ الْكُرُوبُ ؛ ثُمَّ أَنتَقَلَ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ ، إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، سَحَرَ يَوْمَ
الْأَرْبَعَاءِ ، وَمَاتَ بِمَوْتِهِ رَجَاءُ الرِّجَالِ ، وَأَظْلَمَ بِغُرُوبِ شَمْسِهِ فُضَاءُ الْإِفْضَالِ . وَرِثَاهُ
الشُّعْرَاءُ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

شَمِلُ الْمُدَى وَالْمَلِكِ عَمَّ شَتَاؤُهُ * وَالْدَّهْرُ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
بِاللهِ أَيْنَ النَّاصِرِ الْمَلِكِ الَّذِي * لله خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ
أَيْنَ الَّذِي [مَذ] ^(٥) لَمْ يَزَلْ مَخْشِيَةً * مَرْجُوءَةٌ رَهْبَانُهُ وَهَبَاتُهُ
أَيْنَ الَّذِي كَانَتْ لَهُ طَاعَاتُنَا * مَبْذُولَةٌ وَلَرْبُهُ طَاعَاتُهُ
أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ مُسْلِطَانًا لَنَا * يُرَبِّحِي نَدَاهُ وَتُسْقَى سَطَوَاتُهُ
أَيْنَ الَّذِي شَرَّفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ * وَسَمَّتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَسَامَةُ الْجَلِيلِ » . (٢) كَذَا فِي الْفَتْحِ الْقَسِي وَمِرَاةِ الزَّمَانِ . وَفِي الْأَصْلِ :
« أَغْرَبَ » . (٣) هُوَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ خَتَمَ يَمِينًا مَوْلَاهُ « الْبَرَقُ الشَّامِي » كَمَا فِي حَسَنِ
الْمَحَاضِرَةِ لِلْسَّيُوطِيِّ وَالرُّوضِيِّنِ وَمِرَاةِ الزَّمَانِ وَعَقْدُ الْجَمَانِ . (٤) رَوَايَةُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْأَصْلِ :

شَمِلَ الْهَوَى وَالْمَلِكِ عَمَّ شَتَاؤُهُ * وَالْدَّهْرُ سَاءَ وَقَلَّتْ حَسَنَاتُهُ

وَالْتَصَوَّبُ عَنْ مِرَاةِ الزَّمَانِ وَحَسَنِ الْمَحَاضِرَةِ لِلْسَّيُوطِيِّ وَالرُّوضِيِّنِ وَعَقْدُ الْجَمَانِ .

(٥) رَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا :

أَيْنَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ مَخْشُوعَةً * مَرْجُوءَةٌ هَبَاتُهُ وَهَبَاتُهُ

وَالْتَصَوَّبُ عَنْ الرُّوضِيِّنِ .

- لا نحسبوه مات شخصا واحدا • قد عمَّ كلَّ العالمين مماتُهُ^(١)
 ملكٌ عن الإسلام كان محاميا • أبدا لماذا أسلمته حُماهُ
 قد أظلمت مذ غاب عنا دُورُهُ • لما خلت من بَذِرِهِ داراَهُ
 دُفين السباح فليس تُنشرُ بعدما • أودى إلى يوم النشور رُقاَهُ
 الدين بعد أبي المظفر يوسف • أقوت قراءه وأقفرَت ساحاَهُ^(٢)
 بحر خلا من وارديه ولم تزل • محفوفةٌ بوروده حافاَهُ
 من للناس والأرامل راحم • متعلِّفٌ مفضوضةٌ صدقاَهُ
 لو كان في عصر النبي لَأُنْزِلَتْ • في ذِكْرِهِ من ذِكْرِهِ آيَاَهُ
 بكت الصوامر والصواهل إذ خلت • من سَلَّها وركوبها عَزَاَهُ^(٣)
 يا وحشة الإسلام حين تمكنت • من كلِّ قلب مؤمن روعاَهُ
 يا راعيا للدين حين تمكنت • منه الذئاب وأسلمته رُعاَهُ
 ما كان ضرك لو ألفت مراعيًا • دينا تولى مذ رحلت وُلاَهُ
 فارقت مُلكًا غيرَ باقي متعبًا • ووصلت مُلكًا باقيا راحاَهُ
 فعل صلاح الدين يوسف دائما • رضوانُ ربِّ العرش بل صلواَهُ^(٤)

١٥ (١) رواية مرآة الزمان : « لابل م كل ... الخ » • رواية الروضتين وعقد الجمان :
 • فأت كل العالمين مماته •

(٢) في الأصل : « أقوت قواه » • وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان •

(٣) رواية الأصل : • من سبها وركوبها عزماته • رواية الروضتين :
 • من سبها وركوبها عزواته • وما أثبتناه عن عقد الجمان ومرآة الزمان •

٢٠ (٤) وهي قصيدة طويلة ، قال صاحب مرآة الزمان : « إن عدد أبياتها مائتان وعشرون بيتا » •
 وقال صاحب الروضتين : « إنها مائتان وأثنان وثلاثون بيتا » • وفي حسن المحاضرة للسيوطي وعقد الجمان :
 « إنها مائتان وثلاثون بيتا » •

- ذكر أولاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمه الله —
كانوا ستة عشر ذكرا وأبنة واحدة ، أكبرهم الأفضل عليّ ، ولد بمصر سنة
١٠١١ خمس وستين يوم عيد الفطر . وأخوه لأبيه وأمه الملك الظافر خضر ، ولد بمصر
سنة ثمان وستين . وأخوها أيضا لأبيهما وأمهما قطب الدين موسى ، ولد بمصر
سنة ثلاث وسبعين . فهؤلاء الثلاثة أشقاء . ثم الملك العزيز عثمان الذي ملك
مصر بعد أبيه ، ولد بها سنة سبع وستين . وأخوه لأبيه وأمه الأعرز يعقوب ،
ولد بمصر سنة اثنتين وسبعين . والملك الظاهر غازي صاحب حلب ، ولد بمصر
سنة ثمان وستين . وأخوه لأبيه وأمه الملك الزاهر داود ، ولد بمصر سنة
ثلاث وسبعين . والملك المعز إسحاق ، ولد سنة سبعين . والملك المؤيد مسعود ،
ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين . والملك الأشرف محمد ، ولد بالشام سنة
١٠١٥ خمس وسبعين . وأخوه أيضا لأبيه وأمه الملك المحسن أحمد ، ولد بمصر سنة
سبع وسبعين . وأخوه أيضا لأبيه وأمه الملك الغالب ملكشاه ، ولد بالشام سنة
ثمان وسبعين . وأخوهم أيضا لأبيهم وأمههم أبو بكر النصر ، ولد بحجاز بعد وفاة أبيه
سنة تسع وثمانين . والبنات مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل
— الآتي ذكره — ابن الملك العادل وماتت عنده .

وملك بعد السلطان صلاح الدين مصرَ ابنه الملك العزيز عثمان الآتي ذكره
إن شاء الله تعالى وملك دمشق بعده ابنه الملك الأفضل عليّ ، وملك حلبَ ابنه

- (١) كذا في الأصل ورملة الزمان . وفي الروضتين والسيرة والفتح القسي وعقد الجمان :
« سبعة عشر » . لم يذكر المؤلف منهم الاثلاثة عشر . وبقيتهم كما في الروضتين : الجواد أبو سعيد أيوب
وكن الدين . والأشرف المظفر أبو منصور توران شاه نحر الدين . وعماد الدين شاذي . ونصرة الدين مروان .
(٢) في الأصل : « سنة تسع وستين » . وما أثبتناه عن ابن خلكان ورملة الزمان والروضتين .
(٣) في رملة الزمان : « وأبو بكر ولقب بالبصرة » بالاء الموحدة . وفي الروضتين : « المنصور أبو بكر » .

الظاهر غازي كما كانوا أيام أبيهم . ثم وقع بين الملك العزيز والأفضل أمور نذكرها فيما يأتي إن شاء الله تعالى . انتهت ترجمة السلطان صلاح الدين - رحمه الله - . ونذكر الآن ما وقع في أيامه من الحوادث ، ومن توفى من الأعيان في زمانه على سبيل الاختصار على عادة هذا الكتاب . وبالله المستعان .



السنة الأولى من ولاية الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر ، وهي سنة سبع وستين وخمسمائة . (أعني سلطته بعد موت العاضد العيُدي آخر خلفاء الفاطميين بمصر) . وأما وزارته فكانت قبل ذلك بمدة من يوم مات عمه الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن أيوب في يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة . وقد ذكرنا حوادث وزارته فيما مضى ، ونذكر الآن من يوم سلطته بعد الخليفة العاضد (أعني حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة) .

فيها خطب لبني العباس بمصر وأبطل الخطبة لبني عُيُد حسب ما تقدم ذكره في ترجمة العاضد ، وفي ترجمة صلاح الدين أيضا ؛ ولما وقع ذلك كتب الإمام الكاتب عن السلطان صلاح الدين لنور الدين الشهيد يُخبره بذلك :

قد خَطَبْنَا للمستضيء بمصر * نائب المصطفى إمام العصر
ولدينا تضاغتُ نعمُ الله * به وجلت عن كلِّ عدوٍّ وحَـصير
وأستأرت عزائمُ الملك العا * دل نور الدين الإمام الأغر

وفيها بعث الملك العادل نور الدين محمود المذكور بالبشارة للخليفة المستضيء على يد الشيخ شهاب الدين المطهر بن شرف الدين بن أبي عَصْرُون ، فلما وصل

شهاب الدين المذكور للخليفة قال في المعنى ^(١) ابن الحرمتاني الشاعر المشهور قصيدة أولها :

جاء البشير فَمَرَّ الناس وأبتهجوا • فما على ذي سرور بعدها حَرَجُ
وخلع الخليفة على شهاب الدين المذكور . ثم بعث جواب الملك العادل على
يد الخادم صَندَل ^(٢) وعلى يديه الخلع والتقاليد له ، وفي الخلعة الطوق وفيه ألف دينار
والفرجية والعمامة ، ثم أرسل مع الخادم المذكور لصلاح الدين صاحب الترجمة
خلعاً دون خلع نور الدين . وبعث أيضاً لنور الدين سيفاً قلده للشام ، ثم سيفاً آخر
قلده بمصر ، ويكون صلاح الدين نائبه بمصر . وزُيِّنَتْ بغداد وضربت القباب لذلك .
وفيها وقعت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين . هذا لأمر ذكرناه في أوائل
ترجمة صلاح الدين ، ثم سكن ذلك . ١٠

وفيها توفى حسان بن نعيم الكلابي أبو الندى الشاعر المشهور المعروف بعرقلة
الدمشقي ، ويقال له عرقلة من حاضرة دمشق ، كان شيخاً خليعاً أعور مطبوعاً
لطيفاً ظريفاً ، كان آخض بالسلطان صلاح الدين وله فيه مدائح ، وله شعر رائق
كثير . من ذلك قصيدته المشهورة :

كَمْ اَهْوَى قَوَّشَتْ عَلَيْهِ دَمُوعُهُ * مِنْ حَرَّائِرٍ تَحْتَوِيهِ ضُلُوعُهُ
صَبَّ تَشَاغَلَ بِالرَّبِيعِ وَزَهْرِهِ * زَمْنَا وَفِي وَجْهِ الْحَبِيبِ رَيْبُهُ ١٠

(١) الحرستاني : نسبة الى حرستا ، قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق على طريق حمص (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) هو عماد الدين صندل ، كان من أكابر الخدم المقتضوي (عن عقد الجمان والروضين) . (٣) عبارة تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والولاة (نسفة في مجلدين مأخوذة بالتصوير التسمي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣١٩ تاريخ) ، وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات : « وجمع له بين تقلد السيوف لإشعاراً بتقليده الإنجليين : الشام والديار المصرية » : (٤) كذا في فوات الوفيات : وفي الأصل « قوم » . ورواية البيت في عقد الجمان : صب تشاغل بالحبيب وزهره • قوم ... الخ

يَا لَأَنبِي فِيمَن تَمَّعَ وَصَلُهُ * عَنْ صَبِّهِ أَهْلُ الْهَوَى مَمْنُوعُهُ^(١)
 كَيْفَ التَّخْلُصُ إِنْ تَجَنَّى أَوْ جَنَى * وَالْحَسَنُ شَيْءٌ مَا يَرُدُّ شَفِيعُهُ
 شَمْسٌ وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي حَرُّهَا * بَدْرٌ وَلَكِنْ فِي الْقَبَاءِ طَلُوعُهُ^(٢)
 قَالَ الْعَوَازِلُ مَا الَّذِي أَسْتَحْسِنُهُ * مِنْهُ وَمَا يَسِيْرِيكَ قُلْتُ جَمِيعُهُ

- وفيها تُوفِّي عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد العلامة أبو محمد المعروف بآبن
 الخَشَّاب النحويّ اللغويّ حُجَّةَ العرب ، برَّع في فنون العلوم وأنفرد بعلم النحو
 والعربية حتَّى فاق أهل عصره .

- وفيها تُوفِّي عبد الله بن أحمد بن الحسين [بن أحمد بن الحسين] بن إسحاق
 أبو محمد الحَيْرِيّ ويعرف بآبن التَّقَارِ الكَاتِبِ^(٣) . وُلِدَ بطرابلس سنة تسع وسبعين
 وأربع مائة . ولما استولى الفرنج على طرابلس انتقل منها إلى دمشق ؛ وكان شاعراً
 ماهراً . ومن شعره — رحمه الله — القصيدة المشهورة التي أولها :
 بِأَيِّرُ إِلَى اللَّذَاتِ فِي أَزْمَانِهَا * وَأَرْكُضْ خِيُولَ اللَّهِ فِي مَيْدَانِهَا
 وَأَسْتَقْبِلِ الدُّنْيَا بِصَدْرِ وَاسِعٍ * مَا أَوْسَعَتْ لَكَ مِنْ رَحِيْبٍ مَكَانِهَا
 وله :

- ١٠ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي مَا خِلْتُهُ * يَنْصَبُو إِلَى الْهِجْرَانِ حِينَ وَصَلْتُهُ
 مَنْ مُنْصِفِي مِنْ ظَالِمٍ مُتَعَنِّتٍ^(٤) * يَزْدَادُ ظُلْمًا كُلَّمَا حَكَمْتُهُ

- (١) في الأصل وعقد الجمان : « عن بغي » . وما أثبتناه عن فروات الوفات .
 (٢) رواية عقد الجمان : * بدر ولكن في القلوب طلوعه *
 (٣) التلمذة عن تهذيب تاريخ ابن عساكر . (٤) كذا في الأصل ومرآة الزمان وعقد الجمان .
 ٢٠ وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر : « الحميدى » . (٥) في الأصل : « ابن النيار » وفي عقد الجمان :
 « ابن البقار » . والصواب عن مرآة الزمان وتهذيب تاريخ ابن عساكر والخريدة للمعاد الكاتب .
 (٦) في الأصل : « متعنت » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

ملكته رُوحى ليحفظ ملكه * فاضاعى واضاع ما ملكته
لا ذنب لى إلا هواه لأنه ^(١) * لما دعانى للسقام أجبتُه
وفىها توفى العاضد خليفة مصر، حسب ما ذكرناه فى ترجمته .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفىها توفى أبو على - أحمد بن محمد
ابن على - الرّجبي الحرّمي - فى صفر . وأبو محمد عبد الله بن منصور بن المؤصلي .
وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد [بن أحمد] بن الخشاب النحوي . والعاضد
عبد الله بن يوسف بن الحافظ الفيدي - فى المحرم ، وأنقضت دولة الرّفض عن مصر .
وأبو الحسن على بن عبد الله بن خلف بن النعمان الأندلسي بسبنة ^(٤) فى رمضان .
وأبو المطهر القاسم بن الفضل بن عبد الواحد الصّيدلاني بأصهان فى جمادى الأولى ،
وقد نيّف على التسعين . وأبو المظفر محمد بن أسعد [بن محمد بن نصر] بن حكيم العراقي ^(٥)
الواعظ شيخ الحنفية بدمشق . وأبو المكارم المبارك بن محمد بن المعمر البادري ^(٦) .
وأبو العلاء وجيه بن عبد الله السّقطي . وأبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي الأردني ^(٧)
ونزيل الموصل يوم الفطر .

§ أمر النيل فى هذه السنة - الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا . ١٥

(١) رواية الخريدة : « لأننى » .

(٢) فى المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت
رقم ٣٢٤ تاريخ اختصار الذهبي ويخطه) وشذرات الذهب « الحرّمي » .

(٣) الزيادة عما تقدّم ذكره للوفى فى وفات السنة . (٤) فى شذرات الذهب : « الأندلسي
البلنسى » . (٥) التكملة : عن « الجواهر المضية فى طبقات الحنفية » . (نسخة مخطوطة محفوظة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥ م تاريخ) . (٦) البادري : نسبة الى بادرايا ، بلدة بنواحي
واسط (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) فى الأصل : « النمرى » . وما أثبتناه عن غاية النهاية
فى القراءات وشذرات الذهب ومعجم البلدان لياقوت . ٢٠



السنة الثانية من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر،
وهي سنة ثمان وستين وخمسمائة .

- فيها سار الملك العادل نور الدين محمود صاحب دمشق إلى الموصل ، وصلى
بالجامع الذي بناه وسط المَوْصِل وتصدّق بمال عظيم . ولما علم صلاح الدين
صاحب الترجمة بتوجهه إلى الموصل خرج بعساكره من مصر إلى الشام ، وحصر
الكَرْك والثُّوبَك ونهب أعمالهما ؛ ثم عاد لما بلغه عود نور الدين إلى الشام . وهذه
أول غزوات صلاح الدين .

- وفيها توفّي الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان والد صلاح الدين
المذكور . كان أميراً عاقلاً حازماً شجاعاً جواداً عاطفاً على الفقراء والمساكين
محباً للصالحين ، قليل الكلام جداً لا يتكلم إلا لضرورة . ولما قديم مصر سأل
ولده السلطان صلاح الدين صاحب الترجمة أن يكون هو السلطان ، فقال : أنت
أولى . وكان سبب موته أنه ركب يوماً وخرج من باب التصيريريد الميدان ، فشبّ به
فرسه فوق على رأسه ، فأقام ثمانية أيام ومات في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين
من ذي الحجة ، ودُفِن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه بن أيوب في الدار

- (١) يستفاد مما ذكره المقرئ في الجزء الثاني (ص ٤٦٤) من خطه عند الكلام على المقابر التي
خارج باب النصر : أن الميدان المذكور هو الذي كان يطلق عليه ميدان العيد حيث كان يوجد مصلى العيد
خارج باب النصر . وكان هذا الميدان واقفاً في الجزء البحري من ميدان القيق والميدان الأسود . ومحلّه
اليوم المنطقة الواقعة بين باب النصر وباب الحسينية المشغولة بمقابر جبانة باب النصر التي يحترقها اليوم من
الجنوب إلى الشمال الشارع الذي فتحه مصاحبة التنظيم باسم شارع نجم الدين صاحب الترجمة ، حيث سقط
عن جواده في تلك الجهة سنة ٥٦٨ هـ ، وكان له بها مسجد ذكره المقرئ في الجزء الثاني من خطه
(ص ٤١٢) عند الكلام على المساجد .

السلطانية^(١) ثم نقلا بعد سنتين^(٢) إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أبنه السلطان ، صلاح الدين قد عاد من الكرك فبلغه خبر موته في الطريق ، فوجد عليه وتأسف حيث لم يحضره . وخلف من الذكور ستة : السلطان صلاح الدين يوسف ، وأبإبراهيم العادل الآتي ذكره في ملوك مصر ، وشمس الدولة توران شاه وهو أكبر الجميع ، وشاهنشاه ، وسيف الإسلام طغتكين ، وتاج الملوك بوري وهو الأصغر .

وفيها توفى الحسن بن أبي الحسن صافي ملك النحاة مولى الحسين بن الأرمويّ التاجر البغداديّ ، قرأ النحو وأصول الدين والفقه والخلاف والحديث وبرع في النحو وفاق أهل زمانه ، وسافر البلاد وصنّف الكتب في فنون العلوم ، من ذلك «المقامات» التي من جنس «مقامات الحريري» ؛ وكان يقول : مقاماتي جدّ وصدق ، ومقامات الحريري هزل وكذب . قلت : ولكن بين ذلك أهوال . ومن مصنفاته كتاب أربعمائة كراسة ، سماها «التذكرة السفريّة»^(٣) .

وفيها توفي سعد الدين بن عليّ بن القاسم بن عليّ أبو المعالي الكُتّبيّ الحِظيريّ الحنفيّ ، كان شاعرا فاضلا . والحِظيرة : قرية فوق بغداد وهي (بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المشناة من تحتها وبعدها راء) وإلى هذه القرية يُنسب كثير من العلماء . ومن شعر الحِظيريّ — رحمه الله تعالى وعفا عنه — :

صُبِحُ مَشِيبِي بدا وفارقتي * ليلُ شبّابي فصَحْتُ وأُقلّتي
وصِرْتُ أبكى دما عليه ولا * بُدُّ لصُبْحِ المَشِيبِ من شَفَقِ

(١) الدار السلطانية ، هذه كانت ضمن القصر الكبير الشرق الذي نزل به صلاح الدين عند توليه سلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد ، وكان دفن أسد الدين شريكه وأخوه نجم الدين أيوب في التربة التي كانت بقرب المشهد الحسيني . (٢) كذا في تاريخ الراسخين . وفي الأصل : « سنين » . (٣) كذا في الأصل وتهذيب ابن عساكر . وفي بغية الرعاة : « التذكرة السنجرية » . ولم نعر عليها في كشف الظنون .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى نجم الدين أيوب بن شادى والد الملوك . وملك النعاة أبو زرار الحسن بن صافى البغدادى بدمشق . وأبو جعفر محمد بن الحسن الصيقلانى بأصبهان، وله خمس وتسعون سنة . وصالح ابن إسماعيل أبو طالب ابن بنت معاوى المالكي مفتي الإسكندرية — رحمه الله — .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا .

• مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .



السنة الثالثة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر،
وهي سنة تسع وستين وخمسمائة .

- ١٠ فيها كتب صلاح الدين صاحب الترجمة لنور الدين يستأذنه في إنفاذ جيش إلى اليمن فأذن له ، فبعث صلاح الدين أخاه شمس الدولة ثوران شاه بن أيوب ، فسار إليها ، وكان فيها عبد النبي بن مهدي من أصحاب المصريين ، وكان ظالماً فأنكأ ، فحصره شمس الدولة ثوران شاه في قصره بزبيد مدة ، حتى طلب الأمان فآمنه ، فلما نزل إليه قيده ووكّل به ، وفتح صنعاء وحصون اليمن والمدائن ، يقال : إنه فتح ثمانين حصناً ومدينة وأستولى على أموالها وذخائرها ، وقتل عبد النبي المذكور . وولى على زبيد سيف الدولة مبارك بن متقّد ، وعزّ الدّين عثمان بن الزنجيلي على باقي البلاد .

- (١) يريد بهم الميدين . (٢) زبيد : مدينة مشهورة باليمن ، أحدثت في أيام المأمون وبازائها ساحل غلاقة وساحل المنذب . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) في الأصل : « سقر » . والتصويب عن تاريخ الواصلين والروضتين وتاريخ الإسلام للذهبي وابن الأثير ومرآة الزمان وعقد الجمان . (٤) في إحدى روايتي ابن الأثير : « الزنجيل » .
- ٢٥ (٥) في الروضتين وابن الأثير وتاريخ الواصلين وتاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان : « على مدن » .

وفيهما قبض صلاح الدين على جماعة من أعيان الدولة العبيدية : مثل داعي
الدعاة^(١) ، وعمارة اليميني وغيرهما ، بلغه أنهم يجمعون على إثارة الفتن ، وأتفقوا مع
السودان وكتبوا الفرنج ، فقتل داعي الدعاة ، وصلب عمارة اليميني . قال القاضي
شمس الدين ابن خلكان : هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيد^(٢)
ابن أحمد بن محمد الحكيم^(٣) اليميني ، الملقب نجم الدين الشاعر ، وهو من جبال اليمن من
مدينة مَرطَان ، بينها وبين مكة من جهة الجنوب أحد عشر يوما . وكان فقيها
فصيحاً ، أقام بزييد مدة يُقرأ عليه مذهب الشافعي ، وله في الفرائض مصنف
مشهور باليمن ، ومدح خلفاء مصر ، فقتلوه وأعطوه الأموال ، فكان عندهم بمثلة
الوزير ، وكان أيضاً معظماً قبل ذلك في اليمن ، ثم ظهرت أمور اقتضت خروجه منها ،
فقدم إلى مصر في سنة خمسين وخمسمائة . وقيل : إن سبب قتله أنه مدح توران شاه ،
وحرضه على أخذ اليمن بقصيدة أولها :

العِلْمُ مذ كان محتاجاً إلى العَلَمِ * وَشَفَرَةُ السِّيفِ تَسْتَفْنِي عن القَلَمِ
إلى أن قال :

هذا ابنُ ثَوَمَرَتٍ قد كانت بدايته * كما يقول الورى لَمَحاً على وَصَمِ
وكان أولُ هذا الدِّين من رجل * سعى إلى أن دَعَوْهُ سَيِّدُ الأَيَمِ

قال الإمام الكاتب : اتفقت لعمارة اتفاقات : منها أنه نُسب إليه قولُ هذا البيت
فكان أحد أسباب قتله ؛ وأتفق قضاء مصر بقتله ، وقيل : إنه لما أصر صلاح الدين

(١) هو داعي الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوي ، كما في كتاب النكت المصرية في أخبار
الوزراء المصرية لعمارة اليميني . . . (٢) في الأصل : « هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن
علي بن زيد بن بدوان بن أحمد بن محمد الحلبي اليميني » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان
وشذرات الذهب . (٣) في ابن خلكان وعقد الجمان : « أن وطنه من تهامة باليمن » .
(٤) هكذا ضبطت بالقلم في النكت المصرية وعقد الجمان في أكثر من موضع .

بصلبه ، مروا به على دار القاضي الفاضل ، فرمى بنفسه على بابه وطالب الدخول إليه ليستجير به فلم يؤذن له ، فقال :

عبد الرحيم قد آحتجب • إن الخلاص من العجب

فصُلب وهو صائم في شهر رمضان .

- وفيها توفى السلطان الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سُقُر صاحب الشام ومصر المعروف بنور الدين الشهيد . قال ابن عساكر : « أول سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وكان معتدل القامة أسمر اللون واسع الجبهة حسن الصورة ، لحيتُهُ شَعَرَاتٌ خفيفة في حنكِهِ ، ونشأ على الخير والصلاح . وكان زُنكي يقدمه على أولاده ، ويرى فيه مخايل النجابة . وفتح في أيام سلطته نيقا وخمسين حصناً » .

- ١٠ قلت : ومصر أيضا من جملة فتوحاته ، وأيضا ما فتحه صلاح الدين من البلاد والحصون هو شريكه في الأجر والثواب ، ولولاه إيش كان صلاح الدين ! حتى ملك مصر من أيدي تلك الرافضة من بنى عبيد خلفاء مصر وقوة بأسهم ! . قلت : وترجمة الملك العادل طويلة ، يضيق هذا المحل عن ذكرها ، وأحواله أشهر من أن تُذكر . غير أننا نذكر مرض موته ووفاته . وكان ابتداء مرضه أنه خفق ولده الملك الصالح إسماعيل يوم عيد الفطر ، فهني بالعيد والطهور ، فقال العياد الكاتب - رحمه الله - :

عِيَادِينَ فِطْرٌ وَطُهُرٌ • فَتَحَ قَرِيبٌ وَنَصْرٌ

كَلَاهَا لَكَ فِيهِ • حَقًّا هَنَاءٌ وَأَجْرٌ

- فمرض بعد عوده من صلاة العيد بالخوانيق ، وما كان يرى الطب ؛ على قاعدة الأتراك ، فأشير عليه بالقصد في أول مرضه فامتنع ، وكان مهيباً فما رُويجع ؛ فمات يوم الأربعاء عا دنى عشر شوال ، ودفن بالقلعة ، ثم نقل إلى مدرسته التي أنشأها مجاورة

الخواصين بدمشق . وعاش ثمانيا وخمسين سنة . وكانت سلطته ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر . ورثاه العماد الكاتب بعدة مرّاث؛ من ذلك قوله :
يا مَلِيكَ اَيَّامُهُ لَمْ تَزَلْ * لِفَضْلِهِ فَاضِلَةٌ فَاحِرَةٌ
مَلَكْتَ دُنْيَاكَ وَخَلَقْتَهَا • وَسَرَتْ حَتَّى تَمْلِكَ الْآخِرَةَ

• قال أبو اليسر شاكر بن عبد الله ^(١) [التَّنُوخِيُّ ^(٢) المَعَرِّي] : تَعَدَّى بَعْضُ أُمَرَاءِ صَلَاحِ الدِّينِ بَنِ آيُوبَ [عَلَى رَجُلٍ] وَأَخَذَ مَالَهُ ، بَغَاءً إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ فَلَمْ يَأْخُذْ لَهُ بِيَدٍ ، بَغَاءً إِلَى قَبْرِ نَوْرِ الدِّينِ وَشَقَّ ثِيَابَهُ ، وَحَنَّا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَجَعَلَ يَسْتَغِيثُ : يَا نَوْرَ الدِّينِ أَيْنَ أَيَّامُكَ ! وَيَبْكِي . فَبَلَغَ صَلَاحُ الدِّينِ فَاسْتَدْعَاهُ وَأَعْطَاهُ مَالَهُ ، فَازْدَادَ بَكَوْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ صَلَاحُ الدِّينِ : مَا يُبْيِكُكَ وَقَدْ أَنْصَفْنَاكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى مَلِكٍ أَنْصَفْتُ بِرَكَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ ، كَيْفَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ وَيَفْقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ ! .
١٠ . وَتَسَلَّطَنَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ وَلَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ . وَقَدْ مَرَّ مِنْ أَخْبَارِهِ نَبْذَةٌ كَبِيرَةٌ فِي تَرْجُمَةِ صَلَاحِ الدِّينِ .

الَّذِي ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، قَالَ : وَفِيهَا تُوُفِّيَ النُّقِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ [بَنِ عَلِيٍّ] ^(٤) بَنِ الْمُعَظَّمِ الْعُلَوِيِّ بَغْدَادَ فِي جُمَادَى الْأُولَى . وَالْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيُّ الْعَطَّارُ الْمَقْرِيُّ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَلَهُ إِحْدَى وَثَمَانُونَ سَنَةً .
١٥ . وَدَهَبُ بْنُ عَلِيٍّ [بَنِ مَنْصُورِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي] بَنِ كَارَةَ الْحَنْبَلِيِّ . وَنَاصِحُ الدِّينِ سَعِيدُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ الدَّهَّانِ النَّحْوِيُّ بَغْدَادَ ، وَلَهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً . وَأَبُو تَيْمٍ سَلْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الرَّحْبِيُّ الْخَلْبَازُ بَدْمَشَقَ . وَعَبْدُ النَّبِيِّ بْنُ الْمَهْدِيِّ صَاحِبُ الْيَمَنِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَبُو الْقَاسِمِ » وَالتَّصْوِيبُ عَنْ مَرْأَةِ الزَّمَانِ وَالرُّوْضَيْنِ . (٢) الزِّيَادَةُ عَنْ تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرَ وَالرُّوْضَيْنِ وَمَرْأَةِ الزَّمَانِ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « فِي أَخْذِ مَالِهِ » . وَالتَّكْلُفُ وَالتَّصْبِيحُ عَنْ مَرْأَةِ الزَّمَانِ . (٤) التَّكْلُفُ عَنْ ابْنِ الْأَثِيرِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَالْمُنْتَظَمِ وَشَرْحِ الْقَصِيدَةِ اللَّامِيَةِ فِي التَّارِيخِ وَعَقْدِ الْبَحْثِ . (٥) الزِّيَادَةُ عَنْ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَالْمُنْتَظَمِ الْمُنْتَظَمِ إِلَيْهِ مِنْ تَارِيخِ بَغْدَادَ .

وكان باطنياً استأصله أخو صلاح الدين . وأبو الحسن علي بن أحمد اليكاني القرطبي بفاس ، وله ثلاث وتسعون سنة . والفقيه عمارة بن علي بن زيدان اليمنى الشاعر ، شقيق في جماعة سَعَوْا في إعادة الدولة العبيدية . والسلطان نور الدين محمود بن زنكي الأتابكي بن آق سُنْقُرُ التركي المَلِكْشَاهِي في شَوال ، وله ثمان وخمسون سنة .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وست عشرة إصبعا .
- يبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .



السنة الرابعة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر ، وهي سنة سبعين وخمسمائة .

- ١٠ فيها ملك السلطان صلاح الدين دِمَشْق من الملك الصالح آبن الملك العادل نور الدين محمود ، حسب ما ذكرناه في ترجمته . وكان أخذه لدمشق بمكتبة القاضي كمال الدين الشَّهْرُزُورِي [صديق ^(١) بن الجاولي والأعيان ، وكان بالقلعة رَيْنَحان الخادم ، فعزم على قتاله ، فجهَّز إليه عسكر دمشق ، وركب صلاح الدين من الجسور ، فالتقى أهل دمشق بأسرهم وأحدقوا به ، فنثر عليهم الدراهم والدنانير ، ودخل دمشق فلم يُغلق في وجهه باب ولا منعه مانع ، فلكها عناية لا عتوة .

١٥

وفيهما استخدم صلاح الدين العِمَادُ الكاتب الأصبهاني ، وسببه أنه ألتقى بالقاضي الفاضل ومدحه بأبيات منها :

عَينَتْ طَوْدٌ سَكِينَةً وَرَأَيْتُ شَمًّا * سَسَ فُضِيلَةً وَوَرَدْتُ بَحْرَ فَوَاضِلٍ ^(٢)
وَرَأَيْتُ مَحْبَبَانَ الْبَلَاغَةَ سَاحِبًا * بَيَانَهُ ذِبْلُ الْفِخَارِ لَوَائِلِ

- ٢٠ (١) الكلمة عن عقد الجمان . ويستفاد مما ذكره صاحب العقد أن صديق بن الجاولي هذا كان من جملة رسل شمس الدين صاحب بصرى إلى صلاح الدين ليدعوه لفتح دمشق .
- (٢) في الأصل : « بحر فضائل » . وما أثبتناه عن الروضتين وعقد الجمان .

حَنُفٍ [الْحَصَافَةِ^(١)] والفصاحة والسماحة * حة والحامسة والثقي والنائل
بِحُرْمَنِ الْفَضْلِ الْغَزِيرِ خَضَمُهُ^(٢) * طايي العُباب وماله من ساحل
في كَفِّهِ قَلَمٌ يَعْمَلُ بِحَرِيهِ * ما كان من أجل ورزقٍ آجِلٍ
أَبْصَرْتُ قَسًا فِي الْفَصَاحَةِ مَعْجَزًا * فعرفتُ أنَّ في قَهَاهَةِ بِاقِلٍ

- فدخل القاضي الفاضل على السلطان صلاح الدين وقال : غداً ناتيک تراجمُ
الأعاجيم ، وما يحلها مثل العباد الكاتب . فقال : [مالى] علك مندوحة ، أنت كاتبى
ووزيرى ، وقد رأيتُ على وجهك البركة ، فإذا استبكتُ غيرك تحدث الناس ؛
فقال الفاضل : هذا يحل التراجم ، وربما أغيبُ أنا ولا أقدر على ملازمتك ،
فإذا غيبتُ قام العبادُ الكاتبُ مقامى ، وقد عرفت فضل العباد ، وخدمته للدولة
النورية ، فأستكتبه . ١٠

وفيها توفى السلطان أرسلان شاه بن طغرل [بن محمد] بن ملكشاه بن ألب أرسلان
ابن داود بن ميكائيل بن سنجوق بن دقاق الساجق . وقام بعده فى الملك ابنه
طغرل شاه ، وكان صغير السن ، فتولى تدبير ملكه محمد بن إيلدكر الأتابك وكان
يلقب بالبهلولان .

- وفيها توفى يحيى بن جعفر أبو الفضل زعيم الدين ، صاحب مخزن الخلفاء :
المقتضى والمستجد والمستضى . وناب فى الوزارة ، وتقاب فى الأعمال نيّفاً ١٥

- (١) النكلة عن الروضين وعقد الجمان . (٢) فى الأصل :
* بحر من البحر الخضم خضمه * وما أثبتناه عن الروضين وعقد الجمان .
(٣) فى الأصل : « فقال : منك مندوحة » . والنكلة والتصحيح عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٤) فى الأصل : « أغييت » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٥) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفى شذرات الذهب : أن وفاته كانت سنة ٥٧٣ هـ .
(٦) النكلة عن شذرات الذهب وأبن الأثير . ٢٠

وعشرين سنة ، وكان حافظاً للقرآن فاضلاً عارفاً منصفاً ، مُحِبّاً للعلماء والصالحين ؛ ومات في شهر ربيع الأول ، وكانت جنازته مشهودة^(١) . قال العياد الكاتب : جلس يوماً في ديوان الوزارة فقام شهاب الدين بن الصبّئي^(٢) فأنشده :

لكلّ زمانٍ من أمانلِ أهليهِ * برايمكةً يتارهم كلّ مُسير^(٣)
أبو الفضل يحيي مثل يحيي بن خالد^(٤) * يذا وأبوه جعفر مثل جعفر
ثم قام ثابت الواعظ — رحمه الله — فأنشد بديهاً :

وفي الجانب الشرقي يحيي بن جعفر * وفي الجانب الغربي موسى بن جعفر^(٥)
فذاك إلى الله الكريم شفيعنا * وهذا إلى المولى الإمام المظهر

(يعني ساكن الجانب الشرقي صاحب الترجمة ، وبالجانب الغربي موسى بن جعفر الصادق) .

١٠

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفّي قاضي القضاة أبو طالب رَوْح بن أحمد الحديثي^(٦) ، وله ثمان وستون سنة . ونَحَرَ النساء خديجة بنت أحمد التَّهْرَوَانِيَّة في شهر رمضان . وعبد الله [بن عبد الصمد]^(٧) بن عبد الرزاق السلميّ - العطار . وأبو بكر محمد بن عليّ بن محمد الطُّومسيّ . وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل القيسيّ مسند المغرب .

١٥

(١) في الأصل : « جمال الدين بن الصبّئي » . وما أثبتناه عن ابن خلكان . وهو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصبّئي القيسي شهاب الدين المعروف بالحيص بيص . وسيد ذكر المؤلف وفاة سنة ٥٧٤ هـ . (٢) رواية شذرات الذهب : « ... كل معشر » . (٣) في شذرات الذهب : « ندى ... الخ » . (٤) في شذرات الذهب . « ناشب الواعظ » . (٥) كذا في الأصل والمصادر التي تحت أيدينا ، وإن كان السياق يقتضي أن تكون الرواية :

٢٠

فهذا إلى الله الكريم شفيعنا * وذلك ... الخ

(٦) الحديثي : نسبة إلى مدينة الفرات ، وتعرف بمجديّة النورة . (عن معجم البلدان لياقوت) .
وراجع الحاشية رقم ٤ ص ٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٧) النكبة عن المنتظم والمختصر والمحتاج إليه من تاريخ بغداد وعقد الجمان .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم سبع أذرع وإحدى وعشرون إصبعا - مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا .



السنة الخامسة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر ، وهي سنة إحدى وسبعين وخمسة .

فيها عزل الخليفة المستضيء بالله الحسنُ صندل الخادم عن الأستاذية ، وضيق على ولده الأمير أبي العباس أحمد ، لأمر بلفه عنهما ، وولى [أبْن^(٢)] الصاحب الأستاذية عوضا عن صندل المذكور .

وفيها وثبت الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو على اعزاز ، جاءه ثلاثة في زِيّ الأجناد ، فضربه واحد بسكين في رأسه فلم يجرحه ١٠ وخذشت السكين خذّه وقُتِل الثلاثة ، فرحل صلاح الدين إلى حلب ، فامّا نزل عليها بعث إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين محمود أخته خاتون بنت نور الدين في الليل ، فدخلت عليه فقام قائما وقبل الأرض لها وبكى على نور الدين ، فسأله أن يرّد عليهم اعزاز ، فأعطاه إياها ، وقدم لها من الجواهر ١٥ والتحف شيئا كثيرا ، واتفق مع الملك الصالح أن من حَمَاة وما فتحه إلى مصر له ، وباقي البلاد الحليّة للصالح .

وفيها قدم شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين من اليمن إلى دمشق في سَلْع ذى الحجة .

وفيها فوض سيف الدولة غازي أمر الموصلي إلى مجاهد الدين قَيْمَاز الخادم .

(١) كذا في الأصل ومرآة الزمان والمنظم . وفي ابن الأثير : « سنجر المقنوى » .
(٢) الكلمة عن المنظم وابن الأثير . وهو أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن الصاحب .

وفيهما توفي علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الحافظ أبو القاسم
الدمشقي المعروف بابن عساكر، مولده في أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. كان
أحد أئمة الحديث المشهورين، والعلماء المذكورين، سمع الكثير وسافر، وصنف
تاريخاً لدمشق، وصنف كتباً كثيرة، وكان إماماً في الفنون، فقيهاً محدثاً حافظاً مؤرخاً.
قال العماد الكاتب : أنشدني لنفسه بالمِزَّة ^(١) :

أيا نفسُ ويحك جاء المشيبُ * فماذا التَّصَابِي وماذا الفَرَلُ
تولَّى شبابي كأنَّ لم يكنْ * وجاء مَشِيبِي كأنَّ لم يَزَلْ
[كأنِّي بنفسِي على غِرَّةٍ * وَخَطْبُ المُنُونِ بها قد نَزَلْ] ^(٢)
فيا ليت شِعْرِي مَن أَكُونُ * وما قَدَّرَ الله لي في الأَزَلْ

- ١٠ الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي الحافظ نَفَقَةُ الدِّينِ
أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في رجب ، وله ثلاث وسبعون
سنة إلا شهراً . وتجدد الدين أبو منصور محمد بن أسعد بن [محمد المعروف بـ] حَفْدَةَ ^(٣)
الطُّوسِيَّ العَطَّارِيَّ الشافعي الواعظ . وأبو حنيفة محمد بن عبيد الله الأصهباني ^(٤)
الخطيبي في صفر . وأبو جعفر هبة الله بن يحيى بن البُوَيْقِي الشافعي . ^(٥)

- ١٥ § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشر أصابع .

(١) المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (عن معجم البلدان
لياقوت) . (٢) الزيادة عن ابن خلكان وابن كثير وعبد الجمان .

- (٣) في الأصل : « محمد بن سعد بن جفدة » . والزيادة والنصح عن المنتظم وشذرات الذهب
والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . (٤) في الأصل : « عبد الله » . وما أثبتناه عن المشتبه
والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . (٥) في الأصل : « ابن البوق » . وما أثبتناه
عن طبقات الشافعية والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . والبوق : نسبة إلى بوقه من قرى أنطاكية
(عن معجم البلدان لياقوت) .



السنة السادسة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

فيها تزوج السلطان صلاح الدين يوسف بالخاتون عَصْمَةُ الدِّين بنت الأمير مُعِين الدِّين ^(١) أُمُّ زَوْجَةِ الملك العادل نور الدين محمود، وكانت بقلعة دمشق .

وفيها كانت فتنة مقدّم السودان من صَعِيد مصر، سار من الصعيد إلى مصر في مائة ألف أسود، لِيُعِيد الدولة المصرية الفاطمية، فخرج إليه أخو صلاح الدين الملك العادل أبو بكر، وأبو الهيجاء الهكاري، وعز الدين مُوسَى بْنَ معهم من عساكر مصر، وَالتَّقَوْا مع السودان، فكانت بينهم وقعة هائلة، قُتِلَ كبير السودان المذكور وَمَنْ معه . قال الشيخ شمس الدين يوسف في مرآة الزمان : « يقال لمنهم قتلوا منهم ثمانين ألفا وعادوا إلى القاهرة » .

وفيها خرج السلطان صلاح الدين من دمشق إلى مصر، وأسنانب أخاه شمس الدولة ثوران شاه على الشام . وجاءت الفرنج إلى دَارِيَا ^(٢)، فأحرقوا ونهبوا وعادوا . وفيها أمر السلطان صلاح الدين قَرَأُوش الخادم بعارة سور القاهرة ومصر، وَضَع فِيهِ أموالا كثيرة ولم ينتفع به أحد :

وفيها أبطل صلاح الدين المَكُوسَ التي كانت تُؤْخَذ من الخراج يُجَدَّة، تما يُحْمَل في البحر، وَعَوَّضَ صاحب مَكَّة عنها في كُلِّ سنة ثمانية آلاف إردبَّ قَحَّا تُحْمَل إليه في البحر، [وَيُحْمَلُ مَثَلُهَا ^(٣)] فَتَفَرَّقَ فِي أَهْلِ الحَرَمِينَ .

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) دَارِيَا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالفوطة، والنسبة إليها داراني على غير قياس (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وفيها عمَّر صلاح الدين مدرسة الشافعي^(١) بالقرافة، وتولى الشيخ نجم الدين الخُبُوشاني عمارتها . وعمَّر البيَّارستان^(٢) في القصر، ووقف عليه الأوقاف .
وفيها حجَّ بالناس من الشام قِيَّاز النجيمي .

وفيها توفى علي بن منصور أبو الحسن السُّروجي الأديب، مؤدب أولاد الأتابك زَنْكِي بن آق سُقُور، كان يأخذ الماء بفيه ويكتب به على الحائط كتابة حسنة كأنها كُتِبَتْ بقلم الطومار، وينقط ما يكتب ويشكاه . ومن شعره في فصل الربيع وفصل دمشق، ومدح نور الدين قصيدة طنانة أولها :
فصل الربيع زمانُ نوره نُورُ * أنفاسُ أشجاره مِنكُ وكانور^(٣)

وفيها توفى محمد بن مسعود أبو المعالي، خرج إلى الحج في هذه السنة فتوفى بفند^(٤)، كان أديبا فاضلا . ومن شعره هجو في قاض ولي القضاء :

ولما [أنت] توليت القضايا * وفاض الجور من كفئك قضا^(٥)
دُبجتُ بغير سَكِينٍ وإني * لأرجو الذبح بالسَّكِينِ أيضا

وفيها توفى محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل كمال الدين الشهرزوري قاضي دمشق . مولده في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، كان إماما فاضلا فقيها مُفْتَنًا، كان إليه في أيام نور الدين الشهيد مع القضاء أمرُ المساجد والمدارس والأوقاف والحسبة، والأموال الدينية والشرعية . وكان صاحب القلم والسيف، وكانت شَخْصِيَّة دمشق إليه، ولَّى فيها بعض غلمانه، ثم ولّاها نور الدين بعد ذلك

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٤ من هذا الجزء . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠١

من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) رواية عقد الحمان : * ونشر أزهاره ... الخ *

(٤) فند : اسم جبل بيه بين مكة والمدينة قرب البحر (عن معجم البلدان لياقوت) .

٢٠

(٥) في الأصل : «ولما توليت القضاء» . والنكلة والتصحيح عن شذرات الذهب ورمّة الزمان

وعقد الحمان .

لصلاح الدين يوسف بن أيوب قبل قدومه إلى مصر . وكان مع فضله ودينه له الشعر الجيد، وكان بينه وبين صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب الترجمة في أيام نور الدين مضاغنة . ومن شعره :

وجاءوا عِشَاءً يُهْرَعُونَ وقد بدا * بجسمى من داء الصبابة ألوانُ
فقالوا وكلُّ مُعْظِمٍ بعض ما رأى * أصابتك عينٌ قلت عينٌ وأجفان

قلت : وهذا شبه قول القائل ولم أدر من السابق :

ولما رَأَوْنِي العاذِلونَ متَيِّمًا * كئيبًا بمن أهوى وعقلى ذاهبُ
رَتَوَالِي وقالوا كَتَّ بِالْأَمْسِ عَاقِلًا * أصابتك عين قلت عينٌ وحاجبُ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو [محمد] صالح ابن المبارك بن الرحلة القزاز . والمحدث أبو [محمد] عبد الله بن عبد الرحمن الأموي^(١) الديلمي الأصبهاني^(٢) العثماني الإسكندراني . وأبو الحسن علي بن عساكر . وأبو بكر محمد بن أحمد بن ماه شاده الأصبهاني^(٣) المقرئ، آخر من روى عن سليمان الحافظ . وقاضى الشام كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر الشمرزوري^(٤) في المحزم . والقاضى أبو الفتح نصر بن سيار بن صاعد الكفائي الهروي^(٥) الحنفى مُسْنَدُ خُرَاسَانَ يوم عاشوراء، وله سبع وتسعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

(١) التكلفة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وشذرات الذهب وعقد الجمان .

(٢) التكلفة عن حسن المحاضرة للسيوطي وشذرات الذهب وعقد الجمان . (٣) بقية نسبه كما في غاية النهاية وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه وعقد الجمان : «أبو الحسن علي بن عساكر بن المرجب ابن القوام البطائحي الضرير المقرئ الحنبلي» . (٤) كذا في الأصل . وفي شذرات الذهب : «ابن ماساده» . وفي هامشه قولا عن زيادات السخاوي على زفة الأبواب لابن حجر العسقلاني : «ماشاده» .



السنة السابعة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

- فيها توفى صدقة بن الحسين بن الحسن أبو الفرج الناصح الحنبلي، كان يُعرف بابن الحَدَد ، كان قعيها مُفتنًا مناظرًا . قال أبو المظفر: لكنه قرأ «الشفاء» وكتب الفلاسفة، فتغير اعتقاده، وكان يبدو من فتات لسانه ما يدل على ذلك. ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

لا تَوَطَّنْهَا فَلَيْسَتْ بِمَقَامٍ * وَاجْتَنِبْهَا فَهِيَ دَارُ الْإِنْتِقَامِ
أُتْرَاهَا صِنْعَةً مِنْ صَانِعٍ * أَمْ تُرَاهَا رَمِيَّةً مِنْ غَيْرِ رَامٍ

- وفيها توفى كُشَيْتِكَيْنِ خدام الساطن نور الدين الشهيد . كان من أكابر خدامه (أعنى مماليكه) ، وكان ولّاه الموصِلَ نيابةً عنه . فلما مات نور الدين هرب إلى حلب، وخدم شمس الدين ابن الداية، ثم جاء إلى الملك الصالح ابن نور الدين الشهيد فأعطاه حارم ، ثم غَضِبَ عليه لأمر وطلب منه قلعة حارم بعد أن قبض عليه، فامتنعوا أصحابه من تسليمها ، فعلقه الملك الصالح مُنْكَسًا، ودُخِنَ تحت أفضه حتى مات .

- وفيها توفى محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر، الوزير أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء، ولقبه عضد الدولة . وكان أبوه أستاذ دار المفتى وأقره المستنجد . فلما ولي المستضيء استوزره، فشرع ظهير الدين [بن العطار^(١)] أبو بكر صاحب المخزن في عداوته،

- (١) في الأصل : «أبو الفتح» . والتصويب عن شذرات الذهب والمتنظم وشرح القصيدة اللاحقة في التاريخ والمختصر المحتاج إليه والبداية والنهاية لابن كثير . (٢) يريد كتاب الشفاء والحكمة للرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا الذي تقدّمت وفاته سنة ٤٢٨ هـ . (٣) زيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان . وسيذكر المؤلف ترجمته ووفاته سنة ٥٧٥ هـ .

حَتَّى غَيَّرَ قَلْبَ الْخَلِيفَةِ عَلَيْهِ ، فَطَلَبَ الْحَجَّ فَأَذِنَ لَهُ ، فَتَجَهَّزَ جَهَازًا عَظِيمًا وَأَشْتَرَى سِتَانَةً جَمَلَ لِحْمَلِ الْمُتَقَطِّعِينَ وَزَادَهُمْ ، وَحَمَلَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالزَّهَادِ ، وَأَخَذَ مَعَهُ بِيَارِسَتَانَا فِيهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَسَافَرَ بِتَجَمُّلٍ زَائِدٍ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ قَطْفَنًا^(١) خَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ صُوفِيٌّ بِسَيْدِهِ قِصَّةً ، فَقَالَ : مَظْلُوم ! فَقَالَ الْغُلَامَانِ : هَاتِي قِصَّتَكَ . فَقَالَ : مَا أَسْلَمَهَا إِلَّا لِلْوَزِيرِ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ ضَرَبَهُ بِسَكِّينَ فِي خَاصِرَتِهِ ، فَصَاحَ : قَتَلَنِي ، وَسَقَطَ مِنْ دَابَّتِهِ ، وَبَقِيَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ مُلْتَمِئًا ، وَتَفَرَّقَ مِنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا حَاجِبَ الْبَابِ ، فَإِنَّهُ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ الْبَاطِنِيُّ بِسَكِّينَ بِخُرْجِهِ ، وَظَهَرَ لِلْبَاطِنِيِّ رَفِيقَانِ فَقَتِلُوا وَأُخْرِقُوا . ثُمَّ حُمِلَ الْوَزِيرُ إِلَى دَارِهِ فَمَاتَ بِهَا . وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ مُحِبًّا إِلَى الرِّعْيَةِ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَاضِي الْفَاضِلَ لَمَّا بَلَغَهُ خَبْرُ قَتْلِهِ ، أَنْشَدَ :

وَأَحْسَنُ مِنْ نَيْلِ الْوِزَارَةِ لِلْفَقِي * حَيَاةً تُرِيهِ مَصْرَعَ الْوِزَرَاءِ

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . كَانَ — عَفَا اللَّهُ عَنْهُ — قَدْ قَتَلَ وَلَدَى الْوَزِيرِ ابْنَ هُبَيْرَةَ وَخَلَقًا كَثِيرًا .

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، قَالَ : وَفِيهَا تَوَفَّى الْوَزِيرُ أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَتَبَّتْ عَلَيْهِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ . وَهَارُونَ ابْنُ الْعَبَّاسِ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْمَأمُونِ صَاحِبُ التَّارِيخِ . وَأَبُو شَاكِرٍ يَحْيَى بْنُ يَوْسُفَ السَّقْلَاطُونِيِّ^(٢) .

§ أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ — الْمَاءُ الْقَدِيمُ خَمْسَ أَذْرَعٍ وَثَلَاثَ أَصَابِعَ . مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَإِحْدَى وَعِشْرُونَ إصْبَعًا .

(١) قَطْفَنًا : مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ أَسْوَاقٍ بِالْجَنَابِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَنْدَادٍ مُجَاوِرَةٍ لِمَقْبَرَةِ الدَّرِيرِ (عَنْ مَعْيَمِ الْبَلَدَانِ لِابْنِ قُوتٍ) . (٢) السَّقْلَاطُونِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى سَقْلَاطُونٍ ، بَلَدٌ بِالرُّومِ تُصْنَعُ فِيهِ الْمَلَابِيسُ الْمُنَوَّنَةُ بِالْأَلْوَانِ الْقَرْمِزِيَّةِ . وَرَاجِعُ الْحَاشِيَةِ رَقْمُ ٦ ص ٨٠ مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .



السنة الثامنة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهي سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

فيها جرى بحث في مجلس ظهير الدين بن العطار [صاحب المخزن] ، في قتال عائشة لعل^(١) . فقال ابن البغدادى الحنفى : كانت عائشة باغية على علي^(٢) ، فصاح عليه ابن العطار وأقامه من مكانه وأخبر الخليفة ، بجمع الفقهاء وسأل : ما يجب عليه؟ فقالوا : يُعزَّر . فقال ابن الجوزى : لا يجب عليه التعزير ، لأنه رجل ليس له علم بالنقل ، وقد سمع أنه جرى قتال ولم يعلم أن السفهاء أثاروه بغير رضا الفريقين ، وتأديبه العفو عنه ، فأطلق .

- وفيها توفى سعد بن محمد بن سعد أبو الفوارس شهاب الدين [بن] الصَّيْنَفِي^(٣) .
 ١٠ التَّمِيمِيّ ، المعروف بالحَيَّصُ بَيْصُ ، كان شاعرا فاضلا ، مدح الخلفاء والوزراء والأكابر ، وله ديوان شعر ، وكانت وفاته ببغداد في شعبان . وسبب تسميته بالحَيَّصُ بَيْصُ أنه رأى الناس في يوم حركة فقال : ما للناس في حَيَّصُ بَيْصُ ! فغلب عليه هذا اللقب . ومعنى هاتين الكلمتين : الشدة والاختلاط . تقول العرب : وقع الناس في حَيَّصُ بَيْصُ [أى في شدة واختلاط] . ومن شعر الحَيَّصُ بَيْصُ — رحمه الله وعفا عنه — :

لم أَلَقْ مُسْتَكْبِرًا إِلَّا تَحَوَّلَ لِي * عند اللقاء له الْعِكْبَرُ الَّذِي فِيهِ
ولا حَلًّا لِي مِنَ الدُّنْيَا وَلَدَّتْهَا * إِلَّا مَقَابِلَتِي لِلَّتِيهِ بَاتِيهِ

- (١) زيادة عن مرآة الزمان والمتنظم وعقد الجمان وما تقدم ذكره المؤلف .
 (٢) يريد وقعة الجمل . وقد تقدم الكلام عليها ستة وستين (ج ١ ص ١٠١) من هذه الطبعة .
 (٣) التكملة عن ابن خلكان والمتنظم وشذرات الذهب وعقد الجمان وما سيذكره المؤلف في هذه السنة قلا عن وفات الذهبي .
 (٤) الزيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان .

وكان الحِصْبُ بَيْضَ يَلْبَسُ زِيَّ الْعَرَبِ ، وَيَتَقَلَّدُ سَيْفًا ، فَعَمِلَ فِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ ^(١)

ابن الفضل :

كَمْ تَتَادَى وَكَمْ تَطْوُلُ طُرُطُو * وَكَ مَا فِيكَ شَعْرَةٌ مِنْ تَمِيمِ ^(٢)
فَكُلِّ الضَّبِّ وَأَقْرُضِ الْحَنْظَلِ [إِلَى * بَس] وَأَشْرَبْ مَا شَتَّ بُولِ الظَّلِيمِ ^(٣)
لَيْسَ ذَا وَجْهٍ مَنْ يُضَيِّفُ وَلَا * يَقْرِي وَلَا يَدْفَعُ الْأَذَى عَنْ حَرِيمِ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو أحمد أسعد بن بلدرك الحِجْرِيَّ البَوَّاب . والحِصْبُ بَيْضُ الشَّاعِرِ شَهَابِ الدِّينِ أَبُو الْفَوَارِسِ سَعْدِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ صَيْفِيٍّ التَّمِيمِيِّ فِي شَوَّال . وَفَرَّ النِّسَاءُ شُهْدَةً بِنْتُ أَحْمَدِ ابْنِ الْفَرَجِ الْإِبْرِيَّ فِي الْمُحَرَّمِ ، وَقَدْ جَاوَزَتْ التَّسْعِينَ . وَأَبُو رَشِيدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الْأَصْبَهَانِيَّ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ . وَأَبُو نَصْرٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الْخَانِقِ الْيُوسُفِيِّ . وَأَبُو الْخَطَّابِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّاجِرُ بِدِمَشْقَ . وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَسِيمٍ الْعَيْشُونِيُّ . § أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ — الْمَاءُ الْقَدِيمُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ وَثَلَاثُ عَشْرَةَ إصْبَعًا . مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ سِتُّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَتِسْعَ عَشْرَةَ إصْبَعًا .



السنة التاسعة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر،

وهي سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

- (١) هو أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادي . توفى سنة ٥٥٨ هـ .
(٢) (عن ابن خلكان) . (٣) في ابن خلكان وتاريخ ابن الوردي : « كم تبارى ... الخ » .
(٤) التكملة عن ابن خلكان وتاريخ ابن الوردي وعقد الجمان .
(٥) كذا في الأصل وعقد الجمان وشذرات الذهب والبداية والنهاية لابن كثير . وفي شرح القصيدة الامامية في التاريخ : « بلدرك » بإلياء التحتية .

فيها ختن السلطان صلاح الدين ولده الملك العزيز عثمان .
وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف
المستنجد بن المقتفي محمد العباسي الهاشمي البغدادي . كان أحسن الخلفاء سيرة ،
كان إماما عادلا شريف النفس حسن السيرة ليس للمال عنده قدر ، حليما شفيقا
على الرعية ، أسقط المكوس والضرائب في أيام خلافته ، وكانت وفاته ببغداد
في ثاني ذي القعدة عن ست وثلاثين سنة ، وكانت خلافته تسع سنين . وهو الذي
عادت الخطبة باسمه في الديار المصرية والبلاد الشامية والثغور ، واجتمعت الأمة على
خليفة واحد ، وأقطع في أيامه دولة بني عبّيد الفاطميين الرافضة من مصر وأعمالها .
ولله الحمد . وأمه أم ولد مولدة .

وفيها توفيت الزاهدة العابدة علم بنت عبد الله بن المبارك . كانت تضاهي
رابعة العدوية في زمانها ، مرض ولدها أحمد بن الزبيدي فأحضر ، وجاء وقت
الصلاة ، فقالت : يا بني ، أدخل في الصلاة ، فدخل وكبر ومات ، فخرجت إلى
النساء وقالت : هينئني ! قلن ماذا ؟ قالت : ولدي مات في الصلاة . فتهجّب الناس
من ذلك . وكانت وفاتها ببغداد ، وعمرها مائة سنة وست سنين ، ولم يتغير لها شيء
من حواسها .

وفيها توفي منصور بن نصر بن الحسين الرئيس ظهير الدين صاحب الخزن للخلفاء ،
ونائب الوزارة . نال من الوجاهة والرياسة ما لم ينله غيره من أطبائه ، إلى أن قبض
عليه الخليفة الناصر لدين الله ، وعلى أصحابه وحواشييه ، وصادره وأجرى عليه العقوبة
إلى أن مات .

(١) ذكر ابن الأثير وفاته في هذه السنة (٥٧٥هـ) ثم قال : « وكانت ولادته سنة ست وثلاثين
ونعمانة » فيكون عمره حين وفاته تسعا وثلاثين سنة . ويؤيده ما في تاريخ أبي الفدا إسماعيل وتاريخ ابن
الوردى . وفي ابن كثير : « توفي وله من العمر تسع وثلاثون سنة » .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال : وفيها توفي أبو الفتح أحمد بن أبي
 الوفاء الحنبلي^(١) بخران . والمستضى بأمر الله أبو محمد الحسن بن المستنجد يوسف
 ابن المقتفي في شوال . وأبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي في جمادى
 الأولى . وأبو الفضل عبد المحسن بن تريك^(٢) الأزجي . وأبو الحسن علي بن أحمد
 الزيدى المحدث الزاهد . وأبو المعالي علي بن هبة الله [بن علي] بن خالدون . والقاضي
 أبو المحاسن عمر بن علي القرشي عم كريمة . وأبو هاشم عيسى بن أحمد الهاشمي
 الدوشابي^(٣) .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم خمس أذرع وست أصابع . مبلغ
 الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وسبع أصابع .



السنة العاشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر،
 وهى سنة ست وسبعين وخمسمائة .

فيها قدمت امرأة إلى القاهرة عديمة اليدين ، وكانت تكتب برجليها كتابةً
 حسنة ، فحصل لها القبول التام ، ونالها مال جزيل .

وفيها حج من العراق الأمير طاشتكين^(٤) ، ومن الشام الأمير سيف الدين علي بن
 المشطوب .

(١) في الأصل : « ابن يزيد » وهو تحريف . وفي شذرات الذهب : « ابن تريك » وهو
 تصحيف . والتصويب عن المتن والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . (٢) التكلة عن المختصر
 المحتاج إليه (٣) في الأصل : « الدستاني » . والتصويب عن شذرات الذهب والباب . والدوشابي :
 نسبة إلى دوشاب وهو الدبى بالعربية وبمه أو عمله . (٤) في الأصل : « تكين » . والتصويب
 عن عقد الجمان ومرآة الزمان وما ساقى ذكره لؤلؤ في بعض السنين القادمة .

- وفيهما توفي أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر السَّلَفيّ^(١) الأصبهاني، وُلِدَ سنة سبعين وأربعمائة، وكان طاف الدنيا ولقي المشايخ، وكان يمشي حافيا لطلب العلم والحديث، وقدم دمشق وغيرها، وسمع بمدة بلاد، ثم دخل مصر وسمع بها، وأستوطن الإسكندرية حتى مات بها في يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر، ودفن داخل الإسكندرية وقد جاوز المائة بخمس سنين . ومن شعره في معنى كِبَر سنّه :

أَنَا إِنِّ بَانَ شَبَابِي وَمَضَى * فَلَرَبِّي الْحَمْدُ ذَهَنِي حَاضِرُ
وَلَنْ خَفْتُ وَجَعْتُ أَعْظَمِي * كِبَرًا غَصْنُ عَلَوِي نَاضِرُ

- وفيهما توفي الملك المعظم نحر الدين شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين صاحب الترجمة لأبيه . كان أكبر من صلاح الدين في السن، وكان يرى في نفسه أنه أحق بالملك من صلاح الدين يوسف المذكور، وكان تبدو منه كلمات في سكره في حق صلاح الدين، وبلغ صلاح الدين، فأبعده وبعثه إلى اليمن، فسفك الدماء وقتل الأمانل وأخذ الأموال . ولم يطب له اليمن فعاد إلى الشام على مضض من صلاح الدين، فأعطاه بعلبك فبلغه عنه أشياء فأبعده إلى الإسكندرية، فتوجه إليها وأقام بها معتكفا على اللهو، ولم يحضر حروب أخيه صلاح الدين ولا غزواته، ومات بالإسكندرية، فأرسلت أخته شقيقته ست الشام، فحملته في تابوت إلى دمشق فدفنته في تربتها التي أنشأتها بدمشق . وكان توران شاه المذكور جوادا ممدحا حسن الأخلاق، إلا أنه كان أسوأ بنى أيوب سيرة وأقبحهم طريقة .

(١) السلفي: نسبة إلى جدّه إبراهيم سلفه (عن ابن خلكان) .

وفيهما توفيَّ الملك غازي بن مودود بن زَنْجِي بن آق سُقُر التركي سيف الدين صاحب الموصل وابن أخى السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد . كان غازي من أحسن الناس صورةً ، وكان وقورا عاقلا غيورا ، ما يدع خادما بالغيا يدخل داره على حرمة ، وكان طاهر اللسان عفيفا عن أموال الناس ، قليل السفك للدماء ، مع شُحٍّ كان فيه .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفيَّ الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِيّ في شهر ربيع الآخر ، وقد جاوز المائة ييقين . وشمس الدولة تُوْران شاه بن أيوب بن شادي صاحب اليمن بالإسكندرية في صفر . وأبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن [بن أحمد بن عليّ] بن صابر السليمي في رجب . وأبو المقاهر سعيد بن الحسين الماموني . وأبو الفهم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد الأزديّ .^(١) ابن أبي العجائز في جمادى الآخرة . وأبو الحسن عليّ بن عبد الرحيم بن العصار السَّامِيّ البغداديّ اللغويّ في المحرم . وصاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود ابن أتابك في صفر ، وله ثلاثون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ثلاث أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست عشرة أصبعا .



السنة الحادية عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر ، وهي سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

(١) التكملة من شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .

(٢) في الأصل : « أبو الحسين » . وما أثبتناه عن المتن والمختصر المحتاج اليه .

فيها عاد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الترجمة من دمشق إلى القاهرة، وأستتاب على الشام [أبن^(١)] أخيه عز الدين فرخشاه . وفيها أمر السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين بالمسير إلى اليمن، فأخذ يتجهز للمسير .

- وفيها بعث السلطان صلاح الدين الخادم بهاء الدين قراقوش إلى اليمن، فتوجه وقبض على سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ، وطلب منه المال؛ وكان نائب أخيه ثوران شاه .
وفيها بُنيت قلعة الجبل بالقاهرة .^(٣)

- وفيها توفى الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ابن آق سُتقر صاحب حلب بمرض القولنج، وكان لما آسدت به مرض القولنج وصف له الحكماء قليل نمر، فقال : لا أفعل حتى أسأل الفقهاء . فسأل الشافعية فأفتوه بالجواز فلم يقبل، وقال : إن الله تعالى قرب أجلي، أيؤخره شرب الخمر ! قالوا : لا . قال : فوالله لا لقيت الله وقد فعلت ما حرم على، فمات ولم يشربه . ولما أشرف على الموت أحضر الأمراء واستحلقتهم لأبن عمه عز الدين [مسعود^(٥)] ابن مودود [صاحب الموصل ؛ فقليل له : لو أوصيت لأبن عمك عماد الدين صاحب سينجار ! فإنه صعلوك ليس له غير سينجار، وهو تربية أهلك وزوج أختك،

- (١) التكملة عن ابن خلكان و امرأة الزمان وابن الأثير وعقد الجمان . (٢) كذا في الأصل . ولم نقف على إرسال بهاء الدين قراقوش إلى اليمن في المصادر التي تحت أيدينا . وقد وجدنا في عقد الجمان في حوادث هذه السنة أن بهاء الدين قراقوش توجه إلى المغرب لمحاربة عبد المؤمن، ثم عاد إلى مصر . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من هذا الجزء . (٤) كذا في الأصل . وفي ابن الأثير والروضتين : « وكان عنده علاء الدين الكاشاني الفقيه الحنفي ... فاستفتاه فأفتاه بجواز شربها » . وفي شذرات الذهب و امرأة الزمان : « فسأل الشافعية فأفتوه بالجواز، وسأل العللاء الكاشاني الحنفي فأفتاه بالجواز أيضا » . (٥) زيادة عن ابن الأثير وشذرات الذهب وعقد الجمان .

وشجاع كريم، وعز الدين له من الفرات إلى همدان؛ فقال: هذا لم يخف عني، ولكن قد علمت استيلاء صلاح الدين على الشام، [سوى ما بيدي^(١)]، ومصر واليمن، وعماد الدين لا يثبت له إذا أراد أخذ البلاد؛ وعز الدين له العساكر والأموال فهو أقدر على حفظ حلب وأثبت من عماد الدين، ومتى ذهب حلب ذهب الجميع؛ فاستحسنوا قوله.

قلت: ولم يخطر ببال أحد أخذ صلاح الدين بن أيوب الشام من الملك الصالح هذا قبل تاريخه، فإنه كان غرس نعمة أبيه الملك العادل، فلم يلتفت صلاح الدين للأيدى السالفة، وآتته الفرصة حيث أمكته، وقاتل الملك الصالح هذا حتى أخذ منه دمشق، فلهذا صار عند الصالح كمين من صلاح الدين.

وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد^(٢) [بن عبيد الله^(٣)] بن أبي سعيد أبو البركات الأنباري النحوي، مصنف كتاب «الأسرار في علم العربية» وكتاب «هداية المذاهب في معرفة المذاهب». كان إماما في فنون كثيرة مع الزهد والورع والعبادة، وكانت وفاته في شعبان.

وفيها توفي عمر بن حمويه عماد الدين والد شيخ الشيوخ صدر الدين وتاج الدين، وهو من ولد حمويه بن علي الحاكم على خراسان إمام السامانية.

(١) زيادة عن ابن الأثير والروطين. (٢) في الأصل هنا: «عبد الرحيم». والتصويب عن ابن خلكان وابن الأثير ومرآة الزمان وبنية الوعاة وشذرات الذهب وعقد الجمان والمختصر المحتاج إليه وما سيذكره المؤلف نقلًا عن الذهبي. (٣) في الأصل: «محمد بن أبي السعادات». والتصويب والزيادة عن ابن خلكان وابن الأثير وبنية الوعاة للسيوطي وعقد الجمان والمختصر المحتاج إليه. (٤) في الأصل: «كتاب الأنوار». وما أثبتناه عن ابن خلكان وشذرات الذهب ومرآة الزمان وتكشف الظنون. (٥) في الأصل: «عمرو». وما أثبتناه عما سيذكره المؤلف نقلًا عن الذهبي وشذرات الذهب والامية في التاريخ. وهو شيخ الشيوخ أبو الفتح عمر بن علي بن الزاهد محمد بن علي بن حمويه الجوهري الصوفي، كما في شذرات الذهب.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة في كتاب الإشارة، قال : وفيها توفى
الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان نور الدين بجلب في رجب، وله ثمانى عشرة سنة.
والكمال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي العبد الصالح . وشيخ
الشيخ أبو الفتوح عمر بن علي الجويني^(٢) .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع . مبلغ
الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وخمس أصابع .



السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
على مصر، وهى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .

- ١٠ فيها سار سيف الإسلام طُغتكين أخو صلاح الدين من مصر إلى اليمن إلى أن
نزل زَبيد، وبها حِطَّان [بن مُنْقِذ الكِنَانِي^(٣)]، فأمره أن يسير إلى الشام، فجمع
أمواله وذخائره ونزل بظاهر زَبيد فقبض عليه سيف الإسلام، وأخذ جميع ما كان
معه، وقيمته ألف ألف دينار، ثم قتله بعد ذلك . وكان عثمان الزنجبيلي بَعْدَن،
فلما بلغه ذلك سافر إلى الشام بعد أن أثرباليمن آثارا كبيرة ووقف الأوقاف ؛
وله مدرسة أيضا بمكة، ورباط بالمدينة وغيرها .

١٥

وفيهما في خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر فقتل البركة قاصدا الشام،
ونجح أعيان الدولة لوداعه، وأنشده الشعراء أبياتا في الوداع، فسمع قائلا
يقول في ظاهر المخيم :

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) في شذرات الذهب : « أبو الفتوح » . (٣) الزيادة عن ابن الأثير .

(٤) يريد بركة الحاج . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

تمتّع من شَمِّمٍ عرارٍ نجيدٍ * فما بعد العشيّة من عرارٍ

فطلب القائل فلم يجدّه . فوجم الناس وتطير الحاضرون ، فكان كما قال .

قلت : وقول من قال ، فكان كما قال ، ليس بشيء ، فإنّ صلاح الدين عاش بعد ذلك نحو العشر سنين ، غير أنّه ما دخل مصر بعدها فيما أظنّ ، فإنّه آستغلّ بفتح الساحل وقتال الفرنج ، كما تقدّم ذكره في ترجمته .

وفيها توفّي أحمد بن عليّ بن أحمد الشيخ أبو العباس المعروف بأبن الرافعيّ ، إمام وقته في الزهد والصلاح والعلم والعبادة . كان من الأفراد الذين أجمع الناس على علمه وفضله وصلاحه . كان يسكن أُمّ عَيّدة بالعراق ، وكان شيخ البطائنة^(١) ، وكان له كرامات ومقامات ، وأصحابه يركبون السّباع ويلعبون بالحيّات ، ويتعلّق أحدهم في أطول النخل ثم يُلقي نفسه إلى الأرض ولا يتألّم ، وكان يجتمع عنده كلّ سنة في المواسم خلقٌ عظيم . قال الشيخ شمس الدين يوسف في تاريخه مرآة الزمان : « حَكَى لِي بعضُ أُمّياخنا قال : حضرتُ عنده ليلة نصف شعبان ، وعنده نحو من مائة ألف إنسان قال : فقلت له : هذا جمع عظيم ، فقال لي : حُشِرْتُ مَحْشَرُ هَامانَ إن خطر بيالي أنّي مقدّم هذا الجمع . قال : وكان متواضعا سليم الصدر مجزدا من الدنيا ما آذَنَرُ شيئا قطّ » . انتهى .

قلت : وعلم الشيخ أحمد بن الرافعيّ وفضله وورعه أشهر من أن يذكر ، وهو أكثر الفقهاء أتباعا شرقا وغربا ، والأعاجم يسمّونه : سيّدَى أحمد الكبير ، وقيل :

(١) البطائنة — سكان البطائع — وهي عِدّة قُرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة ، ولها شهرة بالعراق (عن ابن خلكان) .

إذ سبب مرضه الذي مات منه ، أن عبد الغنى بن محمد بن نقطة الزاهد مضى إلى زيارته ، فأفشد أبياتا منها :

إذا جنّ ليلى هام قلبي . ذكركم * أنوح كما نوح الخيام المطوق
وفوق سحاب يُمطر الهم والأسى * وتحقّ بحار بالأسى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تُفكّ الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول فنى القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيعتق^(١)

وكانت وفاة الشيخ أحمد في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى ، وقد جاوز سبعين سنة .^(٢)

وفيها توفى الأمير فرخشاہ بن شاهنشاه بن أيوب أبو سعد عز الدين . كان من الأماثل الأفاضل ، كان متواضعا متحنيا جوادا شجاعا مقداما ، وكان عمه صلاح الدين قد استنابه بالشام ، وكان فصيحاً شاعرا . مات بدمشق في جمادى الأولى . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

أقرضوني زمنا قريهم * وأستعادوا بالنوى ما أقرضوا
أنا راض بالذى يرضيهم * ليت شعري بالتلاقى هل رضوا؟

وفيها توفى الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي أبو يعقوب صاحب المغرب ، أمير الموحدين . كان حسن السيرة عادلا دينيا ملازما للصلوات الخمس ، لا يسأ للصوف ، مجاهدا في سبيل الله تعالى .

(١) كذا في الأصل . وفي ابن خلكان : وكان للشيخ أحمد مع ما كان عليه من الاشتغال بعبادة شعر ، فنه على ما قيل :

* إذا جنّ ليلى ... الخ *

وقال صاحب شذرات الذهب نقلا عن ابن الجوزي — بعد أن ذكر وفاته كما ذكرها المؤلف — :

« مفهوم كلام ابن الجوزي أن الأبيات لغيره مع أن ابن خلكان ذكر أنها من نظمه » .

(٢) رواية ابن خلكان وشذرات الذهب وعقد الجمان : « فيطلق » .

(٣) في ابن خلكان : « توفى يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى » .

(٤) في مرآة الزمان وعقد الجمان : « وقد جاوز تسعين سنة » .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى الشيخ الكبير أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الرافعي بالبطائح. وأبو طالب الحضرمي هبة الله بن أحمد بن طاموس في شوال. والحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى ابن بسكوال الأنصاري القرطبي في شهر رمضان، وله أربع وثمانون سنة. وأبو طالب أحمد بن المسلم بن رجاء القتيبي التنوخي في شهر رمضان بالإسكندرية. وخطيب الموصل أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي في شهر رمضان عن اثنين وتسعين سنة. وعز الدين فرخشاء بن شاهنشاه بن أيوب نائب دمشق في جمادى الأولى. والقطب النيسابوري أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود شيخ الشافعية في آخر شهر رمضان. وأبو محمد هبة الله بن محمد بن هبة الله الشيرازي بدمشق في شهر ربيع الأول.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سِتْ أذرع وإحدى وعشرون أصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبعان.



السنة الثالثة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهي سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

فيها في يوم الأحد عاشر المحرم تسلم السلطان صلاح الدين آمدا من ديار بكر، ودخل إليها وجلس في دار الإمارة، ثم سلمها وأعمالها إلى نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كَيْفَا، وكان قد وعده بها لما جاء إلى خدمته. ثم عاد

(١) في الأصل: «نور الدين محمود» وهو خطأ. والتصويب عن السيرة و«مرآة الزمان» وابن الأثير والرضتين وعقد الجمان.

إلى حلب وحاصرها حتى أخذها من عماد الدين زكي ابن أنخى نور الدين الشهيد،
وبَدَّلَ له عِوَضَهَا سِنْجَارَ، وعَمِلَ النَّاسُ في ذلك أَسْعَارًا كَثِيرَةً، مِنْهَا :

وَبِعَتْ بِسِنْجَارٍ خَيْرَ الْقَلَاجِ * نَكَلْتُكَ مِنْ بَائِعٍ مُشْتَرِي

وكان في أيام حصار حلب أصاب تاج الملوك بُورِي بن أيوب منهم في عينه فمات

بعد أيام، فحزن أخوه السلطان صلاح الدين عليه حزنا شديدا، وكان يبكي ويقول :

• مَا وَفَّتْ حَلْبُ بِشَعْرَةٍ مِنْ أَنْخَى تَاجِ الْمُلُوكِ بُورِي . ونُحِرَ عِمَادُ الدِّينِ مِنْ حَلْبِ
وَسَارَ إِلَى سِنْجَارٍ . وَلَمَّا طَلَعَ صَلاَحُ الدِّينِ إِلَى قَلْعَةِ حَلْبِ فِي سَلْخِ صَفَرٍ ^(١) [أَنْشَدَنَا]

الْقَاضِي [مَحْيِي الدِّينِ ^(٢) بَنَ] زَكِي الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقُرَشِيُّ قَاضِي دِمَشْقَ أَبَيَانًا مِنْهَا :

وَفَتَحَهُ حَلْبًا بِالسَّيْفِ فِي صَفَرٍ * مَبَشَّرُ بَفَتْوحِ الْقُدْسِ فِي رَجَبٍ ^(٣)

فَكَانَ كَمَا قَالَ، لَكِنْ بَعْدَ سَنَيْنَ ؛ وَهُوَ الَّذِي [خَطَبَ] بِالْقُدْسِ لَمَّا فَتَحَهُ ^(١)
صَلاَحُ الدِّينِ فِي رَجَبٍ .

وفيهما توفي محمد بن بختيار الأديب ، أبو عبد الله المولود المعروف بالأبلة

البغدادي الشاعر المشهور، كان شاعرا ماهرا جمع في شعره بين الصناعة والرقعة .

ومن شعره :

١٥ زَارَ مَنْ أَحْيَا بَزْوَرَتَهُ * وَالذَّبْحِي فِي لَوْنِ طُزْرَتِهِ

فَمَرُّ بَيْنِي مَعَاطِفَهُ * بَانَةٌ فِي ثِيَابِي بُرْدَتِهِ

(١) الزيادة عن امرأة الزمان وابن خلكان . (٢) التلمذة عن السيرة وابن خلكان وتاريخ
ابن الوردي . وفي عقد الجمان : « نَحَرَ الدِّينَ بْنِ الرَّبِّي » . (٣) رواية ابن خلكان .

* وَفَتَحَكَ الْقَلْعَةَ الشَّهْبَاءَ فِي صَفَرٍ *

ورواية عقد الجمان :

٢٠

وَفَتَحَكَ حَلْبَ الشَّهْبَاءِ فِي صَفَرٍ * قَضَى لَكُمْ بِإِفْتِاحِ الْقُدْسِ فِي رَجَبٍ

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْمَوْلَى » . وَمَا أُتْبِنَاهُ عَنْ ابْنِ خَلْكَانَ وَعَقْدِ الْجَمَانِ وَمَرْأَةِ الزَّمَانِ .

يَتُ اسْتَجِيلُ الْمُدَامَ عَلَى * غِزْرَةِ الْوَاشِي وَغُرَّتِهِ
يَالَهَا مِنْ زَوْرَةٍ قَصُرَتْ * فَأَمَاتَتْ طُولَ جَفَوْتِهِ
يَالَهُ فِي الْحَسَنِ مِنْ صَنِمْ * كُنَّا فِي جَاهِلِيَّتِهِ

وله قصيدة طنانة أولها :

دَعْنِي أَكْبَدُ لَوَعَتِي وَأَعَانِي * أَيْنَ الطَّلِيْقُ مِنَ الْأَسِيرِ الْعَانِي

وفيها توفى الملك تاج الملوك بُورِي بن أَيُّوب بن شَادِي أبو سعيد أخو السلطان صلاح الدين من سهم أصابه في حصار حلب كما تقدم ذكره . كان مولد تاج الملوك في ذى الحجة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وكان قد جُمِع فيه محاسن الأخلاق : من مكارم وشيم ولطف طباع ، مع شجاعة وفضل وفصاحة ، وكان شاعرا بليغا . ومن شعره :

رمضان بل رمضان إلّا أنهم * غَلَطُوا إِذَا فِي قَوْلِهِمْ وَأَسَاءُوا
رمضان فيه تحالفا * فنهاره سلّ وأما ليله آستسقاء

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى إسماعيل بن قاسم الزيات بمصر . وتقيّة بنت [غيث بن] عليّ^(٢) الأرمنائزيّة^(٣) الشاعرة . وأبو الفتح عبد الله بن أحمد الأصبهانيّ الحرق في رجب ، وله تسع وثمانون سنة . ومحمد بن بختييار البغداديّ الشاعر المعروف بالأبله . وأبو العلاء محمد بن جعفر بن عقيل ، وله ثلاث وتسعون سنة . وأبو طالب محمد بن عليّ الكفائيّ المحتسب . والعلامة رضيّ الدين يونس بن محمد بن منّة فقيه الموصل .

(١) في الأصل : «مع مكارم وشجاعة» . (٢) النكلة عن شذرات الذهب وابن خلكان .

(٣) في الأصل : «الأرمنائزيّة» . والتصويب عن ابن خلكان وشذرات الذهب . والأرمنائزيّة : نسبة إلى أرمناز : بلدة قديمة من نواحي حلب ، بينها نحو خمسة فراسخ (عن معجم البلدان لباقوت) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .



السنة الرابعة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهي سنة ثمانين وخمسمائة .

فيها حج بالناس من العراق طاشتكين .

وفيها توفى إيلغازي بن ألي بن تمرناش بن إيلغازي بن أرتق قطب الدين صاحب ماردين ، كانت وفاته في جمادى الآخرة . وخلف ولدين صغيرين . وكان مليكا شجاعا عادلا مُنصفا عاقلا .

- ١٠ وفيما توفى عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعد شيخُ الشيوخ صدر الدين وابن شيخ الشيوخ التيسابورى . ^(١) وُلد سنة ثمان وخمسمائة ، وكان فاضلا رسولا بين الخليفة وصلاح الدين ، وكان يلبس الثياب الفاخرة ، ويتخصّص بالأطعمة الطيبة ، فكان أهل بغداد يعيرون عليه حيث لم يسلك طريق المشايخ في التعفف عن الدنيا ، ولما مات رثاه ابن المنجم المصرى ^(٢) :

- ١٥ يا أخلائي وحقّكم * ما بقي من بعدكم فرح
أى صدرٍ في الزمان لنا * بعد صدر الدين ينشرح

(١) كذا في الأصل والمختصر المحتاج إليه وشرح الفريدة اللامية في التاريخ وآبى الرودى وما سيذكره المؤلف نقلا عن الذهبي . وفي آبن الأنير وعقد الجمان : « عبد الرحمن بن إسماعيل » .
(٢) كذا في الأصل والمختصر المحتاج إليه . وفي آبن الأنير وتاريخ آبن الموردي وعقد الجمان : « ابن أبي سعيد » . (٣) في الأصل : « مترسلا » . وما أثبتناه من آبن الأنير .
(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥٩ من هذا الجزء .

وتولى مشيخة الرباط بعده الشيخ صفي الدين إسماعيل .

وفيها توفي محمد بن قرا أرسلان نور الدين صاحب حصن كَيْفَا؛ الذي كان أعطاه السلطان صلاح الدين آمِد . وترك أبنه ظهير الدين سُكَّان صغيراً ، عمره عشر سنين .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعد شيخ الشيوخ في رجب بالرحبة راجعاً في الرسالة^(١) . وأبو عبد الله محمد بن حمزة بن أبي الصَّقر القرشي . وأبو الوفا محمود بن أبي القاسم [عمر] الأصبهاني في شهر ربيع الآخر ، وله إحدى وسبعون سنة . أجاز له طَرَاد^(٢) [الزُّنْبِي النُّقْبِي] وسمع من أبي الفتح [أحمد بن محمد] البيودرحاني . وصاحب المغرب أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن شهيداً على حصار شَتْرَيْن بالأندلس^(٣) في رجب .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعا .



السنة الخامسة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

- (١) كذا بالأصل . (٢) الزيادة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد .
(٣) كذا في الأصل والمختصر المحتاج إليه . ولم نجد هذه النسبة في الكتب التي تحت يدينا . والموجود في كتب الأنساب ومعجم البلدان لياقوت : « البوزجاني » . ولعل ما ورد في الأصل والمختصر محرف عنها . وبوزجان : بلدين هراة ونيسابور . (٤) قد قدم المؤلف وفاته سنة ٥٧٨ هـ .
(٥) شترين كلتان ، إحداهما من « شت » والأخرى من « رين » : مدينة متصلة بالأعمال بأعمال باجة في غرب الأندلس (عن معجم البلدان لياقوت) .

فيها قطع السلطان صلاح الدين الفرات ونزل على الموصل وأفتتح عدّة بلاد .
 وفيها توفي عبد السلام بن يوسف بن محمد الأديب أبو الفتوح الجماهيري^(١)
 كان فاضلاً شاعراً . ومن شعره من قصيدة :

- على ساكني بطن العقيق سَلامٌ * وإن أسهروني بالفراق ونالموا
 حرمت على النوم وهو محللٌ * وحللت التعذيب وهو حرام^(٢)
 ألا يا حمامات الأراك إليكم * فإلي في تغريدكن مَرامُ
 فوجدي وشوقي مُسعدٌ ومؤانسٌ * ونوحي ودمعي مُطربٌ ومُدام
 وفيها توفيت عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنز زوجة السلطان
 صلاح الدين صاحب الترجمة ، تزوجها بعد زوجها الملك العادل نور الدين الشهيد .
 كانت من أعف الناس وأكرمهن ، كان لها صدقات كثيرة ورِعَظِيمٌ ؛ بَنَتْ
 بدمشق مدرسة للحنفية في حجر الذهب^(٣) ، وربّاطاً للصوفية ، وبَنَتْ تربة بقاسيون^(٤)
 على نهر بردى ، وبها دُفِنَتْ ؛ وأوقفت على هذه الأماكن أوقافاً كثيرة . وماتت
 في رجب ، فبلغ صلاح الدين موته وهو مريض بجزان فترأى مرضه لموتها ولحزنه
 عليها . ثم مات بعدها أخوها سعد الدين مسعود بن أنز في هذه السنة ، وكان من
 أكابر الأمراء ، زوجه صلاح الدين أخته ربيعة خاتون . فلما توفي تزوجها بعده
 الأمير مظفر الدين بن زين الدين .

وفيها توفي محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى الأمير
 ناصر الدين ابن عم السلطان صلاح الدين . كان السلطان صلاح الدين يخافه لأنه

- (١) في الأصل : « أبو الفتح » . وما أثبتناه عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .
 (٢) في الأصل : « الجماهير » . والتصويب عن شرح القاموس والمختصر المحتاج اليه .
 (٣) في المختصر المحتاج اليه : « حطرم » . (٤) حجر الذهب : محلة بدمشق .
 (٥) بردى : نهر بدمشق .

كان يدعى أنه أحق بالملك منه . وكان السلطان صلاح الدين يبلغه عنه هذا ، وكان زوج أخت السلطان صلاح الدين ست الشام بنت أيوب . ومات بمحص في يوم عرفة ، وتناثر لحمه حتى قيل إنه سم ، وقيل : مات بجأة ، فنقلته زوجته ست الشام إلى تربتها ، ودفنته عند أخيها الملك المعظم توران شاه بن أيوب المقدم ذكره . ولما بلغ صلاح الدين موته أبى على ولده أسد الدين شيركوه بن محمد المذكور ما كان بيند والده : محص وتدمر والرحبة وسامية ، وخلع عليه وكتب منشورا بذلك . وفيها توفي محمد بن أحمد بن فتح الدين البغدادي الحنفي ، كان فقيها شاعرا أديبا . ومن شعره في ملبح عليه قباء كمة مطرز :

صَمَّمْتُ مُسَدِّبِي لَمَّا أَتَانِي * وَرَقَمُ طِرَازِهِ قَدْ رَاقَ عَيْنِي
فِيَا طَرَّزِيهِ هَلْ يُدْنِي زَمَانِي * لِيَالِي وَصَالِنَا بِالرَّقَّتَيْنِ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي أبو الطاهر إسماعيل ابن مكي^(١) [بن إسماعيل بن عيسى] بن عوف الزهرى شيخ المالكية بالشعر في شعبان . وصاحب أذربيجان البهلوان [محمد]^(٢) بن إيلدكر . والشيخ حياة بن قيس الحوزاني العابد في جُمادى الأولى . وأبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد التتوني كاتب نور الدين . والمهذب عبد الله بن أسعد [بن علي] بن الدهان الموصلى الشافعى^(٣) النحوى الشاعر في شعبان بمحصى . والحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي^(٤) الإشبيلي في شهر ربيع الآخر بجاية ، وله سبعون سنة . والحافظ أبو زيد عبد الرحمن^(٥)

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبي وشذرات الذهب . (٢) في الأصل : « بهلوان بن الركن » . والزيادة والتصويب عن ابن الأثير وتاريخ أبي الفداء وتاريخ ابن الرودى وعقد الجمان . (٣) التكملة عن تاريخ الاسلام وعقد الجمان وطبقات الشافعية وشذرات الذهب . (٤) بجاية : مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) في تاريخ الاسلام وعقد الجمان وشذرات : « أبو القاسم وأبو زيد » .

- آبن عبدالله السَّهْلِيّ - المَالِيْقِيّ^(١) الأديب في شعبان . وعبد الرازق بن نصر بن المسلم النجار
الدمشقيّ . وأبو الفتح [عُبيد الله بن] عبد الله [بن محمد بن نجا] بن شاتيل الدباس^(٢)
في رجب ، وله تسعون سنة . وأبو الجيوش عساكر بن عليّ المقرئ بمصر . وأبو حفص
عمر بن عبد المجيد الميَّانِشِيّ^(٣) بمكة . وأبو المجد الفضل بن الحسين البانياسيّ في شوال .
وصاحب حصن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه . والحافظ أبو سعد محمد بن
عبد الواحد الصائغ بأصبهان في ذى القعدة . والحافظ العلامة أبو موسى محمد بن
أبي بكر عمر بن أبي عيسى المدينيّ في جمادى الأولى ، وله ثمانون سنة .
- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعا .
بمبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبع واحدة .



١٠

السنة السادسة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على
مصر ، وهي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

- فيها حَكَمَ المنجمون في الآفاق بخراب العالم في جمادى الآخرة ، وقالوا : تَقْتَرِنُ
الكواكب السيّارة : الشمس والقمر وزحل والمريخ [والزهرة^(٦)] وعطارد والمشتري
في برج الميزان أو السرطان ، فتؤثر تأثيرا يضمحل به العالم ، وتهبّ سموم محرقة تحل

١٥

- (١) المالىقي : نسبة الى مالقة ، مدينة بالأندلس عاصمة من أعمال دية ، سورها على شاطئ البحر
بين الجزيرة الخضراء والمرية . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) التكلة عن تاريخ الاسلام
وشذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد . (٣) في الأصل : «شاييل» . والتصويب
عن تاريخ الاسلام وشرح القاموس وشرح القصيدة اللامية في التاريخ . (٤) الميائني : نسبة
الى ميائش ، قرية من قرى المهديّة بأفريقية (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) في الأصل :
«أبو سعيد» . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية في التاريخ .
(٦) زيادة عن امرأة الزمان وعقد الجمان .

٢٠

وملا أحر ، فاستعدّ الناس وحفروا السرايب وجمعوا فيها الزاد . وأنقضت المدة
المعينة ، وظهر كذب المنجمين . فقال [أبو الفنائم محمد ^(١)] بن المعلم في أبي الفضل
المنجم قصيدة طنانة :

قُلْ لأبي الفضل قولٌ مُعْتَرِفٌ * مضى جُمادى وجاءنا رَجَبٌ
وما جَرَتْ زَفَرَةٌ كَمَا حَكَمُوا * ولا بَدَأَ كَوَكَبٌ لَهُ ذَنْبٌ

ومنها :

مُدَبَّرُ الأَمْرِ واحدٌ ليس للسَّبِّ * عَمَةٌ في كُلِّ حَادِثٍ سَبَبٌ
لا المُشْتَرَى سَالِمٌ ولا زُحْلٌ * باقٍ ولا زُهْرَةٌ ولا قُطْبٌ

ومنها :

فليُطِيلِ المدعون ما وَضَعُوا * في كُتُبِهِمْ ولْيُخْرِقِ الكُتُبُ

قلت : وهذا الكذب متداول بين القوم إلى زماننا هذا ، حتى إنه لا يمضي
شهر إلّا وقد أوعدوا الناس بشيء لا حقيقة له . والعجب أن الشخص من العامة
إذا كذب مرة على رجل يستحي ولا يعود إلى مثلها ، وهؤلاء القوم لا عرض لهم
ولا دين ولا مروءة . والله دَرُ القائل ولم أدري لمن هو :

دع النجومَ لصوفيٍّ يعيش بها * وبالغزائم فانهض أيُّها الملكُ
إن النبيَّ وأصحابَ النبي نهَوْا * عن النجوم وقد أبصرت ما ملَكُوا

(١) التكملة عن امرأة الزمان وعقد الجمان وأبن خلكان . وهو أبو الفنائم محمد بن علي بن فارس بن علي
ابن عبد الله بن الحسين بن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطي الحرقي الملقب بنجم الدين الشاعر المشهور .
كان شاعرا رقيق الشعر وشعره يذوب من رفته . وسيدكر المؤلف وفاته سنة ٥٩٢ هـ .

(٢) هو أبو الفضل الخازمي المنجم نزيل بغداد ، كان منجبا يفتاد يتكلم في الأحكام النجومية ويقلده
الناس فيما يقول ويدعى أكثر ما يعلم (راجع ترجمته في تاريخ الحكماء ص ٤٢٦) .

(٣) في الأصل : « وما جرى » . وما أثبتناه عن امرأة الزمان والروضين وعقد الجمان وتاريخ
الحكماء لابن الفطحي .

وفيها عاد السلطان صلاح الدين إلى الشام وتلقاه شيركوه بن محمد بن شيركوه وأخته سقري خاتون أولاد ابن عمه محمد بن أسد الدين شيركوه وزوجته ست الشام، وهي أخت السلطان صلاح الدين؛ فقال السلطان لأخيه العادل أبي بكر بن أيوب: إقسم التركة بينهم على فرائض الله تعالى. وكان محمد قد خلف أموالا عظيمة، فكان مبلغ التركة ألف ألف دينار.

وفيها دخل سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى مكة، ومنع من الأذان في الحرم بـ «حى على خير العمل».

وفيها قسم السلطان صلاح الدين البلاد بين أهله وولده برأى القاضي الفاضل، فأعطى مصر لولده العزيز عثمان؛ والشام لولده الأفضل؛ وحلب لولده الظاهر؛ وأعطى أخاه العادل أبا بكر إقطاعات كثيرة بمصر، وجعله أنابك العزيز؛ وأعطى لابن أخيه تقي الدين حمزة والمعزة ومنبج وأضاف إليه ميافايقين.

وفيها توفي الحسن بن علي بن بركة أبو محمد المقيري النحوي، كان إماما فاضلا أنتفع بعلمه خلائق كثيرة، وكان أديبا بارعا ومات في شوال. ومن شعره:

وما شتأن الشيب من أجل لونه * ولعكته حاد إلى الموت مسرع^(١)

إذا ما بدت منه الطليعة أذنت * بأن المنسايا بعدها تتطلع^(٢)

وفيها توفي عبد الله [بن برى]^(٣) بن عبد الجبار المعروف بأبن برى النحوي بمصر، كان إماما أديبا فاضلا بارعا في علم النحو والعربية، وأنتفع به خلق كثير، ومات بمصر في شوال. وكان حجة ثقة. ومن شعره — رحمه الله —:

(١) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي. ورواية مرآة الزمان وعقد الجمان: «ولكنه داع».

(٢) التكلة عن ابن خلكان وبغية الوعاة وفضائل الأعلام وعقد الجمان وأمن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبي.

خَدَّ وَثَغْرٌ بِخَلِّ رَبٍّ * بِمُدْعِ الْحَسَنِ قَدْ تَفَرَّدَ

فَذَا عَنِ الْوَاقِدِيِّ يَرَوِي * وَذَاكَ يَرَوِي عَنِ الْمَبْرَدِ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو محمد عبد الله
أبن بَرِّى النحوى بمصر في شوال ، وله ثلاث وثمانون سنة . وأبو محمد عبد الله بن
محمد بن جرير القرشى الناصح ببغداد . وأبو محمد الحسن بن علي [بن بركة^(١)] بن عبيدة
الكوفى النحوى المقرئ في شوال .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وأكثنا عشرة إصبعا .
ميلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبع واحدة .



١٠ السنة السابعة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب
على مصر، وهى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .
فيها فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس وعكّا وحصونا كثيرة بالساحل،
بعد أمور وحروب ذكرناها في ترجمته .

وفيها توفى على بن أحمد بن علي بن محمد قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى
١٥ الحنفى قاضى قضاة بغداد . قال أبو المظفر : قاضى ابن قاضى ابن قاضى ابن قاضى
ابن قاضى ابن قاضى . وُلِدَ سنة ثلاث عشرة وخمسمائة^(٢)، وولاه الخليفة المقتنى
القضاء بمدينة السلام وسائر البلاد مشرقا ومغربا ، وأقره المستنجد ثم عزله ، ثم أعاده

(١) النكبة عما تقدم ذكره للزواف .

(٢) فى الأصل : « سنة عشر وخمسمائة » . والتكريب عن تاريخ الاسلام للذهبي وعقد الحان
والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والجواهر المضية فى طبقات الحنفية (نسخة مخطوطة محفوظه
٢٠ مدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ م تاريخ) للشيخ عبد القادر بن أبي الوفاء القرشى .

المستضيء سنة سبعين وخمسمائة ؛ ثم أقتره الناصر لدين الله تعالى إلى أن توفى ببغداد في ذى القعدة ودفن بالشُّونِيزِيَّةَ عند جدّه لأُمّه أبي الفتح الشاوي^(١) . وكان إماماً فقيهاً عالماً تَزَاهَا عَظِيمًا معدوداً من كبار فقهاء السادة الحنفية — رحمه الله تعالى — .

وفيها توفى محمد بن عبد الملك بن المقدم^(٢) الأمير شمس الدين، كان من أكابر

- أمراء الملك العادل نور الدين، ثم صلاح الدين يوسف بن أيوب . وله المواقف المشهودة، وحضر جميع فتوحات السلطان صلاح الدين، ثم إنه استأذن صلاح الدين في الحج فأذن له على كُرْهِه من مفارقتها ؛ فلما وصل إلى عرفات أراد أن يرفع علم صلاح الدين ويضرب الطبل، فمنعه طاشتكين وقال : لا يُرْفَعُ هنا سوى علم الخليفة . فقال ابنُ المقدم هذا : والسلطانُ مَمْلُوكُ الخليفة . فمنعه طاشتكين، فأمر ابنُ المقدم غلمانَه فَرَفَعَ العلم فنكسوه، فركب ابنُ المقدم ومن معه، وركب طاشتكين له ؛ وأقتلوا فقتل من الفريقين ، ورعى مملوك طاشتكين ابنُ المقدم بهم فوق في عينه فخر صرباً، وجاء طاشتكين وحمله إلى خيمته فتوفى في يوم الخميس يوم النحر ودفن بالمعلّى . ثم أرسل الخليفة يعتذر لصلاح الدين أن ابنَ المقدم كان الباغى، فلم يقبل صلاح الدين، وقال : أنا الجواب عن الكتاب . ولولا اشتغاله بالجهاد لكان له وللخليفة شأن .

١٥

وفيها توفى محمد بن عبيد الله الأديب أبو الفتح البغدادي، المعروف بسببط [ابن] التَّعَاوِيذِي . الشاعر المشهور . وله ديوان شعر كبير، الموجود غالبه في المديح .

ومن شعره — رحمه الله — في خير المديح، في الزهد :

(١) كذا في الأصل . وفي كتاب الجواهر المضية في طبقات الحنفية : « أبي الفتح السامى » بالسین المهملة .

٢٠

(٢) في الأصل : « محمد بن عبد الله » . والتصويب عن ابن الأثير وشذرات الذهب وتاريخ ابن الوردي وعقد الجمان والروضتين وتاريخ الإسلام .

إجعل همومك واحداً * وتخل عن كل الموموم
فمساك أن تحظى بما * يُفنيك عن كل الموموم

وله :

فكم ليلة قد بثّ أرشف ريقه * وجرت على ذاك الشيب المنضد
وبات كما شاء الغرام معانيق * وبث وإياه كحرف مشدد

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي شيخ الفتوى
عبد الجبار بن يوسف ببغداد . والمحدث أبو العز عبد المغيث بن زهير الحريري .

وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن أحمد ابن قاضي القضاة علي بن محمد بن الدامغاني

الحفي . وأبو الفتح محمد بن يحيى بن محمد بن مواهب البرداني . والأمير الكبير

شمس الدين محمد [بن عبد الملك] بن المقدم النوري ، قُتل بعرفات . وأبو السعادات

نصر الله بن عبد الرحمن بن محمد [يعرف] بابن زريق القزافي شهر ربيع الآخر ، وله

أثنتان وتسعون سنة . وشيخ الحنابلة ناصح الدين أبو الفتح نصر بن فتيان [بن مطزف

المعروف بأ] بن المني في رمضان عن إحدى وثمانين سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثمانى أصابع .

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنا عشرة إصبعا .



السنة الثامنة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

على مصر ، وهى سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

(١) في شذرات الذهب : « أبو العز » . (٢) البرداني : نسبة الى بردان ، قرية ببغداد .

(٣) الكلمة عما تقدم للزلف . (٤) الزيادة عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد

والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي . (٥) في المشتبه وشذرات الذهب : « ناصح الإسلام » .

(٦) الكلمة عن تاريخ الاسلام للذهبي وابن الأثير والمختصر المحتاج اليه .

فيها توفى الأمير أسامة بن مُرشِد بن علي بن المقلد بن نصر بن مُنقذ الأمير أبو الحارث مؤيد الدولة مجد الدين الكِنَانِي . مولده بِشَيْرَ في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكانت له اليد الطولى في الأدب والكتابة والشعر، وكان فارساً شجاعاً عاقلاً مدبراً، كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب الجاهلية، وطاف البلاد ثم استوطن حمّة فتوفى فيها في شهر رمضان، وقد بلغ ستاً وتسعين سنة .
وله ديوان شعر مشهور، وكان السلطان صلاح الدين مغرّياً بشعره . ومن شعره في قلع الضّرس :

وصاحب لا أمل الدهر حُبَّته * يَشْقَى لَفْيِي ويسعى سعى مجتهد
لم ألقه مُدّ تصاحبنا فُذُّ وقعت * عيني عليه آفرتنا فرقة الأبد

وقال في أيام الملك العادل نور الدين الشهيد :

سلطاننا زاهدٌ والناس قد زهدوا * له فكلُّ على الخيرات مُنكشُ
أيامه مثل شهر الصَّوم طاهرة * من المعاصي وفيها الجوع والعطشُ

وفيها توفى مجاهد الدين خالص بن عبد الله الناصري - خادم الخليفة الناصر لدين الله، كان قريباً من الخليفة سلم إليه مماليكه الخواص، وكان سليم الباطن ديناً، صلى به إمامه صلاة الفجر فقرأ الإمام فيها : ﴿ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِمَلَكَةٍ مَوْتًا يَصْلَحْ لَهُهَا فَعَلَيْهَا وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۝ ﴾ . فلما سمع خالص ذلك رفع صوته وهو في الصلاة وقال : صلى الله عليك يا رسول الله .

(١) كذا في الأصل . وفي ابن خلكان وشذرات الذهب وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبي :

« أبو المظفر » . وفي ابن كثير : « أبو الحارث وأبو المظفر » . (٢) في ابن خلكان وعقد الجمان

وابن كثير : « وتوفى بدمشق » . (٣) في الأصل : « لم أمل » . وما أثبتناه عن شذرات

الذهب وابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير . (٤) في الأصل : « فذ نظرت » . وما أثبتناه عن

شذرات الذهب . ورواية ابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير * ... لحين بدا * لناظري اقرقنا ... *

فَضِيحُكُ الْقَوْمِ وَقَطَعُوا الصَّلَاةَ . فَقَالَ لَهُمْ خَالِصُ الْمَذْكُورِ : مَجَانِينَ أَنْتُمْ ! يَقُولُ اللَّهُ :
(صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وَأَسْكُتُ أَنَا !

وفيهما تُوَفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ عَلِيٍّ ؛ أَبُو حَامِدٍ
مُحْيِي الدِّينِ الشَّهْرُزُورِيُّ - الإمام الفقيه ؛ وَلى الْقَضَاءِ بِالْمَوْصِلِ ، وَقَدِمَ بِغَدَادَ رَسُولًا
مِنْ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، فَأَكْرَمَهُ الْخَلِيفَةُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ . ثُمَّ عَادَ فَمَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى .
وَمِنْ شَعْرِهِ :

وَلَمَّا شَابَ رَأْسُ الدَّهْرِ غَيَّظًا * لِمَا قَاسَاهُ مِنْ فَقْدِ الْكَرَامِ
أَقَامَ يُحِيطُ عَنْهُ الشَّيْبَ عَمْدًا * وَيَنْشُرُ مَا أَمَاطَ عَلَى الْأَنَامِ

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، قَالَ : وَفِيهَا تُوَفِّيَ الْأَمِيرُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ
أَبُو الْمُظَفَّرِ أَسَامَةُ بْنُ مُرْشِدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُقَلَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُتَقِدِ الْكِتَّانِيِّ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ عَنْ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً . وَظَاعِنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّبَيْرِيُّ الْخِطَّاطُ . وَأَبُو الْقَاسِمِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [بْنِ يَوْسُفَ بْنِ أَبِي عَيْسَى الْقَاضِي] بْنِ حُبَيْشِ الْأَنْصَارِيِّ
بِمَرْسِيَّةٍ ، وَكَانَ خَطِيبِيًا وَقَاضِيًا وَمُحَدِّثًا وَمُسْنَدًا ، تُوَفِّيَ فِي صَفَرٍ . وَأَبُو الْقِبَالِ
أَبْنُ عَلِيٍّ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَزِيَادَةٍ . وَالْعَلَّامَةُ شَمْسُ الْأُتُمَةِ عِمَادُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ شَمْسِ الْأُتُمَةِ
بِكَرْبَنَ مُحَمَّدَ الزَّرَنْجِيَّ الْبِخَارِيَّ شَيْخَ الْحَنْفِيَّةِ فِي شَوَّالٍ ، وَلَهُ خَمْسُونَ سَنَةً .

(١) فِي الْأَصْلِ وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ : « كَمَالَ الدِّينِ » . وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ ابْنِ خُلْكَانَ وَعَقْدُ الْجَمَانِ
وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ وَابْنُ الْأَثِيرِ وَابْنُ كَثِيرٍ ، وَقَدْ أَجْمَعْتُ كُلَّ هَذِهِ الْمَوَادِّ عَلَى أَنَّهُ تُوَفِّيَ سَنَةَ ٥٨٦ هـ وَوَفَّقَهُمُ
الذَّهَبِيُّ وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ فِي ذَلِكَ . (٢) رَوَايَةُ ابْنِ خُلْكَانَ : * أَقَامَ يُحِيطُ هَذَا الشَّيْبَ عَنْهُ *
(٣) نَفَذْتُ فِيمَنْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ وَفَاتَهُمْ أَنَّهُ بَلَغَ سِتًّا وَتِسْعِينَ سَنَةً . (٤) فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ :
« ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ » . (٥) التَّكْلُفَةُ عَنْ بَقِيَّةِ الْوَعْدَةِ لِلْسُّبُطِيِّ وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ .
(٦) مَرْسِيَّةٌ : مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ أَعْمَالِ تَدْمِيرٍ ، اخْتَطَطَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ (عَنْ مَعْمَرِ
الْبُلْدَانِ لِابْنِ تَوْتُ) . (٧) هُوَ عَشِيرَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَحَدِ بْنِ الْفَتْحِ أَبُو الْقِبَالِ كَمَا فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ .
(٨) الزَّرَنْجِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى زَرْجِيٍّ : بَلَدُهُ بِبِخَارٍ (عَنْ مَعْمَرِ الْبُلْدَانِ لِابْنِ تَوْتُ) .

وأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن صدقة الحراني الناجر، وله سبع وتسعون سنة . والحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني في جمادى الأولى شاباً، وله خمس وثلاثون سنة . وأبو الفرج يحيى بن محمود النقي الصوفي في نواحي همدان غربياً .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وأثنا عشرة إصبعا .
• مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السنة التاسعة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهي سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

- ١٠ فيها ولي السلطان صلاح الدين على عكة حسام الدين بشارة، وولي على عمارة سورها الخادم بهاء الدين قراقوش .

وفيهما توفي الأمير طمان بن عبد الله النوري صاحب الرقة ، كان شجاعاً جواداً محباً للخير كثير الصدقات يحب الفقهاء والعلماء ، بنى مدرسة بحلب للحنفية . وكانت وفاته في ليلة نصف شعبان ؛ وحزن السلطان صلاح الدين عليه والمسلمون لحرقه على الجهاد ولمواقفه المشهودة .

- ١٥ وفيها توفي عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي^(١) أبو سعد بن أبي السري التميمي الموصلي القاضي شرف الدين بن أبي عَصْرُون . كان إماماً فاضلاً مصنفًا ، وكان خَصِيصاً بالملك العادل نور الدين ، ثم أقضى به السلطان صلاح الدين ، وولي القضاء بعدة بلاد وضر قبل وفاته بعشر سنين . ومن شعره قوله :

- (١) في الأصل : « ابن علي بن المطهر » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان . (٢) يريد أنه استقضاء أي ولاية القضاء .

كُلُّ جَمْعٍ إِلَى الشَّتَاتِ يَصِيرُ * أَيْ صَفَوْ مَا شَاءَهُ التَّكْدِيرُ
أَنْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَمَانِ مَقِيمٌ * وَالْمَنَاسِبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ تَسِيرُ

وفيها توفى الفقيه عيسى الهكاري ضياء الدين، حضر فتح مصر مع أسد الدين شيركوه، وهو الذي مشى بين الأمراء وبين السلطان صلاح الدين لما ولي وزارة العاضد بعد موت عمه أسد الدين شيركوه، حسب ما تقدم ذكره حتى تم أمره . ثم حضر مع السلطان صلاح الدين فتح القدس والغزوات، وكان صلاح الدين يميل إليه ويستشير به، وكانت الله قد أقامه لقضاء حوائج الناس والتفريج عن المكروبين مع الورع والعفة والدين — رحمه الله — .

وفيها توفى الأمير مؤسك بن جكو [أبن] خال صلاح الدين . كان حافظا للقرآن سامعا للحدِيث، وكان محسنا إلى الناس ملازما للسلطان في غزواته، وكان دينا صالحا جوادا، مريض بمرج عكا فأمره السلطان أن يمضي إلى دمشق ليتطبب بها، فتوجه إلى دمشق ومات بها — رحمه الله — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى أبو العباس التُّرك أحمد بن أحمد بن محمد بن يتال شيخ الصوفية بأصبهان ومُسندُها في شعبان . وأبو الحسين أحمد بن حمزة المَوَازِينِي في المحرم . وقاضى القضاة شرف الدين أبو سعد عبد الله ابن محمد بن أبي عَصْرُون التَّمِيمِي المَوْصِلِي في رمضان . وأبو الفضل عبد الحميد بن [الحَصِينِي بن يوسف بن الحسن بن أحمد بن] دَلِيل الإسكندراني المعدل . وشيخ

(١) هو أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف بن القاسم بن عيسى بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — (راجع ترجمته في ابن خلكان) . (٢) التكلة عن الرضتين وعقد الجمان وتاريخ الإسلام . (٣) في الأصل: «أبو الحسن» . والتصويب عن المختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي . (٤) التكلة عن تاريخ الإسلام للذهبي .

الشافعية أبو طالب المبارك بن المبارك [بن المبارك] الكرخي^(١) صاحب ابن الخليل .
وأبو المعالي [وأبو النجاح] منجب بن عبد الله المرشدي الخادم في المحزم . والحافظ
يوسف بن أحمد الشيرازي ثم البغدادي الصوفي .

§ أمر النيل في هذه السنة -- الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنان وعشرون إصبعا .



السنة العشرون من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على
مصر ، وهي سنة ست وثمانين وخمسمائة .

فيها ملك سيف الإسلام أخو السلطان صلاح الدين صنعاء من بلاد اليمن .
وفيها حج بالناس من العراق طاشتكين المذكور في السنة الماضية .
وفيها توفي مسعود [بن علي] بن عبيد الله أبو الفضل بن النادر الصقار الأديب^(٢)
الشاعر ، كان بارعا في الأدب ، وكتب خطأ حسنا نحو من مائة ربعة . ومن
شعره قوله :

تولوا فأولوا الجسم من بعدهم ضنا * وحرأ شديدا في الحشا يترايد
وزاد بلائي بالذين أحبهم * وللناس فيما يذهبون مقاصد
وفيها توفي يوسف بن علي بن بكتكين الأمير زين الدين صاحب إربل .
كان قديم إلى السلطان صلاح الدين نجدة فريض ومات ، وفريح بموته أخوه مظفر

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان والمختصر المحتاج اليه وطبقات الشافعية .

(٢) في عقد الجمان : « الكرخي » بالميم . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي .

(٤) في الأصل : « مسعود بن عبد الله » . والزيادة والتصحيح عن مرآة الزمان وعقد الجمان
والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام .

الدين، وتولّى إرّيل مكانّه من قِبَلِ السلطان صلاح الدين . وكان زين الدين أميراً كبيراً شجاعاً مقداماً مدبراً .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى الحافظ أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التّغَلّبيّ الدمشقيّ^(١)، وله تسع واربعون سنة . وأبو الطيّب عبد المنعم بن يحيى [بن خُلف بن نفيس^(٢)] بن الخُلوّف الغرناطيّ المقرئ . وأبو عبد الله محمد بن سعيد [بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد البر بن مجاهد المعروف بـ] أبْن زَرْقُون الإشبيليّ المالكيّ المسند . وأبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الفَرَح بن الجَدّ الفهريّ الحافظ بإشبيلية . وقاضى القضاة محيى الدين أبو حامد محمد أبْن قاضى القضاة كمال الدين بن الشَّهرزُورِيّ ، وله اثنتان وستون سنة . ولى حلب ثم الموصل .

في أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .



السنة الحادية والعشرون من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهى سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فيها كان آسنلاء الفرنج على عكا، كما تقدّم في ترجمة السلطان صلاح الدين من هذا الكتاب .

(١) فى الأصل : «أبو المواهب الحسين» . والتصويب عن شذرات الذهب وطبقات الحفاظ للسيوطي والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام للذهبي . (٢) التكلة عن غاية النهاية فى أسماء رجال القراءات وتاريخ الإسلام للذهبي والتكلة لكتاب الصلة لأبن الأبار . (٣) التكلة عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٤) قد قدم المؤلف وفاته سنة ٥٨٤ هـ .

وفيها توفى الموفق أسعد بن [إلياس بن جرجس]^(١) المطران الطيب . كان نصرانياً فأسلم على يد السلطان ، وكان غزير المروءة حسن الأخلاق كريم العشرة . وكان يضحيه صبي حسن الصورة اسمه عمر . وكان الموفق يحب أهل البيت ويبغض ^(٢)آبن عتبن الشاعر ثلبت لسانه ، وكان يحرض السلطان صلاح الدين عليه ويقول له : أليس هذا هو القاتل :

سُلطاننا أعرج وكتبه * أعمش والوزير منحذب

فهباه آبن عتبن بقوله :

قالوا الموفق شيعي فقلت لهم * هذا خلاف الذي للناس منه ظهر
فكيف يحتمل دين الرقض مذهبه * وما دعاه إلى الإسلام غير عمر

وفيها توفى سليمان بن جندر . كان من أكابر أمراء حلب ، ومشايخ الدولتين :
التورية والصلاحية ، شهد مع السلطان صلاح الدين حروبه كلها ، وهو الذي أشار
بخراب عسقلان مصلحة للسامين . ومات في أواخر ذي الحجة .

وفيها توفى عمر بن شاهنشاہ بن أيوب الملك المظفر تقي الدين . قد ذكرنا
من أمره : أن عمه السلطان صلاح الدين كان أعطاه حماة ، وعتة بلاد من حماة إلى
ديار بكر ، فطمع في مملكة الشرق فتفرت عنه وعن عمه صلاح الدين القلوب لعظم
طمعهما . ووقع تقي الدين هذا مع بكتمر^(٣) [بن عبد الله مملوك شاه أرمين] صاحب
خلاط وقائع وحروب ، فات تقي الدين بتلك البلاد ، فحكم محمد ولده موته ، وحمله

(١) الكلمة عن تاريخ الإسلام للذهبي وعبوت الأنبا . في طبقات الأطباء . لابن أبي أصيمة .

(٢) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عتبن الأنصاري الملقب شرف الدين

الكوفي الأصل الدمشقي المولود ، الشاعر المشهور . توفى سنة ٦٣٠ هـ (عن ابن خلكان) .

(٣) الكلمة عما سبأ في المؤلف في حوادث سنة ٥٨٩ هـ .

إلى ميا فارقين ، فُدِّفِنَ بها . وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر شهر رمضان ، ثم بنيت له مدرسة بظاهر حماة ، فُنُقِلَ إليها . وكان السلطان صلاح الدين يكره أبنه محمدا فأخذ منه بلاد أبيه ، وأبقى معه حماة لا غير . ولُقِّبَ محمدا بهذا الملك المنصور . وهو أبو ملوك حماة من بني أيوب الآتي ذكرهم . وكان تقي الدين شجاعا مقداما شاعرا فاضلا ، عاشر العلماء والأدباء وتخلق بأخلاقهم ، وله ديوان شعر . ومن شعره :

يا ناظِرِيهِ تَرَفَّقَا * ما في الِوَرَى لِكَا مُبَارِزُ
هَبْكُمْ حَبِيبُكُمْ أَنْ أَرَا * هُفْهَلْ لِقَابِ الصَّبِّ حَاجِزُ

وفيها توفي يحيى السُّهْرَوَرْدِيُّ المقتول بحلب ، كان يعانى علوم الأوائل والمنطق والسيماء وأبواب التَّيَحِّيَّاتِ ، فأستمال بذلك خلقا كثيرا وتبعوه ، وله تصانيف في هذه العلوم . واجتمع بالملك الظاهر آبن السلطان صلاح الدين صاحب حلب ، فأعجب الظاهر كلامه ومال إليه . فكتب أهل حلب إلى السلطان صلاح الدين : أَدْرِكْ وَلَدَكَ وَإِلَّا نَتَلَفَ عَقِيدَتُهُ ، فكتب إليه أبوه صلاح الدين بإيماده فلم يُبْعِدْهُ ، فكتب بمناظرته ، فناظره العلماء فظهر عليهم بعارته ، فقالوا : إِنَّكَ قُلْتَ فِي بَعْضِ تَصَانِيفِكَ : إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ نَبِيًّا ، وهذا مستحيل . فقال : ماوجه استحالة؟ فَإِنَّ اللَّهَ الْقَادِرُ هُوَ الَّذِي لَا يَمْنَعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ . فمعضبوا عليه ، فحبسه الظاهر وجرت بسببه خُطُوبٌ وَشَنَاعَاتٌ . وكان السُّهْرَوَرْدِيُّ رَدِيءَ الْهَيْئَةِ ، زَرَى الْخَلِيقَةَ ، دَنِسَ الثِّيَابِ ، وَبِخَ الْبَدَنِ ، لَا يَقْبَلُ لَهُ ثَوْبًا وَلَا جَمًّا ، وَلَا يَقْصُ ظَفْرًا وَلَا شَعْرًا ، فَكَانَ الْقَمَلُ يَتَنَازَرُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَكَانَ مَنْ رَأَاهُ يَهْرُبُ مِنْهُ لِسُوءِ مَنْظَرِهِ ، وَقَبِيحِ زِيَّتِهِ .

(١) في الأصل : « محمد » . والتصويب عن ابن خلكان وعقيد الجمان وشذرات الذهب وتاريخ

الإسلام . وهو أبو الفتح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب بشهاب الدين السهروردى الحكيم .

(٢) التريحيات ، جمع تريح ، وهو أخذ تشبه السحر وليست بحقيقته .

وطال أمره إلى أن أمر السلطان بقتله فقتل في يوم الجمعة منسلخ ذى الحجة من هذه السنة ، أخرج من الحبس ميتاً . ومما يُنسب إليه من الشعر القصيدة التي أولها :

أبداً تحن إليكم الأرواح * ووصالكم رنحائها والراح
وقلوب أهل وداكم تشافكم * وإلى كمال جمالكم ترتاح

- وقال السيف الأمدى^(٢) : اجتمعتُ بالشَّهْرَوْدِيّ بحلب ، فقال لي : لا بد أن أملك الأرض . فقلت : من أين لك هذا ؟ فقال رأيت في المنام أني شربت ماء البحر ؛ فقلت : لعل ذلك يكون أشتهار العلم فلم يرجع ؛ فرأيت أنه كثير العلم قليل العقل . ويقال : إنه لما تحقق القتل كان كثيراً ما يُنشد :

أرى قديمي أراق دمي * وهات دمي فهاندي

- والأول قول أبي الفتح البستي وهو قوله :

إلى حنفي سعى قديمي * أرى قديمي أراق دمي

فلا أنفك من نديم * وليس بنافعي نديمي

- وفيهما توفي الشيخ نجم الدين الحبوشاني^(٤) . قال صاحب المرأة : « قديم إلى الديار المصرية وأظهر التاموس وترهد ، وكان يركب الخمار فيقف على السلطان صلاح الدين وأهله . وأعطاه السلطان مالاً فبني به المدرسة التي بجانب الشافعي^(٥) — رحمة الله عليه . وكان كثير الفتن — منذ دخل مصر إلى أن مات — ما زالت الفتنة قائمة

(١) وهي قصيدة طويلة ذكرها ابن خلكان وصاحب عقد الجمان . (٢) هو أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم العلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الأمدى . توفي سنة ٥٨٣ هـ . (عن ابن خلكان) . (٣) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي تقدمت وفاته سنة ٣٦٣ هـ . راجع الجزء الرابع ص ١٠٦ من هذه الطبعة . (٤) هو أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي ابن الحسن بن عبد الله الفقيه الشافعي (عن عقد الجمان وابن خلكان) . (٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٤ من هذا الجزء .

بينه وبين الحنابلة [و] ابن الصابوني وزين الدين بن نُجَيْة^(١)، يكفرونه ويكفرونهم؛ وكان طائشاً متهوراً، نبش على ابن الكيزاني^(٢) وأخرج عظامه من عند الشافعي، وقد تقدم ذلك. وكان يصوم ويُفطر على خبز الشعير، فلما مات وُجد له ألوف الدنانير، وبلغ صلاح الدين فقال: يا خيبة المسعى! ومات في صفر. وتولى بعده — تدریس مدرسة الشافعي التي بناها — شيخ الشيخ صدر الدين ابن حمويه^(٣). انتهى كلام صاحب المرأة باختصار بعد أن ثلَب اُتْلُوشَانِي المذكور بمساوي أضربت عن ذكرها — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن علي الحرقي القمي في ذي القعدة، وله ثمان وثمانون سنة. وأبو للمعالی عبد النعم بن عبد الله بن محمد القراوي في شعبان. وصاحب حماة المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب. ونجم الدين محمد بن الموفق اُتْلُوشَانِي الشافعي الزاهد. والشهاب السمروردي الفيلسوف. ويعقوب بن يوسف الحرقي المقرئ^(٤).

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وعشرون إصبعا. يبلغ الزيادة ثمان عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا.

- ١٥ (١) في الأصل: «ابن عثة». والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب وابن خلكان. وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري المعروف بابن نجية الواعظ المشهور، وسيذكر المؤلف وفاته فيما نقله عن الذهبي سنة ٥٥٩٩. (٢) راجع ترجمته في ص ٣٦٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٣) هو محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، عماد الدين الجويني كما في طبقات الشافعية وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٦١٧. (٤) في الأصل: «الفراوي». والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد.
- ٢٥ (٥) كذا في الأصل. وفي غاية النهاية: «الخرقي».



السنة الثانية والعشرون من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

- فيها توفى سنان بن سليمان ^(١) ، صاحب الدعوة بقلع الشام . كان أصله من البصرة من حصن الموت ^(٢) ، فرأى منه صاحب الأمر بتلك البلاد نجابة وشهامة وعقلا وتديرا ، فسيره إلى حصون الشام ، فسار حتى وصل إلى البلاد الشامية ، وكان فيه معرفة وسياسة . وجد في إقامة الدعوة واستجلاب القلوب ، وكان مجيئه إلى الشام في أيام السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد . فجزت له معه حروب وخطوب ، وأستولى سنان هذا على عدة قلاع وأقام واليا ثلاثين سنة والبعوث ترد عليه في كل قليل من قبل نور الدين . ثم إن السلطان نور الدين عزم على قصده فتوفى . وأقام سنان على ذلك إلى أن توفى ببلاد الشام في هذه السنة .

- وفيها توفى على بن أحمد الأمير سيف الدين بن المشطوب ملك الهكارية ^(٣) . وكان أميرا شجاعا صابرا في الحروب مطاعا في قبيلته ، دخل مع أسد الدين شيركوه إلى مصر في مراته الثلاث ، ثم عاد بعد سلطنة صلاح الدين إلى البلاد الشامية ، فدام بها إلى أن مات في آخر شوال . وقال ابن شداد : مات بالقدس وصلى عليه بالجامع الأقصى .

وفيها توفى السلطان قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن

قتلمش بن إسرائيل بن سلقوق ، الملك عز الدين السلجوقي صاحب بلاد الروم .

- (١) في شذرات الذهب : « ابن سليمان » . (٢) يريد بها دعوة الإسماعيلية كما صرح بها في عقد الجمان وشذرات الذهب وابن الأثير . (٣) الموت : قلعة على جبل شاهق من حدود الديلم (راجع ابن الأثير ج ٨ ص ١٤٠) . (٤) الهكارية : بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

طالت أيامه وآتسعت ممالكه . ولما أسنَّ أصابه الفالج فتعطلت حركته ، وتنافس أولاده في الملك ، وحكم عليه ولده قُطْبُ الدين مَلِكْشاه ، وقُتِلَ كثيرا من خواصه في حياة أبيه . وكان قطب الدين مُقيما بسِيَّوَسَ^(١) وأبوه بِقُويَّةَ^(٢) . ثم جاء إلى أبيه يقاتله فأخرج إليه العساكر ، فالتقاهم قطب الدين وكسرههم وبدد شمل أصحاب أبيه ، ثم ظفر بأبيه فأخذه مُكرَّها وحمله إلى قَيْسَارِيَّةَ^(٣) ، ووقع له معه أمور أُخر . وآخر الأمر أنه عهد إلى ولده غياث الدين بالملك ولم يعهد لقطب الدين . وكانت وفاته في نصف شعبان .

وفيهما تُوفِّيَ نصر بن منصور أبو المرحف الثُّمَيْرِيُّ^(٤) الشاعر المشهور، منسوب إلى ثُمَيْرِ بن عامر بن صَعْمَعَةَ . وُلِدَ بِرَقَّةَ الشام ، وأمه بنت سالم بن مالك صاحب الرُّجْبَةِ ، ورُبِّيَ بالشام وعاشر الأدياء وقال الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وقيل بصره بالجُدْرِيّ وله أربع عشرة سنة . وقَدِمَ بغداد ليداوِيَّ عَيْنِيَه فآيسه الأطباء ، فحفظ القرآن وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل — رضى الله عنه — وكان طاهر اللسان غيفا دينيا . وله مدائح في صلاح الدين وغيره . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

تَرَى يَتَأَلَّفُ الشَّمْلُ الصَّدِيعُ * وَأَمْنٌ مِنْ زَمَانٍ مَا يَرُوعُ
وَتَأْنَسُ بَعْدَ وَحْشَتِنَا بِنَجْدٍ * مَنَازِلُنَا الْقَدِيمَةُ وَالرُّبُوعُ
ذَكَرْتُ بِأَيِّمِنِ الْعَلَمِينَ عَصْرًا * مَضَى وَالشَّمْلُ مَلَّتْهُمُ جَمِيعُ^(٥)

(١) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة بينها وبين قيسارية ستون ميلا (عن تقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل) . (٢) قونية : مدينة من أعظم مدن الإسلام بالروم (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٤ من الجزء الثاني من هذه الطبعة . (٤) انظر : بقية نسه في ابن خلكان . (٥) كذا في ابن خلكان . وفي الأصل : « والعيش ملثم » .

فلم أملك لدعى ردَّ غَرْب * وعند الشوق تَفْصِيكَ الدُمُوعُ
 يَنَازِعُنِي إِلَى خَنْسَاءِ قَلْبِي * ودُونَ لِقَائِهَا بَلَدٌ شَسُوعُ
 وَأَخُوفٌ مَا أَخَافُ عَلَى فَوَادِي * إِذَا مَا أُنْجَدَ الْبَرَقُ الْلُوعُ
 لَقَدْ حُمِلْتُ مِنْ طُولِ التَّنَائِي * عَنْ الْأَحْبَابِ مَا لَا أُسْتَطِيعُ

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي الفقيه أحمد ؛
 ابن الحسين بن عليّ العراقي الحنبلي بدمشق . والمحدث أبو الفضل إسماعيل بن عليّ
 الجُزَوِيُّ^(١) الشُّرُوطِيُّ^(٢) بدمشق في سلخ جُمادى الأولى . وأبو ياسر عبد الوهاب
 [بن هبة الله بن عبد الوهاب] بن أبي حبة الدقاق بحزان في شهر ربيع الأول . وأبو جعفر
 عبيد الله بن أحمد [بن عليّ بن عليّ] بن السمين . والأمير الكبير سيف الدين عليّ بن أحمد
 الهكّاري المشطوب في شوال بالقدس . وصاحب الروم قليج أرسلان بن مسعود
 السلجوقي . والنسابة أبو عليّ محمد بن أسعد الحسيني الجَوَانِيّ بمصر .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثلاث وعشرون
 إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

- (١) في الأصل هكذا : « الجبروني » . والنصوب عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد والمنتهبه
 في أسماء الرجال للذهبي ومعجم البلدان لياقوت وشرح القصيدة اللامية في التاريخ . والنسبة جزى .
 ويقول بعضهم في النسبة إليها : « جزوى » ، وهي أعظم مدينة بأرض وهي بين شروان وأذربيجان وهي
 التي تسميها العامة كنجة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) الشروطي : نسبة إلى كتابة الشروط
 وهي الوثائق . (٣) التكلة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد والمنتهبه في أسماء الرجال
 للذهبي وتاريخ الإسلام . (٤) في الأصل : « عبيد الله بن أحمد بن السمين » . والتصحيح
 هو الزيادة . عن المختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتاريخ الإحلام للذهبي .

ذكر ولاية الملك العزيز عثمان على مصر

هو الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان سلطان الديار المصرية وأبن سلطانها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذى ابن مروان الأيوبي الكردي الأصل المصري . ولي سلطنة مصر في حياة والده صورة ، ثم تسلم بعد وفاته استقلالا باتفاق الأمراء وأعيان الدولة بديار مصر ، لأنه كان نائباً عن أبيه صلاح الدين بها لما كان أبوه مشغولاً بفتح السواحل بالبلاد الشامية وتم أمره . وكان مولده بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان الملك العزيز هذا أصغر من أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وأصغر من أخيه الأفضل صاحب دمشق . وكان الأفضل هو أكبر الإخوة ، وهو المشار إليه في أيام أبيه صلاح الدين ومن بعده ، وهو الذى جلس للعزاء بعد موت صلاح الدين ، وصار هو السلطان الأكبر إلى أن ظهر منه أمور ، منها : أنه كان استوزر ضياء الدين الجزرى^(١) ، فأساء ضياء الدين السيرة ، وشغف قلوب الجند إلى مصر ، وساروا إليها فالتقاهم الملك العزيز وأكرمهم ، وكانوا معظّم الصلاحية . واشتغل الأفضل بهواه . وكان القدس في يده فعجز عنه وسلمه إلى تواب الملك العزيز هذا ، فبان للناس عجز الأفضل . ثم وقعت الوحشة بين العزيز هذا وبين أخيه الأفضل المذكور . وبلغ الفرنج ذلك ، فطعموا في البلاد وحاصروا جبلة ، وكان بها جماعة من الأكراد فباعوها للفرنج . وبرز الملك العزيز من مصر يريد قتال الفرنج في الظاهر ، وفي الباطن أخذ دمشق من أخيه الأفضل ؛

(١) هو ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبى الكريم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير الجزرى الشيبانى ، وهو مصنف المثل السائر ، وسيد ذكر المؤلف وفاته سنة ٦٣٧ هـ .

وعلم الأفضل بذلك فكتب إلى عمه العادل أبي بكر بن أيوب ، وللشارقة بالنجدة ،^(١)
فأجابوه إلى ما يريد ، وكان مع العادل عدة بلاد بالشرق ، وكان لما توفي أخوه
السلطان الملك الناصر صلاح الدين بالكرك قدم دمشق معزيا للأفضل وأقام
عنده أياما ، ثم رحل إلى محل ولايته بالجزيرة والرها وشمسائط والزقة وقلمة جعفر^(٢)
وديار بكر وميافارقين^(٣) . وهى البلاد التى كان أعطاها له أخوه صلاح الدين فى حياته ،^(٤)
وكان له أيضا مع ذلك بالبلاد الشامية الكرك والشوبك .

والمقصود أن الملك العزيز هذا لما رحل من مصر إلى نحو دمشق ، سار حتى
نزل بظاهر دمشق ، وقيل بعقبة الشحورة^(٥) ، وجاء العادل بساكر الشرق ونزل
بمرج عدواء^(٦) . فأرسل إليه العزيز يقول : أريد الاجتماع بالعادل ، فاجتمعا على
ظهور خيأهما وتفاوضا ، فقال له العادل : لا تخزب البيت وتدخل عليه الآفة !
والعدو وراءنا من كل جانب ، وقد أخذوا جبلتة ، فأرجع إلى مصر وأحفظ عهد
أبيك . وأيضا فلا تكسر حرمة دمشق ، وتطمع فيها كل أحد ! وعاد الملك العادل
عنه إلى دمشق ، وأقام العزيز في منزله . وقدمت العساكر على الأفضل وبعث
العادل إلى العزيز يقول له : أرحل إلى مرج الصفر ، فرحل وهو مريض . وكان

- (١) يريد بالشارقة أمراء المشرق ، وهم الظاهر غازى بحلب ومحمد بن تقي الدين بحماة وأسد الدين
شركوه بن محمد بمحس والأحمد مجد الدين بهرام شاه بعلبك ، وعسكر الموصل وغيرها راجع ابن الأثير
وعقد الجمان فى حوادث سنة ٥٩٠ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من الجزء الثالث من هذه
الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) راجع
الحاشية رقم ٨ ص ٢٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩
من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٧ من الجزء الثالث من هذه
الطبعة . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣١٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة (٨) عقبة
الشحورة : بلدة بين الكسوة ودمشق فى جنوبها (عن تقويم البلدان لأبى الفداء . إسماعيل) . وفى الأصل :
« بعقبة سمجورا » . ولم نقف عليها فى المعاجم التى تحت أيدينا . (٩) كذا فى الأصل . وفى ابن
الأثير : « بمرج الریحان » وقد بحثنا عن كليهما فى الكتب التى تحت أيدينا فلم نوفق إليهما .

قصد العادل أن يُبعده عن البلد . فوصل الملك الظاهر غازي من حلب ، والملك المنصور من حماة ، وشيركوه بن محمد بن شيركوه من حمص ، والأجد من بعلبك ، والجميع نجدة للأفضل . فقال لهم العادل : قد تقزّر أنه يرحل إلى مصر . وأشدّت مرض العزيز فأحتاج إلى المصالحة ، ولولا المرض ما صالح ؛ فأرسل الملك العزيز كبراء دولته فخر الدين إياز جهار كس وغيره يخلف الملوك ، وطلب مصاهرة عمه العادل فزوجوه ابنته الخاتون . ورجع كل واحد إلى بلده ، وذلك في شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

وقال اليماد الكاتب الأصفهاني : خرج الملوك لتوديع الملك العزيز إلى مرج الصفر واحدا بعد واحد . وأول من خرج إليه أخوه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، فبات عنده ليلة وعاد ، فخرج إليه أخوه الأفضل صاحب الواقعة ، فقام إليه واعتقا وبكيا ، وأقام عنده أيضا يوما ، وكان قد فارقه منذ تسع سنين ، فلما عاد كتب إلى العزيز من إنشائه من عدة أبيات :

نَظَرْتُكَ نَظْرَةً مِنْ بَعْدِ تَسْعِ * تَقَضَّتْ بِالتَّفَرُّقِ مِنْ سِنِينَ

ولما آنفصل العساكر عن دمشق شرع الأفضل على عادته في اللهو واللعب ، فأحتجب عن الرعية فسُمي «الملك النّوام» وفوض الأمر إلى وزيره ضياء الدين الجزري ، وحاجبه الجمال محاسن بن العجمي ، فأفسدا عليه الأحوال ، وكانا سببا لزوال دولته . واستمر الملك العزيز هذا بمصر وأمره ينمو ويزداد إلى سنة تسعين .

وفيها عاد الاختلاف ثانيا بين العزيز والأفضل ؛ وسببه إغراء الجند والوسائط . وكان أكبر المحترضين للعزيز على أخيه الأفضل أسامة ، حتى قال له : إن الله يسألك عن

(١) في الأصل : «سرتكين» . وفي ابن الأثير والروضين : «أبازجرى» . وما أثبتناه عن عقدا الجمان .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة للأفضل عندها ثمانية أبيات ، ذكرها صاحب كتاب الروضين .

(٣) في الأصل : « فافسدوا » .

- الرعية ، هذا الرجل قد غرق في اللهو وشربه ، وأستولى عليه الجزيري وآبن المعجمي .
ثم قال له القاضي آبن أبي عصرون : لا تسلم يوم القيامة . وبلغ الأفضّل قول أسامة وآبن
أبي عصرون فاقطع عما كان عليه ، وتاب وندم على تفريطه ، وعاشر العلماء والصلحاء ،
وشرع يكتب مصحفا بخطه ، وكان خطه في النهاية ، فلم يُغن عنه ذلك . وتحرك
العزير يقصده ، فسار الأفضّل إلى عمه العادل يستنجده ، فالتقاء العادل على صغين^(١) ،
فسار معه بعساكر الشرق إلى دمشق ؛ وكان الأفضّل لما أجتاز بحلب آتفق مع
أخيه الظاهر غازي وتخالفا ، وجاء إلى حماة ففعل كذلك مع آبن عمه المنصور .
وصار العادل يشير عليه بزل الجزيري عن الوزارة ، ويقول له : هذا يخرب بيتك .
فصار لا يلتفت إليه خفيق منه . ثم إن العادل سأل الملك الظاهر غازي في شيء فلم يُجبه ،
فغضب لذلك العادل وأنفرد عنهم ، وكتب إلى العزير يخبره أنه معه ، ويستحثه على
القدوم إلى دمشق ؛ فخرج العزير من مصر مسرعا ، ثم علم العادل أنه لا طاقة له
بالعزير ولا بالظاهر ؛ فراسل الأسديّة الذين كانوا بمصر ، وأوعدهم بالأموال
والإقطاعات . وكان الملك العزير قد قدم عليهم الصلاحية بمالك أبيه . والأسديّة
هم مماليك عمه أسد الدين شيركوه وحواشيه الأكراد ؛ ثم دس العادل للأسديّة
الأموال ، وكان مقدّم الأكراد الأسديّة أبو الهيجاء السمين ؛ وكان العزير قد عزله
عن ولاية القدس ، وتقدّمت الأسديّة بسيف الدين جرديك ؛ فركب أبو الهيجاء
بجموعه ، ومعه أركش في الليل ، وقصدوا دمشق ، فأصبح العزير فلم ير في الخيام من
الأسديّة أحدا ، فرجع إلى مصر . وشرع أركش وأبو الهيجاء والأسديّة يحرضون
العادل على أخذ مصر ؛ وكانت الأسديّة والأكراد يكرهون العادل ، وإثما دعتهم

(١) صغين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس (عن معجم
البلدان لياقوت) .

الضرورة إليه . واتفق العادل مع ابن أخيه الأفضل وسارا إلى جهة العزيز نحو مصر .
فلما وصلوا إلى القدس ولّوا أبا الهيجاء كما كان ، وعزلوا جُرديك عنها ؛ ثم ساروا
حتى نزلوا ببليس وبها جماعة من الصلاحية . فتوقف العادل عن القتال ولم يَرَأَ اتّراع
مصر من يد العزيز ، وظهرت منه قرائن تدلّ على أنه لا يؤثر السلطنة للأفضل ،
ولا يرى بتقدمته على العزيز . فأرسل العادل إلى العزيز يطلب منه القاضي الفاضل ،
وكان الفاضل قد أعترطهم وأنقطع إلى داره ، فأرسل إليه العزيز يسأله فامتنع ، فتضرّع
إليه وأقسم عليه ، فخرج إلى العادل ، فأحترمه العادل وأكرمه وتحدث معه بما قزّره ،
وعاد الفاضل إلى العزيز وتحدث معه ، فأرسل العزيز ولديه الصغيرين مع خادم له
برسالة ظاهرة ، مضمونها : « لا تقاتلوا المسلمين ولا تَسْفِكُوا دماءهم ، وقد أنفذت
ولدىّ يكونان تحت كفالة عمي العادل ، وأنا أنزل لكم عن البلاد وأمضى إلى الغرب » .
وكان ذلك بمشهد من الأمراء ، فرقّ العادل وبكى من حُضْر . فقال العادل :
معاذ الله ! ما وصل الأمرُ إلى هذا الحدّ .

وكان العادل قد قزّر مع القاضي الفاضل ردّ خير الأسدية وإقطاعهم
وأملأهم ، وأن بيقّ أبو الهيجاء على ولاية القدس . ثم قال العادل للأفضل :-
المصلحة أن تمضى إلى أخيك وتصلحه ، ما عذرنا عند الله وعند الناس إذا فعلنا بآبن
أخيها ما لا يليق ! . وكان العزيز أرسل يقول للعادل مع الخادم المقدم ذكره : « البلاد
بلادك وأنت السلطان ونحن رعيتك » . ففهم الأفضل أنّ العادل رجع عن يمينه ،
وأنّه اتفق مع العزيز على أخذ البلاد منه ، لكنّه لم يمكنه الكلام ، ومضى إلى أخيه
الملك العزيز وأصطلحا ، وعاد إلى دمشق . ودخل العزيز والعادل والأسدية إلى
القاهرة يوم الخميس رابع ذى الحجة . وسلطن العادل العزيز ومشي بين يديه بالغاشية .
٢٠

(١) الغاشية : سرج من أديم مخروز بالذهب . يحالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين السلطان
عند الركوب في الموكب الحفلة كالمباين والأعياد ونحوها (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٧) .

ولو أراد العادل مصر في هذه المرة لأخذها ، وإنما كان قصده الإصلاح بين الإخوة .

- ثم وقع بين العزيز هذا والأفضل ثالثاً ، وهو أنه لما عاد الأفضل إلى دمشق أزداد وزيره الجَزْرِيّ من الأفعال القبيحة ، والأفضل يسمع منه ولا يخالفه ، فكتب قياز العَجَمِيّ وأعيان الدولة إلى العادل يشكونه ، فأرسل العادل إلى الأفضل :
- « ارفع يد هذا الأحمق السيئ التدبير القليل التوفيق » ، فلم يلتفت . فاتفق العادل مع ابن أخيه العزيز هذا على التوجه إلى الشام فسارا . واستشار الأفضل أصحابه ، فكلُّ أشار عليه بأن يلتقي عمه العادل وأخاه العزيز ولا يخالفهما إلا الجَزْرِيّ ، فإنه أشار بالعصيان ، فاستعد الأفضل للقتال والحصار وحلف الأمراء والمقدمين ، وفزعهم في الأبراج والأسوار ، فراسلوا العزيز والعادل وأصلحوا أمرهم في الباطن ، واتفق ٥٠ العادل مع عز الدين الحِصْصِيّ على فتح الباب الشرقي ، وكان مسلماً إليه ، فلما كان يوم الأربعاء سادس عشر شهر رجب ركب العادل والعزيز وجاءا إلى الباب الشرقي ففتحهما ابن الحِصْصِيّ فدخلوا إلى البلد من غير قتال ، فترّل العزيز دار عمته ست الشام ، ونزل العادل دار العِيقِيّ ، ونزل الأفضل إليهما وهما بدار العقيق ، فدخل عليهما وبكى بكاء شديداً ، فأمره العزيز بالانتقال من دمشق إلى صَرْخَد ، فأخرج ١٥ وزيره الجَزْرِيّ في الليل في جملة الصناديق خوفاً عليه من القتل ، فأخذ أموالاً عظيمة وهرّب إلى بلاده .

- وكان العزيز قد قتر مع عمه العادل أن يكون نائبه بمصر ، ويقم العزيز بدمشق . ثم ندم فأرسل إلى أخيه الأفضل رسالة فيها صلاح حاله . ثم وقعت أمور إلى أن سلم العزيز بَصْرَى إلى العادل ، وكان بها الظافر . وأقام العزيز بعد ذلك بدمشق ٢٠ مدة ، وصلى الجمعة عند قبر والده بالكلاسة وأمر ببناء القبة والمدرسة إلى جانباها ،

ثم أمر يحيى الدين بن الزكي بمارة المدرسة العزيزية، ونقل السلطان صلاح الدين إلى الكلاسة في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة . وكان الأفضل قد شرع في بناء تربة عند مشهد القدام بوصية من السلطان صلاح الدين . وكان الملك العزيز إذا جلس في مجالس لهو^(١)ه يجلس العادل على باب^(٢)ه ، كأنه برذ^(٣)ه . فلما كان آخر ليلة من مقام العزيز بدمشق ، وكانت ليلة الاثنين تاسع شعبان ، قال العادل لولده المعظم عيسى : أدخل إلى العزيز فقبّل يده وأطلب منه دمشق ، وكان المعظم قد راحق الحلم^(٤)ه ، فدخل إلى أب^(٥)ن عمه العزيز وقبل يده وطلب منه دمشق ، فدفعها إليه وأعطاه مستحقته ، وقيل : بل استتاب العادل فيها ، ثم أعطاها للمعظم في سنة أربع وتسعين . وكان خروج الملك العزيز من دمشق في يوم تاسع شعبان المذكور . وسار إلى مصر ومضى الأفضل إلى صرخد^(٦)ه ، وأجتاز العزيز بالقدس فعزل أبا الهيجاء السمين عن نيابتها ، وولّاها لسنقر الكبير ، ومضى أبو الهيجاء إلى بغداد .

وأستمر الملك العزيز بمصر ، وأستقامت الأمور في أيامه ، وعدل في الرعية ، وعف عن أموالها حتى قيل : إن أب^(٧)ن اليسانى أخا القاضي الفاضل بذل على قضاء المحلة^(٨) أربعين ألف دينار ، فعجل منها عشرين ألفا ، وكان رسوله في ذلك الملك العادل عم العزيز المقدم ذكره ، وبذل له عن رسله خمسة آلاف دينار ، وللحاجب

(١) مشهد القدم (مسجد القدم) ، هو من الآثار التي في مدينة دمشق وغرقتها عما يرجى فيه إجابة الدعاء عند القبطية . يقال إن هناك قبر موسى بن عمران ، ومسجد الباب الشرق . وقد تبسط في وصفه ابن عسّار في تاريخه وأورد فيه عدة أحاديث وأقوال . (راجع تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٢٣٦) .

(٢) هذه الكلمة فارسية مركبة من كلمتين : «برده» ومعناها : الحجاب ، و «دار» ومعناها المحافظ ، وحافظ الحجاب هو الحاجب أو الحارس . (٣) المراد بها هنا مدينة المحلة الكبرى (أحدى المدن المصرية القديمة كانت قاعدة مديرية الغربية قبل طنطا ، وهي اليوم قاعدة مركز المحلة الكبرى . ولا تزال هذه المدينة من أكبر وأشهر المدن المصرية ، فهي مركز تجارى عظيم لتجارة القطن وغيره من المحصولات الزراعية . وبالمحلة جملة محالج للقطن ومعامل كثيرة (لشركة مصر) لمخيلج القطن وغزله ونسج الأتشة القطنية الجيدة على اختلاف أنواعها ، وبها معامل لصناعة الأتشة الحريرية الجميلة .

أبى بكر ألف دينار، ولجهاركس ألف دينار . فاجتمعوا على العزيز جميعا وخطبوه في ذلك، وألح عليه الملك العادل . فقال له العزيز : والله يا عم، هذا الرجل بذل لنا هذا البذل [لا] عن محبة لنا ، والله إنه لياخذ من أموال الرعية أضعاف ذلك ، لا وليته أبدا ! فرجع العادل عن مساعدته ، فلما آل الأمر إلى العادل صادر ابن اليسافى المذكور، وأخذ منه أموالا كثيرة . انتهى .

- وقال القاضي شمس الدين بن خلكان في ترجمة الملك العزيز هذا بعد أن ذكر اسمه ولقبه قال : « وكان مليكا مباركا كثير الخير واسع الكرم محسنا إلى الناس معتقدا في أرباب الخير والصلاح ، وسمع بالإسكندرية الحديث من [الحافظ] السلفي^(٢) ، والفقيه أبى طاهر بن عوف الزهرى^(٣) ، وسمع [بمصر] من العلامة أبى محمد بن برى^(٤) النحوى وغيرهم . ويقال : إن والده لما كان بالشام والقاضى الفاضل عبد الرحيم بالقاهرة عند العزيز ولد للعزيز المذكور ولد ، فكتب القاضى الفاضل يهنئ والده السلطان صلاح الدين بولد ولده ، فقال : « المملوك يقبل الأرض بين يدى مولانا الملك الناصر ، دام رشدُه وإرشادُه ، وزاد سعده وإسعاده ، وكثر أوليائه وعبيدُه وأحفاده ، وأشدت باعضاده فيهم اعتضاده ، وأنى الله عدده حتى يقال هذا آدم المملوك وهذه أولادُه ، وينهى أن الله تعالى — وله الحمد — رزق الملك العزيز — عز نصره — ولدا مباركا عليا ، ذكرا سريا ، [برا] زكيا ، قويا تقيا ، من ورثة كريمة بعضها من بعض ، وبيت شريف كادت ملوكُه تكون ملائكة في السماء ، ومماليكُه ملوكا في الأرض » . انتهى ما كتبه القاضى الفاضل فى التهنئة .

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) زيادة عن ابن خلكان .

(٣) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : « أدام الله تعالى رشدَه ... الخ » .

(٤) زيادة عن ابن خلكان .

قال ابن خلكان - رحمه الله - : «وكانت ولادة العزيز بالقاهرة في ثامن
 جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان قد توجه إلى القيوم ، فطرد فرسه
 وراء صيد فتقنطر به فرسه ، فأصابته الحُتَّى من ذلك ، وحُجِل إلى القاهرة فتوفي بها
 في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين
 وخمسمائة - رحمه الله تعالى - قال : ولما مات كتب القاضي الفاضل إلى عمه
 العادل رسالة يُعزِّيه ، من جملتها :

«فقول في توديع النعمة بالملك العزيز: لا حول ولا قوة إلا بالله قول الصابرين ،
 وقول في استقبالها بالملك العادل ؛ الحمد لله رب العالمين قول الشاكرين ؛ وقد
 [كان] من أمر هذه الحادثة ما قطع كل قلب وجلب كل كرب ومثل وقوع هذه
 الواقعة لكل أحد ولا سيما لأمثال المملوك ، ومواعظ الموت بليغة ، وأبلغها ما كان
 في شباب المملوك ؛ فرحم الله ذلك الوجه ونصره ، ثم السيل إلى الجنة يسره .
 وإذا محاسن أوجه يليت * ففعا ترى عن وجهه الحسن

والمملوك في حال تسطير هذه الخدمة جامع بين مَرْضَى قلب وجسد ، ووجع
 أطراف وعليل كبد ؛ فقد يَفْعُ المملوك بهذا المولى ، والعهد بوالده غير بعيد ، والآسى
 في كل يوم جديد ؛ وما كان ليندمل ذلك القرح ، حتى أعقبه هذا الجرح ؛ والله
 تعالى لا يُعِدُّ المسلمين بسلطانهم الملك العادل [السلوة] ، كما لم يُعِدِّهم بنبيهم صلى الله
 عليه وسلم الأسوة] - وأخذ في نعت الملك العادل إلى أن قال - : ودُفِن بالقرافة

(١) كذا في الأصل ، وهو الموافق لما في ابن خلكان طبع باريس . وفي وفيات الأعيان طبع
 بولاق والروشتين : « من ليلة الأحد العشرين من المحرم » . (٢) زيادة عن ابن خلكان .
 (٣) في الأصل : « الحكاية » . وما أتيته عن ابن خلكان . (٤) في الأصل :
 « ما يقطع كل قلب ويجلب كل كرب ... لاسيما لأمثال المملوك » . وما أتيته عن ابن خلكان .
 (٥) زيادة عن ابن خلكان .

الصغرى (يعنى العزيز) في قبة الإمام الشافعى - رضى الله عنه - . وقبره معروف هناك » انتهى كلام ابن خلكان برأيه ، ولم يتعوض لشيء من أحواله ، ولا إلى ما كان في بداية أمره .

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزى في تاريخه : « وفيها (يعنى سنة خمس وتسعين) توفى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر . كان صلاح الدين يُحِبُّه ، وكان جَوَادًا شجاعًا عادلًا منصفًا لطيفًا كثير الخير رفيقًا بالرياسة حليماً . حكى لى المبارز سُقْرُ الحَلْبَى - رحمه الله - قال : ضاق ما بيده بمصر (يعنى عن العزيز) ولم يبق في الخزانة درهم ولا دينار ، فجاء رجل من أهل الصعيد إلى أَرْكَش سيف الدين ، قال : عندي للسلطان عشرة آلاف دينار ولك ألف دينار ، وتوليني قضاء الصعيد ؛ فدخل أَرْكَش إلى العزيز فأخبره ؛ فقال : والله لا بعثُ دماء المسلمين وأموالهم (١) بملك الأرض ! وكتب ورقة لأَرْكَش بألف دينار . وقال : أخرج فأطرد هذا الدبر ، ولولاك لأذنبته .

وقد ذكرنا أنه وهب دمشق [للك] المعظم ، وكان يُطلق عشرة آلاف دينار وعشرين ألفاً . وكان سبب وفاته أنه خرج إلى الفيوم يتصيد ، فلاح له ظبي فركض الفرس خلفه فكبا به الفرس ، فدخل قَرْبُوس [السرج] (٢) في فؤاده ، فحمل إلى القاهرة . فمات في العشرين من المحرم ، ودفن عند الشافعى - رحمه الله - عن سبع وعشرين سنة وشهور ؛ وقيل : عن ثمان وعشرين سنة . ولما مات نصَّ على ولده ناصر الدين محمد ، وهو أكبر أولاده ، وكان له عشرة أولاد ، ولم يذكُرْ عَمَهُ العادل في الوصية .

(١) رواية امرأة الزمان : « وأولادهم » . (٢) في مرآة الزمان : « المدبر » .

ولعله : القدر . (٣) التكلة عن امرأة الزمان .

وأوصى للأمير أركش، وكان مقدم الأسدية وكبيرهم، وعاش بعد العزيز مدة طويلة. انتهى كلام أبي المظفر.

وقال ابن القادسي - خلاف ما نقل أبو المظفر وابن خلكان وغيرهما - قال : « كان قد ركب وتبع غزاة فوق فاندقت عنقه، وبقي أربعة أيام ومات. ونص على ولده الأكبر محمد إن أمضى العادل ذلك. وكانت الوصية إلى أمير كبير اسمه أركش فوثبت الأسدية عليه فقتله ». انتهى .

وقال الشيخ شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه : « ولما مات العزيز كان لابنه محمد عشر سنين، وكان مقدم الصلاحية نحر الدين جهار كس، وأسد الدين سراسنقر، وزين الدين قراجا، فاتفقوا على ناصر الدين محمد (يعني ابن العزيز)، وحلفوا له الأمراء. وكان سيف الدين أركش مقدم الأسدية غائباً بأسوان، فقدم فصوب رأيهم وما فعلوه، إلا أنه قال : هو صغير السن لا ينهض بأعباء الملك، ولا بد من تدبير كبير يحتمل المواد ويقم الأمور؛ والعادل مشغول في الشرق بما يريد^(١)، وما تم أقرب من الأفضل نجعله أتاك العساكر. فلم يمكن الصلاحية مخالفته. وقالوا : افعل، فكتب أركش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصرخد^(٢)، وكتبت الصلاحية إلى من بدمشق من أصحابهم يقولون : قد اتفقت الأسدية على الأفضل، وإن ملكوا حكموا علينا، فأمنعوه من الحجب؛ فركب عسكر دمشق لينعوه فقاتهم؛ وكان الأفضل قد ألتقى نجاباً من جهار كس إلى من بدمشق بهذا المعنى، ومعه كتب فآخذها منه وقال : أرجع فرجع إلى مصر. ولما وصل الأفضل إلى مصر ألتقاه

(١) ماردن : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على ديسرودارا ونصيبين وذلك القضاء الواقع (من معجم البلدان لياقوت). (٢) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة وولاية حرة واسعة (من معجم البلدان لياقوت).

الأسدية — نحكى ذلك كله في أول ترجمة الملك المنصور بن العزيز هذا ،
إن شاء الله —

- وكان الملك العزيز قويا ذا بطيش وخفة حركة، كريماً محسناً عفيفاً لم يرز سائلاً؛
وبلغ من كرمه أنه لم يبق له خزانة ولا خاص ولا ترك ولا قرش . وأما عفته فإنه
• كان له غلام تركي اشتراه بالف دينار يقال له : أبو شامة، فوقف يوماً على رأسه
في خلوة ليس معهما ثالث، فظفر العزيز إلى جماله ، وأمره أن يترع ثيابه ، وقعد
العزيز منه مكان الفاحشة؛ فأدركه التوفيق ونهض مسرعاً إلى بعض سراريه فقضى
وطوره ، وخرج إلى الغلام وأمره بالخروج عنه . انتهى .

- ويحكى عن عفته عن الأموال : أن عَرَبَ المحلة قتلوا بعض أمرائه، وكان
والى المحلة ابن بهرام ، فبغاهم عشرة آلاف دينار، وجاء بها إلى القاهرة ؛ فصادف
١٠ في الدهليز غلاماً خارجاً من عند السلطان ؛ فقال ابن بهرام : أرجع إلى السلطان
وأستأذنه لي ؛ فقال الغلام : دعني ، أنا في أمر مهم للسلطان ، قد وهب لشيخ صياد
دينارين ، وقد سيرتني إلى الجهات كلها فلم أجد فيها شيئاً ، وقد تعذر عليه هذا المبلغ
اليسير؛ فقال : أرجع إليه ، معي مالٌ عظيم . فلما دخل ابن بهرام إلى العزيز فض المأل
بين يديه وقال : هذا دية فلان ؛ فقال : أخذتها من القاتل ؟ قال : لا ، بل من القبيلة ؛
١٥ فقال العزيز : لا أستجير أخذه ، رُدّه على أربابه ، فراجعهم فأكفهم ؛ فخرج ابن بهرام
بالمال وهو يقول : ما يردُّ هذا مع شدة الحاجة إلا مجنون ! . فرحم الله هذه الشيم .
انتهت ترجمة الملك العزيز من عدة أقوال . رحمه الله تعالى وعفا عنه وعن جميع المسلمين
والحمد لله رب العالمين .



السنة الأولى من ولاية السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهي سنة تسع وثمانين وخمسمائة، على أئ والده السلطان صلاح الدين يوسف حكم منها المحزم وصفرًا .

فيها كانت وفاة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حسب ما تقدم ذكره في ترجمته .

وفيها توفى الأمير بكتُمُر [بن عبد الله مملوك] شاه أرمن . وعز الدين صاحب الموصل كما سيأتي .

وفيها بنى الخليفة الناصر لدين الله العباسي دار الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد، ونقل إليها عشرة آلاف مجلد، فيها الخطوط المنسوبة وغيرها .

وفيها توفى أسعد بن نصر بن أسعد النحوي، كان إماماً فاضلاً أديباً شاعراً . ومن شعره قوله :

يجمع المرءُ ثم يترك ما جمَّ * مع من كسبه لغير شكور
ليس يحظى إلا بذكر جميل * أو بعلم من بعده مانور

وفيها توفى الأمير بكتُمُر بن عبد الله مملوك شاه أرمن بن سُكَّان صاحب خلاط، مات شاه أرمن ولم يخلف ولداً، فاتفق خواصه على بكتُمُر فولى، وضبط الأمور وأحسن للرعية، وصاحب العلماء، وكان حسن السيرة متصدّقاً ديناً صالحاً، جاءه أربعة على زى الصوفية فتقدم إليه واحد منهم فتمعه الجاندارية . فقال :

(١) زيادة عما سيأتي للزلف بعد أسطر . (٢) الجاندارية : وظيفة صاحبها كانت سلم الباب، يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠) . وفي الأصل : « الجاندارية » .

دعوه، فتقدم وبيده قصة فأخذها منه، فضر به بسكين في جوفه فمات في ساعته.
فأخذوا الأربعة وقرروا، فقالوا: نحن إسماعيلية^(١)، فقتلوا وأحرقوا، وذلك
في جمادى الأولى.

- وفيهما توفى السلطان مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سُنقر عَز الدين صاحب
الموصل وأبن أخى السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد. كان خفيف العارضيْن
أسمر مليح اللون، عادلاً عاقلاً محسناً إلى الرعية شجاعاً، صبراً على حصار السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب له بالموصل ثلاث مرّات، وحفظ البلد وفتح
الأموال العظيمة. وكان ديناً صالحاً، خرج من الموصل لقتال الملك العادل أبى بكر
ابن أيوب، وكان العادل على حرّان^(٢) بعد موت صلاح الدين. فعاد مريضاً ومات
في شهر رمضان، وكانت أيامه ثلاث عشرة سنة وستة أشهر. وأوصى بالملك من
بعده لولده الأكبر نور الدين أرسلان شاه، وكان أخوه شرف الدين مودود يروم
السلطنة، فصيرت عنه لنور الدين هذا فعز ذلك عليه.

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى الشيخ سنان بن سليمان^(٣)
البصري زعيم الإسماعيلية. وأبو منصور عبد الله بن محمد [بن على بن هبة الله]
ابن عبد السلام الكاتب. والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحضرمي
بالإسكندرية. وصاحب الموصل عز الدين ملعود بن قطب الدين مودود بن زنكي.

- (١) في مرآة الزمان وعقد الجمان: «فأخذوا وقرروا، فقالوا: نحن من الإسماعيلية وكانوا قد شفعوا
إليه في أمر لا يليق فلم يقبل شفاعتهم فعملوا هذا، فأحرقوا». (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣٥
من الجزء الثالث من هذه الطبعة. (٣) في الأصل: «ثلاثاً وعشرين سنة». وما أثبتناه عن
عقد الجمان ومرآة الزمان والبداية والنهاية لابن كثير. (٤) هو الذى ذكر المؤلف وفاته في السنة
الحاشية. (٥) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد.

والمكرم بن هبة الله بن المكرم الصوفي . والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب في صفر بقلمة دمشق ، وله سبع ونعمسون سنة .
 § أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وثلاث أصابع .
 مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى أصابع .



السنة الثانية من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر ،
 وهى سنة تسعين وخمسمائة .

فيها توفى أحمد بن إسماعيل بن يوسف الشيخ الإمام أبو الخير القزويني الشافعي .
 كان إماما عالما بالتفسير والفقه ، وكان متعبدا بتحيم القرآن في كل يوم وليلة .
 ومولده بقزوين في سنة آتنتى عشرة وخمسمائة . وقدم بغداد وعظ ومال ١٠
 إلى الأشعرى ، ف وقعت الفتن . وجلس يوم عاشوراء في النظامية فقيل له : العن
 يزيد بن معاوية ؟ فقال : ذاك إمام مجتهد ، بغاءه الرجم حتى كاد يُقتل ، وسقط
 عن المنبر فأدخل إلى بيت في النظامية ، وأخذت فتاوى الفقهاء بتعزيره ؛ فقال
 بعضهم يضرب عشرين سوطا : قيل له : من أين لك هذا . فقال : عن عمر
 ابن عبد العزيز ، سمع قائلا يقول : أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فضربه عشرين ١٥
 سوطا . ثم خلص القزويني بعد ذلك وأخرج من بغداد إلى قزوين .

وفيها توفى السلطان طغرل بك شاه بن أرسلان شاه بن طغرل شاه بن محمد
 ابن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي آخر ملوك

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٢) في مرآة الزمان : « إمام مجاهد » .

- (١) السَّلْجُوقِيَّةُ بالعراق سوى صاحب الروم . وكان مبدأ أمره — عند وفاة والده — سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وكان صغير السن فَكَفَّلَهُ الْبَهْلَوَانُ إِلَى أَنْ مَاتَ (٢) فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ ، فَكَفَّلَهُ بَعْدَهُ أَخُو الْبَهْلَوَانِ لِأَبِيهِ حَتَّى أَنْفَ مِنَ الْحَبْرِ وَخَرَجَ عَنْ يَدِهِ ، وَأَنْضَافَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَكَسَرَ عَسْكَرَ الْخَلِيفَةِ وَأَسْرَأَ ابْنَ يُونُسَ وَهَابَتِهِ الْمَمْلُوكَ . وَكَانَ طُغْرُكْبَكُ هَذَا سَفَاكَاً لِلدَّمَاءِ ، قَتَلَ وَزِيرَهُ رَضِيَ الدِّينَ الْغَزْنَويَ ، وَغَفَرَ الدِّينَ الْعَلَوِيَّ رَئِيسَ هَمْدَانَ . ثُمَّ وَقَعَ لَهُ أُمُورٌ وَمِحَنٌ وَأُخِذَ وَحُبِسَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ طُغْرُكْبَكُ هَذَا آخِرُ مَمْلُوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، وَعِدَّتُهُمْ نِيفَ وَعِشْرُونَ مِلكاً ، وَمُدَّةُ مُلْكِهِمْ مِائَةٌ وَسِتُونَ سَنَةً . وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ طُغْرُكْبَكُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ؛ ثُمَّ أَلْبُ أَرْسَلَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ بْنِ دُقَاقَ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي طُغْرُكْبَكُ ؛ ثُمَّ بَعْدَهُ وَلَدُهُ مَلِكْشَاهُ ؛ ثُمَّ وَلَدُهُ مَحْمُودُ ؛ ثُمَّ أَخُوهُ بَرْكِيَارُوقُ ؛ ثُمَّ أَخُوهُ مُحَمَّدُ شَاهُ ؛ ثُمَّ وَلَدُهُ مَحْمُودُ ؛ ثُمَّ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ . حَسَبَ مَا ذَكَرْنَاهُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ كُلِّ وَاحِدٍ فِي عَمَلِهِ . وَطُغْرُكْبَكُ (بِضْمِ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ

- (١) في الأصل : « عند صاحب الروم » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان . وعبارة شذوات الذهب : « طلب السلطنة من الخليفة وأن يأتي بغداد ويكون على قاعدة الملوك السلجوقية سوى صاحب الروم » . (٢) في الأصل : « سنة إحدى وسبعين » . وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردي . (٣) هو محمد بن إدريس شمس الدين صاحب بلاد الجبل والري وأصفهان وأذربيجان (عن ابن الأثير) . (٤) هو قزل أرسلان عثمان بن إدريس (عن ابن الأثير وعقد الجمان) . (٥) هو جلال الدين عبيد الله بن يونس وزير الخليفة الناصر لدين الله كاسيذ كرا المؤلف وفاته سنة ٥٥٩٣ . (٦) الغزنوي : نسبة إلى غزنة ، مدينته بالهند . وفي تاريخ دولة آل سلجوق : « وأتهم وزيره عزيز الدين (وفي هامشه عن الدين) بن رضى الدين يوما قتلته وأخاه صبرا » . (٧) في الأصل : « في سنة اثنتين وأربعين » . وما أثبتناه عن مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٨ تاريخ) ، ومرآة الزمان وعقد الجمان وما تقدم ذكره للأولف في الجزء الخامس من هذه الطبعة في حوادث سنة ٥٤٣٢ . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٤ من الجزء الخامس . (٩) كذا ضبطه في الأصل هنا . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

المهمة وبعدها ياء ولام ساكتان) . وهو آسم باللغة التركية لطائر معروف عندهم .
وبك : هو الأمير، واضح لا يحتاج إلى تفسير .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى العلامة رضى الدين
أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني الشافعي الواعظ في المحرم، وله
ثمان وثمانون سنة . وطغر بك شاه السلطان ابن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
السلجوقي، قتله [في] المصاف خوارزم شاه تكتش . وأبو المظفر عبد الخالق بن قيروز
الجهوي . والإمام أبو محمد القاسم بن فيره الرعيي الشاطبي المقرئ في جمادى
الآخرة، وله اثنتان وخمسون سنة . والحافظ محمد بن إبراهيم بن خلف المالقي
أبو عبد الله بن الفخار بمرآكش . والفخر محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الأديب المؤرخ
بقاة بالحلة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وخمس أصابع .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأثنتان وعشرون إصبعا .



السنة الثالثة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر،
وهي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

(١) في الأصل : « والد أرسلان » . والتصويب عما تقدم ذكره للؤلف وتاريخ الإسلام
للذهبي وعقد الجمان . (٢) في الأصل : « ابن فرة » . وما أثبتناه عن وفات الأعيان والمشتبه وغاية
النهاية في رجال القراءات وشذرات الذهب . وقد ضبطه المشتبه بالقلم وأبى خلكان بالعبارة فقال : « بكر
القاء وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديد الراء وضماها » . (٣) الرعيي : نسبة إلى ذي رعين ،
وهو أحد أقبال اليمن . (٤) الشاطبي : نسبة إلى شاطبة ، مدينة في شرق الأندلس وشرقي
قرطبة ، وهي مدينة كبيرة قديمة ، قد نرج منها خلق من الفضلاء (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) المالقي : نسبة إلى مالقة ، مدينة بالأندلس عاصمة من أعمال رية ، سورها على شاطئ
البحرين الجزيرة الخضراء والمرية (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

فيها اقطع الملك العزيز فارس الدين ميمون القصرى نابلس^(١) في سعمانة فارس
من مقاتلة الفرنج^(٢).

وفيها كانت وقعة الزلاقة^(٣) بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين
ألفنش^(٤) الفرنجى ملك طليطلة^(٥)، وكان قد استولى على جزيرة الأندلس وقهر ولاتها،
ويعقوب المذكور مشغول بقتال الخارجين عليه، وبينه وبين الأندلس زقاق سبعة^(٦)،
وعرضه ثلاث فرائخ، بجمع يعقوب العساكر وعرض جندة، وكانوا مائى ألف
[مقاتل : مائة ألف] ياكلون الأرزاق، ومائة ألف مطوعة، وعبر الزقاق إلى مكان
يقال له الزلاقة؛ وألقوا بغرى بينهم قتال لم يحرق جاهلية ولا إسلام حتى أنزل الله
نصره على المسلمين . فولى ألفنش هاربا في نفر يسير إلى طليطلة، وغيم المسلمون
ما كان في عسكره . وكان عدة من قتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعين ألفا ،
وعدة الأسارى ثلاثين ألفا؛ ومن الخيل : مائة ألف خيمة ومحسين ألفا؛ ومن
الخيل ثمانين ألفا؛ ومن البغال والأموال والجواهر والثياب ما لا يحصى ولا يحصى .
وبيع الأسير من الفرنج بدرهم ؛ والسيف بنصف درهم ، والحضان بخمسة دراهم ،
والخمار بدرهم . وقسم الملك يعقوب هذه الغنائم بين المسلمين على مقتضى الشريعة،

- ١٥ (١) نابلس (بضم الموحدة واللام) : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة (عن معجم البلدان
لياقوت) . (٢) كذا في مرآة الزمان . وفي الأصل : « في مقابلة الفرنج » . (٣) الزلاقة :
أرض بالأندلس بقرب قرطبة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) كذا في الأصل ومرآة الزمان وابن الأثير
وتاريخ ابن الوردي وعقد الجمان ، وقد ضبطه بالعبارة (بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء . والنون وفي آخره
شين مجعنة) . وفي معجم البلدان لياقوت وعقد الجمان وقد ضبطه بالعبارة أيضا : « الأذفوش » .
وقال : الأول أظهر . (٥) طليطلة ، قال ياقوت : هكذا ضبطه الحميدى (بضم الطاءين وفتح اللامين) .
وأكثر ما سمعناه من المقاربة بضم الأولى وفتح الثانية : مدينة كبيرة ذات خصائص حمودة بالأندلس ،
يتصل عملها بعمل وادى الحجارة من أعمال الأندلس ، وهى غربي قرطالروم وبين الجوف والشرق من قرطبة
(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٧) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

فَاسْتَقْنُوا إِلَى الْأَبَدِ . وَوَصَلَ الْفَنَشْ إِلَى طُلَيْطَلَةَ عَلَى أَقْبَحِ وَجْهِهِ ، فَخَلَقَ رَأْسَهُ
وَحُلِيَّتَهُ ، وَتَكَسَّ صُلَيْبَهُ وَأَلَى أَنَّهُ لَا يَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ وَلَا يَقْرَبُ النِّسَاءَ وَلَا يَرْكَبُ فَرَسًا
حَتَّى يَأْخُذَ بِالنَّارِ .

وفيهما أعنى الخليفة الناصر لدين الله العباسي - بتمام البطاقة أعثناء زائدا ، حتى
صار يحجب بأنساب الطير المحاضر أنه من ولد الطير الفلاني ؛ وقيل : إنه باع طيرا
بألف دينار .

وفيهما حج بالناس من بغداد ^(١) بسجج الناصري ، ومن الشام سراً سُنُقَرُ وَأَيْبَكُ
فُطَيْسُ الصَّلَاحِيَّانِ ، ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفري - الطالبي - .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال . وفيها تُوُفِيَ أَبُو الْقَاسِمِ ذَاكَرُ
بْنِ كَامِلٍ أَخْلَافَ . وَالْفَقِيهَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ الزَاهِدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَلِيٍّ الْأَنْدَلُسِيَّ
فِي الْمَحْزَمِ عَنْ بَضْعِ وَثْمَانِينَ سَنَةً . وَأَبُو الْحَسَنِ نَجَّيَّةَ بْنَ يَحْيَى [بْنَ خَلْفٍ] ^(٢) بْنَ نَجَّيَّةَ
الْإِشْبِيلِيَّ - الْمُقَرَّرِيَّ النَّحْوِيَّ .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وإصبعان . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .



السنة الرابعة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر ، وهي
سنة اثنين وتسعين وخمسمائة .

(١) هو سجنر قطب الدين ملوك الناصر لدين الله الخليفة . (٢) من ولد جعفر بن أبي طالب ،
كما في مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) في الأصل : « أبو الحسن » . وما أثبتناه عن غاية
النهاية وبغية الوعاة وتكملة الصلة لابن الأبار (ج ٢ ص ٤٢٣) .
(٤) التكملة عن غاية النهاية وبغية الوعاة وتكملة الصلة لابن الأبار .

فيها بعد خروج الحاج من مكة هبت ريحٌ سوداءُ غمت الدنيا ، ووقع على الناس رملٌ أحمر ، ووقع من الركن اليماني قطعة ، وتحرك البيت الحرام مرارا . وهذا شيء لم يُعهد منذ بناه عبد الله بن الزبير — رضى الله عنهما — .

- وفيها أيضا كانت الوقعة الثانية بين السلطان يعقوب وبين ألفنش ملك الفرنج بعد أن حشد ألفنش جمعا كبيرا وألتقوا ، فكان بينهم قتلة عظيمة ؛ ونصر الله المسلمين . وهزمه يعقوب وتبعه وحصره على الزلاقة و بطليلة ونصب عليها المجانيق وضيق عليها ، ولم يبق إلا أخذها . فخرجت إليه والدته ألفنش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه ، وسألته إبقاء البلد عليهن ، فرق هن ومن عليهن بها ؛ ولو فتح بطليلة لفتح إلى مدينة النحاس . ثم عاد يعقوب إلى قرطبة فأقام بها شهرا يقسم الغنائم ، وجاءته رسل ألفنش أيضا تسال الصلح ، فصالحه على مدة معينة .

- وفيها توفي محمد بن علي بن أحمد ، الوزير أبو الفضل مؤيد الدين بن القصاب . أصله من شيراز ، وقدم بغداد وأستُخدم في الديوان ، ثم ترقى إلى أن ولى الوزارة ؛ وقرأ الأدب والنحو . وكان داهية ردى الاعتقاد إلا أنه كان له خبرة بالأمور والحروب وفتح البلاد ، وكان الخليفة الناصر لدين الله يثق عليه ويقول : لو قبلوا من رأيه ما جرى ما جرى ، ولقد اتعب الوزراء من بعده .

- وفيها توفي محمد بن علي بن شعيب ، الشيخ أبو شجاع القرصى الحاسب البغدادى المعروف بابن الدهان . كان فاضلا عالما وصنف تاريخا من عشر وخمسمائة إلى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

- (١) في الأصل : « خرج إليه ولد ألفنش » . والنصح عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب (٢) في الأصل : « فرق طين » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٣) مدينة النحاس ويقال مدينة الصفر ، لها قصة بعيدة من الصحة . راجع ما كتبه عنها ياقوت في معجمه . (٤) في عقد الجمان : « محمد بن علي بن محمد » . (٥) قد تقدمت وفاته فيمن ذكرهم الذهبي سنة ٥٩٠ هـ . ووافقه على ذلك ابن خلكان .

وفيها تُوِّفِّي محمد بن علي بن فارس الشيخ أبو الفنائم [المعروف بـ] ^(١) ما بن المعلم
الهُرَافِيّ الشاعر المشهور . وَهُرْتُ : قرية تحت واسط . كان رقيق الشعر ، لطيف
المعاني ، وله ديوان شعر . ومن شعره القصيدة التي أولها :

لو قَضَى مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ أَرْبَةً * لم يَهْجُ نَشْرُ الْخُرَامِيِّ طَرَبَةً
عَلَّوْا الصَّبَّ بِأَنْفَاسِ الصَّبَا * إِنَّهَا تَشْفِي النُّفُوسَ الْوَصْبَةَ
فَهِيَ إِنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ نَشْرَتْ * مَا أَنْطَوَى عَنْهُ وَجَلَتْ كُرْبَةً
كَأَنِّي فِيكُمْ قَدِيمٌ عَهْدُهُ * مَا صَبَّابَانِي بِكُمْ مَكْتَسَبُهُ
أَيْنَ وَرَقُ الْخَزْعِ مَنْ لِي أَنْ أَرَى * مُجَمِّمُهُ إِنْ لَمْ أَشَاهِدْ عَرَبَةَ

ومنها :

عَنْ جَفَوْنِي النَّوْمَ مَنْ بَعْدَهُ * وَإِلَى جَسَمِي الضَّنَا مَنْ قَرَبَهُ
وَصَلُّوا الطِّيفَ إِذَا لَمْ يَصِلُوا * مَسْتَهَامًا قَدْ قَطَعْتُمْ سَبَبَهُ
وَإِلَى أَنْ تُحْسِنُوا صُنْعَانَا * قَدْ أَسَاءَ الْحُبُّ فِينَا أَدَبَهُ
وهي أطول من هذا .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوِّفِّي المحدث أبو الرضا
أحمد بن طارق الكُرْكِيُّ في ذي الحجة ببغداد . وعبد الخالق بن عبد الوهاب بن محمد
المَالِكِيُّ الصَّابُونِيُّ الخَقَّافُ ^(٢) . وأبو الفنائم محمد بن علي بن فارس [المعروف بـ] ^(٣) ما بن
المعلم الواسطي شاعر العراق عن إحدى وتسعين سنة . والوزير مؤيد الدين
محمد بن علي بن القَصَّاب . والعلامة مجير الدين محمود بن المبارك البغدادى الشافعى
عن خمس وسبعين سنة . ويوسف بن معالي الكَّافِيّ المقرئ بدمشق .

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) الكركي : نسبة إلى كرك قرية في أصل جبل لبنان
(عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) المالكي : نسبة إلى المالكية — لا إلى المذهب — وهي
قرية على الفرات (عن معجم البلدان لياقوت) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وست وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .



السنة الخامسة من ولاية الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

فيها قَدِمَ حُسام الدِّين أبو الهَيَّجاء السَّمين بغداد وخرج الموكب للقائه، ودخل أبو الهيجاء في زِيٍّ عَظِيمٍ [و] رَتَّبَ الأَطْلَابَ على ترتيب أهل الشام، وكان في خدمته عِنة من الأمراء؛ وأول ما تقدَّم من الأمراء طُلب آبن أخيه المعروف بكور الفرس ثم أمير أمير؛ وجاء هو بعد الكلِّ في العُنة الكاملة والسلاح التام ، وخرج أيضا أهل بغداد للقائه ، وكان رأسه صغيرا وبطنه كبيرا جدًّا، بحيث كان بطنه على رقة البغلة؛ فراه رجل كَوَّاز فعمل في الساعة كوزا من طين على هيئته، وسبقه فعلقه في السوق؛ فلما أجتاز به ضحك . ثم عمل بعد ذلك أهل بغداد كِرِزَانًا سموها : أبا الهيجاء . وأكرمه الخليفة وأقام له بالضيافات .

قلت : أبو الهيجاء هذا هو الذى عزَّله الملك العزيز هذا عن نيابة القدس بجُرْدِيك في أوائل أمره . حسب ما تقدَّم ذكره في ترجمة العزيز .

وفيها توفى الأمير طُغْتَيْكِين بن أيُّوب أخو السلطان صلاح الدين بن أيوب ، ولقبه سيف الإسلام . كان والى اليمن، ملكها من زَيْد إلى حَضْرَمَوْت ، وكان

(١) في عقد الجمان والذيل على الروضتين : « وكان معه ولدا أخيه عز الدين كز والفز . وأول ما تقدم طلب كز ثم الفز ثم أمير » . (٢) حضرموت : ناحية واسعة شرق عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحفاف ، وبها قبر هود طيه السلام (عن معجم البلدان لياقوت)

شجاعاً مقداماً شهماً . وتُوفِّيَ زَريد . وولي اليمن بعده ولده شمس الملوك إسماعيل وأدعى الخلافة .

وفيها تُوفِّيَ عبد الله بن منصور بن عمران الشيخ أبو بكر الباقلاني . ومولده في سنة خمسمائة . وأُقرِدَ بالرواية في القراءات العشر ، وكان حسن التلاوة . وقدم بغداد ومات بواسط في سَفَح شهر ربيع الآخر .

وفيها تُوفِّيَ عبيد الله بن يونس بن أحمد الوزير جلال الدين أبو المظفر الحنبلي ، ولي حِجَابَةَ الديوان ثم أسستوزره الخليفة ؛ وكان إماماً عالماً في الأصول والحساب والهندسة والجبر والمقابلة ، غير أنه شأن أمره بأمور فعلها ، منها : أنه أُحْرِبَ بيت الشيخ عبد القادر [الحيلاني] ^(١) وشنت أولاده ، ويقال : إنه بحث في الليل من نَبَش على الشيخ عبد القادر ورَمَى بعظامه في الثَّجَّة ، وقال : هذا وقف ما يحل أن يُذَقَّن فيه أحد .

قلت : وما فعله هو بعظام الشيخ أقبح من أن يُذَقَّن بعض المسلمين في بعض أوقاف المسلمين ، وما ذلك إلا الحسدُ داخله من الشيخ عبد القادر وعِظَم شهرته حتى وقع منه ما وقع ؛ ولهذا كان موته على أقبح وجه ، بعد أن قاسى خطوباً ومِحَنًا وحُيُس سنين ، حتى أُخْرِج من الحبس ميتاً ؛ وهذا ما وقع له في الدنيا ، وأما الأخرى فأمره إلى الله تعالى . وبالجملة فإنه كان من مساوئ الدهر .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّيَ سيف الإسلام طُغْتِيكِين بن أيوب بن شاذي صاحب اليمن في شَوال ، وولى بعده ابنه إسماعيل . ومقرئ العراق أبو بكر عبد الله بن منصور الرُّبَيعِي الباقلاني بواسط في شهر ربيع

(١) كذا في الأصل وعقد الجمان وابن الأثير والمختصر المحتاج إليه . وفي شذرات الذهب والذيل

على الرويتين : « عبد الله » . (٢) زيادة عن شذرات الذهب .

- الأول عن ثلاث وتسعين سنة . والوزير جلال الدين عبيد الله بن يونس ، مات في المطمورة ^(١) . وعذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ودُفِنَت بالعذراوية ^(٢) . وقاضي القضاة أبو طالب علي بن علي بن أبي البركات البخاري الشافعي ببغداد . وأبو المعمر محمد ابن حيدرة بن عمر بن إبراهيم العلوي الزيدي الرافضي ^(٣) . وأبو الفتح الأصبهاني ناصر الدين بن محمد الورج في ذى الحجة . وأبو القاسم يحيى بن أسعد بن [يحيى] بن بوش الخباز في ذى القعدة ، غُصَّ بلقمة ، وعاش بضعا وثمانين سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .



- ١٠ السنة السادسة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر ، وهي سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

- فيها توفى الأمير جُرْدِيك بن عبد الله النوري . كان من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، ثم خَدَمَ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في جميع غزواته وحروبه من يوم قتل شاور بمصر وابن الخشاب بحلب . وكان أميراً شجاعاً مهيباً جَوَاداً ، ولآه صلاح الدين نيابة القدس إلى أن أخذها منه الأفضل .

- (١) المطمورة : بلد في ثغور بلاد الروم بناحية طرسوس . (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٢) العذراوية ، هي المدرسة التي بنتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بدمشق (عن عقد الجمان) .
(٣) كذا في الأصل . وفي شرح القصيدة اللامية في التاريخ هكذا : « ناصر الورج » . وفي شذرات الذهب : « أبو الفتح ناصر بن محمد الأصبهاني القطان » .
(٤) نكتة من المشتبه والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد .

وفيهما توفى زَيْكِي بن مودود بن زَيْكِي بن آق سنقر عماد الدين صاحب سنجار،
وَأَبْنِ أَخِي نور الدين الشهيد . كان عاقلاً جَوَاداً لم يزل مع السلطان صلاح الدين،
وكان السلطان صلاح الدين يحترمه مثل ما كان يحترم نور الدين ، وَيُعْطِيهِ الأَمْوَالَ
والهدايا، وكانت وفاته بسنجار . وَلَمَّا اخْتَضِرَ أَوْصَى إِلَى أَكْبَرِ أَوْلَادِهِ قطب الدين
محمد، وَلَقَّبَ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ .

وفيهما تُوُفِّيَ قِيَّاز بن عبد الله مجاهد الدين الخادم الرومي الحاكم على الموصل ،
وهو الذي بنى الجامع المجاهدي والمدرسة والرباط والبيمارستان بظاهر الموصل
على دجلة ووقف عليها الأوقاف . وكان عليه رواتب بحيث إنه لم يدع [بالموصل بيتاً]^(١)
فقير إلا أغنى أهله ، وكان ديناً صالحاً عابداً عادلاً كريماً ، يتصدق كل يوم خارجاً
عن الرواتب بمائة دينار . وَلَمَّا مات عز الدين مسعود وولي ابنه أرسلان شاه حبس^(٢)
قيزاز هذا وضيّق عليه وآذاه إلى أن مات في حبسه .

وفيهما تُوُفِّيَ يحيى بن سعيد بن هبة الله العلامة أبو طالب قوام الدين الشيباني
المفتي الكاتب الواسطي الأصل ، البغدادى المولد والدار والوفاة . مولده في سنة
أثنين وعشرين وخمسمائة . واشتغل بالأدب وبرع في الإنشاء وفنون من العلوم كالفقه
وعلم الكلام والأصول والحساب والشعر ، وجالس أبا منصور بن الجوالقي وقرأ عليه ،
وسمع أبا القاسم بن الصائغ وغيره ، وولي الخليفة عدة خدام : حُجْبَةَ الباب ، ثم
الأستادارية ، ثم كتابة الإنشاء آخر عمره ومات في ذى الحجة . ومن شعره —
وأحسن فيما قال — :

(١) الزيادة عن مرآة الزمان وشذرات الذهب . (٢) هو عز الدين مسعود بن قطب الدين

مودود صاحب الموصل . (٣) هو نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زَيْكِي

صاحب الموصل .

بأضطراب الزمان ترتفع الأذن * نذال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء ساكنا فإذا * حرك نارت من قعره الأقداء

قلت : وفي هذين البيتين شرح حال زماننا هذا لكثرة من ترقى فيه من الأوباش إلى الرتب السنية من كل طائفة ، وقد أذكرني ذلك واقعة جرت في أول سلطنة الملك الأشرف إينال^(١) ، وهى أن بعض أوباش الخاصكية تمن ليس له ذات ولا أدوات وقف إلى السلطان وطلب منه إمرة عشرة ، وقال له : يا مولانا السلطان ، إنا أن ننعم على بإمرة عشرة وإلا وسطينى هنا ؛ وقيل : إنه تمدد ونام بين يديه حتى أخذ إمرة عشرة ؛ وهو معروف لا يحتاج إلى تسميته . ومن هذه المقولة شئ كثير ، ومع ذلك خرج الزمان وللدولة أعيان ، فلا قوة إلا بالله .

وفيها توفى أبو الهيثماء السمين الأمير حسام الدين الكردى المقدم ذكره فى عدة أماكن ، وذكرنا أيضا دخوله إلى بغداد ، وأنه صار من جملة أمراء الخليفة حتى سيره إلى همدان ، فلم يتم له أمر ، واختلف أصحابه عليه فأستحيا أن يعود إلى بغداد ، فسار إلى الشام ومريض بها ومات بعد أيام . وكان أميرا شجاعا مقداما عارفا متجملًا سيوسا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع وعشرون أصبعًا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإصبعان .

(١) هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبد الله السلاطى القاهرى ثم الناصرى . ملك الديار المصرية من سنة ٨٥٧ — ٨٦٤ هـ . كما سياتى ذكره للوف .

ذكر ولاية الملك المنصور محمد على مصر

اختلف المؤرخون فيمن ولي ملك مصر بعد موت الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . فمن الناس من قال : أخوه الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ ومنهم من قال : ولده الملك المنصور محمد هذا . والصواب المقالة الثانية ، فإنه كان ولده والده العزيز من بعده ، وإليه أوصى العزيز بالملك ، وأيضا مما يقوى المقالة الثانية أن المنصور كان تحت كنف والده العزيز بمصر ، وكان الأفضل بصرخد^(١) ، ولم يحضر إلى مصر ، حتى تم أمر المنصور وتسلمن بعد موت أبيه . وبيان ذلك أيضا يأتي فيما نذكره الآن في سياق ترجمة الملك المنصور ، فيعرف بهذا السياق من كان في هذه المدة السلطان بمصر إلى حين ملك الملك العادل أبو بكر بن أيوب ؛ فنقول :

لما مات الملك العزيز عثمان بديار مصر في العشرين من المحرم أوصى بالملك لأكبر أولاده وهو ناصر الدين محمد المذكور ، ونص عليه في الوصية ؛ وكان للعزيز عشرة أولاد ، ولم يذكر في الوصية عمه العادل ؛ وجعل وصيه الأمير أركش مقدم الأسدية .

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في تاريخه : « كان لأبنة محمد عشر سنين وكان مقدم الصلاحية نحر الدين جهاركش ، وأسد الدين سراً سقور ، وزين الدين قراجا ؛ فاتفقوا على ناصر الدين محمد وحلفوا له الأمراء ؛ وكان سيف الدين أركش مقدم الأسدية غائبا بأسوان ، فقدم وصوب رأيهم وما فعلوه ، إلا أنه قال : هو صغير السن لا ينهض بأعباء الملك ، ولا بد من تدبير كبير يحسم المواد ويقم الأمور ، والعادل مشغول في الشرق بما يريدن ، وما تم أقرب من الأفضل نجعله أتاك المساكرك ، فلم يمكن

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

- الصلاحية مخالفة الأسدية وقالوا: أفعلوا ففعلوا. فكتب أَرْكُش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصَرْخَد. وكتب الصلاحية إلى مَنْ بدمشق من أصحابهم يقولون: قد آتفتت الأسدية على الأفضل، وإن مَلَك الأفضل الديار المصرية حكموا علينا، فأمنعوا الأفضل من الحجى، فركب عسكر دِمَشق ليمنعوه ففاتهم، وكان الأفضل قد آلتقى التَّجَاب المتوجّه إلى دِمَشق ثانيا من قِبَل الصلاحية، وعلى يده الكُتُب التي تتضمن ما ذكرناه من منع الأفضل من الحجى إلى الديار المصرية، فأخذ الأفضل التَّجَاب وعاد به إلى مصر، ولما وصل الأفضل إلى مصر آلتقاه الأسدية والصلاحية، ورأى جِهاركُس التَّجَاب الذي أرسله، فقال له: ما أسرع ما عُدْتَ! فأخبره الخبر، فساق هو وقراجا بَيْنَ معهما من وقتها إلى القُدُس وتحصّنا به. فلما وقع ذلك أشارت الأسدية على الأفضل بقصد دِمَشق، وأرَبَ العادل مشغول بمآردين. ١٠
- فكتب الأفضل إلى أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب يستنجده، فأجابه وقال: أقدم حتى أساعدك. فسار الأفضل بالعساكر المصرية إلى الشام وأستتاب بمصر سيف الدين أَرْكُش، ووصل الأفضل إلى دمشق في شعبان من السنة فأحلق بها. وبلغ هذا الخبر الملك العادل وهو على مآردين، وقد أقام عليها عشرة أشهر، ولم يبقَ إلّا تسليمها وصعدت أعلامه على القلعة^(١)، فلما سمعوا بوفاة العزيز توقّفوا ١٥
- عن تسليمها، فرحل الملك العادل أبو بكر عنها، وترك على حصارها ولده الكامل محمدا الآتي ذكره في سلاطين مصر — إن شاء الله تعالى — وسار العادل إلى نحو الشام فوصلها ومعه جماعة من الأمراء، وكان الأفضل نازلاً في الميدان الأخضر فأشار عليه جماعة من الأمراء أن يتأخّر إلى مشهد القدم^(٢) [حتى يصل الظاهر وصاحب^(٣)

(١) في الأصل: « إلى القلعة ». وما أثبتناه عن مرآة الزمان. (٢) راجع الحاشية ٧٠.

رقم ١ ص ١٢٦ من هذا الجزء. (٣) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان.

يَحْصُ وَالْأَمْرَاءَ] . ودخل العادلُ وَمَنْ معه إلى دمشق ، وجاء الظاهر بمسك
 حلب ، وجاء عسكر حَمَاةٍ وَيَحْصُ ، وَبَشَارَةٌ مِنْ بَنِيَّاسَ ، وَعَسْكَرُ الْحَصُونِ ، وَسَعْدُ الدِّينِ
 مسعود صاحب صَفْدٍ ^(١) ، وضايقوا دمشق وبها العادل ، وكسروا باب السلامة ^(٢) ؛
 وجاء آخرون إلى باب الفراديس وكان العادل في القلعة وقد آستأمن إليه جماعةٌ من ^(٣)
 المصريين مثل ابن كهدان ومثقال الخادم وغيرهما . فلما بلغه أن ابن الحنبل - وأخاه
 شهاب الدين وأصحابهما قد كسروا باب الفراديس ركب من وقته وخرج إليهم وجاء ^(٤)
 إلى جَيْرُونٍ والمجدد أخو الفقيه عيسى قائم على فرسه ينسرب الفُقَاعُ ، ثم صاح ^(٥)
 العادل : يَا قَلْعَةَ يَا صَنْعَةَ إِلَى هَاهُنَا ! فلما سمعوا كلامه أنهزموا وخرجوا ؛ فأطلق
 العادل باب السلامة ، وجاء إلى باب الفراديس فوجدهم قد كسروا الأقفال بالمرزبات ؛
 فقال مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ قالوا : الحنابلة ؛ فسكت ولم يَقُلْ شيئاً . وقال أبو المظفر :
 وَحَكَى لِي الْمَعْظَمُ عِيسَى - رحمه الله - قال : [لَمَّا] رَجَعْنَا مِنْ بَابِ الْفَرَادِيسِ ^(٦)
 [و] وصلنا إلى باب مدرسة الحنابلة رُمِيَ عَلَى رَأْسِ أَبِي (يعني العادل) حُبُّ الزَّيْتِ ^(٧)
 فأخطأه ، فوقع في رَقَبَةِ الْفَرَسِ فوقع ميتاً ، فنزل أبي وَرَكِبَ فِيهِ وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ،

- ١٥ (١) صفد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حصص بالشام وهي في جبال لبنان (عن معجم
 البلدان لياقوت) . وفي الأصل : « صفد » . (٢) باب السلامة : شمال دمشق ، سمي
 بذلك تخالفاً لأنه لا يتبأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار . (عن تهذيب تاريخ مدينة
 دمشق ج ١ ص ٢٦٢) . (٣) باب الفراديس ، شمال دمشق ؛ منسوب إلى محلة كانت خارج
 الباب تسمى الفراديس ، وهي الآن خراب ، وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة قسماً ، والفراديس
 لغة الروم البسائين (عن تهذيب تاريخ مدينة دمشق) . وراجع الحاشية رقم ١٥٧ من الجزء الرابع من
 هذه الطبعة . (٤) في الأصل : « ابن مهران » وفي مرآة الزمان : « ابن كهدان » . وما أثبتناه
 من عقد الجمان وكما سيأتي في حوادث سنة ٦١٥ هـ . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من الجزء
 الخامس من هذه الطبعة . (٦) في الأصل : « وهو قائم » . وما أثبتناه من عقد الجمان ومرآة الزمان .
 (٧) الزيادة من مرآة الزمان وعقد الجمان . (٨) الحب : البقرة .

وجاء جِهَارُ كُسٍ وَقَرَّاجَا فِي اللَّيْلِ مِنْ جَبَلِ سَنِيرٍ فَدَخَلَ دِمَشْقَ . وَأَمَّا الْمَوَاصِلَةُ
فَسَاقُوا عَلَى الْكَامِلِ مُحَمَّدَ فَرَحْلُوهُ عَنْ مَارِدِينَ ، بَغَاءَ أَيْضًا يَقْصِدُ دِمَشْقَ ، وَجَمَعَ
الْتُرْكَانَ وَغَيْرَهُمْ .^(٢)

- وَأَمَّا أَمْرُ دِمَشْقَ فَإِنَّهُ لَمَّا أَشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَيْهَا ، وَقَطَعُوا أَشْجَارَهَا وَمِيَاهَهَا الدَّاخِلَةَ
إِلَيْهَا ، انْقَطَعَتْ عَنْ أَهْلِهَا الْمِيرَةُ وَصُجُوهَا ، فَبِعِثَ الْعَادِلُ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ الظَّاهِرِ غَازِي
صَاحِبِ حَلَبٍ يَقُولُ لَهُ : أَنَا أَسَلَّمُ إِلَيْكَ دِمَشْقَ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَنْتَ السُّلْطَانُ ، وَتَكُونَ
دِمَشْقَ لَكَ لَا لِلْأَفْضَلِ ، فَطَمِعَ الظَّاهِرُ وَأَرْسَلَ إِلَى الْأَفْضَلِ يَقُولُ : أَنْتَ صَاحِبُ
مِصْرَ فَأَتَرْنِي بِدِمَشْقَ ، فَقَالَ الْأَفْضَلُ : دِمَشْقَ لِي مِنْ أَبِي ، وَإِنَّمَا أَخَذْتُ مَنِّي غَضَبًا .
فَلَا أُعْطِيهَا لِأَحَدٍ ، فَوَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَهُمَا وَوَقَعَ التَّقَاعُ ، وَنَحَرَجَتِ السَّنَةُ عَلَى هَذَا .
ثُمَّ دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّادِسَةُ وَالتَّسْعُونَ ، وَالْحِصَارُ عَلَى دِمَشْقَ . وَكَانَ أَنَّ بَكَ أَرْسَلَ نَاشِ
صَاحِبَ الْمَوْصِلِ قَدْ رَحَلَ الْكَامِلَ مِنْ مَارِدِينَ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . فَقَدِمَ الْكَامِلُ
دِمَشْقَ وَمَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ التُّرْكَانِ وَعَسْكَرَ حَرَّانَ وَالرَّهَّاءِ ، فَتَأَثَّرَ الْأَفْضَلُ بِالْعَسَاكِرِ
إِلَى عَقَبَةِ الشُّعُورَةِ فِي سَابِعِ عَشَرَ صَفَرٍ . وَوَصَلَ الْكَامِلُ فِي تَاسِعِ عَشْرَةِ فَرَزَلٍ
بِجُوسَقِ أَبِيهِ عَلَى الشَّرَفِ ، ثُمَّ رَحَلَ الْأَفْضَلُ إِلَى مَرْجِ الصُّفَرِ^(٨) ، وَرَحَلَ الظَّاهِرُ
إِلَى حَلَبٍ ، وَأَحْرَقُوا مَا تَجَزَّوْا عَنْ حَمَلِهِ . وَسَارَ الْأَفْضَلُ إِلَى مِصْرٍ . وَأَحْضَرَ الْعَادِلُ

- (١) سنير : جبل بين حمص وبلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٢) التُّرْكَانَ (بالضم) : جيل من الترك ، سموا به لأنه آمن منهم مائتا ألف في شهر واحد ، فقالوا :
ترك إيمان ، ثم خُفِضَتْ قَبِيلُ تَرْكَانَ (عن القاموس) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣٥
من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .
(٥) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من هذا الجزء . (٦) الجوسق : القصر .
(٧) في زفة الأتاق في محاسن الشام ص ٧٠ : ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر والقصور ،
وبسبب أحدهما ما شرف الأعلى والآخر بالشرف الأدنى ، وفي كل شرف منها عدة من المدارس والمساجد .
وكل شرف يطل على «الشفراء» و«المبدان» و«القصر الأبلق» و«المرجة» ذات العيون والفردان .
(٨) مرج الصفر : موضع بين دمشق والجولان صحراء (عن معجم البلدان لياقوت) .

بني الحنبل^(١) : الناصح وأخاه شهاب الدين وغيرهما، وكان الأفضل قد وعد الناصح بقضاء دمشق، والشهاب بالحسبة، فقال لهم العادل : ما الذي دعاكم إلى كسر باب الفراديس، ومظاهرة أعدائي على^(٢)، وسفك دمي؟ فقال له الناصح : أخطأنا وما تم إلّا عفو السلطان . — ثم ساق أبو المظفر كلاما طويلا محصولة العفو عن الحنابلة، إلى أن قال — : وأما الأفضل فإنه سار إلى مصر، فأرسل العادل وراءه [أبا محمد]^(٣) نجيب الدين إليه بالزبداني^(٤) يقول [له] : ترفق، فأنا لك مثل الوالد، وعندى كل ما تريد . فقال الأفضل : قل له : إن صحت مقاتلك فأبعد عنك أعدائي الصلاحية . وبلغ ذلك الصلاحية، فقالوا للعادل : إيش قعودنا هنا؟ قم بنا، وساروا خلف الأفضل مرحلة^(٥) مرحلة، ففزل الأفضل بليس ونزل العادل السائح؛ فرجع الأفضل وضرب معهم المصاف، وتقاتلوا فأنكسر الأفضل وتفرق عنه أصحابه؛ ورحل إلى القاهرة وأغلق أبوابها. وجاء العادل ففزل البركة^(٦)، ودخل سيف الدين أزنكش بين العادل والأفضل، وأتفقوا أن يعطيه العادل مياقارين^(٧) وجبل جور وديار بكر، يأخذ منه مصر؛ فاتفق الأمر على ذلك .

ورحل الأفضل من مصر في شهر ربيع الآخر، ودخل العادل إلى القاهرة، وأحسن إلى أزنكش، وقال للأفضل : جميع من كان معك كاتيني إلّا سيف الدين أزنكش . ثم قدم العادل أزنكش المذكور وحججه في البلاد، ورد القضاء

(١) في الأصل : «ولده» والتصحيح والزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) الزبداني : نهر بدمشق . (٣) السائح ، هذا الاسم كان يطلق على منطقة الأراضي الواقعة على جانبي الرقة السعيدية في المسافة الواقعة بين ناحيتي سواده والصلاحية بمركز فاقوس بمديرية الشرقية . وما تكلم المقرئ في الجسزة الأول من خطه ص ١٨٤ على بلدة الصلاحية في موضوع الوزادة ، قال : إن الملك الصالح نجم الدين أيوب أنشأ الصلاحية من سنة ٦٤٤ هـ بالسائح في أول الرمل . (٤) يريد بركة الهجاج . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) جبل جور : اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية (عن معجم البلدان لياقوت) .

- إلى صدر الدين عبد الملك بن درباس الكُرْدِيّ^(١)، ووليّ شيخ الشيوخ ابن حمويه
التدريس بالشافعي ومشهد الحسين والنظر في خانقاه الصوفيّة^(٢)، وجلس الوزير
صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن سُكْرِ في دار السلطنة في حُجْرَة القاضي الفاضل، ونظر
في الدواوين. وسار الأفضل إلى مَيّافارقين. وأستدعى العادل ولده الكامل إلى مصر
فخرج من دمشق في ثالث عشرين شعبان^(٣) وودّعه أخوه الملك المعظم عيسى
إلى رأس الماء. قال العماد الكاتب: وسرّت معه إلى مصر وأنشدته^(٤):

دعك مصر إلى سلطانها فأجِبْ * دعاءها فهو حَقٌّ غير مكذوبٍ

قد كان يهضمني دهرى فأدركني * محمد بن أبي بكر بن أيوب^(٥)

- ووصل الكامل إلى مصر في عاشر شهر رمضان، وألقاه أبوه العادل من
العبّاسة^(٦)، وأثّرله في دار الوزارة. وكان قد زوجه بنت أخيه صلاح الدين فدخل بها.
ولم يقطع العادل الخطبة لولد العزيز.

- قلت: وهذا كما يدلّ أيضا على أنّ الأفضل كان عند الملك المنصور محمد
ابن العزيز عثمان بمنزلة الأتابك. والظاهر أنّه كان ظنّ الأفضل إذا تمّ أمره
مع عمه العادل هذا استقلّ بالملك، فلم يقع له ذلك؛ ولهذا لم تذكره في ملوك مصر،
وما ذكرناه هنا إلّا في ضمن ترجمة المنصور صاحب الترجمة.^(٧)

١٥

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٦ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٠
من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٣) في مرآة الزمان وعقد الجمان: «في ثالث شعبان».
(٤) رأس الماء: موضع بالقرب من حوران شديد البرد صيفا (عن ابن الأثير ج ١٢ ص ٩٥ و ١٠٢).
طبع أوربا. (٥) في الأصل: * قد كان يهضمني دهرى فأدركني *
وفي مرآة الزمان...: «قد كان يهضمني دهرى فيومهم». والتصويب عن الروضتين.
(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة.
(٧) في الأصل: «وإنما ذكرناه». والسياق يقتضي ما أثبتناه.

٢٠

قال : ثم إنه جمع الفقهاء (يعنى الملك العادل) وقال لهم : هل يجوز ولاية الصغير على الكبير ؟ فقالوا : الصغير مولى عليه ^(١١) . قال : فهل يجوز للكبير أن ينوب عن الصغير ؟ قالوا : لا ، لأن الولاية من الأصل إذا كانت غير صحيحة فكيف تصح النيابة ! فعند ذلك قطع خطبة آبن العزيز (يعنى عن المنصور صاحب الترجمة) وخطب لنفسه ولولده الكامل من بعده . وتقصّ النيل في هذه السنة ولم يبلغ ثلاث عشرة ذراعا . ووقع الفلاء بديار مصر .

قلت : وعلى هذا يكون أول سلطنة العادل على مصر في يوم خُطِب له بمصر؛ وهو يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة .

قال آبن المستوفى في تاريخ إربيل ^(١٢) : فتكون أول سلطنة الملك العادل من هذا اليوم، ولا حيرة باستيلانه على مصر قبل ذلك . وعلى هذا أيضا تكون مدة الملك المنصور محمد صاحب الترجمة على سلطنة مصر سنة واحدة وتسعة أشهر سواء، فإن والده العزيز عثمان مات في عشرين المحرم من سنة خمس وتسعين وخمسمائة فتسلطن من يوم موت أبيه، وخُلع في العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة . انتهى . ولم أقف على وفاته الآن .

(١) في الأصل : « الصغير مولى مولى عليه » . (٢) هو أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد ابن المبارك بن موهوب بن غنيم بن غالب القمى الملقب شرف الدين ، المعروف بابن المستوفى الإربلى . كان رئيسا جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم . وكان ماهرا في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافى وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وكان بارعا في علم الديوان وحسابه وضبط قرائنه على الأوضاع المعتبرة عندهم . وجمع لإربيل تاريخا في أربعة مجلدات . وقد تأبله ياقوت الحموى بإربل وأشهد من شعره وكتب له بخطه عدة قطع من أشعاره ذكر بدين منها في معجمه في كلامه على إربل . وكانت وفاته سنة ٥٦٣٧ هـ . (راجع ترجمته بتفصيل وافى فى ابن خلكان) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .



السنة الأولى من ولاية الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر يوسف على مصر ، وهى سنة خمس وتسعين وخمسة ، على أن الملك العزيز والده حَكَمَ منها نحو العشرين يوما من المحرم كما تقدّم ذكره .

• فيها حج بالناس من بغداد مظفر الدين وجه السبع .
• وفيها كانت وفاة الملك العزيز عثمان حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمته .

وفىها توفى يحيى بن على بن الفضل أبو القاسم بن فضلان مدرّس النّظاميّة ، كان فقيها بارعا ، قديم بغداد وناظر وأقربى ودرّس ، وكان مقطوع اليد ، وقع من الجمل فعملت عليه يده ليخيف عليه فقطعت . وكانت وفاته فى شعبان . ومن شعره :
— رحمه الله تعالى —

وإذا أردت منازل الأشراف * فعليك بالإسعاف والإنصاف

وإذا بنى باغ عليك نخلة * والدهر فهو له مكاف كاف

وفىها توفى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملك المنصور أبو يوسف صاحب المغرب . كان ملكا مغازيا مجاهدا ، وهو الذى كسّر ألفنش ملك الفرنج المقدم ذكره على الزّلاقة ، وهو أعظم ملوك المغرب وأحسنهم سيرة لما كان جمع من المحاسن : الدين والصّلاح والشجاعة والكرم والحزم والعزم ، ودلّام فى ملكه إلى أن مات فى شهر ربيع الأول بعد أن أوصى بالملك إلى ولده أبى عبد الله محمد .
وكانت مدة أيامه خمس عشرة سنة . وفيه يقول شاعره أبو بكر يحيى بن عبد الجليل

(١) فى ابن الأثير : « فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر » . (٢) فى الأصل : « أبو بكر بن يحيى » .

وما أئتمناه عن ابن خلكان ، وهو شاعر مجيد وله ديوان شعر أكثره مدح فى الأمير يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن . توفى هذا الشاعر بمراكش سنة ٥٨٧ هـ . (من ابن خلكان) .

أَبْن عبد الرحمن بن يُجَيْر الأَنْدَلُسِيّ المُرْسِيّ قصيدته المطوّلة، وعدّة أبياتها مائة وسبعة أبيات . أولها :

أُتْرَاه يَتْرُك النَّحْزَلَا * وَعَلَيْهِ شَبٌّ وَأَكْثَهْلَا

ومدحه أيضا إبراهيم بن يعقوب الشاعر المشهور بقصيدة طنّانة أولها :

أَزَال حِجَابَهُ عَنِّي وَعَيْنِي * تَرَاهُ مِنَ الْمَهَابَةِ فِي حِجَابِ
وَقَرَّبَنِي تَفَضُّلُهُ وَلَكِنْ * بُدِثْتُ مَهَابَةً عِنْدَ اقْتِرَابِي

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر في المحرم ، وله ثمان وعشرون سنة .
والحفيد ابن رُشد العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رُشد القرطبي المتكلم . وأبو جعفر محمد بن إسماعيل الطرسوسي بأصبهان في جمادى الآخرة . وأبو الحسن مسعود بن أبي مسعود الأصبهاني الخياط الجمال في شوال .
وأبو الفضل منصور بن أبي الحسن الطبري الصوفي الواعظ . والعلامة جمال الدين يحيى بن علي بن فضلان البغدادي الشافعي في شعبان . وصاحب المغرب المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن القيبي .

§ أَمْر النِيل فِي هَذِهِ السَّنَةِ — المَاءُ الْقَدِيمُ ثَلَاثَ أَذْرَعٍ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرُونَ إصْبَعًا . يَبْلُغُ الزِّيَادَةُ سَبْعَ عَشْرَةِ ذِرَاعًا وَمِائَتَ عَشْرَةِ إصْبَعًا .

- (١) هو الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكائن الأسود الشاعر . والكائمي ، نسبة الى كائم (يكثر النون) وهي بلدة بنواحي غانة وهي دار ملك السودان (عن ابن خلكان) .
(٢) ولد بقرطبة ونشأ بها ، ولما ترعرع غصه ظهر فضله وذاع صيته وتلقى العلوم المختلفة على شيوخ عصره ، وما زال مثابرا على الإفادة والاستفادة حتى أصبح وعاء من أوعية العلم ، وكان حسن الرأي والتقدير ذا كبرياء البرزة قوى النفس . (راجع ترجمته بتفصيل وافق عيون الأنبا في طبقات الأئمة لابن أبي أصيبعة) . (٣) في شذرات الذهب : « أبو الحسن مسعود بن أبي منصور » .



السنة الثانية من ولاية الملك المنصور محمد بن الملك العزيز عثمان على مصر،
على أنه حكم في آخرها من شهر رمضان إلى آخر السنة عم أبيه الملك العادل أبو بكر
ابن أيوب، وهي سنة ست وتسعين وخمسمائة .

- فيها توفى توكش بن أرسلان شاه بن أنسر^(١) الملك علاء الدين خوارزم شاه ،
هو من ولد طاهر بن الحسين . كان شجاعاً مقداماً جوداً ، ملك الدنيا من الصين والهند
وما وراء النهر إلى خراسان إلى باب بغداد ، وكان توابه في حلوان^(٢) ، وكان في ديوانه
مائة ألف مقاتل ، وهو الذي أزال دولة بني سلجوق ، وكان عارفاً بعلم الموسيقى ؛
ولم يكن في زمانه أعرف منه بضرب العود ، وكان يباشر الحروب بنفسه حتى
ذهبت إحدى عينيه في الحرب ، وكان قد عزم على أخذ بغداد وسار إليها ؛ فلما
وصل إلى دهستان^(٣) توفى بها في شهر رمضان . ووقع له في مسيره إلى أخذ بغداد
في هذه المرة طريفة : وهو أن الباطنية جهزوا إليه رجلاً ليقتله ، وكان قوياً
الاحتراس ، فجلس تلك الليلة يلعب بالعود ، وقد شرع الخيمة وغنى بيتاً بالعجمية ،
وفيه « يَيْتَمٌ » ومعناه بالعجمي^(٤) : أبصرتك ؛ وكرر هذه اللفظة ؛ فلما سمع الباطني ذلك
خاف وظن أنه رآه فهرب ، فأخذ وحمل إليه فعززه وأمر بقتله . فكان ذلك من
الطرائف .

(١) في الأصل : « أبر » . وما أثبتناه عن تاريخ ابن الوردي وعقد الجمان ورمأة الزمان .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) دهستان :

بلد مشهور في طرف مازندان قرب خوارزم وجرجان . بناها عبده الله بن طاهر في خلافة المهدي (عن

معجم البلدان لياقوت) . (٤) وجدنا في هامش الأصل العبارة الآتية : « ليس معناه أبصرتك بل

معناه : أرى ، ليس فيه خطاب ولا معنى ماضٍ » .

وفيهما تُوِّفَّ إمام عصره ووحيد دهره، القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف أبي المجد على^(١) [أبن القاضي السعيد أبي محمد محمد^(٢) بن الحسن بن الحسين ابن أحمد^(٣) بن المفتج بن أحمد^(٤) اللخميّ - العسقلاني المولد، المصري - [الدار]، المعروف بالقاضي الفاضل الملقب محي الدين؛ وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

قال ابن خلكان - رحمه الله - : [و] تمكّن منه غاية التمكن (يعني من صلاح الدين) وبرّز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين ، وله فيه الغرائب مع الإكثار . أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره : أن مسودات رسائله في المجلدات، والتعليقات في الأوراق إذا جُمِعت ما تقصر عن مائة مجلد، وهو مجيد في أكثرها .

قال العباد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة في حقّه : « ربّ القلم والبيان، واللّسن واللسان؛ والفريضة الواقدة، والبصيرة النقادة؛ والبدئية المعجزة، والبدئية المطوّزة؛ والفضل الذي ما سُمِع في الأوائل من لو عاش في زمانه لتعلّق في غباره، أو جرى في مضماره؛ فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع، ورسخت بها الصنائع؛ يفتزع الأفكار، ويفتزع الأبيكار، ويطلع الأنوار، ويُدع الأزهار؛ وهو ضابط الملك بآرائه، ورابط السالك بلآلئه؛ إن شاء أنشأ في اليوم الواحد بل في الساعة، ما لو دُوّن لكان لأهل الصناعة، [خير] بضاعة » انتهى كلام العباد باختصار .

- (١) في الأصل : « أبي الحسن » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردي .
 (٢) الكلمة من ابن خلكان وشرح القاموس . (٣) في ابن خلكان وعقد الجمان : « محي الدين » . (٤) زيادة عن ابن خلكان : (٥) في الأصل : « من لو عاش » .
 وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٦) في الأصل : « بالآله » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
 (٧) في الأصل : « لكان لأهل الصناعة كفاية » . والتصحيح والتزادة عن ابن خلكان .

- وقال غيره : وكان مع فضله كثير العباداة تالياً للقرآن العزيز ديناً خيراً ، وكان السلطان صلاح الدين يقول : لا تظنُّوا أنَّى ملكْتُ البلاد بسيفكم ، بل بقلم الفاضل . وكان بين الفاضل وبين الملك العادل أبي بكر بن أيوب وحنة ، فلمَّا بلغ الفاضل مجيء العادل إلى مصر دعا الله على نفسه بالموت ، فمات قبل دخوله .
- وقيل : إنَّ العادل كان داخلاً من باب النصر ، وجنازة الفاضل خارجة من باب زويلة^(٢) . انتهى .

قلت : وفضل الفاضل وبلاغته وفصاحته أشهر من أن يذكر . ومن شعره :
قوله :

- وإذا السعادة لاحظنك عيسونها * تمَّ فالحاؤف كلهنَّ أمان^(٣)
وأصطد بها المنقاء فهي حبايل * وأقصد بها الجوزاء فهي عان^(٤)
- ١٠ - وقد استشهد علماء البديع بكثير من شعره في أنواع كثيرة ، فمأذكره الشيخ تقي الدين أبو بكر [بن علي] بن نجمة في شرح بديعته في نوع « تجاهل المعارف »^(٥)
قوله من قصيدة :

- أهذى كفه أم قوْث غيْث * ولا بلغ السحاب ولا كرامة
وهذا بشره أم تمع برق * ومن للبرق فينا بالإقامة
وهذا الجيش أم صرف الليالي * ولا سبقت حوادثها زحامة
- ١٥ -

(١) عبارة مرآة الزمان وعقد الجمان : « لما تيقن الفاضل استيلاء العادل على القاهرة دعا على نفسه بالموت خوفاً من ابن شكر وزير العادل ، فإنه كانت بينه وبينه وحنة » .
(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٣) في الأصل : « أحرصتك » . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٤) في الأصل : « وأصعد » .
وما أثبتناه من ابن خلكان . (٥) هو الشاعر المشهور صاحب القصيدة البديعة وشرحها وغيرها من المصنفات مات بحجة في خامس عشرين شعبان سنة ٨٣٧ هـ . كما سيأتي للوف في حوادث السنة المذكورة . (٦) التكلة عما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٣٧ هـ .

وهذا الدهر أم عبدٌ لديه * يُصَرِّفُ عَنْ عَزِيمَتِهِ زِمَامَهُ
وهذا نَصْلُ غَمْدٍ أم هلالٌ * إِذَا أَمْسَى كَتُونٌ أم قَلَامَةٌ^(١)
وهذا التُّرْبُ أم خَدٌّ لثْنَا * فَأَنَارَ الشَّفَاءَ عَلَيْهِ شَامَةٌ
ومنها وهو غير تجاهل العارف [ولكنه من المُرْقِصِ والمُطَرِّبِ]^(٢) :

وهذا الدرُّ مَتَوَرٌّ ولكن * أروني غيرَ أَفْلَاسِي نِظَامَةٍ
وهذي روضةٌ تَدَى وَسْطَرِي * بِهَا غَصْنٌ وَقَافِيَتِي حَمَامَةٍ
وهذا الكَأْسُ رُوقٌ مِنْ بَنَانِي * وَذَكَرَكَ كَانَ مِنْ مَسَكِ خَنَامَةٍ

وذكر أيضا في «تجاهل العارف» قوله من قصيدة :

أَهْدِي سِيرَةً فِي الْمَجْدِ أم سُوْرُ * وَهَذِهِ أَنْجُمٌ فِي السَّعْدِ أم غُرُرُ
وَأَنْعَلُ أم بِحَارِ وَالسُّيُوفِ لَهَا * مَوْجٌ وَإِفْرَنْدَهَا فِي بِلْجَهَا دُرُرُ
وَأَنْتِ فِي الْأَرْضِ أم فَوْقَ السَّمَاءِ وَفِي * يَمِينِكَ الْبَحْرِ أم فِي وَجْهِكَ الْقَمَرُ

وفيهما تُوْفَى عَلِيٌّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَمِيلٍ الْمَعْرُوفِ بِالْهَيْمَامِ الْبَغْدَادِيُّ الْعَبْدِيُّ الشَّاعِرُ
الْمَشْهُورُ، قَدِيمُ الشَّامِ وَمَدَحُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَالْمَلِكِ الْأَمْجَدِ صَاحِبِ بَغْدَادٍ . ومن شعره :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَامِلُ الْحِظِّ نَاقِصٌ * وَأَخْرُ مِنْهُمْ نَاقِصُ الْحِظِّ كَامِلُ
وَلَأَيُّ لُسْتٍ مِنْ حَيَاءٍ وَعِفَّةٍ * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي مِنَ الْمَسَالِ طَائِلُ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوْفَى أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ
ابْنُ عَلِيٍّ الْقُرْطُبِيُّ - المقرئ إمام الكَلَّاسَةِ . وإسماعيل بن صالح بن يس بمصر
في ذي الحِجَّةِ . وأبو سعيد خليل بن أبي الرِّجَاءِ الرَّارَانِيُّ الصُّوفِيُّ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ،

(١) في الأصل : «وهذا فعل» . وما أثبتناه عن معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص .

(٢) الزيادة عن نزاة الأدب لأبن هجة .

(٣) الراراني (برامين مهلنين) : نسبة المداران ، قرية بأصهان .

وله ست وتسعون سنة . والسلطان علاء الدين خوارزم شاه تكتش بن خوارزم شاه أرسلان بن أئبز بن محمد في رمضان بالخوانيق ، وتملك بعده آبنه علاء الدين محمد . والقاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي^(١) [بن محمد^(٢)] بن حسن الخنمي البيسانى^(٣) الوزير في شهر ربيع الآخر ، وله سبع وستون سنة . وأبو الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل آبن^(٤) [إبي] سعد الصوفى في ذى الحجة بدمشق . وأبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب [بن سعد بن صدقة بن الحضر] بن كليب في شهر ربيع الأول ، وله ست وتسعون سنة وشهر . والأثير أبو الفضل محمد بن محمد بن بيان الأنبارى ثم المصرى الكاتب في شهر ربيع الآخر . والسلامة شهاب الدين محمد بن محمود الطوسى بمصر . وأبو جعفر المبارك بن المبارك بن أحمد بن زريق الواسطى الحذاء المرقى^(٥) .

- ١٠ § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم لم يذ كر لقلته . وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة اثنتى عشرة ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا . وشيرقت الأراضى ، وعم البلاء والغلاء الديار المصرية وأعمالها .

(١) الزيادة عما تقدم ذكره في وفيات هذه السنة . (٢) نسبة الى بيسان : مدينة بالأردن . وفي الأصل : « النيسابورى » . (٣) التكلة عن عقد الجمان وشذرات الذهب والذيل على الروضتين . (٤) التكلة عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وعقد الجمان . (٥) نسبة الى المختصر المحتاج اليه : « محمد بن محمد بن محمد بنان الأنبارى ثم المصرى أبو طاهر بن أبي الفضل » . وفي شذرات الذهب وفوات الوفيات لأبن شاكر : « الأثير محمد بن محمد بن أبي الطاهر بن محمد بن بنان الأنبارى المصرى » . وفي حسن المحاضرة للسيوطى : « محمد بن محمد بن أبي الطاهر محمد بن بيان الأنبارى » . (٦) فى الأصل : « ابن الحداد » . وما أثبتناه عن غاية النهاية والمختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب .

ذكر ولاية الملك العادل على مصر

هو السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن الأمير أبي الشكر نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الدويني التكريتي ثم الدمشقي . وقد تقدم ذكر نسبه وأصله في ترجمة أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وقد ذكرنا أيضا من أحوال العادل هذا نبذة كبيرة في ترجمة أخيه صلاح الدين المذكور ، وأيضاً في ترجمة أولاده ، ثم في ترجمة حفيده الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف ، الذي خلعه العادل هذا وتسلطن مكانه في العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسة . وقد تقدم ذلك كله في ترجمة المنصور محمد الخلع عن السلطنة . ولا بد من ذكر شيء من أحوال العادل هنا على حدته ، وإيراد قطعة جيدة من أقوال الناس في ترجمته — إن شاء الله تعالى — .

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في تاريخه : « وُلِدَ ببعلبك في سنة أربع وثلاثين ^(١) ، وأبوه نائب عليها للاتآبك زُنَيْكى والد نور الدين محمود ، وهو أصغر من أخيه صلاح الدين بستين ؛ وقيل : وُلِدَ في سنة ثمان وثلاثين ؛ وقيل : وُلِدَ في أوائل سنة أربعين . قال أبو شامة : تُوِفِّيَ الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ، وهو بكنيته أشهر ، ومولده ببعلبك ، وعاش ستاً وسبعين سنة . ونشأ في خدمة نور الدين مع أبيه وإخوته ؛ [وحضر مع أخيه صلاح الدين فتوحاته وقام أحسن قيام في المدة مع الأنكثير ملك الفرنج بعد أخذهم عكا] ، وكان

(١) هذه رواية الذهبي . وفي عقد الجمان ومرآة الزمان : « مثل عرب مولده فقال : فتوح الرما يعني سنة تسع وثلاثين وخمسة » . (٢) هذه الرواية ربما بعدها ذكرهما ابن خلكان أيضاً في ترجمة العادل . (٣) زيادة من تاريخ الإسلام للذهبي .

- صلاح الدين يعول عليه كثيرا، وأستتابه بمصر مدة، ثم أعطاه حلب، ثم أخذها منه وأعطاهما لولده الظاهر، وأعطاه الكرك عوضا، ثم حرّاه. انتهى كلام الذهبي.
- وقال الشيخ شمس الدين أحمد بن خلكان - رحمه الله - في وفيات الأعيان :
- « كان الملك العادل قد وصل إلى مصر صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه المتقدم ذكره . وكان يقول : لما عزمنا على المسير إلى مصر آحتجت إلى جرمدان^(١) فطلبته من والدي فأعطاني ، وقال يا أبا بكر : إذا ملكتم مصر أعطوني مائة ذهابا . فلما جاء إلى مصر ، قال يا أبا بكر : [أين] الجرمدان ؟ فرحّت وملائته له من الدراهم السود ، وجعلت على أعلاها شيئا من الذهب وأحضرته إليه ، فلما رآه اعتقده ذهابا ، فقلبه فظهرت الفضة السوداء ، فقال يا أبا بكر : تعلمت زغل المصريين !
- قال : ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مصر كان ينوب عنه في حال غيبته بالشام ، ويستدعى منه الأموال للإتفاق في الجند وغيرهم . قال :
- ورأيت في بعض رسائل القاضي الفاضل أن الحمل تأخرت مدة فتقدم السلطان صلاح الدين إلى البلاد الأصبهاني أن يكتب إلى أخيه العادل يستجته على إنفاذها حتى قال : يسير [لنا] الحمل من مالنا أو من ماله ! فلما وصل الكتاب إليه ، ووقف على هذا الفصل شق عليه ، وكتب إلى القاضي الفاضل يشكو من السلطان لأجل ذلك . فكتب القاضي الفاضل جوابه ، وفي جملة : « وأما ما ذكره المولى من قوله : يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله ، فذلك لفظة ما المقصود منها من الملك النجعة ، وإما المقصود من الكاتب السجعة . وكمن من لفظة فظة ، وكلمة فيها غلظة ؛ حيرت عبي الأقاليم ، فسدت خلل الكلام . وعلى المملوك الضمان في هذه

٢٠ (١) الجرمدان : كلمة فارسية مركبة من كلمتين : « جرم » ومعناه الجلد ، و « دان » ومعناه الطرف . والمراد بها كيس من الجلد . (٢) زيادة عن ابن خلكان .

النُّكَّة، وقد فات لسان القلم منها أى سكتة». قال : ولما ملك السلطان (يعنى صلاح الدين) مدينة حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدّم ذكره ، [أعطاه^(١) لولده الملك الظاهر غازى ثم أخذها منه و] أعطاه^(٢) للامك العادل فانتقل إليها [وقصد^(٣) قلعتها يوم الجمعة الثانى والعشرين] من شهر رمضان من السنة المذكورة ؛ ثم نزل عنها للامك الظاهر غازى أبى السلطان صلاح الدين ؛ ثم أعطاه السلطان قلعة الكرك، وتقلّ فى الممالك فى حياة السلطان صلاح الدين وبعد وفاته . وقضاياه مشهورة مع الملك الأفضل والملك العزيز والملك المنصور فلا حاجة إلى الإطالة فى شرحها . وآخر الأمر أنه استقلّ بمملكة الديار المصرية . وكان دخوله إلى القاهرة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وأستقرت له القواعد . وقال أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ إربيل : فى ترجمة ضياء الدين أبى الفتح نصر الله المعروف بأبن الأثير [الوزير] الجزرى ما مثاله — وجدت بخطه — : خطب للامك العادل أبى بكر بن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة، وخطب له بحلب يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة — والله أعلم بالصواب — هذا ما ذكره أبى خلكان وهو بخلاف ما ذكرناه من أنه خطب له فى عاشر شهر رمضان من السنة، ويمكن الجمع بين القولين، لأننا قلنا فى شهر رمضان تخميناً، لأن الاتفاق كان فى شهر رمضان، ولعل الخطبة كانت فى شوال — انتهى . قال : «وملك مع ذلك البلاد الشامية والمشرقية، وصفت له الدنيا، ثم ملك بلاد اليمن فى سنة أشتى عشرة وستائة [و] سیر إليها ولّد ولده الملك المسعود صلاح الدين

٢٠

(١) النكّة عن ابن خلكان . (٢) فى ابن خلكان : «بقيت» .

(٣) زيادة عن ابن خلكان . (٤) يلاحظ أن المؤلف لم يذكر فى ترجمة العادل شيئا

من ذلك . (٥) زيادة عن ابن خلكان .

أبا المظفر يوسف ابن الملك الكامل محمد الآتي ذكره . وكان ولده الملك الأوحـد
نجم الدين أبوب ينوب عنه في ميّافارقين وتلك النواحي ، فاستولى على مدينة خـلاط^(١)
و[بلاد] أرمينية^(٢) ، واتّسعت مملكته ، وذلك في سنة أربع وستمئة .

- ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده ، فأعطى الملك الكامل محمداً الديار
المصرية ، وأعطى الملك المعظم عيسى البلاد الشامية ، وأعطى الملك الأشرف موسى
البلاد الشرقية ، والأوحـد في المواضع التي ذكرناها . وكان ملكاً عظيماً ذا رأى ومعرفة
تامة قد حنّكته التجارب ، حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل ، حازماً في الأمور
صالحاً محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، متبّعاً لأرباب السنّة مائلاً إلى العلماء .
صنّف له نحر الدين الرازي « كتاب تأسيس التقديس » ، وذكر أسمه في خطبته ،
وسيره إليه من بلاد خراسان . وبالجملة فإنه كان رجلاً مسعوداً ، ومن سعادته أنه كان
خلف أولاداً لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم ، في نجابتهم [وبسالتهم] ومعرفتهم^(٣)
وعلو همتهم ، ودان لهم العباد وملكوا البلاد . ولما مدحه ابن عتير بقصيدته الرائية^(٤)
ذكر منها في مدح أولاده المذكورين ، فقال :

- وله البنون بكل أرض منهم * ملك يقود إلى الأعادي عسكراً
من كل وضاح الجيـن تحالُهُ * بدراً وإن شهد الوغى ففضّنتهراً

- (١) في الأصل : « واستتاب على مدينة خلاط » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٢) زيادة عن ابن خلكان . (٣) هو الإمام نحر الدين أبو عبد محمد بن عمر بن الحسين
الرازي ، أفضل المتأخرين ، وسيد الحكماء المحدثين ، قد شاعت سيادته وانتشرت في الآفاق مصنفاته
وتلامذته . وسيد المؤلف وفاته سنة ٦٠٦ هـ . (٤) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن
نصر بن الحسين بن عتير الأنصاري الملقب شرف الدين الكوفي الأصل الدمشقي المولود الشاعر المشهور كان
خاتمة الشعراء ، لم يأت بعده مثله ، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع جودته
مقصوراً على أسلوب واحد بل اختلف فيه ، وكان غزير المادة من الأدب مطلقاً على معظم أشعار العرب .
توفي سنة ٦٣٠ هـ . (راجع ترجمته في ابن خلكان ج ٢ ص ٣٦) .

متقدّم حتى إذا التّعجّ أنجلي * بالبيض عن سبيّ الحريم ناترا
 قوم زكّوا أصلاً وطابوا محنّداً * وتدّفقوا جوداً وراقوا منظراً
 قال ومن جملة هذه القصيدة في مدح الملك العادل هذا قوله ، ولقد أحسن فيها ،
 [العادلُ الملكُ الذي أسماؤه * في كلّ ناحية تُشرف منبراً]
 وبكل أرض جنة من عدله الصّد * ما في أسال [نداه] فيها كثرّاً
 عدلٌ يبيت الذنب منه على الطوى * غرّنان وهو يرى الغزال الأعفراً
 ما في أبي بكرٍ لمُعقّد الهدى * شكّ مُريبٌ أنه خيرُ الورى
 سيفٌ صقال المتنّ أخلص منته * وأبان طيبُ الأصل منه الجوهرأ
 ما مدّحه بالمستعار له ولا * آياتٌ سُودّده حديثٌ يُفترى
 بين الملوك الغابرين وبينه * في الفضل ما بين الثريا والثرى
 نسخت خلافتُه الحميدة ما أتى * في الكتب عن كسرى الملوك وقيصراً
 ملكٌ إذا خفت حلوم ذوى النهى * في الرّوع زاد رصانه وتوقراً
 ثبتُ الجحّانُ رُاع من وثباته * وثباته يوم الوغى أسد الشرى
 يقطّ يكاد يقول عما في غدٍ * ببديهة أغتته أن يتفكراً
 حلمٌ تخفّ له الحلوم وراءه * رأى وعزمٌ يخفّر الإسكندرا
 يعفو عن الذنب العظيم تكبّماً * ويصدّ عن قيل الخنا متكبّراً
 لا تسمعن حديث ملك غيره * يروى فكلّ الصيّد في جوف النّرا
 قال : ولما قسم البلاد بين أولاده كان يتردّد بينهم ، ويتنقل من مملكة إلى أخرى ،
 وكان يصيف بالشام لأجل الفواكه والمياه الباردة ، ويُستقّى بالديار المصرية لأعتدال

(١) زيادة عن ابن خلكان .

(٢) في الأصل : « عن كسرى الملوك القيصرا » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ ابن الوردي .

الوقت فيها وقلة البرودة ؛ وعاش في أرغد عيش . وكان يأكل كثيراً خارجاً عن المعتاد ، حتى يقال إنه كان يأكل وحده نَحْرُوفاً لطيفاً مشوياً ، وكان له في النكاح نصيبٌ وافر . وحاصل الأمر أنه كان مُتَمَتِّعاً في دنياه . وكانت ولادته بِدِمَشْق في المحرم سنة أربعين ؛ وقيل : ثمان وثلاثين وخمسمائة .

- قلت : وافق الذهبي في مولده في السنة ، مع خلاف ذكره الذهبي فيه ، وخالفه في المكان الذي وُلِدَ فيه ، فإن الذهبي قال : كانت ولادته ببعلبك كما تقدم ذكره . قال : وتوفى في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة بعاليق . ونقل إلى دِمَشْق ، ودُفِنَ بالقلمة ثاني يوم وفاته ، ثم نُقِلَ إلى مدرسته المعروفة به ، ودُفِنَ بالتربة التي بها ؛ [وقبره^(١)] على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك . وعاليق (بفتح العين المهملة وبعد الألف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضاً وباء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون) وهي قرية بظاهر دمشق . انتهى كلام ابن خلكان — رحمه الله تعالى — بتمامه .

- وقال غيره : ولما أفتتح ولده الكامل إقليم أرمينية فرح العادل فرحاً شديداً ، وسير أستاذاره [شمس الدين^(١)] إلى بلدك وقاضى العسكر نجم الدين خليل إلى الخليفة يطلب التقليد بمصر والشام وخلاط وبلاد الجزيرة ، فأكرمهما الخليفة وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين أبا حفص عمر بن محمد الشهروردي بالتشريف ، ومرت بحلب ووعظ بها ؛ وأحترمه الظاهر غازي صاحب حلب ، وبعث معه بهاء الدين ابن شداد ثلاثة آلاف دينار لينثرها على عمه العادل ، إذا لیس خلة الخليفة . ولما وصل الشهروردي^(٢) إلى دِمَشْق فرح العادل وتلقاه من القصير^(٣) ، وكان يوماً مشهوداً ،

(١) زيادة عن عقد الجمان . (٢) في الأصل : « إلى مصر » . والتصويب عن عقد الجمان .

(٣) القصير : ضيعة أول منزل لمن يريد حصن من دمشق .

ثم من الغد أفيضت عليه الخلع؛ وهي : جبة سوداء بطراز ذهب، وعمامة سوداء بطراز ذهب، وطوق ذهب فيه جواهر، وقلد سيفاً محلى بجميع قرابه بالذهب، وحصاناً أنهب بمركب ذهب، وعلم أسود مكتوب فيه بالبياض القابُ الناصر لدين الله . ثم خلع الشهروردى على ولدى العادل : المعظم عيسى والأشرف موسى ، لكل واحد عمامة سوداء ، وثوباً أسود واسع الكُم ؛ وخلع على صاحب ابن شكر كذلك . وثر الذهب على رأس العادل من رُسل صاحب حلب وحماة وخص وغيرهم . وركب الأربعة (أعنى العادل وولديه وابن شكر الوزير) بالخلع ، ثم عادوا إلى القلعة ؛ وقرأ ابنُ شكر التقليد على كرسي ، وخُوطب العادل : بشاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين . ثم قديم الشهروردى إلى مصر وخلع على الملك الكامل بن العادل . وهو يوم ذاك صاحب مصر نيابة عن أبيه العادل كما تقدم ذكره .

وقال الموفق عبد اللطيف في سيرة الملك العادل : « كان أصغر الإخوة وأطولهم عمراً وأعظمهم فكرًا وأبصرهم في العوالم وأشدهم إمسًا وأحبهم للدرهم ؛ وكان فيه حلم وأناة وصبر على الشدائد ، وكان سعيد الحظ على الكعب مظفرًا بالأعداء من قبل السماء ، وكان يهما أكلًا يحب الطعام واختلاف ألوانه ، وكان أكثر أكله بالليل كالخليل ، وله عند ما ينام رضيع ، ويأكل رطلًا بالدمشق خيص السكر ، يجعل هذا كالجوارش ؛ وكان كثير الصلاة ويصوم الخميس ؛ وله صدقات في كثير من الأوقات ، وخاصة عندما تنزل به الآفات ، وكان كريمًا على الطعام يحب من يؤاكله ، وكان قليل الأمراض . قال لي طيبه بمصر : إنى آكل خير هذا السلطان

(١) في الأصل : « شاه أرمن » . وما أثبتناه عن عقد الجمان . (٢) هو موفق الدين عبد اللطيف

ابن يوسف بن محمد بن علي بن سعد البغدادى المعروف بابن اللباد . وسيد ذكر المؤلف وفاته سنة ٥٦٢٩ هـ .

(٣) في الأصل : « وكان فيه علم وأناة » . وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبي . (٤) الجوارش :

نوع من الحلوى ، مغرب (عن أقرب الموارد) .

- ستين كثيرة ولم يَتَجَّح إلى سوى يوم واحد ، أُخِضِر إليه من البَطِيخ أربعون حِمْلًا فَكَسَرَ الجميع بيده ، وبلغ في الأكل منه ومن الفواكه والأطعمة ، فَعَرَضَ لَهُ مُنْجَةً فاصبح ، فأشْرَتْ عليه بشرب الماء الحار ، وأن يركب طويلاً ففعل ، وآخر النهار تعشى وعاد إلى صحنه . وكان نكاحاً يكثر من آفتاء السَّرَّارِ ، وكان غيوراً لا يدخل في داره خِصْيًى إلّا دون البلوغ ، وكان يُحِبُّ أن يطبخ لنفسه مع أن في كل دار من دور حَظَاياه مطبخاً [دائراً^(١)] ، وكان عفيف الفَرْج لا يُعرف له نظراً إلى غير حاله .
- نُحِبُّ له أولاد من الذكور والإناث ، سلطان الذكور وزوج البنات بملوك الأطراف .
- وكان العادل قد أوقع الله تعالى يَفَضَّتَه في قلوب رعاياه ، والمخامرة عليه في قلوب جنده ، وعَمِلُوا في قتله أصنافاً من الحِيلِ الدقيقة مرّات كثيرة ، وعند ما يقال إن الحيلة تمت تَفْسِيخ وتَكْشِيف وتُحْسَم مَوَازِها ، ولولا أولاده يَتَوَلَّوْنَ ١٠ بلاده لَمَا ثَبَتَ مُلْكُهُ ؛ بخلاف أخيه صلاح الدين فإنه إِنَّمَا حَفِظَ ملكه بالحبّة له وحسن الطاعة ، ولم يكن — رحمه الله — بالمتزلة المكروهة ؛ وإنما كان الناس قد أَلْفُوا دولة صلاح الدين وأولاده ، فتغيرت عليهم العادة دفعةً واحدة . ثم إن وزيره ابن سُكْرٍ بالغ في الظلم . قال : وكان العادل يُوَاطِبُ على خدمة أخيه صلاح الدين ، يكون أوّل داخل وآخر خارج ، وبهذا جلبه ، وكان يُشَاوِرُهُ في أمور الدولة ، لِمَا جَرَّبَ ١٥ من نفوذ رأيه . ولَمَّا تسلطن الأفضل بدمشق والعزير بمصر قصد العزيز دمشق ، ووقع له ما حكيناه إلى أن ملكها . قال : ثم أخذ العادل يُدَبِّرُ الحيلة حتى يَسْتَنْبِيه^(٢) العزيز على مصر ، ويُقِيمَ العزيز بدمشق ، فَفَطِنَ بعض أصحاب العزيز فرمى قُلُوسَها

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام .

(٢) في الأصل : « إنما حفظ ملكه إلا بالحبّة » . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبي . ٢٠

(٣) في الأصل : « حتى استنابه » . وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبي .

بين يديه ، وقال : ألم يكفك أنك أعطيت دمشق حتى تعطيه مصر ! فنهض العزيز لوقته على غيرة ولحق بمصر .

- قال المؤرخ : ومات الملك الظاهر غازي قبله بستين فلم يثن العادل بالملك من بعده ، وكان كل واحد منهما ينتظر موت الآخر ، فلم يصف للعادل العيش بعد موته ، لأمرض لزمته بعد طول الصحة ، والخوف من الفرنج بعد طول الأمن . وخرجوا (يعني الفرنج) إلى عكا وتجمعوا على الغور ، فزل العادل قبالتهم على بيسان^(١) ، وخفي عليه أن يتزل على عقبة أفيق^(٢) ، وكانوا قد هدموا قلعة كوثب ، وكانت ظهرهم ، ولم يقبل من الجواسيس ما أخبروه بما أعزم عليه الفرنج من الغارة ، فاعترب بما عودته المفادير من طول السلامة ، فقشيت الفرنج عسكره على غيرة ، وكان قد آوى إليه خلق من البلاد يعنصمون به ، فركب مجذبا ، وماج الفرنج في أثره حتى وصل دمشق على شفاوهم ، فدخل إليها فتمعه المعتمد وشجعه ، وقال له : المصلحة أن نقيم بظاهر دمشق . وأما الفرنج فاعتقدوا أن هزيمته مكيدة فرجعوا من قرب دمشق بعد ما عاثوا في البلاد قتلا وأسرًا وعادوا إلى بلادهم ، وقصدوا ديباط في البحر فنازلوها . وكان قد عرّض له قبل ذلك ضعف وصار يعتريه ورم الأنثيين . فلما هزته الحيل على خلاف العادة ودخله الرعب ، لم يبق إلا مدة يسيرة ومات بظاهر دمشق . وكان مع حرصه يهين المال عند الشدائد غاية الإهانة ببذله . وشرع في بناء قلعة

(١) الغور : يريد غور الأردن بالشام ، بين بيت المقدس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس ، ولذلك سمى الغور ، طوله مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو يوم في نهج الأردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبحيرتها (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامي ، ويقال هي لسان الأرض ، وهي بين حوران وفلسطين . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) أفيق : قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق « والعامة تقول : فيق » . (٤) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي ولعله : « أعيته » .

دمشق فنقسم أرضها على أمرائه وأولاده، وكان الحفّارون يتحفّرون الخندق ويقطعون
الحجارة، فنخرج من تحته خرزة بئر فيها ماء معين . قال : ودعا مرة فقال : اللهم
حاسبني حساباً يسيراً، فقال له رجل ماجن من خواصة : يا مولانا، إن الله قد يسر
حسابك، قال : ويلك ! وكيف ذلك ؟ قال : إذا حاسبك قل له : المال كله في قلعة
جعبر لم أفرط فيه في قليل ولا كثير . وكانت خزانته بالكرك ثم نقلها إلى قلعة جعبر
وبها ولده الملك الحافظ، فسؤل له بعض أصحابه الطمع فيها ، فأتاها الملك العادل
ونقل ما فيها إلى قلعة دمشق، فحصلت في قبضة ولده الملك المعظم عيسى ، فلم
ينازعه فيها إخوته ؛ وقيل : إن الذي سؤل للحافظ الطمع والعصيان هو المعظم
ففعل ذلك الحافظ، وكانت مكيدة من المعظم حتى رجع إليه المال . انتهى كلام
الموفق باختصار .

١٠

وقال أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوطي في تاريخه : « سأله عن مولده
فقال : فتوح الرها (يعني سنة تسع وثلاثين وخمسمائة) — وهذا نقل آخر
في مولده — قال : وقد ذكرنا أحواله في السنين إلى أن استقر له الملك وأمتد
من بلاد الكرخ^(٢) إلى همدان والجزيرة والشام ومصر والحجاز ومكة والمدينة واليمن إلى
حضر موت ، وكان ثبتاً خليفاً بالملك حسن التدير^(٣) ، حليماً صفوفاً مدبراً للملك
على وجه الرضا، عادلاً مجاهداً ديناً عفيفاً متصديقاً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر،
طهر جميع ولاياته من الخمر والحوادث والقيار والمكوس والمظالم . وكان الحاصل
من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مائة ألف دينار، فأبطل الجميع لله تعالى .

(١) عبارة مرآة الزمان : « وقد ذكرنا أحواله مع أخيه صلاح الدين في إعطائه إياه مصر ثم حلب
ثم الشرق والكرك والشوبك وما يتعلق بذلك وما جرى بينه وبين أولاده في عز السنين إلى أن استقر له
الملك ... الخ » . (٢) كذا في مرآة الزمان . وفي تاريخ الإسلام : « من بلاد الكرخ » بالجمع .
والأصل غير واضح . (٣) في الأصل هنا كلمتان فامضتان لم تقيمنهما .

٢٠

وكان واليه على دمشق المَبَارِز والمُعْتَمَد، أعانه المَبَارِز على ذلك، أقام رجالا على عَقَاب قَاسِيُون وجبل التَّلَج وحوالي دمشق بِالْحَامِيَكَةِ^(٢) والجَرَايَةِ يَحْرُمُون أَحَدًا يدخل دمشق مُنْكَر. بلغني أَن بعض المغاني دخلت على العادل في عُرْس فقال لها : أَيْنَ كُنْتِ ؟ فقالت : ما قدرت أجيءُ حَتَّى وفيتُ ما على اللُضامن . فقال : وأي ضامن ؟ قالت ضامن القِيَان ، فقامت عليه القِيَامَة ، وطلب المعتمد [وعمل به ما لا يليق] ، وقال : والله لئن عاد بلغني مثل هذا لأفعلن ولأفعلن .

واقصد فعل العادل في غلاء مصر عَقِيبَ موت العزيز ما لم يفعله غيره ، كان يخرج في الليل بنفسه ويُفَرِّق الأموال في ذوى البيوتات والمساكين ، وكَفَّنَ تلك الأيام من ماله ثلثمائة ألف من الغرباء ، وكان إذا مَرِض أو تشوَّش مزاجه خلع جميع ما عليه وباعه حتى فرسه وتصدق به .

قال أبو المظفر : وقد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ إليه بنجر بُرْج دِمَاط^(٥) ، وأنه أنزع وأقام مريضًا إلى يوم الجمعة سابع أوثامن بُحَادَى الآخرة وتوفي بالعَليين . وكان المعظم قد كَسَرَ الفَرنج على القِيَمُون^(٦) يوم الخميس خامس بُحَادَى الآخرة ، وقيل يوم الأربعاء . ولما تُوَفِّي العادل لم يعلم بموته غيرُ كَرِيم الدِّين الحِصْلَاطِي ، فأرسل الطير إلى نابُلُس إلى المعظم ، فجاء يوم السبت إلى عَالِيَيْن فأحاط على الخزان ،

(١) كذا في الأصل وتاريخ الاسلام . وفي مرآة الزمان وعقد الجمان : « وكان واليه على دمشق المَبَارِز المعتمد » . (٢) قاسيون : الجبل المشرف على مدينة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الحامكية : أصحاب المرتبات والمسايات . (عن القاموس الفارسي والإنجليزى) . (٤) زيادة عن مرآة الزمان . (٥) برج دمياط (برج السلطة) . قال أبو شامة : وهذا البرج كان قفل الديار المصرية ، وهو برج عال في وسط النيل ودمياط بمحاذاته من شرقه ، والجزيرة بمحاذاته من غربيه ، وفي ناحيته سلسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط ، والأخرى على النيل إلى الجزيرة تمنعان عبور المراكب من البحر المسالخ (عن تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ١٨٣ طبع مصر) . (٦) القيمون : حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين (عن معجم البلدان لياقوت) .

وصبر العادل وجعله في محفة وعنده خادمٌ يروح عليه وقد رفع طرف سجاها وأظهر أنه مريض، ودخلوا به دمشق يوم الأحد والناس يُسلمون على الخادم، وهو يومئذٍ إلى ناحية العادل ويرد السلام؛ ودخلوا به القلعة وكنموا موته؛ و[من العجائب^(١) أنهم] طلبوا له كفنا فلم يقدروا عليه، فأخذوا عمامة الفقيه ابن فارس فكفّنوه بها، وأخرجوا قطنا من مخدة فلفّوه به، وصلى عليه [وزير^(٢)ه] ابن فارس ودفنوه في القلعة. قال أبو المظفر: وكنت قاعدًا إلى جانب المعظم عند باب الدار التي فيها الإيوان وهو واجمٌ ولم أعلم بحاله؛ فلما دُفن أبوه قام قائمًا وشق ثيابه ولطم رأسه ووجهه، وكان يومًا عظيمًا، وعمل له العزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالى، وعُمل له العزاء في الدنيا كلها، ونودى ببغداد من أراد الصلاة على الملك العادل الغازى المجاهد في سبيل الله فليحضر إلى جامع القصر، فحضر الناس ولم يتخلف سوى الخليفة، وصلّوا عليه صلاة الغائب وترحموا عليه، وتقدموا إلى خطباء الجوامع بأسرهم، ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة. وبقي العادل بالقلعة إلى سنة تسع عشرة وستمئة، [ثم] نُقل إلى تربته التي أنشأها عند دار العقيق^(٣) ومدرسته.

— قالت: لا أعلم ما كان السبب في عدم وجود الكفن القطن للملك العادل مع همة ولده الملك المعظم عيسى وأخذه من عالقين ميتا في محفة ولم يَفُظن به أحد. وهذا أعظم وأكثر كلفة وأصعب من شراء ثوب بعلبكي، وما يحتاج إليه الميت من الحنوط والظن وغيره فلعل لها عذرا وأنت تلوم — .

(١) زيادة عن امرأة الزمان وعقد الجمان. (٢) زيادة عن عقد الجمان.

(٣) العقيق، هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العلوي الدمشقي زهير العقيق. تقدّمت

وفاته سنة ٥٣٧٧. (٤) في المقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٣٢٥ طبع بلاق في كتاب

الجمهورية في الأمثال): «لعل له عذرا وأنت تلوم».

قال: وكان له عدة أولاد: منهم شمس الدين مؤدود^(١١) والد الملك الجواد^(١٢) [يونس].
والكامل محمد^(١٣) . والأشرف موسى^(١٤) . والمعظم عيسى^(١٥) . والأوحد أيوب^(١٦) . والفائز إبراهيم^(١٧)
[ويلقب بسابق الدين]^(١٨) . وشهاب الدين غازي^(١٩) . والعزير عثمان^(٢٠) . والأبجد حسن^(٢١) .
والحافظ أرسلان^(٢٢) . والصالح إسماعيل^(٢٣) . والمنيث عمر^(٢٤) . ومجير الدين يعقوب^(٢٥) .
وتقي الدين عباس^(٢٦) . وقطب الدين أحمد^(٢٧) . والقاهر إسماعيل^(٢٨) . وخليص أصغرهم^(٢٩) .

- (١) توفي في حياة أبيه (عن تاريخ الدول والملوك لابن الفرات). (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٩٧ تاريخ) . (٢) زيادة عن تاريخ الدول والملوك ورملة الزمان . (٣) هو السلطان الكامل ناصر الدين محمد صاحب الديار المصرية وصاحب الخطبة والسكة في جميع البلاد الأيوبية (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) . (٤) هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب الشرق وبلاد خلاط بعد أخيه الملك الأوحد . (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) . (٥) هو الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق وأعمالها (عن عقد الجمان) . (٦) هو الأوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط . توفي في حياة أبيه (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) . (٧) الزيادة عن عقد الجمان . (٨) هو الملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) . (٩) هو الملك العزيز عماد الدين عثمان ، كان يده بانياس وعدة مواضع مما كان بيد الأمير نجر الدين بها ركن (عن تاريخ الدول وعقد الجمان) . (١٠) هو الملك الأبجد محمد الدين حسن . توفي في حياة والده ، ودفن بالقدس الشريف في مدرسة بنيت له (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) . (١١) هو الملك الحافظ نور الدين علي أرسلان شاه صاحب قلعة جعبر (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) . (١٢) هو الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وكانت له من أبيه بصرى وملك بعد ذلك دمشق (عن تاريخ الدول والملوك) . (١٣) هو الملك المنيث عمر ، توفي في حياة أبيه وخلف ولدا صغيرا وهو الملك المنيث شهاب الدين محمود (عن تاريخ الدول والملوك) . وقد عده المؤلف المنيث شهاب الدين محمودا من أولاد الملك العادل وهو خطأ . (١٤) في الأصل: «نجر الدين» - والتصويب عن عقد الجمان ورملة الزمان وتاريخ الدول والملوك . (١٥) هو الملك الأبجد تقي الدين عباس وهو أصغرهم . مولده سنة ٦٠٣ هـ ، وهو آخرهم موتا ، توفي في دمشق سنة ٦٦٩ هـ ، في سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (عن تاريخ الدول والملوك) . (١٦) هو الملك الفضل قلب الدين أحمد ، توفي بمصر في أيام الملك الكامل (عن تاريخ الدول والملوك) . (١٧) في عقد الجمان أنه يلقب بيهاء الدين واسمه المنصور . (١٨) هو الملك الناصر صلاح الدين خليل (عن عقد الجمان) . (١٩) راجع الحاشية رقم ١٥ من هذه الصفحة .

وكان له عِدَّة بنات أفضلهنَّ صَفِيَّة خاتون صاحبة حلب أم الملك العزيز^(١) . انتهت
ترجمة الملك العادل - رحمه الله تعالى - .

ولما مات العادل استقرَّ كلُّ واحد من أولاده في مملكته، فإنه كان قسم ممالكه
في أولاده حسب ما تقدم ذكر ذلك كله في صدر هذه الترجمة، فالذى كان بمصر
الملك الكامل محمد، وبالشام المعظم عيسى، وبالشرق الأشرف شاه أرمين، وباقي
أولاده كلُّ واحد في مملكة، أو في خدمة أخ من إخوته . انتهى .



السنة الأولى من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهى
سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

١٠ فيها كان هبوط النيل، ولم يُعهد ذلك في الإسلام إلا مرة واحدة في دولة
الفاطميين، ولم يبق منه إلا شيء يسير؛ واشتدَّ الغلاء والوباء بمصر، فهرب الناس
إلى المغرب والحجاز واليمن والشام وتفرقوا وتمزقوا كلُّ ممزق .

قال أبو المظفر: « كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعدُه أمه على طبخه
وشيه؛ وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا . وكان الرجل يدعو صديقه
وأحب الناس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبَّحه ويأكله، وفعلوا بالأطباء كذلك، [فكانوا^(٢)
يدعونهم ليصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم] وفُقدت الميتات والحيف [من كثرة^(٢)
ما أكلوها] . وكانوا يختطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم . وكفَّ السلطان
في مدة يسيرة ما نحي ألف وعشرين ألفاً؛ وأمتلأت طرقات المغرب والشرق والحجاز

(١) هو الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر غازي، والده الملك الناصر يوسف الذي
أسرى حوادث التار . (راجع عقد الجمان في حوادث سنة ٦١٥ هـ) . (٢) زيادة من
مرآة الزمان وعقد الجمان .

والشام برّم الناس، وصلى إمام جامع الإسكندرية في يوم على سبعمائة جنازة .
وقال الإمام الكاتب الأصهباني : « [و^(١)] في سنة سبع وتسعين وخمسمائة : اشتد
الغلاء، وأمتد البلاء، وتحققت المجاعة، وتفترقت الجماعة؛ وهلك القوى فكيف
الضعيف ! ونحف السمين فكيف العجيف ! وخرج الناس حذر الموت من الديار،
وتفرق فريق مصر في الأمصار؛ ولقد رأيت الأرامل على الرمال، والجمال باركة
تحت الأحمال، ومراكب الفرج واقفة بساحل البحر على اللقم^(٢)، تسترق الحياض
باللقم » . انتهى .

قال : وجاءت [في شعبان^(١)] زلزلة هائلة من الصعيد هدمت بانيان مصر، فأتت تحت
الهدم خلق كثير، ثم امتدت إلى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلس، فلم تبق فيها
جداراً قائماً إلا حارة السمرة^(٢)؛ ومات تحت الهدم ثلاثون ألفاً، وهدمت عكا وصور
وجميع قلاع الساحل؛ وامتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق،
وأكثر الكلاسة والبيارستان النورية، وعامة دور دمشق إلا القليل؛ فهرب الناس
إلى الميادين، وسقط من الجامع ست عشرة شرفة، وتسققت قبة النسر^(٣) . انتهى
كلام صاحب المرأة باختصار، فإنه أمعن وذكر أشياء مهولة من هذا التودج .

وفيها توفي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي
ابن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبيد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم

(١) زيادة من امرأة الزمان وعقد الجمان . (٢) في الأصل : « على اللقم » . وفي امرأة الزمان :
« على اللهم » . وما أئتمناه عن عقد الجمان . واللقم : معظم الطريق وقيل وسطه وقيل واضح .
(٣) السرة والسامرة : قوم من اليهود من قبائل بني إسرائيل يخالفون اليهود في بعض أحكامهم
كانكارهم نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام، وقولهم لا أساس، وزعمهم أن نابلس هي بيت المقدس .
(راجع القاموس وشرحه مادة سمر) .

(٤) قبة النسر، واقعة على جامع دمشق، ليس في دمشق شيء أعلى ولا أبهى منظراً منها، ولها
ثلاث منائر إحداها وهي الكبرى كانت ديداناً للروم (راجع خطط الشام ج ٥ ص ٢٧٥ لكردي على) .

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عبد الله
 ابن أبي حنيفة، الشيخ الإمام الحافظ الواعظ المفسر العلامة جمال الدين أبو الفرج
 القرشي التميمي البكري البغدادى الحنبلى المعروف بأبن الجوزى^(٢)؛ صاحب التصانيف
 المشهورة فى أنواع العلوم : كالتفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب
 وغير ذلك . مولده ببغداد سنة عشر وخمسمائة تقريبا بدارب حبيب . وتوفى أبوه
 وله ثلاث سنين .

قلت : وفضل الشيخ جمال الدين وحفظه وغزير علمه أشهر من أن يذكر هنا،
 والمقصود أن وفاته كانت فى ليلة الجمعة بين العشاءين فى داره بقطفنا ودُفن من الغد،
 وكانت جنازته مشهودة، وكثر أسف الناس عليه، ولم يخلف بعده مثله .

- ١٠ قال ابن خلكان : « وبالجملة فكُتِبَ أكثر من أن تُعدَّ ، وكُتِبَ بخطه كثيرا ،
 والناس يُقالون فى ذلك حتى يقولوا إنه جُمِعَت الكرايس التى كتبها، وحُسِبَت مدة
 عمره وقُسمت الكرايس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كرايس ؛ وهذا
 شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل . ويقال : إنه جُمِعَت بُراية أفلامه التى كُتِبَ بها
 حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فَصَّلَ منها شيءٌ كثيرٌ، وأوصى أن يُسخَّنَ بها
 الماء الذى يُفَسَّلُ به بعد موته ففَعِلَ ذلك [فَكَفَّتْ]^(٥) . انتهى كلام ابن خلكان
 باختصار .

(١) فى الأصل : « القيسى التميمي » . والنصوب عن ابن خلكان وعقد الجمان و امرأة الزمان وتاريخ
 الدول والملوك لابن الفرات وشذرات الذهب . (٢) الجوزى : نسبة الى فرقة من فرض البصرة ،
 يقال لها : جوزة عن عقد الجمان . (٣) فى رحلة ابن جبير (طبع أوروبا ص ٢٢٠) : أن دار ابن
 الجوزى كانت على الشط بالجانب الشرقى وفى آخره ، على اتصال من قصور الخليفة وعمارة من باب البصلية
 ٢٠ . (٤) قطفنا : محلة بالجانب الشرقى من بغداد . (عن ابن الأثير ج ١٢
 ص ٢١٧) . (٥) زيادة عن ابن خلكان .

ومن شعره :

يا صاحبي إن كنت لي أو معي * فُصِّحْ إلى وادي الحمى ^(١) نَزَّحْ
وسَلِّ عن الوادي وسُكَّانِهِ * وَأَشُدْ فؤادي في رَبِّاَ الْجَمِّعِ
حَيَّ كَتِيبَ الرَّمْلِ رَمِلِ الحمى * وَقِفْ وسَلِّمْ لي على لَعْلَعِ ^(٢)
وَأَسْمَعْ حديثاً قد رَوَّته الصَّبَا * تُسْنِدُهُ عن بَانَةِ الْأَجْرَعِ
وَأَبْكِ فما في العين من فَضْلَةٍ * وَنُبْ فِدَتِكَ النفس عن مَدْمَعِي

وله :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظَّلِّ أعْظَمَ عِبْرَةً * لِمَن كَانَ فِي أَوْجِ الْحَقِيقَةِ رَاقِي
شَخْوصٌ وَأَشْكَالٌ تُمُزُّ وَتَقْضِي * وَتَفْنِي جَمِيعاً وَالْمَحْرُكُ بَاقِي

وفيها تُوثَّقُ الأمير بهاء الدين قَرَأُوشُ ^(٣) [بن عبد الله ^(٤)] الْأَسَدِيُّ الخادم
الْخَصِيُّ المنسوب إليه حارة بهاء الدين ^(٥) بالقاهرة داخل باب الفتوح ،
وهو الذي بنى قلعة الجبل بالقاهرة ^(٦) ، والسُّور ^(٧) [على مصر والقاهرة]

(١) في الأصل : « بَرَق » . وما أُثْبِتَناه عن عقد الجمان . (٢) لعل : اسم لطائفة من
الأمّاكن . أوردها ياقوت في معجمه . (٣) قرأوش : لفظ تركي ، تفسيره بالعربي العقاب :
الطائر المعروف ، وبه سمى الإنسان لشهامته وشجاعته (عن عقد الجمان وابن خلكان) .

(٤) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان . (٥) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٣٨ من الجزء الرابع
من هذه الطبعة . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من هذا الجزء .

(٧) زيادة عن امرأة الزمان وشذرات الذهب وعقد الجمان . وقد تكلم المقرئ في الجزء الأول
من خطه ص ٣٧٧ على ذكر سور القاهرة فقال : إن السور الثالث ابتداء في عمارة السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب في سنة ٥٦٦ هـ ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت سنة ٥٦٩ هـ ،
وهو سلطان مصر انتدب لعمل السور الطواشي بهاء الدين قرأوش الأسدي فبناه بالجارية وقصد أن يجعل
على القاهرة ومصر (مصر القديمة) والقلعة سوراً واحداً فزاد في سور القاهرة المقطعة التي من باب القنطرة
إلى باب الشعرية ومن باب الشعرية إلى باب البحر وبنى قلعة المقس وعندها انقطع السور وكان في أمه من
السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر (مصر القديمة) وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلي باب النصر =

^(١١) والقنطرة التي عند الأهرام وغير ذلك؛ وكان من أكابر الخُدّام، من خُدّام القصر، وقيل إن أصله من خُدّام العاصِد ، وقيل إنّه من خُدّام أسد الدين شيركوه وهو الأصح . وأتّصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وكان صلاح الدّين يثق به ويعول

= الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير لينصل بسور قلعة الجبل فاقطع من مكان يقرب من الصوه تحت القلعة وكذلك لم يتبأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر (مصر القديمة) .
وأقول : إن السور الذى أنشأه صلاح الدين حول مدينة القاهرة لا تزال بعض أجزائه قائمة الى اليوم في الجهات الآتية بيانا وهي :

أولا — في المسافة الواقعة بين باب الشعرة (باب العدوى) وبين باب البحر (ميدان باب الحديد) توجد أجزاء قائمة من السور البحرى وسط المبانى المشرقة من الجهة البحرية على شوارع : بين الحارات والشنبكي والطيلة .

ثانيا — يمتد بناء السور البحرى من شارع الأمير فاروق تجاه حارة المسطاحى متجها الى الشرق حتى يتقابل مع باب الفتوح ثم باب النصر وبعد هذا الباب يتجه السور أيضا الى الشرق في مسافة طولها ٣٠٠ متره ريقطع في نهاية تلك المسافة عند شارع برج الظفر .

ثالثا — جزء من السور الشرقى يبدأ من برج الظفر ويمير الى الجنوب بطول ٤٠٠ متر ثم ينقطع تجاه شارع القواطم بقسم الجبالية .

رابعا — جزء من السور الشرقى قائم في المسافة من درب المحروق الى قرب تربة الأمير طراباى الشريف التى بباب الوزير الخاريجى .

خامسا — جزء من السور الشرقى قائم بين مكان الخانقاه النظامية وبين بقايا جامع السبع صلاطين الى أن ينصل بسور القلعة .

٢٠ وأما سور مدينة مصر (القساط) فلم يبق منه إلا بعض أجزاء منقطعة تبدأ من بحرى العيون (عند انعطافها نحو الشرق الى القلعة) ثم تتجه نحو الجنوب شرق تلوى عين الصيرة وشرق الموقع القديم لمدينة القساط ثم تميل الى الغرب حيث تنقطع أجزاء السور في الجنوب الشرقى لقصر الشمع تجاه كوم غراب بمصر القديمة .

(١) هذه القنطرة هي التي ذكرها المقرئى في الجزء الثانى من خطه ص ١٥١ باسم قنطرة الجيزة ، وقال : إن الذى عمرها هو الأمير قراقوش الأسدى سنة ٥٦٩ هـ ، في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فهدم الأهرام الصغيرة وأخذ أحجارها وبنى بها عدة عمارات منها هذه القنطرة الواقعة تحت الجسر الموصل بين النيل والأهرام تجاه مدينة مصر . وأقول : إن هذه القنطرة كانت مكونة من جولة عيون أغلبها مسدود تحت شارع الهرم وبعضها لا يزال مفتوحا والجزء المفتوح قد تجدد جملة مرات وهو الذى يمر منه اليوم بمجرور بحر اللبني الواقع غربى مصرف المحيط تحت شارع الهرم وعلى بعد ١٥٠٠ متر من الجهة الشرقية للأهرام بأراضى ناحية تلة السنان بمركز الجيزة .

عليه في مهماته . ولما أفتتح عكا من الفرنج سلمها إليه ؛ ثم لما استولوا عليها أخذ أسيراً ، ففداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار ؛ وقيل : بستين ألف دينار .

قال ابن خلكان : « والناس ينسبون إليه أحكاما عجبية في ولايته نيابة مصر عن صلاح الدين ، حتى إن الأسعد بن مماتي له فيه كتاب لطيف سماه : « الفاشوش في أحكام قراقوش » . وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه ، والظاهر أنها موضوعة ؛ فإن صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه . وكانت وفاته في مستهل رجب » .

وفيهما توفي محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله أبو عبد الله الإمام العلامة عماد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالعماد الكاتب ، وبابن أنى العزيز . ولد بأصبهان سنة تسع عشرة وخمسمائة وبها نشأ . وقدم بغداد مع أبيه وبها تفقه ، واشتغل بالأدب وبرع في الإنشاء ، وخدم الوزير يحيى [بن محمد] بن هبيرة ، وكان أحد كتّابه . ثم قدم دمشق أيام نور الدين الشهيد وأتصل به وخدمه . وكان فاضلا حافظا لدواوين العرب ، وله عدة مصنفات ، منها : « خريدة القصر في شعراء العصر » وغير ذلك وكان القاضي الفاضل يقول : العماد الكاتب . كالزناد الوقاد (يعني أن النار في باطنه كامنة ، وظاهره فيه فترة) . وكانت وفاة العماد بدمشق في يوم الاثنين غرة شهر رمضان . ودُفن عند مقابر الصوفية

(١) هو القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي مليح عمادى المصرى الكاتب الشاعر . كان فاضلا بالديار المصرية ، وفي فضائل وله مصنفات عديدة . توفي سنة ٦٠٦ هـ (راجع ترجمته بتفصيل واف في ابن خلكان وشذرات الذهب) .

(٢) زيادة عما تقدم ذكره في حوادث سنة ٥٦٠ هـ .

(٣) في كشف الظنون : « خريدة القصر وجريدة أهل مصر »

عند المنيع^(١). وقيل إن العيد أجمع بالقاضي الفاضل يوماً في موكب السلطان فسارا جميعاً، وقد أنتشر الغبار لكثرة الفرسان ما سدّ الفضاء فتعجباً من ذلك، فأنشد العيد في الحال :

أما الغبار فأنه * مما أنارته السنايك
والجؤ منه مظلم * لكن أناربه السنايك
يادهر لي عبد الرح * يم فلست أخشى مس نايك

ومن شعره :

دار غير اللبيب إن كنت ذا لب ولاطفه حين يأتي يحذق
فاخو السكر لا يخاطبه الصا * حي إلى أن يفيق إلا يرفق

- ١٠ وفيها توفى محمد بن المبارك بن محمد الطهير أبو غالب المصري، كان فاضلاً أديباً. وُلِدَ سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة؛ ومن شعره — رحمه الله تعالى — قوله :

تَقَنَّعَ بِالْقَلِيلِ وَعِشْ عَزِيزًا * خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ كُلِّ وَائِمٍ
وَأَلَّا هِيَ نَفْسُكَ لِلْبَلَايَا * وَهَمٌّ وَارِدٌ فِي إِثْرِ هَمٍّ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى القاضي أبو المكارم

- ١٥ أحمد بن محمد بن محمد التميمي^(٢) الأصبهاني المعروف بابن اللبان العدل في ذي الحجّة .

(١) المنيع : محلة وسوقية وحمام وأفران، وبها مدرسة الخانوية وهي من أعاجيب الدهر، يترصحنها نهر باناس، ونهر القنوات على بابها ... وهذه المحلة من محاسن دمشق (راجع وصفه بإسهاب في نزهة الأنام في محاسن الشام لأبي البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصرى دمشق ص ٧٦ طبع مصر) .

(٢) لم ترد ترجمته في الكتب التي تحت يدينا إلا في تاريخ الاسلام للذهبي والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد، وأقتصرنا في تسميته على : « محمد بن المبارك بن محمد بن ميون أبو غالب الأديب » .
والظاهر أنه بغدادى . (٢) كذا في الأصل وشذرات الذهب . وفي تاريخ الاسلام : « التميمي » .

ومفيد بغداد تميم بن أحمد البندنجي^(١) في بُحَادَى الآخرة، أدرك ابن الزاغوني^(٢). والإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، وقد ناهز التسعين. وأبو محمد عبد المتعم ابن محمد المساليكي فقيه الأندلس. والأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي الخادم الأبيض. ومحمد بن أبي زيد الكركاني^(٣) الخباز بأصبهان في شوال، وقد كمل المائة. والعماد الكاتب العلامة محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني في [شهر] رمضان، وله سبع وسبعون سنة.

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ذراعاً سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعا.



السنة الثانية من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أبوب على مصر، وهي سنة ثمان وتسعين وخمسة.

فيها برز العادل المذكور من ديار مصر طالباً حلب، وكان الملك الأفضل محض عند شيركوه، فبغاه إلى العادل فأكرمه العادل وعوضه عن ميافارقين سميساط وسروج، ثم سار العادل ونزل على حماة، وصالحه الملك الظاهر صاحب حلب، وعاد الملك العادل إلى حمص.

- (١) البندنجي: نسبة إلى بندنجين بلفظ المنى، وهي بلدة مشهورة في طرف النهران من ناحية الجبل من أعمال بغداد (راجع معجم البلدان لياقوت). (٢) هو علي بن عبيد الله بن نصر بن عبيد الله ابن سهل الإمام أبو الحسن بن الزغواني شيخ الحنابلة. تقدمت وفاته سنة ٥٢٦ هـ.
- (٣) الكركاني: نسبة إلى كركان، محلة مشهورة بأصبهان (عن معجم البلدان لياقوت).
- (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
- (٥) سروج: بلدة قرية من حران من ديار مصر (عن معجم البلدان لياقوت).

وفيها توفى عبد الملك بن زيد بن يس التَّغَلْبِيّ الدَّوْلَقِيّ خطيب دمشق؛ والدَّوْلَقِيَّةُ : قرية من قرى الموصل . قديم دمشق وأستوطنها وصار خطيبها ، ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق ؛ وكان مُنَزَّهاً حسن الأثر حميد الطريقة . مات في شهر ربيع الأول .

- وفيها توفى هبة الله بن الحسن بن المظفر الهمدانيّ ، محدث ابن محدث ابن محدث . كانت وفاته بباب المراتب ببغداد في المحرم . قال أبو المظفر أنشدنا لغيره :
- إذا الفسى ذمّ عبساً في شببته * فما يقول إذا عصر الشباب مضى
وقد تعوضت عن كلِّ بمشبهه * فما وجدت لأيام الصِّبا عوضاً
- الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الملك المميز إسماعيل ابن سيف الإسلام [طغتكين] صاحب اليمن . وأبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعيّ .
- ١٠ والمحدث حماد بن هبة الله الحرّانيّ التاجر في ذى الحجة . وعبد الله [بن أحمد] بن أبي المجد الحرّبيّ الإسكافي في المحرم بالموصل . وزين القضاة أبو بكر عبد الرحمن بن سلطان ابن يحيى القرشيّ الزركويّ في ذى الحجة ، سمع من جدّه . وأبو الحسن عبد الرحيم ابن أبي القاسم [عبد الرحمن] الشعريّ ، أخو زينب في المحرم . وخطيب دمشق الضياء عبد الملك بن زيد بن يس الدَّوْلَقِيّ في شهر ربيع الأول ، وله إحدى وتسعون
- ١٥ سنة . وقاضى القضاة يحيى الدين أبو المعالي محمد بن القاضي الزكيّ عليّ بن محمد القرشيّ ،

(١) كذا في الأصل ورمّة الزمان . وفي المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وطبقات الشافعية وعقد الجمان وشذرات الذهب : « بالقرالية » . ولعل القرالية اسم للزاوية المذكورة .

- (٢) باب المراتب : أحد أبواب دار الخلافة ببغداد ، كان من أجل أبوابها وأثرها ، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر . (عن معجم البلدان لياقوت) .
- ٢٠ (٣) زيادة عن شذرات الذهب والجامع المختصر لابن الساعي وتاريخ الإسلام للذهبي . (٤) التكلة عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي . (٥) الزكوى : نسبة إلى جدّه أبي الفضل القاضي يحيى الزكيّ . (٦) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٨) راجع بقية سببه في ابن خلكان .

وله ثمان وأربعون سنة ، توفى في شعبان . وأبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الأنصارى البوصيرى في صفر ، وله آثتان وتسعون سنة .
 § أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ذراع واحدة وأربع عشرة إصبعا .
 مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .



السنة الثالثة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر ، وهي سنة تسع وتسعين وخمسة .

ففي ليلة السبت سلخ المحرم ماجت النجوم في السماء شرقا وغربا ، وتطارت كالجراد المنتشر بينا وشمالا ؛ ولم ير هذا إلا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكانت هذه السنة أعظم .
 وفيها توفى إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الموفق الفقيه بن الصقال الحنبلي .
 ولد سنة خمس وعشرين وخمسة . وتفقه على أبي يعلى الفراء ، وسمع الحديث الكثير ، وكان شيعيا ظريفا صالحا زاهدا . مات في ذى الحجة ، ودفن بباب جرب ببغداد .

وفيها توفيت زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي ببغداد . كانت صالحة كثيرة البر والصدقات ، وحجت مرة فأنفقت ثلثمائة ألف دينار ، وكان معها نحو ألفي جمل ، وتصدقت على أهل الحرمين ، وأصلحت البرك والمصانع ؛ وعمرت التربة عند قبر معروف الكرخي والمدرسة إلى جانبها . ومات في جمادى الأولى .

(١) في الأصل : « أبو القاسم بن هبة الله » . والتصويب عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام وعقد الجمان . (٢) كذا في الأصل وشذرت الذهب . وفي تاريخ الإسلام : « إبراهيم بن محمد بن أحمد » . (٣) هو القاضي أبو يعلى الصغير شيخ الحنابلة محمد بن أبي خازم بن القاضي أبي يعلى بن الفراء . وقد تقدمت وفاته سنة ٥٦١ هـ .

وفيهما توفى على بن الحسن بن إسماعيل أبو الحسن [العبيدي^(١)] من عبد القيس ،
كان فاضلاً بارعاً في الأذنب وغيره ، وله شعر جيد ، من ذلك قوله - رحمه الله تعالى - :
لا تَسْلُكِ الطَّرِيقَ إِذَا أَخْطَرْتُ * لَوْ أَنَهَا تُقْضَى إِلَى الْمَلِكَةِ
قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا * تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

- وفيها توفى القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم أبو الفضائل ضياء الدين
الشَّهْرُزُورِي ، وهو ابن أخى القاضي كمال الدين [محمد^(٢)] الشَّهْرُزُورِي . كان فقيهاً
فاضلاً جَوَاداً كريماً أديباً شاعراً . ومن شعره أول قصيدة :

فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى لِلْبَيْنِ آثَارُ * وَمَالِهِ فِي آلِثَامِ الشَّعْلِ آثَارُ
يَسْطُو عَلَيْنَا بِتَفْرِيقِ فَوَاجِبَا * هَلْ كَانَ لِلْبَيْنِ فِيمَا بَيْنَنَا نَارُ^(٣)

- وفيها توفى يحيى بن طاهر بن محمد أبو زكرياء الواعظ ، ويعرف بأبن النجار
البغدادى . كان فاضلاً فصيحاً . وكان ينشد في مجلسه - رحمه الله تعالى -
عاشر من الناس من تَبَقَّى مَوَدَّتُهُ * فَأَكْثَرُ النَّاسِ جَمْعٌ غَيْرُ مُؤْتَلِفٍ
مِنْهُمْ صَدِيقٌ بَلَا قَافٍ وَمَعْرِفَةٌ * بِغَيْرِ فَاءٍ وَإِخْوَانٌ بَلَا أَلْفٍ
الذين ذكر الذهبي وفاتهم في السنة ، قال : وفيها توفى أبو القاسم عبد الرحمن
ابن مَكِّي بن حمزة بن مَوْفَا الأنصارى الإسكندراني التاجر في شهر ربيع الآخر ، وله^(٤)
أربع وتسعون سنة . وزَيْن الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجما الدمشقي^(٥)

(١) في الأصل : « أبو الحسن بن عبد القيس » . والصحيح والزيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي والذيل
على الروضتين . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي والذيل على الروضتين وابن خلكان في ترجمة
القاضي ابن أبي عصرون . (٣) كذا في الأصل والذيل على الروضتين . وفي تاريخ الإسلام للذهبي
والمختصر المحتاج إليه أنه توفي سنة ٥٩٧ هـ . (٤) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام . وفي حسن
المحاضرة للسيوطي (ج ١ ص ٢١٣) : « وكانت وفاته سنة ٥٧٩ هـ » . (٥) في الأصل :
« ابن نخالة » . وما أثبتناه عن شرح القصيدة اللامية في التاريخ والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد
وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .

الحنبلّي الواعظ بمصر في رمضان، وله إحدى وتسعون سنة . وأبو الحسن عليّ بن حمزة بن عليّ بن طلحة البغداديّ الكاتب بمصر في شعبان . وسلطان غَزَنَة غياث الدين . وقاضي القضاة ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوريّ ^(١) [أبو الفضائل] الشافعيّ، وله خمس وستون سنة، وولي القضاء بدمشق بعد عمه، ثم استعفى لأمر ما، ثم بعد مدة ولي قضاء العراق، ثم استعفى وخاف [العواقب] ^(٢) ثم سكن حمّاه، وولي قضاءها، وبها مات في رجب . والزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشيّ الهاشميّ الأندلسيّ بيت المقدس . والشهاب أبو الفضل محمد بن يوسف الغزنويّ الحنفيّ المقرئ بمصر . وأبو طاهر المبارك بن المبارك [بن هبة الله] ^(٣) ابن المعطوش في مجامد الأولى عن اثنتين وتسعين سنة ببغداد .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ذراعان وست وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا .



السنة الرابعة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة ستمائة .

فيها وصل إلى بغداد أبو الفتح بن أبي نصر الغزنويّ رسولاً من صاحب غَزَنَة ^(٤) وجلس بباب بدر، وقال : هنيئاً لكم يا أهل بغداد، أتمّ تحظّون بأمر المؤمنين ، ونحن محرومون ! وأنشد — رحمه الله — :

(١) هو أبو الفتح غياث الدين محمد بن سام بن الحسين بن الحسن الفوري صاحب غَزَنَة ، كما في تاريخ الإسلام . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب . (٣) يريد عمه أبا الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي أحمد القاسم الشهرزوري الملقب كمال الدين . تقدمت وفاته سنة ٥٧٢ هـ . (٤) النكلة عن شرح القاموس والمختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٥) في الجامع المختصر : « أبو الفتح » . (٦) باب بدر، من حرم الخليفة في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه (عن رحلة ابن جبير طبع أوربا ص ٢٢٢) .

- الآ. قل لسكان وادى العميق * هنيئاً لكم [في] الجنان الخلود^(١)
 أفيضوا علينا من الماء فيضاً * فنحن عطاش وأتم وورد^(٢)
 وفيها توفي الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد [بن علي] بن سرور أبو محمد
 المقدسى. ولد بجماعيل، وهى قرية من أعمال نابلس فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى
 وأربعين وخمسمائة، وكان أكبر من الشيخ موفق الدين بأربعة أشهر [وهما أبنا خالة]^(٣)
 وكان إماماً حافظاً متقناً مصنفاً ثقة، سمع الكثير ورحل إلى البلاد وكتب الكثير،
 وهو أحد أكابر أهل الحديث وأعيان حفاظهم، ووقع له عن ذكرها صاحب
 مرآة الزمان، ونجاة الله منها. ومات فى يوم الاثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأول،
 ودُفن بالقوافة عند الشيخ أبى عمرو بن مرزوق، وكان إماماً عابداً زاهداً ورعاً.^(٤)
 قال تاج الدين الكيندى: هو أعلم من الدارقطنى والحافظ أبى موسى.^(٥)
 قال أبو المظفر: وفى هذه السنة سافرت من بغداد إلى الشام، وهى أول رحلتى،
 فاجترت بدقوقاً وجلست بها (يعنى للوعظة) ثم قدمت إربل واجتمعت بجي الدين^(٦)
 الساعاتى، وأنشدنى مقطعات لغيره. منها — رحمه الله — :^(٧)

- (١) التكملة عن الجامع المختصر لابن الساعى. (٢) التكملة عن تذكرة الحفاظ للذهبي وشذرات الذهب
 ومرآة الزمان وطبقات الحفاظ للسيوطى وتاريخ الاسلام وما سيق ذكره للزلف. (٣) هو موفق
 الدين المقدسى أحد الأئمة الأعلام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى. كان إمام السنة
 مفتى الأمة شيخ الإسلام، سيد العلماء الأعلام. توفى سنة ٦٢٠ هـ كما فى شذرات الذهب ومختصر طبقات
 الحنابلة. (٤) زيادة عن تاريخ الاسلام وتذكرة الحفاظ. (٥) يريد بها قوافة مصر، كما صرح
 بذلك فى حسن المحاضرة وتذكرة الحفاظ وشذرات الذهب. (٦) هو على بن عمر بن أحمد بن مهدى
 ابن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن البغدادي الدارقطنى. تقدمت وفاته سنة ٣٨٥
 (٧) هو أبو موسى المدينى شيخ الإسلام محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى أحمد بن عمر الأصبهاني.
 تقدمت وفاته سنة ٥٨١ هـ. (٨) دقوقاً (بالقصر والمد): مدينة إربل وبغداد معروفة لها
 ذكر فى الأخبار والفتوح، كان بها وقعة للوراج (عن معجم البلدان لياقوت). (٩) كذا فى الأصل.
 وفى مرآة الزمان: «الساعاتى» ولم نعر على هاتين النسبتين فى كتب الأنساب. وفى الذيل على الروضتين:
 «للساعاتى»: نسبة إلى شاتان، قلعة بد ياربكر.

رِحِمْتُ أَسْوَدَ هَذَا الْخَالِ حِينَ بَدَأَ * فِي جَمْرَةِ الْخَدِّ مَرْمِيًا بِأَبْصَارِ
كَأَنَّهُ بَعْضُ عِبَادِ الْمَجُوسِ وَقَدْ * أَلْقَى بِمَهْجَتِهِ فِي بَلْحَةِ النَّارِ

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِيَ مُتَخَبِّ الدِّينِ
أَبُو الْفَتْحِ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي الْفَضَائِلِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ الْعِجْلِيِّ الْأَصْبَهَانِيِّ شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ^(٢)
ببلده في صفر ، وله خمس وثمانون سنة . وأبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد
النيسابوري - الصَّقَّارُ في رمضان ، وله اثنتان وتسعون سنة . والحافظ تقي الدين
عبد الغني بن عبد الواحد بن علي - الْجَمَّاعِيُّ - المقدسي - في شهر ربيع الأول ، وله تسع
وخمسون سنة . وفاطمة بنت سعد الخير الأنصارية في شهر ربيع الأول ، ولها ثمان
وسبعون سنة . وبهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله
ابن عساكر في صفر ، وله ثلاث وسبعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ثلاث أذرع وست أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .



- السنة الخامسة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر،
وهي سنة إحدى وستائة .

فِيهَا جَاءَتِ الْفَرَنْجُ حَمَاءَ بَقْتَةَ وَأَخَذُوا النِّسَاءَ الْفَسَالَاتِ مِنْ بَابِ الْبَلَدِ عَلَى
الْعَاصِي ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ بْنُ تَقِيٍّ الدِّينِ وَقَاتَلَهُمْ وَتَبَّتْ وَأُبْلِى بَلَاءٌ حَسَنًا ،^(٤)

- (١) كذا في الأصل وطبقات الشافعية وشذرات الذهب . وفي المختصر المحتاج إليه وتاريخ
الاسلام للذهبي : « المتجب » بالجم . (٢) في شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه وطبقات
الشافعية وابن الأثير : « أبو الفتح » . وفي تاريخ الاسلام للذهبي : « أبو الفتح وأبو الفتح » .
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) هو الملك المنصور
محمد بن تقي الدين عمر .

وكسر الفرنج عسكره ، فوقف على الساقة ^(١) ، ولولا وقوفه ما أبقوا من المسلمين أحدا .

وفيها تَجَّ بالناس من العراق وجهُ السبع ، ومن الشام صارم الدين برغش العادلي وزَيْن الدين قراجا صاحب صَرْخَد .

- وفيها تُوِّفَى عبد المنعم بن علي [بن نصر] ^(٢) بن الصَّبْقَلِيّ أبو محمد نجم الدين الحرَّانِيّ ، قديم بغداد وتفقه بها ؛ وسمع الحديث ؛ ثم عاد إلى حرَّان ووعظ بها وحصل له القبول التام ، ثم عاد إلى بغداد وآستوطنها . قال أبو المظفر سبط آبن الجَوْزِيّ في تاريخه : سمعته يُنْشِد :

وأشتاقكم يا أهل ودِّي وبيننا * كما زعم البين المِثْتُ فرائحُ

- ١٠ فأما الكَرَى عن ناظري فشرَّد * وأما هواكم في فؤادي فرائح

وفيها تُوِّفَى محمد بن سعد الله بن نصر أبو نصر بن الدَّجَاجِيّ الواعظ الحنبليّ . وُلِدَ سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ومات في شهر ربيع الأول ، ودُفِنَ بباب حرب . ومن شعره — رحمه الله — :

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها * كان إلى نبيل المِثْنَى أحوى لها

- ١٥ . وإن تراها سَدَّتْ أقوالها * كان على حَمَلِ الْعَلَا أحوى لها

(١) في شذرات الذهب والذيل على الروضتين : « على السافة من الرقبطاء » والرقبطاء : قرية بجدة كما في تاريخ حاة الصابوني ص ٢٧ (٢) التكلفة عن الجامع المختصر وتاريخ الاسلام وشذرات الذهب ، وسمى بذلك لأنه كان يوصل السيوف . (٣) رواية الذيل على الروضتين : « كما حكم » . (٤) في الأصل : « محمد بن سعد بن نصر الله » . وما أثبتناه عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد والجامع المختصر لابن السامعي والذيل على الروضتين وتاريخ الاسلام وعقد الجمان . (٥) في الأصل والذيل على الروضتين : « نبيل النقي » . وما أثبتناه عن الجامع المختصر وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير .

وفيهما تُوِّفِيَ ملكِ خلاط سيف الدين بَكْتَمُر^(١). كان من أحسن الشباب ؛ ولم يبلغ عشرين سنة من العمر، قتله الهزار دينارى ؛ قيل : إنه غرقه في بحرِ خلاط ، وقُتِلَ الهزار دينارى بعده بمدة يسيرة .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوِّفِيَ المحدث أحمد بن سليمان الحرّبي الملقب بالسُّكَّر . وأبو الفضل محمد بن الحسين بن الخَصِيب بدمشق .^(٢) ويوسف بن المبارك بن كامل الخُفَّاف . وعبد الله بن عبد الرحمن بن أيوب الحرّبي البَقْلِي . وتُتِمِّمُ الحِلِّيُّ أبو الحسن علي بن الحسن بن عترة الأديب . ومحمد بن أحمد بن حامد أبو عبد الله الأرتاحي الحنبلي بمصر ، وله بضعة وتسعون سنة .^(٣)

(١) هو الأمير بكتمر بن عبد الله مملوك شاه أرمن سكان صاحب خلاط . يلاحظ أن وفاة قد تقدّمت سنة ٥٨٩ هـ وهي السنة التي مات فيها السلطان صلاح الدين . قال ابن الوردي وصاحب عقد الجمان في حوادث سنة ٥٨٩ هـ ما ملخصه : في جمادى الأولى قتل سيف الدين بكتمر وكان له خشداش اسمه بدر الدين آتسقر هزاردينارى ، وهو الذى جهز على بكتمر في قتله طمعا في الملك ، ثم اعتقل ابنه (محمد بن بكتمر) واستمر في مملكة خلاط الى أن توفي سنة ٥٩٤ هـ . وقالوا في حوادث سنة ٥٩٤ هـ : توفي بدر الدين هزاردينارى فاستولى على خلاط بعده خشداشه قتلغ أرمنى ، ثم قتل بعد سبعة أيام ، وأحضر محمد بن بكتمر من معتقله واستمر على ملك خلاط الى سنة ٦٠١ هـ أو سنة ٦٠٢ هـ أو سنة ٦٠٣ هـ أو سنة ٦٠٤ هـ (هل اختلاف روايات كتب التاريخ) ، ثم اتفق عز الدين بلبان مملوك شاه أرمن مع العسكر وخنقوه في التاريخ المذكور وموه من القلعة وانفرد بلبان بملك خلاط ومن هنا يتبين أن الذى مات في هذه السنة ابنه محمد بن بكتمر كما يؤيد ذلك رواية مرآة الزمان . (٢) الذى تقدم للؤلؤ في حوادث سنة ٥٨٩ هـ أن الذى قتل بكتمر أحد الإسماعيلية ولعل الهزاردينارى هذا هو الذى حرض على قتل بكتمر . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٣ من هذا الجزء . (٣) كذا في الأصل وعقد الجمان والجامع المختصر . وفي مرآة الزمان والشذرات وغاية النهاية : « أحمد بن سليمان » . (٤) كذا في الأصل وتاريخ الاسلام للذهبي . وفي شذرات الذهب وشرح القصيدة الالامية في التاريخ : « أبو الفضل » . (٥) كذا في الأصل وتاريخ الاسلام . وفي شذرات الذهب : « ابن الحسن » . (٦) كذا في الأصل وتاريخ الاسلام وشرح القصيدة الالامية في التاريخ . وفي شذرات الذهب « الحصيب » بإلحاح المهمة . (٧) كذا في الأصل وابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت والجامع المختصر وتاريخ الاسلام . وفي بنية الرواة للسيوطي : « ابن عتبة » . وفي شذرات الذهب وابن كثير : « ابن عتبر » . (٨) الأرتاحي : نسبة الى أرتاح ، حصن منيع ، كان من العواصم من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى أصابع .



السنة السادسة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيوب على مصر ، وهى سنة اثنتين وثمانئة

فبها توجه ناصر الدين صاحب مايردين إلى خلاط بمكتبة أهلها وملكها ، بغاه^(٢) الملك الأشرف موسى شاه أرمن أبى الملك العادل هذا فقتل على دُنَيْسِر ، وأقطع بلاد مايردين ؛ فلما بلغ ذلك ناصر الدين عاد إلى مايردين بعد أن غريم مائة ألف دينار ، ولم تُسَلِّم له خلاط .

وفبها أغار [أبى] لاون على حلب وأخذ الجُشَّارَ من نواحى حارم ، فبعث إليه^(٣) ١٠ الملك الظاهر غازى أبى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — وهو يومَ ذلك صاحب حلب — فارس الدين ميمونا القُصَيْرى ، وأبىك قُطَيْس ، والأُمير حُسام الدين [بن أمير تركمان] فتقاتلا قتالا شديدا ، وكان ميمون تقدم ولولاهما لَأَخَذَ ميمون ؛ فلما بلغ ذلك الملك الظاهر خرج من حلب ونزل مَرَج دَاقِق^(٤) ، ثم جاء إلى حارم ،

- ١٥ (١) هو ناصر الدين أرتق بن إيلغازى بن أبى بن عمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب مايردين (عن ابن الأثير) . (٢) الذى فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين وابن الأثير : « توجه ناصر الدين صاحب مايردين إلى خلاط بمكتبة أهلها ، بغاه الأشرف فقتل على دنيسر وأقطع بلاد مايردين ، فغادر ناصر الدين إلى بلده بعد أن غريم مائة ألف دينار ولم يسلموا إليه أخلاط » . (٣) التكلة عما سبأى المؤلف وعقد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الروضتين وتاريخ ابن الوردي . وفى ابن الأثير هو ابن ليون الأرمنى صاحب المدروب . (٤) الجشّار : المشاة .
- ٢٠ (٥) زيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان . (٦) مرج دابق ، هو مرج عشب تزه قرب حلب من أعمال أعزاز ، كانت يزلها بنو مروان إذا غزوا الصائفة (عن معجم البلدان لياقوت) .

فهرب ابن لاون إلى بلاده . وكان ابن لاون قد بنى قلعةً فوق دَرَسَاك ، فأخذها
الظاهر وأحرقها ، ثم عاد الملك الظاهر إلى حلب .

وفيها حج بالناس من العراق وجهُ السَّبع ، ومن الشام الشجاع على بن السَّلاَر .

وفيها توفى الأمير طاشتكين بن عبد الله المُقْتَفَوِي ^(١) بجير الدين أمير الحاج ، حج

بالناس ستاً وعشرين حجة ، وكان يسير في طريق الحج مثل الملوك . شكاه ابن يونس

[الوزير] ^(٢) إلى الخليفة أنه يكتب السلطان صلاح الدين صاحب مصر [وزور عليه

كتابة] ، فحبسه الخليفة مدة ، ثم تبين له أنه بريء ، فاطلقه وأعطاه خوزستان ؛

ثم أعاده إلى إمرة الحاج ، وكانت الحلة ^(٣) إقطاعه . وكان شجاعاً جَوَاداً سَمَحاً قليل

الكلام يَمْنِي عليه الأسبوع ولا يتكلم . استغاث إليه رجل يوماً فلم يكلمه ، فقال

الرجل : الله كلم موسى ، فقال : وأنت موسى ! [فقال الرجل : وأنت الله ! ففضى

حاجته . وكان حليماً ، ألقاه رجل فاستغاث إليه من نوابه فلم يجبه [فقال الرجل : أنت

حمار؟ فقال طاشتكين : لا . وفي قلعة كلامه يقول ابن التَّعَاوِيذِي ^(٤) الشاعر المشهور :

وأمر على البلادِ مولى * لا يجيب الشاكي بغير السكوتِ

كَلِمَا زَادَ رِفْعَةً حَطَّنَا اللَّهُ * لَهُ بِتَغْفِيلِهِ إِلَى الْبَهْمُوتِ ^(٥)

وفيها توفى مسعود بن سعد الدين صاحب صَفَد . وأخوه بدر الدين

ممدود شحنة دمشق ، وهما أبنا الحاجب مبارك بن عبد الله ، وأمهما أُم فرخشاه

(١) في الأصل : « الصفدي » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان . وفي الجامع

المختصر وعقد الجمان في إحدى روايته : « المستنجد » . (٢) الزيادة عن الذيل على الروضتين

وعقد الجمان . (٣) الزيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين ورمأة الزمان .

(٤) خوزستان : اسم لجميع بلاد الخوز (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) يريد بها حلة

بن مزيد ، وتسمى الحلة السيفية نسبة إلى سيف الدولة صدقة بن مزيد كما سماها بذلك صاحب عقد الجمان

والذيل على الروضتين ورمأة الزمان . (٦) التكلة عن عقد الجمان ورمأة الزمان والذيل

على الروضتين . (٧) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٨٣ هـ . (٨) في الأصل :

« وهو أخو بدر الدين » . والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(١١) ابن شاهنشاه بن أيوب [ففرخشاه أخوهما لأُمهما]، وأختهما لأُمهما أيضا الست عذراء صاحبة المدرسة العَدْرَاوِيَّة المجاورة لقلعة دمشق . وكانا أميرين كبيرين (أعني ممدودا ومسعودا) صاحبي الترجمة ، ولهما مواقف مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتقدّمت وفاة ممدود على أخيه مسعود ، فإنّه مات بدمشق في يوم الأحد خامس شهر رمضان من هذه السنة . وتوفّي مسعود هذا بصَفَد في يوم الاثنين خامس شوال — رحمهما الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي سلطان غزنّة شهاب الدين [أبو المظفر محمد بن سام] الغوري قتلته الباطنية . وأبو علي ضياء الدين ابن أبي القاسم [أحمد بن الحسن أبي علي] بن الحُسرَيْف . والمفتي أبو المفاخر خلف بن أحمد الأصهباني الفراء ، وله أربع وثمانون سنة . وأبو يعلى حمزة بن علي [بن حمزة بن فارس] بن القبيطي ، قرأ القرآن على سبط الخطاط وجماعة . § أمر النيل في هذه السنة — الماء للقديم سبع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .



١٥ السنة السابعة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر ، وهي سنة ثلاث وستمئة .

فيها فارق وجه السَّبع الحاج ، وقصد الشام مُغْضِبًا ، وكان في الحج جماعة من الأعيان ، فبكوا وسألوه العود معهم على العادة ، فقال : مولاي أمير المؤمنين محسن

- (١) في الأصل : « بنت شاهنشاه » : وما أثبتناه عن الذيل على الرضين وملكة الزمان وعقد الجمان .
 (٢) الزيادة عن امرأة الزمان والذيل على الرضين وعقد الجمان . (٣) زيادة عن امرأة الزمان والذيل على الرضين وعقد الجمان وابن الأثير وتاريخ الاسلام . وهو أخو غياث الدين أبو الفتح محمد المذكور في حوادث سنة ٥٩٩ هـ . (٤) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي وشذرات الذهب .
 (٥) التكلفة عن ابن الأثير والجامع المختصر وغاية النهاية .

إلى، وما أشكو إلا من الوزير آبن مهدي، وما عن التوجه بُد؛ ففارقهم وسار إلى الشام، فلتقاه الملك العادل صاحب الترجمة وأولاده، وأحسن العادل إليه وأكرم نُزله، وحرّن الخليفة على فراقه .

وفيهما وَلَّى الخليفةُ عمادَ الدين أبا القاسم عبد الله بن الدامغانى الحنفى قاضى قضاة بغداد .

وفيهما قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلى، وآستأصله حتى أحتاج إلى الطلب من الناس .

وفيهما نزلت الفرنج على حمص ، وكان الملك الظاهر غازى صاحب حلب قد بعث المبارز يوسف بن خطّلع الحلبى إليها نجدةً لأسد الدين صاحبها، وحصل القتال بينهم وبين الفرنج وأسِر الصمصام بن العلّائى، وخادم صاحب حمص . ورجع الفرنج إلى بلادهم .

وفيهما تُوفى عبد الرزاق آبن الشيخ عبد القادر الجيلى المعروف بالكيلانى - رضى الله عنه - وكان عبد الرزاق هذا زاهدا ورعا عابدا مُقتنعا من الدنيا بالسير صالحا ثقة ، لم يدخل فى الدنيا كما دخل فيها غيره من إخوته . وكان مولده سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، ومات فى شوال ببغداد ودُفِن بباب حرب .

وفيهما تُوفى أبو القاسم [أحمد ^(٢)] آبن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ببغداد، كان شابا حسنا يعاشر آبن الأمير أصبه، وكان آبن أصبه شابا جميلا، جلسا يوما فداعب آبن المقرئ آبن أصبه فرماه بسكين صغيرة، فوقع فى فؤاده فقتلته، فسلم الخليفة آبن المقرئ إلى أولاد أصبه، فلما خرجوا به ليقتلوه أنشد .

٢٠ (١) هو نصير الدين ناصر بن مهدي الرازى أبو الحسن . (عن آبن الأثير) .

(٢) زيادة من الجامع المختصر .

قَدِمْتُ عَلَى الْإِلَهِ بِغَيْرِ زَادٍ * مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْقَلْبِ السَّلِيمِ
وَسَوْءَ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدَ زَادًا * إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمٍ

فقتلوه — رحمه الله تعالى — .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفِّي أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصَّيْدَلَانِي، وله أربع وتسعون سنة . وأبو عبد الله محمد بن مُعَمَّر .
[بن عبد الواحد بن رَجَاء ^(١) بن الفايحِر القُرَشِي . وأبو بكر عبد الرزاق بن عبد القادر ابن أبي صالح الحِجْلِي - الحافظ في شِوَال، وله خمس وسبعون سنة .
§ أمر النيل في هذه السنة، الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع .

١٠



السنة الثامنة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة أربع وستمائة .

- فيها ملك الأوحـد آبن الملك العادل صاحب الترجمة خلـاط بمـكاتبـة أهلها بعد قتل آبن بـكـتـمـر ^(٢) والهزار دينارى المقدم ذكرهما ؛ وكانت بنت بكتمر مع صاحب أرزن ^(٣) الروم ، — فقالت بعد قتل أخيها — : لا أرضى حتى تقتل قاتل أخى، وهو الهزار ١٠

(١) النكتة عن المختصر المحتاج اليه وتاريخ الإسلام للذهبي . (٢) كذا في الأصل . وعبارة شذرات الذهب : « وفيها تملك الملك الأوحـد أيوب بن العادل مدينة خلـاط بعد حرب جرت بينه وبين صاحبها بلبان ، ثم قتل بلبان بعد ذلك » . وما ذكره صاحب الشذرات ملخص ما في ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردي وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات في حوادث السنة . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٨ من هذا الجزء . (٣) هو منبث بن طغرل شاه بن قلع أرسلان .
(٤) أرزن الروم : مدينة مشهورة ، ولها قلعة حصينة وكانت من أعمال نواحي أرمينية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

٢٠

دينارى وتأخذ بثاره؛ فسار صاحب أرزن إلى خلّاط ، ونرج المزار دينارى
للقائه ، فضر به صاحب أرزن فأبان رأسه ، وعاد إلى أرزن الروم . وقيت
خلّاط بنير ملك ، وكان الأوحى بن العادل صاحب ميّافريقين ، فكتبه أهل خلّاط
بغاء إليهم وأستولى عليها .

وفيها حجّ بالناس من العراق ياقوت ^(١) .

وفيها توفى محمود بن هبة الله بن أبى القاسم الحلبيّ أبو النّاء البرّاز . كان فاضلاً
قرأ القرآن ، وسمع الحديث على إسماعيل بن موهوب بن الجوّالقيّ ، وحكى عنه قال :
كنتُ فى حلقة والدى بجامع القصر ، فوقف عليه شاب وقال : مامعنى قول القائل :
وَصَلُّ الحبيبِ جَنانُ الخُلْدِ أسْكُنْها * وهجره النارُ يُصِلْنى به النارا
فالشّمسُ بالقوسِ أضحّتْ وهى نازلةٌ ^(٢) * إن لم يزرنى وبالحوّزاء إن زارا

فقال له والدى : يا بنى ، هذا شئ يتعلّق بعلم النجوم لا بعلم الأدب . ثم قام
والدى وآلى على نفسه ألا يعود إلى مكانه حتّى ينظر فى علم النجوم ، ويعرف مسير
الشمس والقمر ، فنظر فيه وعلمه . ومعنى الشعر : أن الشمس إذا نزلت القوس
يكون الليل فى غاية الطول ، وإذا كانت فى الحوّزاء كان فى غاية القصر .

قلت : ومحصل البيتين : أنّه إذا لم يزره محبوبه كان الليل عليه أطول الليالى ،
وإذا زاره كان عليه أقصر الليالى ، فقصد القوس للطول ، والحوّزاء للقصر .
وهذا يُشبه قول القائل ، وقد تقدّم ذلك فى غير هذا المحلّ من هذا الكتاب ، :

(١) هو أمير الحاج مجاهد الدين ياقوت الرومى الناصرى (عن الجامع المختصر) .

(٢) فى الأصل : « محمد بن هبة الله » . والتصويب عن الجامع المختصر والمختصر المحتاج إليه

وشذرات الذهب والتذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان .

(٣) كذا فى التذيل على الروضتين . وفى الأصل « أمت » .

- (١) لَيْلِي وَلَيْلَى نَفَى نَوْمِي آخْتِلَافَهُمَا * بِالطُّوْلِ وَالطُّوْلِ يَا طَوْبِي لَوْ أَعْتَدَلَا
يَحُودُ بِالطُّوْلِ لَيْلِي كُلَّمَا بَخِلْتُ * بِالطُّوْلِ لَيْلَى وَإِنْ جَادَتْ بِهِ بِخَلَا
ومثل هذا قول شرف الدين أحمد بن نصر بن كامل - وقيل هما لغيره - :
عهدي بهم وِرْدَاءُ الوصل يجمعنا * واللَّيْلُ أطولُه كَاللَّحْجِ بالبصر
فاليسوم لَيْلَى مَذْغَابُوا فديتهم * لَيْلُ الضرر فصبحي غير مُتَنَظِّرٍ
وَيُعْجِبُنِي قول من قال - وهو قريب من هذا المعنى إن لم يكن هو بعينه - :
هيم الشَّهَادَ على عيوني في الدُّجَى * سرق الرِّقَادَ ودمعُ عيني سَاخُ
وغدا يسامح للسدجى في بيعه * واللَّصُّ كيف يبيع فهو الرَّابِحُ
وقد آستوعبنا هذا النوع (أعني ما قيل في طول الليل وقصره في كتابنا المسمى :
«سحابة الصفات في الأسماء والصناعات») فليَنظُرْ هناك في حرف الطاء المهمله .
الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى حَنْبَلُ بن عبد الله
ابن الفرج بن سُعادة أبو علي الرُّصَافِي المَكْبَرُ [بجامع المهدى] ^(٢) الدَّلَالُ في المحرم .
وعبد الحبيب بن عبد الله بن زُهَيْر الحَرَبِيُّ بِحَمَّاهُ . وأبو الفضل عبد الواحد
ابن عبد السلام بن سلطان المقرئ . وستُكْتَبُ نعمة بنت علي بن يحيى [بن محمد] ^(٣)
ابن الطراح بدمشق .

١٥

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

- (١) هذان البيتان من قول الفضل بن عبد القاهر جد محمود بن علي بن المهنا بن أبي المكارم .
راجعهما في ص ٢٠٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) كذا في الأصل والنيل على
الروضين . وفي المختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب : « أبو عبد الله » . وفي تاريخ الإسلام
للذهبي : « أبو علي وأبو عبد الله » . وفي الجامع المختصر : « أبو الفرج » .
(٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي والمختصر المحتاج إليه . (٤) في الأصل :
« نعمة بنت علي بن يحيى بن الطوايح » . والكتلة والتصويب عن امرأة الزبان وعقد الجمان والتدليل على
الروضين وتاريخ الأبلام للذهبي .

٢٠



السنة التاسعة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر،
وهي سنة خمس وستائة .

فيها زُلزلت نيسابور زلزلة عظيمة دامت عشرة أيام، فمات تحت الردم خلق كثير.
وفيها اتفق الفرنج من طرابلس وحصن الأكراد على الإغارة على أعمال حصن،
فتوجهوا إليها وحاصروها، فعجز صاحب حصن أسد الدين شيركوه عنهم، وتجهده
أبن عمه الملك الظاهر غازي صاحب حلب، فعاد الفرنج إلى طرابلس . وبلغ
السلطان الملك العادل صاحب الترجمة، نخرج إليهم من مصر بالجيش وقصد عكا،
فصاله صاحبها، فسار حتى نزل على بحيرة قدس، وأغار على بلاد طرابلس وأخذ
من أعمالها حصنا صغيرا .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال وفيها توفي قاضي القضاة
صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس بمصر عن تسع وثمانين سنة .
والقاضي أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار بواسط في شعبان، وله ثمان وثمانون
سنة . وأبو الجود غياث بن فارس اللخمي مقرئ ديار مصر . وأبو بكر محمد بن المبارك
[بن محمد بن أحمد بن الحسين] بن مَشَقِّ محدث بغداد، وله اثنتان وسبعون سنة .
والحسين بن أبي نصر [بن الحسين بن هبة الله بن أبي حنيفة] بن القارص الحريري

(١) حصن الأكراد : حصن منبع حصين على الجبل الذي مقابل حصن من جهة الغرب، وهو
جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، وهو بين بعلبك وحصن (عن معجم البلدان لياقوت) . وقد ذكر
ابن الأثير وعقد الجمان هذه الواقعة في السنة الماضية . (٢) في الأصل : « بحيرة حصن » .
وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك وتاريخ ابن الوردي : وبحيرة قدس قرب حصن
بينها وبين جبل لبنان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) التكلة عن الجامع المختصر والمختصر المحتاج
إليه من تاريخ بغداد . (٤) التكلة عن المختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام .
(٥) في الأصل : « ابن القارض محمد » والتصويب عن المشبه والمختصر المحتاج إليه وشذرات
الذهب وتاريخ الاسلام .

الضريّر آخر من روى شيئا عن المُسند، تُوفّي في شعبان . وخطيب القُدس على بن محمد بن عليّ بن جَمِيل المَعافِرِي .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأثنتا عشرة إصبعا .



السنة العاشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة ستّ وسمائة .

فيها تُوفّي الحسن بن أحمد [بن محمد] ^(١) بن جكيننا من أهل الحرم الطاهريّ، كان قاضيا رئيسا شاعرا . ومن شعره :

١٠ قد بان لي عُدُرُ الكرام وصُدْهم * عن أكثر الشعراء ليس بعار
لم يساموا بثلّ النوال وإنما * بجمد الندى لبُرودة الأشعار

وفيها تُوفّي محمد بن عمر بن الحسين العلامة أبو المعالي نضر الدين الرازيّ المتكلم صاحب التصانيف في علم الكلام والمنطق والتفسير . كان إماما بارعا في فنون من العلوم، صنّف « التفسير » و « المحصل » و « الأربعين » و « نهاية العقول » وغير ذلك . قال صاحب المرأة : « وأختصّ بكتب ابن سينا في المنطق وشرحها، وكان

(١) التلمذة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . ولم يذكر سنة وفاته، وفي فوات الوفيات لابن شاكر أن وفاته كانت سنة ٥٢٨ هـ، وواقفه على ذلك صاحب شذرات الذهب .

(٢) كذا في الأصل ورمّة الزمان . وفي ابن خلكان وشذرات الذهب وطبقات الأعيان لابن أبي أصيبعة : « أبو عبد الله » . وفي عقد الجمان « العلامة أبو عبد الله وأبو المعالي » .

(٣) هو التفسير الكبير، ويسمى مفاتيح الغيب، كما في كشف الظنون . (٤) هو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين (عن كشف الظنون) . (٥) هو كتاب الأربعين في أصول الدين، ألفه لولده محمد ورثه على أربعين مسألة من مسائل الكلام (عن كشف الظنون) . (٦) هو نهاية العقول في الكلام في دراية الأصول (يعني أصول الفقه) (عن كشف الظنون) .

يعظ وينال من الكرامية وينالون منه ، ويكفروهم ويكفرونه ، وقيل : إنهم دسوا عليه من سقاء السم فمات ففرحوا بموته ؛ وكانوا يرمونه بالكبائر ، وكانت وفاته في ذى الحجة . ثم ذكر عنه صاحب المرأة أشياء ، الأليق الإضراب عنها والسكات عن ذكرها .

• وفيها توفى المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير الموصلي الجزري الكاتب ، ولد سنة أربعين وخمسمائة بجزيرة آبن عمر ، ثم انتقل إلى الموصل وكتب لأمرائها ، وكانوا يحترمونهم ، وكان عندهم بمنزلة الوزير الناصح إلا أنه كان منقطعا إلى العلم قليل الملازمة لهم . صنف الكتب الحسان ، منها : « جامع الأصول في أحاديث الرسول » ، جمع فيه بين الصحاح الستة . وكتاب « النهاية في غريب الحديث » في خمسة مجلدات . وكتاب « الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف » في تفسير القرآن ، أخذه من تفسير الثعلبي والزخشرى ، وله كتاب « المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار » وله كتاب لطيف في صناعة الكتابة ، وكتاب « البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان » وله « ديوان رسائل » ، وكتاب « الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي » — رضى الله عنه — . ومن شعره

١٥ (١) الكرامية فرقة تنسب إلى زعيمها محمد بن كرام ولها بدع وعبادات أظهرها أن ابن كرام كان يعتقد أن معبوده جسم له حد ونهاية (راجع الكلام عليهم في كتاب الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ — ٢١٤) (٢) في الجامع المختصر ووفيات الأعيان : « ولد في سنة أربع وأربعين وخمسمائة » . (٣) في الأصل : « جمع فيه من الصحاح » . وما أثبتناه عن ترجمته في صدر كتابه النهاية في غريب الحديث ووفيات الأعيان لابن خلكان . (٤) كذا في الأصل وابن خلكان . وفي كشف الظنون : « الإنصاف في الجمع بين الثعلبي والكشاف » . (٥) تفسير الثعلبي هو الكشف والبيان في تفسير القرآن ، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري . تقدمت وفاته سنة ٤٢٧ هـ . (٦) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزخشرى الحواري صاحب تفسير الكشاف . تقدمت وفاته سنة ٥٣٨ هـ . (٧) هو سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله الإمام ناصح الدين ابن الدهان النحوي . تقدمت وفاته سنة ٥٦٩ هـ .

— رحمه الله — ما أنشد له لصاحب الموصل ، وقد زلّت به بغلته وألقته إلى الأرض :

إن زلّت البغلة من تحته * فإنّ في زلّتها عذراً
تحلها من علمه شاهقاً * أو من ندى راحته بحراً

- وكانت وفاته بالموصل في يوم الخميس سلخ ذى الحجة ، ودفن برباطه بدرج^(١) ، وهو أخو أبي الحسن على بن الجزري الكاتب .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى القاضي وجيه الدين أسعد بن المنجاء التتوحي في المحرم ، وله سبع وثمانون سنة . وأبو مسلم المؤيد [هشام] بن عبد الرحيم^(٢) [بن أحمد بن محمد] بن الإخوة العدل بأصبهان في جمادى الآخرة . وأبو عبد الله محمود بن أحمد المضريّ^(٣) الأصبهانيّ إمام جامع أصبهان عن تسع وثمانين سنة . وأبو القاسم إدريس بن محمد العطار بأصبهان، وله نحو مائة سنة . ونفر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازيّ المصنّف ابن خطيب الريّ يوم عيد الفطر، وله اثنتان وستون سنة . ومجد الدين يحيى بن الربيع الواسطيّ مدرس النظامية عن ثمان وسبعين سنة^(٤) . ومجد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير الجزريّ الكاتب صاحب « جامع الأصول » و « النهاية » في سلخ العام، وله ثلاث

(١) دوج دراج : محلة كبيرة في وسط مدينة الموصل ، يسكنها الخالديات الشاعران (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) هو عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرام محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري صاحب التاريخ المشهور . وسيد ذكر المؤلف وفاته سنة ٦٣٠ هـ . (٣) التكنة عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي . (٤) في الأصل : « المنصري » وهو تصحيف . والتصويب عن تاريخ الإسلام والمنتبه في أسماء الرجال للذهبي . (٥) في الأصل : « ثمان وستين » . والتصويب عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه ، لأنه رلد سنة ٥٢٨ هـ .

وستون سنة . وأُم هاني عَفِيفَةُ بنت أحمد الفَارِقَانِيَّةُ مُسْنِدَةُ أَصْهَانَ ، ولها ست وتسعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .



السنة الحادية عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر،
وهي سنة سبع وستائة .

فيها حج بالناس من الشام سيف الدين [علي] بن علم الدين سليمان بن جندر .
وفيها توفي أرسلان [شاه] بن عز الدين مسعود الأمير نور الدين الأتابك صاحب
الموصل ، كان متكبرا جبارا بخيلا فاتكا سقاكا للدماء ، حبس أخاه علاء الدين سنين
حتى مات في حبسه ، وولى الموصل لرجل ظالم يقال له السراج فأهلك الحرث
والنسل ، وكانت وفاة أرسلان هذا في صفر . وخلف ولدين : القاهر مسعودا
وزنكي ، وأوصى إلى بدر الدين لؤلؤ أن يكون مسعود السلطان ويكون زنكي
في شهرزور .

- ٢٥ (١) الفارغانية : نسبة إلى فارغان : قرية من قرى أصهان . (٢) زيادة عن النيل على
الروضتين وعقد الجمان . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وتاريخ ابن الوردي
وعقد الجمان . (٤) في الأصل : « عماد الدين » . وما أثبتناه عن النيل على الروضتين ومرتأة
الزمان وآبن الأثير . وهو علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي كما في آبن الأثير .
(٥) هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه . (٦) هو الملك المنصور
عماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه . (٧) هو الأمير بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ الذي
تطلب على الموصل وملكها في سنة ٦٣٠ هـ في أواخر شهر رمضان ، وكان قبيل تأييدها تم استغل
(عن عقد الجمان وشذرات الذهب) . (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٣ من الجزء الثالث
من هذه الطبعة .

وفيهما توفى عبد الوهاب بن علي الشيخ أبو محمد الصوفي ضياء الدين المعروف
بأبن سَكِينَة سبط شيخ الشيوخ إسماعيل بن أحمد النيسابوري . وكان فاضلا محدثا
هابدا زاهدا ، وكان يُنشد لمحمد الفارقي^(٢) - رحمه الله - :

تَحْمَلُ أَخَاكَ عَلَى خُلُقِهِ * فَمَا فِي أَسْتِقَامَتِهِ مَطْمَعُ

وَأَنَا لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ * وَفِيهِ طِبَائِعُهُ الْأَرْبَعُ

وفيهما توفى عمر بن محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى بن حَسَانِ الْمُسْنَدِ الْكَبِيرِ رُحْلَةَ
الْآفَاقِ أَبُو حَفْصِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْبَغْدَادِي الدَّارَقُزِّي الْمُوَدَّبُ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ طَبَرَزْدَ ،
وَالطَّبَرَزْدُ : هُوَ السَّكْر . وُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ
بِإِفَادَةِ أَخِيهِ الْمُحَدِّثِ أَبِي الْبَقَاءِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ بِنَفْسِهِ ، وَحَصَلَ الْأَصُولُ وَحَفِظَهَا إِلَى وَقْتِ
الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا كَثُرَتْ سِنُهُ حَدَّثَ بِالْكَثِيرِ ، وَصَارَ رُحْلَةَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ مَاتَ
فِي تَاسِعِ شَهْرِ رَجَبِ بَغْدَادَ ، وَدُفِنَ بِيَابِ حَرْبِ .

وفيهما توفى محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامَةَ بْنِ مُقْدَامِ الْإِمَامِ الْقُدْوَةِ الزَّاهِدِ
أَبُو عَمْرِو الْمُقْدِسِيِّ الْجَمَاعِيِّ . قَالَ أَبْنُ أَخْتِهِ الْحَافِظُ ضِيَاءُ الدِّينِ : مَوْلَاهُ فِي سَنَةِ
ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِجَمَاعِيْلَ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ بِدِمَشْقَ مِنْ وَالِدِهِ وَخَلَقَ كَثِيرَ
سِوَاهُ ، وَرَوَى عَنْهُ أَخُوهُ الشَّيْخُ الْمُؤَفَّقُ^(٣) وَلَدَاهُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ وَشَمْسُ الدِّينِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ إِمَامًا عَلِيمًا زَاهِدًا وَرِعًا مُتَّقِنًا مُتَعَبِّدًا : قَالَ
أَبُو الْمُظَفَّرِ : وَكَانَ مُعْتَدِّلَ الْقَامَةِ حَسَنَ الْوَجْهِ ، طَلِبَهُ أَنْوَارُ الْعِبَادَةِ لَا يَزَالُ مُبْتَسِمًا ،

(١) كذا في الأصل وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير والذيل على الروضتين : وفي المختصر

المحتاج إليه وشذرات الذهب وغاية النهاية : «أبو أحمد» . (٢) الفارقي : نسبة إلى مياقيرين .

(٣) الدارقزي : نسبة إلى دار الفز، محلة ببغداد .

(٤) هو عبد الله صاحب المنى والمقنع توفى سنة ٦٢٠ هـ كما في مختصر طبقات الحنابلة .

نَحِيلُ الْجَسْمَ مِنْ كَثْرَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ . ثُمَّ قَالَ - بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ وَبَعْدَ أَنْ أوردَ
أَشْعَارًا كَثِيرَةً - وَأَنْشَدَنِي لغيره :

لِي حِيلَةٌ فَيَمَرُّ يَنْسُمٌ وَلَيْسَ فِي الْكَذَّابِ حِيلُهُ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو * لَ خِفَاتِي فِيهِ قَلِيلُهُ

• وفيها تُوَفِّي الوُجِيهَ بنُ التُّورِيِّ المِصْرِيِّ الفقيهَ المِصْرِيَّ الحنفِيَّ إمامَ مَقْصُورَةِ
الحنفية الغربية بجامع دمشق ، كان صالحاً ديناً فقيراً قارئاً للقرآن بالسبع . قال
أبو المظفر وأنشد لغيره :

وَمِنْ عَادَةِ السَّادَاتِ أَنْ يَتَفَقَّهُوا * أَصَاغَرَهُمُ الْمَكْرُمَاتُ مَصَائِدُ
سُلَيْمَانَ ذُو مَلِكٍ تَفْقَدُ هُذُنَهُ * وَاتَّ أَقْلُ الطَّائِرَاتِ الْهَدَاهِدُ

الذين ذكر الذهبية وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو محمد جعفر بن
محمد^(١) [بن أبي محمد^(٢)] بن أموسان الأصبهاني بعد حجته بالمدينة في المحرم ، وله خمس
وسبعون سنة . وأبو محمد عبد الوهاب ابن الأمين علي بن سَكِينَةَ الصوفي مسند العراق
وشيخها ، وله ثمان وثمانون سنة . مات في شهر ربيع الآخر . والشيخ أبو عمر
محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الزاهد شيخ المقادسة في شهر ربيع الآخر ، وله تسع
وسبعون سنة . وعائشة بنت مُعَمَّرَ بن الفاجر عن بضع وثمانين سنة . وأبو الفرج
محمد بن هبة الله بن كامل الوكيل ببغداد عن خمس وثمانين سنة . وأبو حفص عمر
ابن محمد بن^(٣) مُعَمَّرَ بن طَبَرَزْدَ عن إحدى وتسعين سنة ، كلاهما في رجب .
وأبو المجد زاهر بن أحمد بن أبي ظالم التَّقَفِيَّ الأصبهاني وقد قارب التسعين

(١) النكتة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام للذهبي .

(٢) في الأصل : «أبو بيان» . والتصويب عن المختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتذكرة

الحفاظ وتاريخ الإسلام للذهبي . (٣) راجع الحاشية رقم ١ من الصفحة السابقة .

(٤) في الأصل : «زاهد» . والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب وشرح

القصيدة اللامية في التاريخ .

في دى القعدة . وأسعد بن سعيد ^(١١) [بن مجود بن محمد بن أحمد بن جعفر] بن رَوْح
التاجر بأصهان في دى الحجّة ، وله تسعون سنة ، وُحِّمَ به حديثُ الطَّبْرَانِيّ
في الدنيا .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم لم يوجد له قاعٌ في هذه السنة .

- مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وأربع أصابع ، بعد ما توقّف عن الزيادة أيّاما . ^(١٢)



السنة الثانية عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر ،
وهي سنة ثمانٍ وستمئة .

- ١٠ فيها قَدِمَ بغداد رسول جلال الدين حسن صاحب الموت ^(١٣) ، يخبر الخليفة بأنهم
تبرّءوا من الباطنية ، وبنّوا الجوامع والمساجد ، وأقيمت الجمعة والجماعات عندهم ،
وصلّوا التراويح في شهر رمضان ؛ فسرّ الخليفة والناس بذلك . وقَدِمَت الخاتون
أم جلال الدين حاجّةً ، وأَحْتَفَلُ بها الخليفة ، وجَهّزَ لها ما يليق بها . ^(١٤)

- ١٥ وفيها بعث الخليفة الناصر لدين الله خاتمه للأمير وجه السبع بالشام ، وقد تقدّم
ذكره فيما مضى ، فتوجّه وجهُ السبع إلى الخليفة ومعه رسول الملك العادل صاحب
الترجمة ، فأكرم الخليفة وجه السبع ، وأعطاه الكوفةَ إقطاعا .

وفيها تُوفّي عبد الواحد بن عبد الوهاب بن عليّ بن سُكَيْتَةَ وبُلِّقَ بالمعين .
وُلِدَ سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وسافر إلى الشام في أيام الأفضل ، وبسط

(١) النكتة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٢) كذا في الأصل . وفي درر
التيجان : « ست عشرة ذراعا وست أصابع » . وفي كنز الدرر : « ست عشرة ذراعا فقط » .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٧ من هذا الجزء . (٤) في الأصل : « احتفل بها
الخليفة » . والتصويب عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان .

لسانه في الدولة، ثم عاد إلى بغداد بأمان من الخليفة^(١)، وولي مشيخة الشيوخ .
ومات غريقاً في البحر، وكان سميع جدّه لأئمّه شيخ الشيوخ عبد الرحيم وغيره .
وأنشد بلّذه المذكور قوله في الحضاب :

ولم أخضب مشبي وهو زين * لإشاري جهالات الشباب
ولكن كي يراني من أعادي * فأرهبه بوّابات التصابي
وفيها تُوفي مظفر الماسكي البغدادي^(٢)، كان ظريقاً أديباً، وكان يقول من الشعر^(٣)
« كان وكان » وغيره . ومن شعره في « كان وكان » قوله :

ذي زوجها ما شطها وكل من جا حفاها
قصّده يرى النقش عنده في كفها الزان
إن شندرت فلوجهه تصيب قبل كُفوفها

ما صحّ ذلك النشادر إلا من الدخات
الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفي أبو المعالي محمد^(٤)
ابن صالح آخر من حدث عن الميوري^(٥) . ويحيى بن البناء ، وله تسعون سنة .
وأبو الفتح منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن [محمد] الفراوي العدل بنيسابور^(٥)،
وله ست وثمانون سنة في شعبان . والقاضي أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سنّاء الملك^(٥)
بمصر . وأبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن [وهب بن محمد بن وهب] بن نُوح

(١) هو عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعد شيخ الشيوخ . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٥٨ هـ .

(٢) كذا في الأصل وعقد الجمان . وفي مرآة الزمان : « مطير القاسكي » .

(٣) كان وكان هو أحد الأوزان المستحدثة في الشعر . اخترعه البغداديون وسماه بذلك لأنه غالب

يشتمل على الحكايات والقصص . (٤) لم نجد هذا الاسم فيمن ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة

في تاريخ الإسلام . (٥) التكلة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه وتاريخ الإسلام .

القافى بِلَيْسِيَّة، وله ثمان وسبعون سنة. والخضر بن كامل [بن سالم] بن سبيع الدلال^(٢) بدمشق. وأبو العباس أحمد بن الحسن بن أبي البقاء العاقول^(٣) في ذى الحجة ببغداد. § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وعشر أصابع.



السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيوب على مصر. وهى سنة تسع وستمائة.

فيها أجمع الملك العادل المذكور وأولاده: الكامل والفائز والمعظم على دِمياط لقتال الفرنج، وكان الأمير أسامة بالقاهرة، فأثَّهم بمكتبة الملك الظاهر غازى صاحب حلب، ووجدوا كتباً إليه وأجوبة؛ فخرج أسامة المذكور من القاهرة كأنه يتصيد وساق إلى الشام في مماليكه يطلب قلعة كوكب وتجلون. وكان ذلك في يوم الاثنين سَلَخَ جُمادى الآخرة. فأرسل والى بُلَيْس الحَمَام إلى دِمياط بالخبر؛ فقال العادل: مَنْ ساق حَلَفَه فله أمواله وقِلاعه؛ فقال ولده الملك المعظم عيسى: أنا، وركب من دِمياط يوم الثلاثاء غُرَّة رجب. قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: «وكنْتُ معه، فقال لى: أنا أريد أن أسوق فأبقى أنت مع قُماشى ودفع لى بغلة، وساق ومعه فريسير وعلى يده حصان، فكان صباح يوم الجمعة بغُرَّة، [ساق مسيرة ثمانية أيام في ثلاثة أيام] فسبق أسامة. [وأما أسامة] فتقطع عنه مماليكه وبقي

(١) القافى: نسبة إلى غافق، حصن بالأندلس (عن لب الباب). (٢) التكلة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه وتاريخ الإسلام. (٣) العاقول: نسبة إلى دير العاقول، وهو بين مدائن كسرى والنمائية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً (عن معجم البلدان لباقوت). (٤) الزيادة عن امرأة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين.

وحده، وكان به مرض النقرس (يعني بأسامة)، بجاء إلى بلد الداروم^(١)، وكان المعظم أمسك عليه من البحر إلى الزرقاء^(٢)، فرآه بعض الصيادين في برية الداروم فعرفه، فقال له : انزل، فقال : هذه ألف دينار وأوصلني إلى الشام، فأخذها الصياد وجاء إلى رفاقه [فعرفوه أيضا^(٣)]، فأخذوه على طريق الخليل ليحملوه إلى عجلون^(٤)، فدخلوا به إلى القدس في يوم الأحد في سادس رجب بعد وصول المعظم بثلاثة أيام، فقتلته المعظم وأنزله بصهيون، وبعث إليه بثياب وطعام ولاطفه [وراسله^(٥)] وقال له : أنت شيخ كبير وبك قنيس وما تصلح لك قلعة، سلم إلى كوكب وعجلون، وأنا أحلف لك على مالك وجميع أسبابك، وتعيش بيننا مثل الوالد. فامتنع وشم المعظم، فبعث به المعظم إلى الكرك فأعقله بها، وآستولى على قلاعه وأمواله وذخائره [وخيله^(٦)]، فكان قيمة ما أخذ منه ألف ألف دينار.

وفيها حج بالناس من العراق حسام الدين بن أبي فراس نيازة عن محمد بن ياقوت، وكان معه مال وخلع لقتادة صاحب مكة. وحج بالناس من الشام شجاع الدين بن محارب^(٧)، من على أيلة^(٨).

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٢) الزرقاء : موضع بالشام بناحية معان، وهو نهر عظيم (عن معجم البلدان لياقوت).

(٣) زيادة عن امرأة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضين. (٤) في الأصل :

« على طريق الجبل ». وما أثبتناه عن امرأة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضين ؛ والخليل : اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وحق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في مقبرة تحت الأرض (عن معجم البلدان لياقوت). (٥) في الأصل : « حسام الدين أبو القوارس ». وما أثبتناه عن الذيل على الروضين وعقد الجمان و امرأة الزمان وما سيذكره المؤلف في السة الآتية. (٦) هو قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة (عن ابن الأثير).

(٧) في الذيل على الروضين : « شجاع الدين محارب ». (٨) أيلة، هذه البلدة هي التي تعرف اليوم باسم « العقبة » وكانت تابعة لمصر. وأما الآن فهي من بلاد إمارة شرق الأردن (مقبرة آسيا) وهي ميناء بحرية واقعة في شمال خليج العقبة الواقع في شمال البحر الأحمر، ويفصل بين شبه جزيرة طور سيناء وبين بلاد العرب.

وفيهما توفى الملك الأوحده نحم الدين أيوب ابن السلطان الملك العادل أبي بكر صاحب الترجمة . كان صاحب خَلاط وغيرها في أيام أبيه الملك العادل ، وقد تقدم ذكر أخذه خَلاط وغيرها ؛ وكان قد أبْشَلِي بأمراض مزمنة ، وكان يمتنى الموت وكان قد استترار أخاه الملك الأشرف موسى من حرّان ، فأقام عنده أياما ، وأشدّت مرضه فطلب الأشرف الرجوع إلى حرّان لئلا يتغيّل منه الأوحده ، فقال له الأوحده : يا أنحى ، لِمَ تُلجّ في الرّواح ! والله إنى مَيّت وأنت تأخذ البلاد من بعدى ، فكان كذلك . وملك الأشرف بعد موته خَلاط وأحبّه أهلها . كلّ ذلك في حياة أبيهما الملك العادل هذا . فكانت مدّة تملك الأوحده خَلاط أقلّ من خمس سنين ، ووجد عليه الملك العادل كثيرا .

١٠ وفيها توفى محمود بن عثمان بن مكارم أبو الشّاء الحنبليّ ، كان شيخا زاهدا عابدا صاحب رياضات ومجاهدات بصوم الدهر ، وانتفع بصحبته خلق كثير ، وكان من الأبدال .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو جعفر أحمد ابن عليّ الأنصاريّ الدّانيّ^(١) الحصار المقرئ ببلنسية ، أسْتَشْهِد في وقعة العقاب هو وخلق من المسلمين . وأبو الفرج محمد بن عليّ بن حمزة بن القبيطيّ ، وله نيف وثمانون سنة . والحافظ أبو زرار ربيعة بن الحسن الحضرىّ اليمنى بمصر عن اثنتين وثمانين سنة . وأبو [شجاع] زاهر بن رُسَم المقرئ بمكة .

(١) الدّاني : نسبة إلى دانية ، مدينة بالأندلس . (٢) وقعة العقاب ، كانت ملحمة عظيمة بالأندلس بين الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف وبين الفرج . ونصر الله فيها الاسلام ، واستشهد بها عدد كثير (راجع شذرات الذهب وعقد الجمان وتاريخ الاسلام في حوادث هذه السنة) .
(٣) في شذرات الذهب وتاريخ الاسلام : « عن أربع وثمانين سنة » .
(٤) التكلة عن شذرات الذهب وتاريخ الاسلام وغاية النهاية في طبقات القراء .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .



السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر ،
وهي سنة عشر وستمائة .

فيها حج بالناس من العراق ابن أبي فراس نيباة عن ابن ياقوت . وحج بالناس من الشام الفرز صديق بن تمر دأش التركماني من على عتبة أيلة بجحاح الكرك والقُدس .
وحج في هذه السنة الملك الظاهر خضر ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من على تيماء ، ومعه حج الشام بأذن عمه السلطان الملك العادل - فيما قيل - ، فلما بلغ الملك الكامل محمد بن العادل أنه توجه إلى الحجاز خاف على بلاد اليمن منه ، فوجه إليه عسكريا من مصر فليحقوه ، وقالوا له : إرجع ، فقال : قد بقي بني وبين مكة مسافة يسيرة ، والله ما قصدي اليمن ، وإنما قصدي الحج ، فقيّدوني وأحاطوا بي حتى أقضي المناسك وأعود إلى الشام ، فلم يلتفتوا لكلامه ، فأراد أن يقاتلهم فلم يكن له بهم طاقة ، فرجع إلى الشام ولم يحج .

وفيها توفي الأمير أيّدُ عُمّش صاحب همدان ، أرسله الخليفة إلى همدان فصار وانتظر العسكر و طال عليه الأمر فرحل عن همدان . فالتقاء عسكر منكلي بغا ملك

(١) في الأصل : «العزيز صديق» . وما أئبناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين . (٢) راجع الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من هذا الجزء . (٣) في الأصل : «الملك الظاهر» . والتصويب عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وما تقدم ذكره للؤلؤ في صفحة ٤٩ من هذا الجزء . (٤) تيماء : بلدة في أطراف الشام ، بين الشام وراى القرى على طريق حج الشام ودمشق ، والأبقى الفرد حصن السمويل بن عادية اليهودى مشرف عليها (عن معجم البلدان لياقوت) .

التبار، وقالوه قتلوه، وحملوا رأسه إلى منبكي بفا المذكور . وكان أميراً صالحاً كثير الصدقات ديناً صائماً عادلاً كثير المحاسن — رحمه الله — .

وفيه توفى الوزير الرئيس سعيد بن علي بن أحمد أبو المعالي بن حديدة من ولد قُطَيْبَة بن عامر بن حديدة الأنصاري الصحابي . وكان مولده بكنج سامراً سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وكان له مال كثير، وأستوزره الخليفة الناصر لدين الله، ووقع له بعد ذلك محن، فهرب وأختفى إلى أن توفى .

وفيه توفى الأمير سنجر [بن عبد الله] الناصري صهر طاشتكين، وكان ذليلاً مجنبلاً ساقط النفس مع كثرة المال . وتوفى مرة إمرة الحاج [سنة تسع وثمانين وخمسمائة] فأعرض الحاج رجل بدوي في قفريسير جداء، وكان مع سنجر هذا خمسمائة نفس، فذلل وجب عن ملاقاته، وجب له مالاً من الحج، فلما دخل بغداد رمم عليه الخليفة حتى أخذ منه المال وردّه إلى أصحابه، ثم عزله وأخذ إقطاعه .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو الحسن مهذب الدين علي بن أحمد بن علي [المعروف بابن هبل] البغدادي الطبيب بالموصل . وأبو عبد الله الحسين بن سعيد بن الحسين بن شَيْف الدَّارَقُزِّي الأمين ببغداد، كلاهما في المحرم . وأمّ النور عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفي، ولها ست وثمانون سنة . وأبو مسعود عبد الجليل بن أبي غالب [بن أبي المعالي بن محمد بن الحسين]

(١) راجع هذه الحادثة في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان ومراة الزمان وابن الأثير فقد ذكرتها تلك المصادر بتفصيل وتوضيح عما هنا . (٢) في الأصل : « من ولد عطية بن عامر » والتصويب عن طبقات ابن سعد (ج ٣ قسم ثان ص ١١٧) . (٣) الزيادة عن مراة الزمان وعقد الجمان والتبيل على الروضتين . (٤) في مراة الزمان والتبيل على الروضتين وعقد الجمان : « يقال له دهمش » . (٥) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . (٦) في الأصل : « الحسن » . وما أثبتناه عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وشرح القصيدة غلامية في التاريخ وتاريخ الإسلام . (٧) التكلفة عن تاريخ الإسلام .

ابن مندويه الصوفي بدمشق عن ثمانين سنة، وإثما سميع في كبره . وتاج الأمتاء
أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي . والفخر إسماعيل بن
علي الحنبلي المتكلم غلام بن المنى^(١) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبع واحدة .



السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر،
وهي سنة إحدى عشرة وستمائة .

قلت : وفي مدة هذه السنين كلها^(٢) [كان] صاحب مصر ولده الكامل محمد بن
العادل ، والملك العادل ينتقل في البلاد ، غير أنه هو الأصل في السلطنة وعليه
المعول ؛ ولا تحسب سلطنة الكامل على مصر إلا بعد موت أبيه العادل هذا .
كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

فيها ملك آتيم^(٣) أضييس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر صاحب
الترجمة . ولقب أضييس المذكور بالملك المسعود ، والعامة يسمونه « أضييس »
وغلب عليه مقالة العامة ، والصواب ما قلناه لأن والده الملك الكامل ما كان يعيش
له ولد ، فلما وُلِدَ له هذا أضييس قال له بعض الأتراك : في بلادنا إذا كان الإنسان^(٤)

(١) في الأصل : « ابن البي » . والتصويب عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

(٢) زيادة يقتضيا السياق . (٣) كذا ورد بالأصل . وذكر صاحب عقد الجمان

في حوادث سنة ٦١١ هـ و ٦١٥ هـ عدة روايات لهذا الاسم : أنسر ، أنسير ، أفسيس ، أطنز ،

أطيس ، أطييس ، أضييس . واقتصر صاحب مرآة الزمان على روايه : أفسيس . واسم الملك المسعود

صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك الكامل .

(٤) في الأصل : « إذا ما عاش للشخص ولد » . وما أثبتناه عن عقد الجمان في حوادث سنة ٦١٥ هـ .

لا يعيش له ولد يستمنه أفسيس . ومعناه باللغة التركية : ماله آسم ؛ فسماه والده الملك الكامل بذلك ؛ فلما كبر ثقل على العائمة لفظ أفسيس ؛ فسموه « أفسيس » . انتهى .

- وكان أفسيس المذكور شاباً جباراً فانتكا قتل باليمن نحو ثمانمائة شريف .
 ودخل إلى مكة إلى حاشية الطواف راكباً . وقيل إنه : كان يسكر وينام بدار
 على المسعى ، فتخرج أعوانه تمنع الناس من الصياح والضجيج في المسعى ، ويقولون :
 الأمير سكران نائم ! لا ترفعوا أصواتكم بالذكر والتلبية ! وقتل أفسيس هذا خلقاً كثيراً
 من الأكابر والعظماء . ولولم يمح عثم الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ما قدر
 أفسيس هذا على أخذ اليمن . كل ذلك في حياة جده الملك العادل صاحب الترجمة .
 وفيها أخذ الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل هذا قلعة صرخد من الأمير^(١) [ابن]
 قراجا ، وعرضه مائلاً وإقطاعاً .

- وفيها حج بالناس من العراق ابن أبي فراس بن ورام نائباً عن محمد بن ياقوت .
 وفيها حج الملك المعظم عيسى المقدم ذكره من دمشق ، وحج معه عدة أمراء من
 أعيان دمشق ، وحج على مذهب أبي حنيفة وآستمر على المذهب ، وكتبه والده الملك
 العادل صاحب الترجمة في العود إلى مذهب الشافعي فلم يقبل ، وجاوبه بكلام
 الشكات عنه أليق .

وفيها توفي عبد العزيز بن محمود بن المبارك^(٢) [بن محمود بن الأخضر] الشيخ
 أبو محمد البراز ، سميع الحديث وأكثر وصنف وكتب ، وكان فاضلاً ديناً صالحاً .
 مات في شوال .

(١) تكملة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

(٢) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي والمختصر المحتاج إليه .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفي الحافظ شرف الدين أبو الحسن علي بن الفضل بن علي^(١) [المقدمي الإسكندراني المالكي، وله سبع وستون سنة . وفيه بغداد أبو بكر محمد بن معالي بن غنيمه بن الحلاوي الحنبلي، وكان من أبناء السبعين^(٢) . والحافظ عبد العزيز بن محمود [بن المبارك بن محمود] بن الأخضر، وله سبع وثمانون سنة في شوال .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .



السنة السادسة عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر،
وهي سنة اثنتى عشرة وستمائة . ١٠

فيها نخرج وجه السبع من بغداد بالعساكر إلى همدان للقاء منكي ملوك السلطان أذربك خان^(٤) ، وكان قد عصى على مولاه وعلى الخليفة وقطع الطريق ، فكتب الخليفة إلى ابن زين الدين، وإلى الملك الظاهر غازي صاحب حلب، وإلى الملك العادل هذا يطلب العساكر، بخاءته العساكر من كل مكان، وتوجه ابن زين الدين مقدم العساكر، وجاء أذربك وجلال الدين مقدم الإسماعيلية . وجمع أيضا منكي جموعا كثيرة وأتقوا قريبا من همدان، وأقتلوا قتالا شديدا ، فكانت الدائرة على منكي، وقتل من أصحابه ستة آلاف، ونهبوا أنقاله ، فحال بينهم الليل فصعد

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبي وشذرات الذهب . (٢) في تاريخ الاسلام والمختصر المحتاج اليه : « كانت ولادته سنة أربع وعشرين وخمسة » فـ أكبر من ذلك . (٣) التكملة عما تقدم ذكره في حوادث السنة . (٤) هو أذربك خان بن البهلوان محمد بن الذكر صاحب أذربيجان . ٢٠
(٥) هو مظفر الدين كركورى بن زين الدين طي كلك صاحب إربل .

مَنْكِلَى على جبل ، وأبنُ زين الدين والعساكر أسفل ، وأوقد مَنْكِلَى نَارًا عظيمة وهرب
في الليل ، فأصبح الناس وليس لِمَنْكِلَى أثر ، ثم قُتِلَ مَنْكِلَى بعد ذلك . وأزبك خان
هذا هو غير أوزبك خان التترى المتأخر .

وفيها أخذ خوارزم شاه محمد ^(١) [بن تُكُش] مدينة غزنة من يلدز تاج الدين مملوك
شهاب الدين [أحمد] ^(٢) الفورى بغير قتال .

وفيها أخذ ابنُ لاوْن الإفرنجى أنطاكية في يوم الأحد رابع عشرين شوال .

وفيها حج بالناس ابنُ أبى فراس من العراق نيابة عن محمد بن ياقوت .

وفيها توفى على ابن الخليفة الناصر لدين الله العباسى وكنيته أبو الحسن . وكان
لقبه أبوه الخليفة بالملك المعظم ، وكان جليلا نبيلًا . مات في ذى القعدة وأُخرج
تابوته وبين يديه أرباب الدولة . ومن الاتفاق الغريب أنه يوم الجمعة دخل بغداد
رأس مَنْكِلَى على رُحْج ، وزُيِّنَتْ بغداد وأظهر الخليفة السرور والفرح ، ووافق تلك
الساعة وفاة ابن الخليفة على هذا ، ووقع صُراخٌ عظيم في دار الخلافة ، فأهلب ذلك
الفرح بحزن . ونحرت المخدرات من خدورها ونشرن شعورها .

قال أبو المظفر : « وَلَطَمَنَ وَقَامَ النَوَامِحُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَعَظُمَ حُزْنُ الْخَلِيفَةِ
بِحَيْثُ إِنَّهُ آمَتَعَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، رَغَلَتْ الْأَسْوَاقُ ، وَعُطِّلَتِ الْحَمَامَاتُ ، وَبَطَلُ
الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، وَجَرَى مَالُ مِجْرَ قَبْلِهِ . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ قَدْ رَتَّحَهُ لِلْخِلَافَةِ ، فَفَعَلَ اللَّهُ
فِي مُلْكِهِ مَا أَرَادَ . وَخُفِّفَ وَلَدَيْنِ : أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ وَلَقَبَهُ جَدُّهُ « الْمُؤَيَّدُ » وَيَحْيَى
وَلَقَبَهُ بِ« الْمُوَفَّقِ » .

(١) زيادة من ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردي . (٢) الزيادة من عقد الجمان

وفيها توفى المبارك بن المبارك أبو بكر الواسطي النحوي . ^(١) وُلِدَ سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وكان حنبلياً، ثم صار حنفيّاً، ثم صار شافعيّاً لأسباب وقعت له ، وكان قرأ الأدب على ابن الحشّاب ^(٢) وغيره ، وكان أديباً فاضلاً شاعراً . ومن شعره — رحمه الله — قوله :

لا خير في الخمر من شأنها * إفقادها العقل وجلبُ الجنون
أو أن تُرى الأقبَحُ مُستَحَسَّناً * وتُظهِرَ السرَّ الخفيَّ المصُون
قلت : وبُعِجَنِي قَوْلُ القائل ، وهو قريب مما نحن فيه :

على قدر عقل المرء في حال صحّوه * تُؤثِّرُ فيه الخمرُ في حال سُكرِه
فتأخذ من عقل كبير أقلّه * وتأتى على العقل اليسير بأسره

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الفقيه سليمان بن محمد بن عليّ الموصليّ في صفر، وله أربع وثمانون سنة . وأبو العباس أحمد بن يحيى ابن بركة الديلميّ ^(٣) البرّاز في شهر ربيع الأول ، وله أربع وثمانون سنة أيضاً . والحافظ عبد القادر ^(٤) [بن عبد الله أبو محمد] الرهاويّ ^(٥) بخرّان ، وله ست وسبعون سنة في جمادى الأولى . وأبو الفرج [يحيى] بن ياقوت القزّاش ^(٦) في جمادى الآخرة . والقُدوة ^(٧)

(١) في تاريخ الاسلام للذهبي وعقد الجمان : « ولد سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة » .
(٢) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٧ هـ . (٣) في الأصل : « الديلمي » . والتصويب عن تاريخ الاسلام ومعجم البلدان لياقوت وشرح القصيدة اللامية في التاريخ والمختصر المحتاج اليه . والديلمي : نسبة إلى دليقية ، قرية ببغداد . (٤) الزيادة عن تذكرة الحفاظ والمختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام ومعجم البلدان لياقوت . (٥) الرهاوي : نسبة إلى الرها ، بلد بالجزيرة . (٦) التلمذة عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبي . (٧) كذا في الأصل . وفي تاريخ الاسلام للذهبي « القراس » . وفي المختصر المحتاج اليه « المرائش » .

الزاهد أبو الحسن ^(١١) عليّ بن الصَّبَّاح بن حَمِيد الصَّعِيدِيّ بَيْلِدَة قَنَّا . وأبو الفتح ^(١٢)
 محمد بن عليّ الجَلَّاجِيّ التاجر بالقُدْس عن إحدى وسبعين سنة . ومحمد بن أبي المعالي ^(١٣)
 [عبد الله] بن موهوب الصوفيّ ابن البناء في ذى القعدة . وأبو محمد عبد العزيز بن
 معالي [بن غنيمَة بن الحسن المعروف بابن مَيتنا الأشتانيّ]، وله سبع وثمانون سنة .
 مات في ذى الحجة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع سواء . مبلغ الزيادة
 ست عشرة ذراعا وثمانى عشرة اصبعًا .



السنة السابعة عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر،
 وهى سنة ثلاث عشرة وستمائة .

فيها جهّز الخليفة الناصر لدين الله ولَدَى ولده المقدم ذكرهما إلى كُسْتَر، وضمّهما
 إلى بدر الدين محمد سبط العقاب، وخرج أرباب الدولة بين يديهما، وضرب لهما
 خيمة الأطلس بأطنا ب خُضَيْرِ إِبْرِيْم، وعلى رءوسهما الشمسية والبنود والأعلام،

- (١) في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب : « علي بن حميد أبو الحسن بن الصباغ » . وفي حسن
 المحاضرة للسيوطي (ص ٢٩٥ ج ١) : « علي بن أحمد بن إسماعيل بن يوسف الشيخ أبو الحسن الصباغ
 القوصي » . (٢) قنا : مدينة مصرية قديمة شبيها بالصعيد الأعلى واقعة على الشاطئ الشرق
 للنيل، وهي قاعدة مديرية قنا التي أصبحت إحدى مديريات الوجه القبلي من سنة ١٨٥١ إلى اليوم .
 (٣) في الأصل : « أبو الفتح » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج
 إليه . والجلاجل : نسبة إلى جلاجل، جبل من جبال الدهناء . (٤) في الأصل : « أحمد » .
 والصويب عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . (٥) الزيادة عن
 شذرات الذهب وتاريخ الإسلام والمختصر المحتاج إليه . (٦) وكانت وفاته سنة ٦١٦ هـ .
 كما في عقد الجمان ورمّة الزمان .

وخلفهما الكوسات ، وسار معهما نجاح الشَّرايِ^(١) والمَكِينُ القُمِّيَّ^(٢) بالعساكر في سابع المحرم ، فاقاما بئسَّ شهرين فلم يَطْب لهما ، فعادَا إلى بغداد عند جَدِّهما الخليفة في شهر ربيع الآخر .

وفيهما توفَّى الملك الظاهر غازي — على ما يأتي ذكره — في هذه السنة . وتوجَّه الشيخ أبو العباس عبد السلام بن [أبي] عَصْرُون^(٣) رسولاً من الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي المذكور إلى الخليفة الناصر لدين الله يطالب تقريره بسلطنة حلب على ما كان أبوه عليها .

وفيهما قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق الاجتماع بأخيه الملك الأشرف موسى ، فاجتمعا بنواحي الرقة ، وفاوض المعظم الأشرف في أمر حلب .

وفيهما حجَّ بالناس من العراق ابن أبي فراس ، ومن الشام الشيخ عَمَّ الدين الجعفرى .

وفيهما توفَّى زَيْد بن الحسن بن زيد بن الحسن [بن زيد بن الحسن] بن سعيد بن عَصْمَة بن حمير العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندى البغدادي المقرئ النحوى اللغوى . مولده في شعبان سنة عشرين وخمسمائة ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وكمل القراءات العشر وله عشر سنين .

(١) هو عز الدين نجاح بن عبد الله الشراي (عن ابن الأنهم) . (٢) هو مكين الدين محمد ابن محمد بن عبد الكريم ابن برز القمي : نسبة إلى قم — بلاد بين ماوة وأصاين — أبو الحسن مؤيد الدين كاتب ديوان الإنشاء ورشح إلى وزارة الامام الناصر . (عن ابن الأثير والمختصر المحتاج اليه) . (٣) الزيادة عن شلوات الذهب وابن خلكان . وهو عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون . وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٢٢ هـ . (٤) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي وغاية النهاية وبنية الوعاة للسيوطي . (٥) في الأصل : « حمل » . وما أثبتناه عن عقد الجمان وبنية الوعاة وغاية النهاية وتاريخ الاسلام للذهبي .

- قال الذهبي: «وكان أعلى أهل الأرض إسناداً في القراءات، فأتى لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات [ثلاثاً و^(١) ثمانين سنة غيره. هذا مع أنه قرأ على أسن شيوخ العصر بالعراق، ولم يبق أحد ممن قرأ عليه مثل بقائه ولا قريباً منه، بل آخر من قرأ عليه الكمال [بن] فارس، وعاش بعده ثيفاً وستين سنة. ثم إنه سميع الحديث على الكبار، وبقي مسند الزمان في القراءات والحديث». انتهى كلام الذهبي باختصار. وكان فاضلاً أديباً ومات في شوال. ومن شعره - رحمه الله تعالى - :
- دج المتجهم يكبو في ضلالتيه * إن أدعى علم ما يجرى به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فلا ال * إنسان يشركه فيه ولا الملك
- وفيها توفي سعيد بن حمزة بن أحمد أبو الغنائم بن شاروخ الكاتب العراقي. كان فاضلاً بارعاً في الأدب، وله رسائل ومكاتبات وشعر. ومن شعره القصيدة
- التي أولها :

- يا شائم السبق من تجدي كاظمة * يبدو مراراً وتخفيه الدياجير
وفيها توفي السلطان الملك الظاهر أبو منصور غازي صاحب حلب ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب. وُلِدَ بالقاهرة في سنة ثمان وستين وخمسمائة في سلطنة والده. ونشأ تحت كنف والده، وولاه أبوه سلطنة حلب في حياته. وكان ملكاً مهيباً وله سياسة وفطنة، ودولة معمورة بالعلماء والأمرء والفضلاء. وكان محسناً للرعية والوافدين عليه. وحضر معظم غزوات والده

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وغاية النهاية وبنية الوعاة. (٢) تكملة عن تاريخ الإسلام وغاية النهاية. وهو الكمال إبراهيم ابن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس توفي سنة ٥٦٧ هـ، كما في غاية النهاية. (٣) كذا في الأصل. وفي عقد الجمان: «ساروخ» بالسین والحاء المهملين. وفي المختصر المحتاج إليه والدليل على الروضتين: «ابن سارخ» بالحاء المعجمة. (٤) في تاريخ الإسلام والمختصر المحتاج إليه: «من شرق».

السلطان صلاح الدين، وكان في دولة الظاهر هذا من الأمراء: تميمون القصيري، والمبارز^(١) ابن يوسف بن خطّخ، وسُنُقُر الحَلِّي، وسرا سُنُقُر، وأَيْك فُطَيْس وغيرهم من الصلاحية. ومن أرباب العهائم القاضي بهاء الدين بن شدّاد، والشريف الاقتحاري الهاشمي، والشريف النّسابة، وبنو العجمي والقيسراي، وبنو الخشّاب [وغيرهم]^(٢). وكان ملجأ للغرباء وكهفًا للفقراء، يزور الصالحين ويتفقدهم، ودام على ذلك إلى أن توفّي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة بعلّة الدّرب. ودُفِن بقلعة حلب، ثم نُقِل بعد ذلك إلى مدرسته التي أنشأها. وقام بعده ولده الملك العزيز محمد بوصيته، وولّاه الخليفة حسب ما تقدم ذكره.

وفيهما توفّي الشيخ عز الدين محمد بن الحافظ عبد الغني المقدسي، وُلِد سنة ست وستين وخمسمائة، وسمع الحديث ورحل البلاد، وكان حافظًا دينًا ورعًا زاهدًا. ودُفِن بقاسيون^(٣).

وفيهما توفّي يحيى بن محمد بن محمد بن محمد [بن محمد] أبو جعفر الشريف الحسيني. ولى نقابة الطالبين بالبصرة بعد أبيه، وقرأ الأدب، وسمع الحديث، ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

هذا العقيق وهذا الجزع والبان * فاحبس فلي فيه أوطار وأوطان
آليت والحُر لا يلوي أليته * ألا تلتدّ يطيب النوم أجفان
حتى تعود ليالينا التي سلفت * بالأجرعين وجيران كما كانوا

(١) في الأصل : « المبارك ». وقد تقدم غير مرة . (٢) زيادة عن امرأة الزمان وعقد الجمان . (٣) في الأصل : « ومات بقاسيون ». وما أثبتناه عن شذرات الذهب . ٢٠ .

(٤) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على الروضتين ورمّة الزمان وعقد الجمان .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى العلامة تاج الدين أبو أيمن زيد بن الحسن الكندي في شوال ، وله ثلاث وتسعون سنة وشهران .
والملك الظاهر أبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين بجلب في جمادى الآخرة .
والمحدث عز الدين محمد ابن الحافظ عبد الغنى المقدسي في شوال .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .



السنة الثامنة عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة أربع عشرة وسقانة .

- ١٠ فيها قديم الملك خوارزم شاه وأسمه محمد [بن تگش^(١)] إلى همدان بقصد بغداد في أربعمئة ألف مقاتل، وقيل في سقانة ألف، فاستعذ له الخليفة الناصر لدين الله، وفرق المال والسلاح، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهروردي^(٢) في رسالة فاهاته واستدعاه وأوقفه إلى جانب تحته، ولم يأذن له بالقمود .

- قال أبو المظفر : — « حكى الشهاب قال — استدعاني فأتيت إلى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر في الدنيا مثله ، والدهليز والشقة أطلس والأطناب حرير، وفي الدهليز ملوك المعجم على اختلاف طبقاتهم : صاحب همدان وأصبهان والري وغيرهم ، فدخلنا إلى خيمة أخرى إبريتم ، وفي دهليزها ملوك خراسان : مرو ونيسابور وبلخ وغيرهم ، ثم دخلنا خيمة أخرى ، وملوك ماوراء النهر في دهليزها ، كذلك ثلاث خيام .

(١) الزيادة عن عقد الجمان . (٢) في الأصل : « في قصد بغداد » . وما أشتاءه عن مرآة الزمان . (٣) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه شهاب الدين .
وسيد كره المؤلف في حوادث سنة ٦٣٢ هـ .

ثم دخلنا عليه وهو في حركاة عظيمة من ذهب، وعليها جفاف مريض بالجواهر .
وهو صبي له شعرات قاعد على تحت ساذج وعليه قباء بخاري يساوي خمسة دراهم ،
وعلى رأسه قطعة من جلد تساوي درهما ، فسأمت عليه فلم يرد ، ولا أمرني
بالجلوس ، فسرعت فخطبت خطبة بليغة ، ذكرت فيها فضل بني العباس ووصفت
الخليفة بالزهد والورع والتقى والدين ، والترجمان يُعبد عليه قولي . [فلما فرغت ^(١)]
قال للترجمان : قل له هذا الذي وصفته ما هو في بغداد ؟ . : قلت : نعم . قال
[أنا] أجي ، وأقيم خليفة يكون بهذه الأوصاف . ثم ردنا بغير جواب . فنزل التبع
عليهم فهلكت دوابهم وركب خوارزم شاه يوماً فعر به فرسه فتطير ، ووقع الفساد
في عسكره وقلت الميرة . وكان معه سبعون ألفاً من الخطأ فردّه الله ونكب تلك
النكبة العظيمة . وسندكرها — إن شاء الله تعالى — في محلها .

وفيها توفّي إبراهيم ^(٢) [بن عبد الواحد] بن علي بن سرور الشيخ الإمام المقدسي الزاهد
القُدوة الحنبلي أخو الحافظ عبد الغني ، ولد بجماعيل في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ،
فهو أصغر من الحافظ عبد الغني بستين ^(٣) وسميع الكثير ، وكان إماماً حافظاً عالماً
محدثاً زاهداً عابداً فقيهاً . مات فجأة في ليلة الأربعاء سادس عشر ذي القعدة .

وفيها توفّي عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد أبو القاسم
القاضي جمال الدين الحرستاني ^(٤) الأنصاري شيخ القضاة . ولد بدمشق في سنة
عشرين وخمسمائة ، ورحل وسمع الحديث وفقهه ، وكان إماماً عفيفاً خطيباً دينياً
صالحاً . له حكايات مع الملك المعظم عيسى في أحكامه — رحمه الله تعالى — .

(١) الزيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الرضين . (٢) النكبة عن مرآة
الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب ، وما ساق ذكره للزلف فيمن ذكر وفاتهم قطلا عن الدهي .
(٣) هو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور أبو محمد المقدسي ، ذكره المؤلف في حوادث
سنة ٥٦٠٠ . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من هذا الجزء .

وفيه توفى محمد بن أبي القاسم بن محمد أبو عبد الله الهكاريّ الأمير بدر الدين،
أُسْتُشْهِدَ عَلَى الطور^(١)، وأبلى بلاءً حسناً ذلك اليوم وكان من المجاهدين، له المواقف
المشهودة في قتال الفرنج، وكان من أكابر أمراء الملك المعظم، كان يستشير ويصُدِّر
عن رأيه ويثق به لصلاحه ودينه وكان سَمَحاً جَوَاداً .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى المحدث أبو الخطّاب
أحمد بن محمد البَلَنَسِيّ بِمَرَاكُش . وأبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ المَوْصِلِيّ أخو
سليمان . وأبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكِنَانِيّ البَلَنَسِيّ الأديب الإسكندرانيّ^(٢)
بها ، وله أربع وسبعون سنة . وقاضى القضاة أبو القاسم عبد الصمد بن محمد
الحَرَسَانِيّ في ذى الحجة، وله أربع وتسعون سنة وأشهر . والإمام عماد الدين إبراهيم
أبن عبد الواحد المَقْدِسِيّ بجافة في ذى القعدة، وله سبعون سنة . والمحدث أبو محمد^(٣)
عبد الله بن عبد الجبار العثمانيّ الإسكندرانيّ الكَارِيّ بِمَكَّة .
- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .



- السنة التاسعة عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر،
وهي التي مات فيها العادل في جمادى الآخرة حسب ما تقدّم ذكره، وهي سنة
نحس عشرة وستمائة .

- (١) الطور : جبل يمينه مطل على طبرية الأردن ، بينهما أربعة فرائخ ، ثم بنى هناك الملك المعظم
عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب قلعة حصينة وأتفق عليها الأموال الجمة . وأحكمها غاية الأحكام .
فلما كان في سنة ٥٦١٥ هـ وخرج الفرنج من وراء البحر طالبن البيت المقدس أمر بجراها (عن معجم البلدان
لياقوت ، وكما سيأتي ذكره للؤلؤ في الصفحة التالية) . (٢) هو سليمان بن محمد بن عليّ بن أبي سعد
أبو الفضل الموصليّ ثم البغدادى الصوفى ويعرف بابن اللباد (عن تاريخ الإسلام للذهبي) - وذكره
المؤلف في حوادث سنة ٥٦١٢ هـ . (٣) في حسن المحاضرة للسيوطي : «عبد الرحمن بن عبد الجبار» .

وفيهما نزلت الفرنج على دِمياط في شهر ربيع الأول، وكان العادل بِمَرْج الصُّفْر، فَبَعَثَ بالعساكر التي كانت معه إلى مصر إلى ولده الكامل، وأقام المعظم بالساحل بعسكر الشام في مقابلة الفرنج ليشغلهم عن دِمياط .

وفيهما أَسَدَى الملك العادلُ صاحبُ الترجمة أَبَنَه الملكَ المعظمَ المقدم ذكره وقال له : قد بَنَيْتَ هذا الطور^(١)، وهو يكون سببا لخراب الشام، وقد سَلَّمَ الله مَنْ كان فيه من أبطال المسلمين، وسلاح الدنيا والذخائر، وأرى من المصلحة خرابه ليتوقَّرَ مَنْ فيه من المسلمين والعدد على حفظ دِمياط، وأنا أُعَوِّضُك عنه ؛ فتوقَّفَ المعظمَ وبقِيَ أَيْامًا لا يدخل إلى أَبِيهِ العادل، فبعث إليه العادل ثانيا وأرضاه بالمال، ووعدته في مصر ببلاد، فأجاب المعظم وبعث وَقَلَ ما كان فيه .

وفيهما في يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر كَسَرَ الملك الأشرف موسى صاحب خِلاط وديار بكر وحلب أَبَنُ الملك العادل هذا ملك الروم كَيْكَاوُس .

وفيهما أيضا بعث الأشرف المذكور بالأمر سيف الدين بن كهيدان والمبارز أَبَنُ خَطْلُج بجماحة من العساكر نجدة إلى أخيه الملك الكامل بِدِمياط ، كل ذلك والقتال عمال بين الملك الكامل والفرنج على ثغر دِمياط .

وفيهما في آخر جمادى الأولى أخذ الفرنج بِمَرْج السِّلْسِلَة^(٢) من الكامل، فأرسل الكامل شيخَ الشيوخ صدر الدين إلى أَبِيهِ العادل وأخبره ، فدَقَّ العادل بيده على صدره ، ومَرَضَ من قَهْرِهِ مَرَضَ الموت .

(١) في عقد الجمان : « حصن الطور » . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢١ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٠ من هذا الجزء .

وفيهما في جمادى الآخرة ألتقى الملك المعظم الفرنج بساحل الشام وقاتلهم فنصره الله عليهم، وقتل منهم مقتلة، وأسرى من الدَّأَوِيَّة مائة فارس، وأدخلهم القدس منكبي الأعلام .

- وفيهما وصل رسول خوارزم شاه إلى الملك العادل هذا وهو بمرج الصُّقْر، فبعث بالجواب الخطيب^(٢) الدَّوْلَبِي ونجم الدين خليل^(٣) [بن علي الحنفى] قاضى العسكر، فوصلا همدان فوجدا الخوارزمي قد أندفع بين يدي الخطأ [والتتار]، وقد خامر عليه عسكره، فسارا إلى حد بُحارى، فاجتمعا بولده الملك جلال الدين فأخبرهما ب وفاة العادل صاحب الترجمة مرسلهما، فرجعا إلى دمشق .
- وفيهما حجَّ بالناس من بغداد أقباش^(٤) الناصرى .

- ١٠ وفيها توفى عبد الله بن الحسين أبو القاسم عماد الدين الدَّامَغَانِي الحنفى قاضى القضاة ببغداد، ومولده في شهر رجب سنة أربع وستين وخمسة . وكان له صمْتٌ ووقار ودين وعصمة وعفة وسيرة حسنة مع العلم والفضل، وكانت وفاته في ذى القعدة ودُفِنَ بالشُّونِيزِيَّة .

- وفيهما توفى كَيْكَاوُسُ الأميرُ عَزَّ الدين صاحب الروم، كان جبارا ظالما سفاكا للدماء، ولما عاد إلى بلده من كسرة الأشرف موسى آتاهم أقواما من أمراء دولته

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣ من هذا الجزء . (٢) هو الخطيب جمال الدين محمد ابن أبي الفضل بن زيد بن يس أبو عبد الله العلبي الدَّوْلَبِي الشافى خطيب جامع دمشق بعد عمه . وسيد كره المؤلف في حوادث سنة ٦٢٥ هـ . (٣) زيادة عن الذيل على الرضين . (٤) كذا في الأصل وعقد الجمان . وفي الذيل على الرضين : « أقباش » بالسين المهملة . وهو أقباش بن عبد الله مملوك الخليفة الناصر . (٥) هو كيكائوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب قوتية وأقصر وطلطية وما بينهما من بلاد الروم، كما في ابن الأثير وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان . وقد ضبط بالقلم في كتاب التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك تأليف السلطان عماد الدين صاحب حاة (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٦ تاريخ م) : بفتح الكاف وسكون الباء وكاف بعدها ألف وضم الواو، وهو فيه بالثين المعجمة .

أنهم قصروا في قتال الحليين، وسَلَقَ منهم جماعة في القُدُور، وجعل آخريْن في بيت وأحرقه؛ فأخذه الله بقتة. ومات سكران بفاة؛ وقيل: بل أبتلي في بدنه، وتقطعت أوصاله. وكان أخوه علاء الدين كَيْقُبَاد محبوباً في قلعة، وقد أمر كَيْكَاوُس بقتله، فبادروا وأخرجوه، وأقاموه في الملك. وكانت وفاة كَيْكَاوُس في شوال، وهو الذي أطعم الفرنج في دِمَياط.

وفيها توفى خُوَارَزْم شاه وأسمه محمد بن نُكش بن إيل أرسلان بن أُنيز ابن محمد بن أُنوشيكين السلطان علاء الدين المعروف بخُوَارَزْم شاه.

قال ابنُ واصل: ^(١)نسبه ينتهي إلى إيليتيكين أحد مماليك السلطان ألب أرسلان ابن طغرل بك السلجوقي، وكانت سلطنة خوارزم شاه المذكور في سنة ست وتسعين وخمسمائة عند موت والده السلطان علاء الدين نُكش.

وقال عز الدين بن الأثير: كان صَبُوراً على التعب وإدمان السير غير مُتَمِّم ولا مُقْبِل على اللذات، إنما همته في الملك وتديره وحفظه وحفظ رعيته، وكان فاضلاً عالماً بالفقه والأصول وغيرهما، وكان مُكرِّماً للعلماء مُحباً لهم مُحْسِناً إليهم يُحب مناظرتهم بين يديه ويُعظم أهل الدين ويتبرك بهم.

— قلت: وهذا بخلاف ما ذكره أبو المظفر كما حكاه عن الشيخ شهاب الدين الشهروردي، لما توجه إلى خُوَارَزْم شاه هذا رسولاً من قبل الخليفة الناصر لدين الله فإنه ذكر عنه أشياء من التكبر والتعظيم عليه، وعدم الاكتفات له، وإنه صار لا يفهم كلام الشهروردي إلا بالترجمان؛ ولعله كان فعل ذلك لإظهار العظمة، وهو نوع من تجاهل العارف — قال: وكان أعظم ملوك الدنيا وأتمست ممالكه شرقاً وغرباً

(١) راجع الحاشية رقم ١ من ٣٣٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

- وهايته الملوك حتى لم يبق إلا من دخل تحت طاعته وصار من عسكره . ونحى أبوه التار
 بالسيف وملك منهم البلاد . ووقع له أمور طويلة حتى إنه نزل همدان ، وكان
 في عسكره سبعون ألفا من الخطا ؛ فكتب القمى^(١) عساكره ووعدهم بالبلاد ،
 فأتهموا مع الخطا على قتله . وكان خاله من الخطا وحقوقه ألا يطلعه على ما دبروا
 عليه ، بغاه إليه في الليل وكتب في يده صورة الحال ، فقام وخرج من وقته ومعه
 ولداه : جلال الدين وآخر ؛ ولما خرج من الخيمة دخل الخطا والعساكر من بابها
 فلما منهم أنه فيها ، فلم يجدوه فنهبوا الخزان ، يقال : إنه كان في خزائنه عشرة آلاف
 ألف دينار ، وألف جمل قماش أطلس ، وعشرون ألف فرس وبغل ، وكان له
 عشرة آلاف مملوك ، فتمزق الجميع وهرب ولداه إلى الهند ، وهرب حوآرزم شاه
 إلى الجزيرة ، وفيها قلعة ليتحصن بها ، فمات دون طلوع القلعة المذكورة في هذه
 السنة ، وقيل : في سنة سبع عشرة وستمائة . والله أعلم .^(٢)
 وفيها توفي الملك القاهر عز الدين مسعود [بن أرسلان بن مسعود بن مودود^(٣)
 ابن زنكي أبو الفتح] صاحب الموصل ، وترك ولدا صغيرا اسمه محمود ، فأخرج الأمير
 بدر الدين لؤلؤ زنكي^(٤) أخا القاهر من الموصل وأستولى عليها ، ودبر مملكة محمود
 المذكور .

١٥

- (١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢١٦ من هذا الجزء . (٢) عبارة الذيل على الروضتين :
 « وكتب في يده صورة الحال ووقف بإزائه ، فظفر إلى السطور وفهمها ، وهو يقول : خذ لنفسك الساعة
 قتل ، فقام وخرج من تحت ذيل الشقة وسعه ولداه ... الخ » . (٣) وذلك كما في كتاب
 الكامل لابن الأثير وعقد الجمان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٤) زيادة عن عقد الجمان
 وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٥) هو المنصور عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه بن مسعود
 ابن مودود بن زنكي (عن عقد الجمان) .

٢٠

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفّي الشهاب فتيان بن على الشاغوري^(١) الأديب . وصاحب الروم السلطان عز الدين كيكاؤوس ، وولي بعده علاء الدين أخوه . وصاحب الموصل عز الدين مسعود بن أرسلان شاه الاتابكي . وصاحب مصر وغيرها السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب في جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة . وأبو الفتوح محمد بن محمد [بن محمد] بن عمروك البكري النيسابوري الصوفي في جمادى الآخرة ، وهو في عشر المائة . والشمس أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد السلمي المطّار في شعبان . والحافظ أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن كرم البندنجي^(٢) في رمضان عن أربع وسبعين سنة ، سيمع ابن الزاغوني^(٣) . وأم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الشُّعْرِيَّة ، ولها إحدى وتسعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست أصابع .

(١) الشاغوري : نسبة إلى الشاغور ، وهي عمارة بظاهر دمشق من جملة ضواحيها (عن ابن خلكان) .

(٢) التكملة عن تاريخ الإسلام والمختصر المحتاج إليه .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٠ من هذا الجزء .

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن نصر بن الزاغوني . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٥٢ هـ .

ذكر سلطنة الملك الكامل على مصر

أعني بذلك استقلاً بعد وفاة أبيه العادل ، لأن الكامل هذا كان متولى سلطنة مصر في حياة والده العادل ، لما قسم العادل الممالك في أولاده من سنين عديدة ؛ أعطى المعظم عيسى دِمَشق ، وأعطى الأشرف موسى الشرق ، وأعطى الملك الكامل محمداً هذا مصر ، وصار هو يتنقل في ممالك أولاده ، والعُمدَة في كلّ الممالك عليه إلى أن مات الملك العادل تفرد الملك الكامل محمد بالخطبة في ديار مصر وأعمالها ، وأستقلّ بأمورها وتدير أحوالها ، وذلك من يوم وفاة والده الملك العادل المذكور ، وهو من يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة .

قلت : وقد تقدّم نسب الملك الكامل هذا في ترجمة عمه السلطان صلاح الدين ، وأستوعبنا ذلك من عدة أقوال وحررناه ، فليُنظر هناك .

قال أبو المظفر : «وُلِيَ الكاملُ سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وكان أكبر أولاد العادل بعد مودود ، وكان العادل قد عهد إليه لما رأى من ثباته وعقله وسداده . وكان شجاعاً ذكياً فطنا يُحِبُّ العلماء والأمانل ويُلْقِي عليهم المشكلات ، ويتكلم على صحيح مسلم بكلام مليح ، ويثبت بين يدي العدو . وأما عدله فإليه انتهى » انتهى كلام أبي المظفر باختصار .

وقال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في تاريخ الإسلام : «الملك الكامل محمد السلطان ناصر الدين أبو المعالي وأبو المظفر ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي صاحب مصر . ولد بمصر سنة ست وسبعين وخمسمائة .

(١) راجع ص ١٧٢ من هذا الجزء في الكلام على أولاد الملك العادل .

- قلت: وهذا بخلاف ما نقله أبو المظفر في سنة مولده، وعندى أن أبا المظفر

أثبت لصحبته بأخيه المعظم عيسى، وكونه أيضا عصرى الملك الكامل هذا - .
والله أعلم .

قال (أغنى الذهبي^(١)) : وأجاز له العلامة عبد الله بن برى^(٢) ، وأبو عبد الله
أبن صدقه الحزاني^(٣) ، وعبد الرحمن بن الحرق^(٤)، قرأت بخط ابن مسدي^(٥)
في معجمه . كان الكامل محبا للحديث وأهله ، حريصا على حفظه ونقله ، وللعلم
عنده شرف ؛ خرج له أبو القاسم بن الصقراوى^(٦) أربعين حديثا، وسمعها جماعة .
وحكى لى عنه مكرم الكاتب أن أباه العادل أستجاز له السلفي^(٧) قبل موت السلفي^(٨)
بأيام ، قال ابن المسدي^(٩) : ثم وقفت أنا على ذلك وأجاز لى [و] لأبى . قال الذهبي^(١٠) :
وتملك الديار المصرية أربعين سنة ، شطرها فى أيام والده . وقيل : بل ولد
فى ذى القعدة سنة خمس وسبعين . قلت : وهذا قول ثالث فى مولده .

(١) هو عبد الله بن برى بن عبد الجبار أبو محمد المقدسى المصرى النحوى القنوى ، شاع ذكره
واشتهر ولم يكن فى الديار المصرية مثله ، أجاز لأهله عصره . وقد ذكره المؤلف فى حوادث
سنة ٥٥٨٢ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الحسن بن صدقة الحزاني الساجر الفارواوى صحيح
سلم عن الفراءى . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٥٨٤ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدى الأسدى المهلبى الأندلسى الفراءى .
سافر إلى البلاد وقابل الشيخ ، وله تصانيف كثيرة منها معجم شيوخه فى ثلاثة مجلدات كبار ، وتوسع فى العلوم
وأقرب . وله اليد البيضاء فى النظم والنثر ومعرفة الفقه وغير ذلك وفيه تشيع وبدعة . توفى سنة ٦٦٣ هـ .
(من تذكرة الحفاظ وكشف الظنون) .

(٤) هو جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن حسين
ابن حفص المالكي الإسكندرانى الفراءى ، نسبة الى وادى الصفرأ بإجاز . وسبب ذكره المؤلف
فى حوادث سنة ٥٦٣٦ .

وقال الحافظ عبد العظيم ^(١١) المنذرى استأدار الحديث بالقاهرة (يعنى بذلك ^(١٢) المدرسة الكملية بين القصرين) . قال : وعمر القبة على ضريح الشافعى ، وأجرى ^(١٣) الماء من بركة الحبش إلى حوض السبيل والسقاية ، وهما على باب القبة المذكورة ، ^(١٤) ^(١٥)

- (١) هو الحافظ الكبير زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة المنذرى الشافعى ثم المصرى الشافعى صاحب التصانيف . وسيذكر المؤلف في حوادث سنة ٥٦٥٦ هـ .
- (٢) المدرسة الكملية ، قال المقرئى فى الجزء الثانى من خطه ص ٣٧٥ : إن هذه المدرسة بنحط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكملية . أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ٥٦٢٢ هـ . وقال المقرئى : إنها ثانى دار عملت للحديث فان أول من بنى دارا للحديث على وجه الأرض هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق . وبني الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية . وقد جدد بعض هذه المدرسة الأمير حسن كنفذا مستحفطان الشراوى فى سنة ١١٦٦ هـ كما يؤخذ من الكتابة المنقوشة على بابها . ولا تزال هذه المدرسة موجودة الى اليوم بشارع بين القصرين بجوار جامع السلطان برقوق من بحريه وتعرف باسم جامع الكملية أو جامع الكامل .
- (٣) قبة الإمام الشافعى ، قال المقرئى فى الجزء الثانى من خطه ص ٤٦٢ عند الكلام على ذكر السيرة قبور التى تزار بالقراة : إن هذه القبة أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ٥٦٠٨ هـ . وذكر ابن إياس فى كتاب بدائع الزهور ص ١٩٨ ج ٢ أن الملك الأشرف قايتباى أمر بتجديد عمارة قبة الإمام الشافعى . ويستدل بما هو منقوش فى لوحتين من الرخام مثبتتين الى اليوم بوزرة قامة القبة أن السلطان قايتباى والسلطان النورى أصلعا الوزرة الرخام التى تكسو جدران هذه القامة من الداخل ولا تزال هذه الكسوة باقية الى اليوم . ويستفاد مما ذكره الجبرق فى الجزء الأول من كتاب بحجاب الآثار عند ذكر ترجمة أمير القواء على بك الكبير دة دار مصر أنه فى سنة ١١٨٥ هـ جدد الجزء العلوى من القبة حيث استبدل الرصاص القديم الذى يكسو سطح القبة من الخارج برصاص جديد ورم ما تشعب من خشب القبة الداخل وجدد أيضا نقوش هذه القبة من الداخل وزخرفها بالذهب والأصباغ الجميلة وكتب باقرىها تاتارىخا منظوما . ولا تزال هذه القبة الجميلة المرتفعة قائمة الى اليوم تعلق قبر الامام أبى عبد الله محمد ابن إدريس الشافعى رضى الله عنه بالمجاور لمسجده بشارع الإمام الشافعى بالقسراة . ويوجد فوق القبة من الخارج فى مكان الهلال مركب صغيرة من النحاس تسع من الحب قدر نصف إردب وقد ورد فى الخطوط التوفيقية ص ٢٥ ج ٥ بأن هذه المركب يوضع فيها الحب لإطعام الطيور .
- (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
- (٥) حوض السبيل والسقاية ، ذكر ابن إياس فى كتاب بدائع الزهور ص ٨١ ج ١ أن الملك الكامل بنى المهرأة من بركة الحبش الى تربة الامام الشافعى مجرى بالماء فى أيام النيل وبني الحوض على الطريق السالكة عند تربة الامام رضى الله عنه . فاما السقاية المشهورة اليوم باسم الزملة فلا تزال موجودة بشكل =

ووقف غير ذلك من الوقوف على أنواع من أعمال البر بمصر وغيرها . وله المواقف المشهودة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة ، وأنفق الأموال الكثيرة ، وكافح العدو المخدول برا وبحرا ليلا ونهارا . يُعرف ذلك من مشاهدته . ولم يزل على ذلك حتى أعز الله الإسلام وأهله ، وغذل الكفر وأهله . وكان معظما للسنة النبوية وأهلها ، وأغبا في نشرها والتمسك بها ، مؤثرا الاجتماع مع العلماء والكلام معهم حضرا وسفرا . انتهى كلام المنذرى باختصار .

- وقال القاضي شمس الدين ابن خلكان في تاريخه بعد ما ساق نسبه وذكره نحوًا
 بما ذكرناه حتى قال : « ولما وصل الفرنج إلى دمياط كما تقدم ذكره ، كان الملك الكامل في مبدأ استقلاله بالسلطنة ، وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الأمراء :
 منهم : عماد الدين أحمد بن المشطوب ، فاتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين
 إبراهيم ابن الملك العادل ، وأنضموا إليه ، فظهر للكمال منهم أمور تدل على أنهم
 عازمون على نفوذ الملك إليه وخلق الكامل ، وأشهر ذلك بين الناس ؛ وكان
 الملك الكامل يُداريهم لكونه في قبالة العدو ولا يمكنه المقاهرة ، وطول رُوحه
 معهم ، ولم يزل على ذلك حتى وصل إليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق
 يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة من سنة خمس عشرة وستمائة ، فأطلعه الكامل
 في الباطن على صورة الحال ، وأتت رأس هذه الطائفة ابن المشطوب ، بفاءه
 يوما على غفلة في خيمته وأستدعاه فخرج إليه ، فقال [له] : أريد أن أتحدث [معل]
 سرا في خلوة ، فركب فرسه (يعني [ابن] المشطوب) . وسار معه جريدة ، وقد جرد المعظم
 جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق إليهم ، وقال لهم : إني عونا ، ولم يزل المعظم يشغله
 = سبيل في الطرفة الواقعة بين مسجد الامام وبين منزل ورقة الشيخ عبد الفتاح أبي النجا على يسار الداخل
 الى قبة الامام الشافعي رضي الله عنه . وقد جدد هذا السبيل ديوان عموم الأوقاف في سنة ١٣٠٥ هـ .
 وأما حوض السبيل فقد كان واقعا بجوار السقاية المذكورة ولا أثر له اليوم .
 (١) في ابن خلكان : « ولا يمكنه المناظرة والمنافرة » . (٢) زيادة عن ابن خلكان .

- بالحديث ويخرج معه من شيء إلى شيء حتى أبعد عن الخيم، ثم قال له : يا عماد الدين هذه البلاد لك ، [و] نستهي أن تهبها لنا ، ثم أعطاه شيئاً من النفقة ، وقال لأولئك المجزدين : تسلموه حتى تخرجوه من الرمل ، فلم يسعه إلا الامتثال لأنفراده وعدم القدرة على المناعة في تلك الحال ؛ ثم عاد المعظم إلى أخيه الملك الكامل وعمره صورة ما جرى . ثم جهز أخاه الملك الفائز المذكور إلى الموصل لإحضار النجدة منها [و] من بلاد الشرق فمات بسنجار . وكان ذلك خديعة لإخراجه من البلاد . فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقي من الأمراء الموافقين لهما ، ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرهاً لا طوعاً . وجرى في قصة دمياط ما هو مشهور فلا حاجة للإطالة في ذكره .

- ١٠ ولما ملك الفرنج دمياط وصارت في أيديهم خرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر [و] نزلوا في رأس الجزيرة التي دمياط في برها ، وكان المسلمون قبالتهم في القرية المعروفة بالمنصورة ، والبحر حائل بينهم ، وهو بحر أشموم ، ونصر الله — سبحانه وتعالى — بمنة

- (١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) الجزيرة ، المقصود بها الأرض التي تشغلها اليوم بلاد مركز فارسكور وبض بلاد مركز المنصورة ، وكان يطلق عليها اسم الجزيرة لوقوعها بين فرع النيل الذي يعرف اليوم باسم فرع دمياط وبين بحر أشموم الذي يعرف اليوم باسم البحر الصغير ، وهذان الفرعان كانا يتقابلان عند مدينة المنصورة على شكل مثلث رأسه المدينة المذكورة وقاعدته بحيرة المنزلة . ومدينة دمياط تقع في الجزء الشمالي من هذه الجزيرة على رأس بلاد مركز فارسكور . (٤) المنصورة ، قال المقرئ في الجزء الأول من خطاطه ص ٢٣١ : إن هذه المدينة أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦١٦ هـ عند ما ملك الفرنج مدينة دمياط ، وقد جعلها الكامل منزلة لمسكره وسماها المنصورة (تيمناً بانتصاره على الصليبيين) ، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط فصار المنصورة بعد ذلك مدينة كبيرة ، بها المساجد والحمامات والقنادق والأسواق . وقد كانت مدينة أشموم طناح التي تعرف اليوم باسم أشمون الزمان بمركز دكرنس قاعدة لاقليم الدهليسة وعاصمته إلى آخر حكم دولة المماليك الجراكمة . وفي أواخر الحكم المماليكي نقلت القاعدة إلى مدينة المنصورة التي لا تزال إلى اليوم عاصمة مديرية الدهليسة وهي من أشهر وأكبر المدن المصرية وأجملها لوقوعها على الشاطئ الشرقي لفرع النيل الشرقي المعروف باسم فرع دمياط وهي مركز تجارى عظيم بالوجه البحرى .
- (٥) بحر أشموم ، هذا البحر يعرف اليوم باسم البحر الصغير أحد فروع الرى الشيرة بمديرية الدهليسة ، =

وبحسب لطف المسلمين عليهم كما هو مشهور ؛ ورحل الفرنج عن منزلهم ليلة الجمعة
سابع رجب سنة ثمانى عشرة وثمانئة ، وتم الصلح بينهم وبين المسلمين فى حادى عشر
الشهر المذكور ، ورحل الفرنج عن البلاد فى شعبان من السنة المذكورة ، وكانت
مدة إقامتهم فى بلاد الإسلام ما بين الشام والديار المصرية أربعين شهرا وأربعة
عشريوما ؛ وكفى الله - تعالى - المسلمين شرهم والحمد لله على ذلك .

— قلت ونذكر أمر دمياط من كلام أبى المظفر فى آخر هذه الترجمة بأوسع
من ذلك ، لأنه معاصر الكامل وصاحب المعظم ، فهو أجدر بهذه الواقعة — .
فلما استراح خاطر الملك الكامل من جهة هذا العدو تفرغ للأمرء الذين كانوا
متحاملين عليه فنظام عن البلاد وبدد شملهم وشردهم ، ودخل القاهرة وشرع
فى عمارة البلاد واستخراج الأموال من جهاتها ، وكان سلطاناً عظيم القدر جميل الذكر
محبا للعلماء متمسكا بالسنة ، حسن الاعتقاد معاشرا لأرباب الفضائل حازما فى أموره
لا يضع الشيء إلا فى موضعه من غير إسراف ولا إقتار ، وكان يبيت عنده كل
ليلة [جمعة] جماعة من الفضلاء يشاركونهم فى مباحثهم ، ويسألهم عن المواضع المشككة
فى كل فن ، وهو مهمم كواحد منهم ، وكان — رحمه الله — يعجبه هذان البيتان
وينشدهما كثيرا وهما :

== وكان يسمى بحر أشموم نسبة إلى مدينة أشموم طناح الواقعة عليه وتعرف اليوم باسم أشمون الرمان بمركز
دكرنس . وكان هذا البحر يأخذ مياهه قديما من فرع النيل الشرق فى نقطة تقع فى الجنوب الغربى لمدينة
المنصورة تجاه قرية جوجر التى بمركز طلعا بمديرية الغربية . وأما اليوم فأخذ البحر الصغير مياهه من ترعة
المنصورة فى نقطة تقع فى الشمال الشرقى لمدينة المنصورة . وترعة المنصورة المذكورة هى امتداد الرياح
التوفيق الذى يأخذ مياهه مباشرة من النيل أمام القناطر الخيرية . (١) فى الأصل : « فى بلاد الشام » .
والنصيب عن ابن خلكان . (٢) فى الأصل : « متحملين » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٣) زيادة عن ابن خلكان .

ما كنت [من] قبل ملك قلبي * تصدُّ عن مدنيِّ حرين
وإنما قد طيمت لنا * حلت في موضع حصين

- قال : ولما مات أخوه الملك المعظم عيسى صاحب الشام ، وقام أبوه الملك الناصر صلاح الدين دواد مقامه ، خرج الملك الكامل من الديار المصرية قاصداً أخذ دمشق منه ؛ وجاءه أخوه الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، واجتمعا على أخذ دمشق بعد فصول يطول شرحها . وملك الكامل دمشق في أول شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، وكان يوم الاثنين ؛ فلما ملكها دفعها لأخيه الملك الأشرف ، وأخذ عوضها من بلاد الأشرف : حران^(١) والزها وسروج والرقة ورأس العين ؛ وتوجه إليها بنفسه في تاسع شهر رمضان من السنة . قال ابن خلكان : واجترت بحران في شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيم به بعساكر الديار المصرية ؛ وجلال الدين خوارزم شاه يوم ذاك محاصر الخلاط ، وكانت لأخيه الملك الأشرف . ثم رجع إلى الديار المصرية ؛ ثم تجهز في جيش عظيم ، وقصد آمد في سنة تسع وعشرين وستمائة فأخذها مع حصن كيفا والبلاد من الملك المسعود بن الملك الصالح أبي الفتح محمود بن نوراً لدين محمد بن نغر الدين قرأ أرسلان بن ركن الدولة داود بن قطب الدين سقان ؛ ويقال سقان بن ارتق ، قال : ثم مات أخوه الملك .
الأشرف وجعل ولي عهد أخاه الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، فقصد الملك الكامل أيضاً ، وأترع منه دمشق بعد مصالحة جرت بينهما في التاسع من جمادى

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) في الأصل :

« وملك البلاد من الملك المسعود ركن الدين مودود ابن الملك الصالح أبي الفتح محمد .. الخ » .

والتصويب عن تاريخ ابن الوردي وعقد الجمان . (٣) في الأصل : « ... ركن الدولة داود بن نهد الدولة بن سقان الخ » . والتصويب مما تقدم ذكره للزلف في حوادث سنة ٥٥٤ هـ وابن الأثير .

الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأبقى له بعلبك وأعمالها، وبُصرى وأرض السواد وتلك البلاد . ولما ملك البلاد المشرقية : آمد وتلك النواحي استخلف فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، واستخلف ولده الأصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية . وقد تقدم في ترجمة الملك العادل أنه ستر ولده الملك المسعود أقسيس إلى اليمن ، وكان أكبر أولاد الملك الكامل . وملك الملك المسعود مكة — حرمها الله تعالى — وبلاد الحجاز مضافة إلى اليمن ، وكان رجيلُ الملك المسعود من الديار المصرية متوجّهاً إلى اليمن في يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة إحدى عشرة وستمائة ، ودخل مكة في ثالث ذي القعدة من السنة ، وخُطب له بها وحج ، ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة أثنى عشرة وستمائة . ثم ملك مكة في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وستمائة ، أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسيني .

قلت : وقد ذكرنا خروج الملك المسعود إلى اليمن من وقته في ترجمة جده الملك العادل . وتوفي الملك المسعود في حياة والده الملك الكامل بمكة في ثالث جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة . وكان مولده في سنة سبع وتسعين وخمسة وأظنه أكبر أولاد الكامل . والله أعلم .

قال ابن خلكان : وأتت المملكة للملك الكامل ، ولقد حكى لي من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة أنه لما وصل الخطيب إلى الدعاء للملك الكامل قال : سلطان مكة وعبيدها ، واليمن وزبيدها ومصر وصبيدها ، والشام وصناديدها ، والجزيرة ووليدها ، سلطان القبتين وربّ العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل

٢٠ (١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢١٠ من هذا الجزء . (٣) في ابن خلكان : « سنة تسع وتسعين وخمسة » .

أبو المعالي ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين . قال : ولقد رأيته بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عند رجوعه من بلاد المشرق ، واستنقاده إياها من الأمير علاء الدين كَيْقُبَاد بن كَيْخُسرو بن قَلِيح أرسلان بن مسعود [بن قَلِيح أرسلان ^(١)] بن سليمان [بن قُلَيْش ^(١)] بن إسرائيل بن سَلْجُوق بن دُقَاق السَلْجُوقِي صاحب الروم .
وهي وقعة مشهورة يطول شرحها ؛ وفي خدمته يومئذ بضعة عشر ملكاً ، منهم :
[أخوه ^(١)] الملك الأشرف ، ولم يزل في علو شأنه وعظيم سلطانه إلى أن مرض بعد أخذه دمشق ولم يركب ، وكان يُنشد في مرضه كثيراً :

يا خَلِيلُ خَبَرَانِي بِصَدِيقٍ * كَيْفَ طَلَمْتُ الْكَرَى فَإِنِّي نَسِيتُهُ

- ولم يزل كذلك إلى أن تُوُفِّي يوم الأربعاء بعد العصر ، ودُفِن بالقلعة بمدينة دمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وأنا بدمشق يومئذ ،
وحضرت الصَّيْحَةَ يوم السبت في جامع دمشق ، لأنهم أَخَفَوْا موته إلى وقت صلاة الجمعة ، فلما دنت الصلاة قام بعض الدُّعَاة [على العَرِيش الذي] بين يدي المِنْبَر وترحم على الملك الكامل ، ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر ، وكنتُ حاضراً في ذلك الوقت ، فضجَّ الناس صَحَّةً واحدة ، وكانوا قد أَحَسُّوا بذلك ، لكنهم لم يتحققوا
إلا ذلك الوقت ، وترتبَ ابن أخيه الملك الجواد مظفر الدين يُونس ابن شمس الدين مودود بن الملك العادل في نيابة السلطنة بدمشق عن الملك العادل بن الكامل صاحب مصر باتفاق الأمراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق ؛ ثم بُنِيَ له تربة مجاورة للجامع ، ولها شُبَّاك إلى الجامع ، ونُقِلَ إليها . قال : وأما ولده الملك العادل [فإنه ^(١)] أقام في المملكة إلى يوم الجمعة ثامن ذي الحجة من سنة سبع وثلاثين وستمائة ،

(١) الزيادة عن ابن خلكان . (٢) في الأصل : « قال بعض الدعاة بيني المتر... الخ » . وهي عبارة غير واضحة . والتصحيح والزيادة عن ابن خلكان .

فَقَبَضَ عَلَيْهِ أَمْرَاءُ دَوْلَتِهِ بِظَاهِرِ بَلْبَيسَ . . . إِنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ خَلْكَانَ عَلَى جَلِيلَتِهِ .
 وَنَذَرَ أَيْضًا مِنْ أَحْوَالِ الْكَامِلِ نُبْدَةً جَيِّدَةً مِنْ أَقْوَالِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
 قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ فَاضِلًا عَالِمًا شَهْمًا مَهِيًّا عَاقِلًا مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ ،
 وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، وَاشْتِفَالٌ فِي الْعِلْمِ . قِيلَ : إِنَّهُ شَكَا إِلَيْهِ رَكْبِدَارَ أَسَاتَذِهِ بِأَنَّهُ اسْتَعْدَمَهُ
 سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِلا جَامِعِيَّةٍ ، فَانْزَلَ أَسَاتَذَهُ مِنْ فَرَسِهِ وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ الرَكْبِدَارِ ، وَالْبَسَ
 الرَكْبِدَارَ ثِيَابَهُ ، وَأَمَرَهُ بِخِدْمَةِ الرَكْبِدَارِ وَحَمَلَ مِدَاسَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى شَفَعَ فِيهِ .
 وَكَانَتِ الطَّرِيقُ آمِنَةً فِي زَمَانِهِ . وَلَمَّا بَعَثَ ابْنَهُ الْمَلِكُ الْمَسْعُودَ أَقْبَيسَ وَأَفْتَتَحَ الْيَمَنَ
 وَاجْتَازَ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَرِثَ مِنْهُ أَمْوَالًا عَظِيمَةً ، فَفَرَّقَ غَالِبَهَا فِي وَجْهِهِ
 الْبَرِّ وَالصَّدَقَاتِ . وَكَانَتِ رَايَةُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ صَفْرَاءَ . وَفِيهِ يَقُولُ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ :
 — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — .

بِكَ أَهْتَرَّ عِطْفُ الدِّينِ فِي حُلِّ النَّصْرِ * وَرُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا مِلَّةُ الْكُفْرِ^(١)
 وَأَقْسَمَ إِنْ ذَا قَتَبُوا الْأَصْفَرَ الْكَرَى * لَمَّا حَلَمْتُ إِلَّا بِأَعْلَامِكَ الصُّفْرِ
 ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ أَقَمْتُ وَأَشْهَرًا * تُجَاهِدُ فِيهِمْ لَا بَرِيدَ وَلَا عَمِيرَ
 وَلَيْلَةَ غَزْوٍ لِلْعَدُوِّ كَانَتْهَا * بِكَثْرَةٍ مِنْ أَرْدِيَّتِهِ لَيْلَةُ النَّحْرِ^(٢)
 فَيَالَيْلَةَ قَدْ شَرَفَ اللَّهُ فِدْرَهَا * فَلَا غَمْرَوَ إِنْ سَمِيَتْهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ

وَقَالَ : وَكَانَ فِيهِ جَبْرُوتٌ مَعَ سَفْكَ الدِّمَاءِ .

وَذَكَرَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَزْرِيُّ : أَنَّ عِمَادَ الدِّينِ يَحْيَى^(٣)

الْبِيضَاوَى الشَّرِيفَ قَالَ : حَكَى لِي الْخَادِمُ الَّذِي لِلْكَامِلِ قَالَ : طَلَبَ مِنِّي الْكَامِلُ

(١) هذه القصيدة واردة في ديوانه المطبوع بمصر ١٢٧٧ هـ في نحو الجمين بيتا ومطلعها هذا البيت .

(٢) في الأصل : * وَلَيْلَةُ نَقَرِ الْعَدُوِّ رَأَيْتُهَا * وما أُنْبِئناه عن ديوانه .

(٣) هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن الجزري صاحب التاريخ الكبير في الحوادث

والوفيات وراجه الرجال توفي سنة ٧٣٩ هـ (عن شذرات الذهب) .

طَسْتًا حَتَّى يَتَقَيَّا فِيهِ فَأَحْضَرْتُهُ، وَكَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ دَاوُدَ عَلَى الْبَابِ، جَاءَ لِيَعُودَ
عَمَّهُ الْكَامِلُ؛ فَقُلْتُ: دَاوُدُ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: يَنْتَظِرُ مَوْتِي! فَأَتَزَيَّجُ، فَخَرَجْتُ
وَقُلْتُ: مَا ذَاكَ وَقَتُّكَ السُّلْطَانُ مَتَزَيَّجٌ، فَتَرَلُّ إِلَى دَارِهِ؛ وَدَخَلْتُ إِلَى السُّلْطَانِ
فَوَجَدْتُهُ قَدْ قَضَى وَالطَّلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ مَكْبُوبٌ عَلَى الْحِذَّةِ.

- وَقَالَ ابْنُ وَاصِلٍ: حَكَى لِي طَبِيبُهُ قَالَ: أَصَابَهُ لَمَّا دَخَلَ قَلْعَةَ دِمَشْقَ زُكَّامٌ،
فَدَخَلَ الْحَمَامَ وَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ، أَتْبَاعًا لِقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكْرِيَّا
الرَّازِزِيِّ فِي كِتَابِ سَمَاءِ «طَبِّ سَاعَةِ»^(٣)؛ قَالَ فِيهِ: مِنْ أَصَابِهِ زُكَّامٌ يَصُبُّ عَلَى
رَأْسِهِ مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ أَمْعَلُ زَكَّامُهُ لَوْقَتَهُ، وَهُوَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِطْلَاقِهِ؛ قَالَ
الطَّبِيبُ: فَأَنْصَبَ مِنْ دِمَاغِهِ إِلَى فَمِ مَعْدَتِهِ فَتَوَزَّعَتْ، وَعَرَّضْتُ لَهُ حُمَّى شَدِيدَةً،
وَأَرَادَ الْقِيَّءَ فَتَنَاهَا الْأَطِبَاءُ، وَقَالُوا: إِنْ تَقَيَّا هَلَكَ، خَالَفَهُمْ وَتَقَيَّا فَهَلَكَ لَوْقَتَهُ.
- ١٠ • قَالَ ابْنُ وَاصِلٍ: وَحَكَى لِي الْحَكَمُ رَضَى الدِّينَ قَالَ: عَرَّضْتُ لَهُ خَوَانِيقَ،
وَتَقَيَّا دَمًا كَثِيرًا وَمِدْمَةً؛ فَأَرَادَ الْقِيَّءَ أَيْضًا فَتَنَاهَا مَوْفِقُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ
بَعْضُ الْأَطِبَاءِ بِالْقِيَّءِ فَقَتِيًّا، فَأَنْصَبْتُ بَقِيَّةَ الْمَادَةِ إِلَى قَصْبَةِ الزَّيْتِ وَسَتَّهَا فَسَاتَ.
- وَقَالَ ابْنُ وَاصِلٍ: وَكَانَ مَلِكًا جَلِيلًا حَازِمًا، سَدِيدَ الْآرَاءِ حَسَنَ التَّدْبِيرِ لِمَالِكِهِ
عَفِيفًا حَلِيمًا؛ عُمِّرَتْ فِي أَيَّامِهِ الدِّيَارُ الْمِصْرِيَّةُ عِمَارَةً كَبِيرَةً، وَكَانَ عِنْدَهُ مَسَائِلُ غَرِيبَةٍ
- ١٥ • مِنَ الْفَقْهِ وَالنَّحْوِ يُورِدُهَا، فَنَ أَجَابَهُ حَقِيْلَى عِنْدَهُ.

(١) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٣١١ هـ.

(٢) لم نثر في كتب الفنون ولا في تاريخ الحكماء لقفطى ولا في عيون الأنبالين أبي أصيبعة
ولا في ابن خلكان — وقد ترجمت له طويلاً — على اسم هذا الكتاب.

(٣) في تاريخ ابن الوردي وعقد الجمان: «فاندفعت الزلّة الى معدته فتورمت».

ذكر أخذ دِمِيَّاط

قال أبو المظفر في تاريخه : « في شعبان أخذ الفرنج دِمِيَّاط ، وكان المعظم قد جهز إليها الناهض بن الجرني في خمسمائة راجل ، فهجموا على الخنادق فقتل ابن الجرني ومن كان معه ، وصَفُّوا رموس القتلى على الخنادق ، وكان الفرنج قد طَمَّوْها (يعني الخنادق) وضعف أهل دِمِيَّاط وأكلوا الميتات ، وعجز الملك الكامل عن نصرتهم ، ووقع فيهم الوباء والقناء ، فراسلوا الفرنج على أن يُسَّأَمُوا إليهم البلد ويخرجوا منه بأموالهم وأهلهم ، واجتمعوا وحلفوهم على ذلك ، فركبوا في المراكب وزحفوا في البرِّ والبحر ، وفتح لهم أهل دِمِيَّاط الأبواب ، فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السور ، وغدروا بأهل دِمِيَّاط ، ووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسرًا ، وباتوا تلك الليلة بالجامع يتَجَرَّون بالنساء ، ويَقْتَضُونَ البنات ، وأخذوا المنبر والمصاحف ورموس القتلى ، وبعثوا بها إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة ، وكان أبو الحسن ابن قُفْل دِمِيَّاط ، فسألو عنه ، فقبل لهم : هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين يَأْوِي إليه الفقراء ، فما تعرضوا له . ووقع على المسلمين كآبة عظيمة . وبكى الكامل والمعظم بكاءً شديدًا ، ثم تأخرت العساكر عن تلك المنزل . ثم قال الكامل لأخيه المعظم : قد فات المطلوب ، وجرى المقدرب بما هو كائن ، وما في مقامك هاهنا فائدة ، والمصلحة أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج ، وتستجلب العساكر من بلاد الشرق . قال أبو المظفر : فكتب المعظم إلى وأنا يَدْمَشْق كتابًا بخطه ، يقول — في أوله —

(١) في الأصل : « ابن الحرشي » بجاء وجيم . وفي مرآة الزمان : « ابن الحرشي » بحامين مهملتين . وما أثبتناه عن عقد الجمان والذيل على الروضتين . (٢) هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم الديلمي المعروف بابن قفل (بالضم) . حدث عنه المنذرى في معجمه . توفي سنة ٦٤٧ هـ (عن شرح القاموس) . (٣) كذا في الذيل على الروضتين . وفي الأصل : « ووقع على الاسلام ... الخ » . (٤) في الأصل : « كتابا بخطه يقول في أوله أخوه عيسى الكامل قد علم ... الخ » .

- قد علم الأخ العزيز أن قد جرى على دمياط ما جرى ، وأريد أن تُحرّض الناس على الجهاد ، وتُعرفهم ما جرى على إخوانهم أهل دمياط من الكفرة أهل العناد ، وإني كشفت ضياع الشام فوجدتها ألقى قرية ، منها ألف وستائة أملاك لأهلها ، وأربعمائة سلطانية ، وكل مقدار ما تقوم به هذه الأربعمائة من العساكر ؟ وأريد أن تُخرج الدماشقة ليدبوا عن أملاكهم الأصغر منهم والأكابر . ويكون لقاءنا وهم .
- صحبك إلى نابلس في وقت سماء . قال : بخلصت بجامع دمشق وقرأت كتابه عليهم ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، [وقالوا : نمتل أمره بحسب الاستطاعة] . وتجهزوا ؛ فلما حلّ ركابهم بالساحل وقع التقاعد ، وكان تقاعدهم سبباً لأخذه الثمن والخمس من أموالهم . وكتب إلى يقول : إذا لم يخرجوا فمر أنت إلينا ، فخرجت إلى الساحل وهو نازل على قيسارية ، فاقنا حتى فتحها عتوة ، ثم سرنا إلى البفر ففتحناه وهدمناه ،
- وعاد إلى دمشق بعد أن أخرج العساكر إلى السواحل . واستمر الملك الكامل على مقاتلة الفرنج إلى أن فتح الله عليه في سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وطلب من إخوته النجدة ، وتوجه المعظم في أول السنة إلى أخيه الأشرف موسى ، واجتمعوا على حرّان . وكتب صاحب ماردین إلى الأشرف يسأله أن يصعد المعظم إليه ، فسأله فسار إلى ماردین ، فلتقاه صاحب ماردین من دُنَيْسِر ، وأصعده إلى القلعة وخدمه خدمة

(١) كذا في عقد الجمان ومرتأة الزمان . وفي الأصل : « إلا ما عن منهم والأكابر » وهو تحريف .

(٢) الزيادة عن مرتأة الزمان وعقد الجمان . (٣) في الأصل : « منهم » . وما أثبتناه عن

الذيل على الروضتين ومرتأة الزمان وعقد الجمان . (٤) هذه الكلمة في الأصل غير واضحة .

وفي مرتأة الزمان : « إلى النهر » . وفي عقد الجمان : « إلى النهر » بالنون والفاء . وما أثبتناه عن

الذيل على الروضتين . ولم نهند لشيء نطمئن إليه .

(٥) في مرتأة الزمان وعقد الجمان : « بعد أن أخرج بلاد الفرنج » .

عظيمة، وقدم له التحف والجواهر^(١) وتحالفا واتفقا على ما أرادا، ثم عاد المعظم إلى أخيه الأشرف . وجاء خبر دمياط . وكان المعظم أحرص الناس على خلاص دمياط والغزاة، وكان مصافياً لأخيه الكامل، وكان الأشرف مقصراً في حق الكامل مبالغاً له في الباطن؛ فلما اجتمعت العساكر على حران قطع بهم المعظم الفرات، وسار الأشرف في آثاره، ونزل المعظم حصن والأشرف سلتية . قال : وكنت قد خرجت من ديمق إلى حصن اطلب الغزاة، فإنهم كانوا على عزم الدخول إلى طرابلس، فاجتمعت بالمعظم في شهر ربيع الآخر فقال لي : قد صحبت الأشرف إلى هاهنا وهو كاره، وكل يوم أعتبه في تأخره وهو يكاسر وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مصر، وهو صديقك؛ وأستهي أن تقوم تروح إليه فقد سألني عنك [مراراً]؛ ثم كتب إلى [أخيه] كتاباً بخطه نحو ثمانين سطراً، فأخذته ومضيت إلى سلتية؛ وبلغ الأشرف وصولي فخرج من الخيمة وتلغاني وعاتني على أنقطاعي، [عنه] وجرى بيني وبينه فصول؛ وقلت له : المسلمون في ضائقة، وإذا أخذ الفرنج الديار المصرية ملكوا إلى حصر موت، وعقوا آثار مكة والمدينة والشام [وأنت تلعب]، قم الساعة وأرحل؛ فقال : إرموا الخيام [والدهليز]، وسبقته إلى حصن فلقاني المعظم؛ وقال : ما نمت البارحة ولا أكلت اليوم شيئاً، فقلت : غداً يصبح أخوك الأشرف حصن .

فلما كان من الغد أقبلت الأطلاب وجاء طلب الأشرف، وافته مارأيت أجل منه ولا أحسن رجالاً ولا أكل عذة، وسر المعظم سروراً عظيماً؛ وجلسوا تلك الليلة

- (١) في الأصل : « وقدم له التحف والجواهر ثم عاد المعظم إلى أخيه الأشرف وتحالفا على ما أراد » وعاد المعظم بغيا، خبر دمياط . وما أثبتناه عن امرأة الزمان والذيل على الرضين وعقد الجمان .
 (٢) في الأصل : « كانوا على عزم » . وما أثبتناه عن الذيل على الرضين وعقد الجمان ورمأة الزمان .
 (٣) كذا في الأصل ولعله : أعاتبه في تأخره وهو يكاسر . (٤) الزيادة عن الذيل على الرضين ورمأة الزمان وعقد الجمان . (٥) الزيادة عن امرأة الزمان والذيل على الرضين .
 (٦) الأطلاب : العساكر .

- يقتشاورون، فَأَتَفَقُوا عَلَى الدخول في السَّحَر إلى طرَابُلُس^(١)، وكانوا على حال، فَأَنطَقَ
الله الملكَ الإِشْرَفَ من غير قصد وقال للمعظم : يا خوند، عوض ما ندخل الساحل
وتضعف خيلنا وعساكرنا ويضيع الزمان ما نزوج إلى دِمْيَاط ونستريح ؟ فقال له
المعظم — قول رماة البندق قال — : نعم، فقبل المعظم قدمه ونام الأشرَف، فخرج
المعظم من الخيمة كالأسد الضارى يصبح : الرحيل الرحيل إلى دِمْيَاط؛ وما كان
يَظُنُّ أَنَّ الأشرَفَ يسمح بذلك، وساق المعظم إلى دِمَشْق وتبعته العساكر، ونام
الأشرَف في خيمته إلى قرب الظهر، وأنقبه فدخل الحمام فلم يرَ [حول]^(٢) خيمته
أحدا، فقال : وأين العساكر؟ فأخبروه الخبر فسكت، وساق إلى دِمَشْق فقتل القصير
يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى، فأقام إلى سائحه، وعرض العساكر تحت قلعة
دمشق، وكان هو وأخوه المعظم في الطيارة بقلعة دمشق، وساروا إلى مصر .
- ١٠ . وأما الفرنج فأنهم خرجوا بالفارس والراجل، وكان البحر زائدا جدا، فجاؤا إلى
ترعة فارسوا عليها، وفتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان، وأحرق بهم عساكر
الكامل، فلم يبق [لهم] وصول إلى دِمْيَاط؛ وجاء أسطول المسلمين فأخذوا
مراكبهم، ومنعهم أن تصل إليهم الميرة من دِمْيَاط، وكانوا خلقا عظيما، وأتقطعت
أخبارهم عن دِمْيَاط، وكان فيهم مائة كُنت وثمانمائة من الخيالة المعروفين ومليك عكا^(٣)
والدوك؟ واللوكان نائب البابا، ومن الرجال ما لا يحصى، فلما عاينوا الهلاك أرسلوا
إلى الكامل يطلبون الصلح والرهائن، ويسلمون دِمْيَاط؛ فن حرس الكامل على^(٤)

(١) خوند : أمير . (٢) الزيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين .

(٣) الزيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان .

(٤) الكنت : الفارس الباسل الشاكي السلاح (عن القاموس الإنجليزى الفارسى) .

(٥) لعله « الدوق » باللقاف ، وهو لقب من ألقاب الشرف عند الإفرنجية .

(٦) في الأصل : « فن فرح الكامل » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان .

خلاص دِيَماط أجابهم، ولو أقاموا يومين أخذوا برِقابهم، فبعث إليهم الكامل أبنته الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأبْن أخيه شمس الملوك؛ وجاء ملوكهم إلى الكامل ممن سَمِينا، فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الحيام. ووصل المعظم والأشرف في تلك الحال إلى المنصورة في ثالث رجب، فجلس الكامل مجاسا عظيما في خيمة كبيرة عالية، وقد مَدَّ سَمَاطًا عظيمًا، وأحضِرَ ملوكَ الفرنج [والخِيارَة] ^(١)، ووقف المعظم والأشرف والملوك في خدمته، وقام الحِلِّيُّ ^(٢) الشاعر - رحمه الله تعالى - فأنشد :

هنيئًا فإن السعد راح مَحَلِّدًا * وقد أنجز الرحمن بالنصر مَوْعِدًا
حَبَانًا إِلَهُ الخَلْقِ فَتَحًا بَدَا لَنَا * مُبِينًا وَإِنْعَامًا وَعِزًّا مَوْبِدًا
تَهَلَّلَ وَجْهُ الدَّهْرِ بِمَدِّ قُطُوبِهِ ^(٣) * وَأَصْبَحَ وَجْهُ الشُّرْكِ بِالظُّلَمِ أَسْوَدًا
وَلَمَّا طَفَى الْبَحْرُ الْخَضَمُ بِأَهْلِهِ الـ * طِفَاةً وَأَضْحَى بِالْمَرَكَبِ مُزِيدًا
أَقَامَ لِهَذَا الدِّينِ مِنْ سَلِّ سَيْفِهِ * صَقِيلًا كَمَا سَلَّ الْحُسَامُ مَجْرُودًا
فَلَمْ يَنْجُ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَجْتَلٍ * نَوَى مِنْهُمْ أَوْ مِنْ تَرَاهِ مَقِيدًا
وَنَادَى لِسَانُ الْكَوْنِ فِي الْأَرْضِ رَافِعًا * عَقِيرَتَهُ فِي الْخَافِقِينَ وَمُنْشِدًا
أَعْبَادَ عَيْسَى إِنْ عَيْسَى وَحَزَبُهُ * وَمُوسَى جَمِيعًا يَخْدُمُونَ مُحَمَّدًا

وهذا من أبيات كثيرة .

قلت : صحَّ للشاعر فيما قصد من التورية في المعظم عيسى والأشرف موسى، لما وقفوا في خدمة الكامل محمد، فله دره ! لقد أجاد فيما قال .

(١) زيادة عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان . (٢) هو شرف الدين راجح بن إسماعيل ابن أبي القاسم الأسدي الحلِّيُّ أبو الوفاء، مدح الملوك بمصر والشام والجزيرة وسائر شوره . وسنذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٢٧ هـ . (٣) في الذيل على الروضتين : «وجه الدين» .

ووقع الصلح بين الملك الكامل وبين الفرنج في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب سنة ثمان عشرة وستائة ، وسار بعض الفرنج في البر وبعضهم في البحر إلى عكا ، وتسلم الكامل دمياط .

قلت : ويُعجني قول البارع كمال الدين علي بن النبيه في مدح مخدومه الملك الأشرف موسى لما حضر مع أخيه المعظم إلى دمياط في هذه الكائنة قصيدته التي أوزها :

للدة العيش والأفراح أوقات * فأنشروا له بالنصر عادات^(١)

إلى أن قال منها :

دمياط طُور ونار الحرب موقدة * وأنت موسى وهذا اليوم ميقات^(٢)
ألي العصا نتاقف كل ما صنعوا * ولا تخف ما حبال القوم حيات^(٣)

وهي قصيدة طويلة مثبتة في ديوان ابن النبيه .

قال أبو المظفر قال نضر الدين ابن الشيخ الشيوخ : لما حضر الفرنج دمياط صعد الكامل على مكان عال ، وقال لي : ما ترى ما أكثر الفرنج ! مالنا بهم طاقة ؟ [قال] فقلت^(٤) [له] : أعوذ بالله من هذا الكلام ، قال : ولم ؟ قلت لأن السعد [موكل] بالمنطق ، قال : فأخذت الفرنج دمياط بعد قليل ، فلما طال الحصار صعد يوماً على مكان عال ، وقال : يا فلان ، ترى الفرنج ما أقلهم ! والله ما هم شيء ؛

(١) هو العلامة كمال الدين علي بن محمد بن يوسف بن النبيه الكاتب الشاعر ، صاحب ديوان رسائل الملك الأشرف موسى بن العادل ، وله ديوان شعر مشهور كله ملح . توفي سنة ٦١٩ هـ (راجع ترجمته في مقدمة ديوانه المطبوع في مصر سنة ١٢٨٠ هـ وفوات الوفيات لابن شاكر وشدرات الذهب) .

(٢) في الأصل : « في الأفراح » . وما أثبتناه عن ديوانه .

(٣) في مرآة الزمان : « وحضر شيخ الشيوخ » بدون لفظة : « ابن » .

(٤) زيادة عن مرآة الزمان .

فقلتُ : أخذتهم والله ؛ قال : وكيف ؟ قلتُ : قلتُ في يوم كذا وكذا : كذا وكذا ،
فأخذوا دِمياط ، وقد قلتُ اليوم : كذا ، والملوك منطَقون بخير وشرٍّ ، فأخذَ دِمياطُ بعد
قليل « . انتهى . وقد تقدّم ذكر الكامل في أوائل الترجمة من قول جماعة من
المؤرّخين ، ويأتى أيضا — من ذكره في السنين المتعلقة به — نبذة كبيرة . إن
شاء الله تعالى . والله الموفق لذلك بمَنه وكرمه .



السنة الأولى من ولاية الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن
أيوب على مصر ، وهى سنة ست عشرة وستمائة ، وقد تقدّم أن الكامل كان ولي
مصر في حياة والده العادل ستين عديدة فلا عُمدة بولايته تلك الأيام ، فإنه كان
كالنائب بمصر لأبيه العادل ، ولا عبرة إلا بعد استغلاله بسلطنة مصر بعد وفاة أبيه .

فيها (أغنى سنة ست عشرة وستمائة) أحرب الملك المعظم عيسى صاحبُ
دِمَشق القُدس ، لأنه كان توجه إلى أخيه الملك الكامل صاحب الترجمة في نوبة
دِمياط في المرة الأولى ، فبلغه أن الفرنج على عزم أخذ القُدس ، فاتفق الأمراء
على خرابه ؛ وقالوا : قد خلا الشام من العساكر ، فلو أخذ الفرنج القُدس حكموا
على الشام جميعه . وكلن بالقدس [أخوه] العزيز عثمان ، وعز الدين أيبك أستاذار ،
فكتب إليهما المعظم بخرابه ، فتوقفا وقالوا : نحن نحفظه ، فكتب إليهما المعظم ثانياً :
لو أخذوه لقتلوا كل من فيه وحكموا على الشام وبلاد الإسلام ، فألحاحات الضرورة
إلى خرابه . فشرعوا في خراب السور أول يوم من المحرم ، ووقع في البلد ضجة
عظيمة . وخرج النساء المخدرات والبنات والشيخ وغيرهم إلى الصخرة والأقصى

(١) في الأصل : « إلى الصحراء » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان : والدليل على الروضين

وقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم ، وفعلوا أشياء من هذه الفعال ؛ ثم خرجوا هارين وتركوا أموالهم وأهاليهم ، وما شكوا أن الفرنج تُصَبِّحهم ، وأمتلأت بهم الطرقات ؛ فتوجه بعضهم إلى مصر ، [وبعضهم إلى الكرك ^(١)] ، وبعضهم إلى دمشق ، وكانت البنات المخدرات يُمزَّقن ثيابهن ويربطنها على أرجلهن من الخفا ؛ ومات خلق كثير من الجوع والعطش ، ونُهبت الأموال التي كانت لهم بالقدس ، وبلغ ثمن القنطار الزيت عشرة دراهم ، والرطل النحاس نصف درهم ؛ وذم الناس المعظم ؛ فقال بعض أهل العلم في ذلك :

فِي رَجَبِ حَلَّ الْحَمِيَّا * وَأَخْرَبَ الْقُدْسَ فِي الْحَرَمِ

وقال القاضي مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي قاضي الطور في خراب القدس :

١٠ مررتُ على القدس الشريف مُسَلِّمًا * على ما تبقى من رُبُوعِ كَأَنجُمٍ
ففاضت دموعُ العينِ مِنِّي صَبَابَةً * على ما مضى من عصرنا المتقدِّمِ
وقد رام عِلْجٌ أَن يَغْنَى رسومه * وشمر عن كَفَى لثِيمِ مُدَمِّمِ
فقلتُ له شلتَ يمينك خَلَّهَا * لمعتيرٍ أو سائِلٍ أو مُسَلِّمِ
فلو كان يُفَدَى بالنفوسِ فديته * بنفسى وهذا الظنُّ في كُلِّ مُسَلِّمِ

١٥ وفيها حجَّ بالناس من العراق أقباش [بن عبد الله] الناصري ، ومن الشام مملوك

الملك المعظم عيسى .

(١) زيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان . (٢) رواية الذيل على الروضين :

في رجبِ حَلَّ الْحَرَمِ * ونزب القدس في الحرم

(٣) في الأصل : « قاضي الغور » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضين وعقد الجمان وشذرات

الذهب . (٤) رواية شذرات الذهب وعقد الجمان :

* على ما مضى من عصره المتقدم *

(٥) الزيادة عن الذيل على الروضين . وما ساقى للؤلؤ في السنة التالية .

وفيهما تُوفيت سِتُّ الشام بنتُ الأمير تَجمُ الدين أيوب أختُ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، كانت سيدة الخواتين في زمنها، كانت كثيرة البرِّ والصدقات، كانت تعمل في دارها الأشربة والمعاجين والعقاقير كلَّ سنة بألوف دنانير وتُفرِّقها على الناس، وكان بابها ملجأً للقاصدين؛ وكان زوجها ابن عمها الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حصص، وهي أم حسام الدين [محمد بن عمر بن] لاجين، وصاحبة الأوقاف والأربطة بدمشق وغيرها - رحمها الله تعالى - .

وفيهما توفى محمد بن زُنكي الملك المنصور صاحب سنجار، كان ملكاً عادلاً عاقلاً جواداً، خلف عدة أولاد : سلطان شاه وزُنكي ومظفر الدين، وعدة بنات . وكان من بيت مُلك وسلطنة .

١٠ وفيها توفى علي بن القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ابن صاحب تاريخ دمشق . كان فاضلاً سميع الحديث وتفقه وسافر إلى بغداد ، فلما عاد قُطِع عليه الطريق، فأصابه جراحٌ فمات منه بعد أيام .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى العدل أبو منصور سعيد بن محمد بن سعيد الرزاز بخاء في المحرم . وأبو منصور عتيق بن أحمد في صفر . والعلامة أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري - الضرير في شهر ربيع الآخر . وقد قارب الثمانين . وأبو البركات داود بن أحمد بن محمد [بن منصور ابن ثابت] بن ملاعب الأزجي الوكيل في رجب، ولد في أول سنة اثنتين وأربعين . وأبو الفضل أحمد بن محمد بن سيدهم الأنصاري بن المراس الجلابي في شعبان،

(١) التكملة عن ابن الأثير . وقد ذكر وفاته سنة ٥٨٧ هـ . (٢) في الأصل : « أبو منصور

ابن عتيق » . وما أُنشئ عن المتن في أسماء الرجال للذهبي . (٣) التكملة عن تاريخ الإسلام

للذهبي وشذرات الذهب . (٤) في تاريخ الإسلام : « الجلابي » بالحاء المهملة والباء الموحدة .

وله أربع وثمانون سنة . وأبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن عليّ الأنباري الكاتب
 سبط قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغانى^(١) ، وله تسعون سنة . وأبو يعلى حمزة
 ابن السيد [المعروف بأ] بن أبي لقمة الصفار في شهر رمضان ، وهو أصغر من أخيه .
 وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن مسعود [بن سعد بن عليّ] بن الناقد المقرئ ،
 ويقال : كان آخر من قرأ المصباح على مؤلفه الشهرزورى^(٢) ، مات في شوال عن ست
 وثمانين سنة . وانحاتون ست الشام أخت الملك العادل في ذى القعدة . والعلامة
 افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي الحنفي بحلب .
 § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع . مبلغ
 الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .



- السنة الثانية من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب
 على مصر ، وهي سنة سبع عشرة وثمانئة .
 فيها قتل صاحب سنجار أخاه ، فسار الملك الأشرف موسى أخو الملك الكامل
 هذا إليها ، فأخذها وعوض صاحبها الرقة .
 ١٥ وفيها نزل الملك الأشرف المذكور على الموصّل نجدة لبدر الدين علي بن زين
 الدين ، وعزم على قصد إربل ، فبعث الخليفة من رده عن إربل وأصلح بينهما .

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الدامغانى . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥١٣ هـ .
 (٢) الزيادة عن تاريخ الاسلام . (٣) هو أبو المحاسن محمد بن السيد بن أبي القوارس
 فارس الدمشقي الصفار . وبيّره المؤلف في حوادث سنة ٦٢٣ هـ . (٤) التكملة عن المختصر
 المحتاج اليه وعناية النهاية وتاريخ الاسلام للذهبي . (٥) هو المصباح الزاهر في القراءات العشر
 البواهر ، من أحسن ما ألف في هذا العلم . (٦) هو المبارك بن الحسن بن أحمد بن عليّ أبو الكرم
 الشهرزورى إمام متقن . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٥٠ هـ .

وفيها في شهر رجب كانت واقعة البرلس^(١) بين الكامل صاحب الترجمة وبين الفرنج، ونصر الله الكامل وقتل منهم عشرة آلاف وغنم خيولهم وسلاحهم ورجعوا إلى دِمياط مهزومين .

وفيها عزل الملك المعظم عيسى صاحب دِمَشق [المبارز]^(٢) المعتمد عن ولاية دمشق، وولى عوضه عليها العزيز خليلاً .

وفيها كان أول ظهور التَّار وعبورهم جِيحون، وكان أول ظهورهم من [ما] وراء النهر سنة خمس عشرة وستمائة، وقبل عبورهم جِيحون قصلوا بُحَارَى وتمرَّقند، وقتلوا أهلها وسبّوهم، وحصروا خُوَارَزْم شاه، فَأَنْضَمَ إِلَيْهِمُ الْخَطَا، وصاروا تبعاً لهم .

وكان خُوَارَزْم شاه قد أدخل البلاد من الملوك، فلم يجدوا أحداً يردهم، ووصلوا في هذه السنة إلى الرِّيِّ وقَزْوِين وهَمْدَان، وقتلوا أهلها وأحرقوا مساجدها، ثم فعلوا بأَذَر بِيحَان كذلك .

وفيها حج بالناس من العراق أقباش الناصري وقُتِلَ بِمَكَّةَ، ولم ينج أحد من العجم [بسبب التَّار]^(٣)، وعاد الحج البغدادي من على الشام . وحج بالناس من الشام [المبارز]^(٤) المعتمد .

(١) كانت البرلس من الثغور المصرية القديمة الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بين دمياط ورشيد، وإليها تنسب بحيرة البرلس الواقعة في شمال مديرية الغربية . واسمها الروي « بالروس » ويطلق اسم البرلس أيضاً على المنطقة الساحلية المعروفة بإقليم البرلس المنقذة بين البحر الأبيض وبين بحيرة البرلس . ومن الحكم الأيوبي أنشأت الحكومة بقرية البرلس قلعة على شاطئ البحر اشتهرت بين الأهالي « بالبرج » ومن ذلك الوقت عرفت قرية البرلس باسم « البرج » واختفى اسمها الأصل إلا أن البرلس لا تزال علماً على إقليم البرلس كما ذكرت . وهذا الإقليم يشمل عدة قرى منها قرية « البرج » وكلها تابعة لمركز كفر الشيخ بمديرية الغربية . (٢) زيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان وهو المختمد مبارز الدين إبراهيم . (٣) في الأصل : « قبل دخولهم » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان . (٤) في الأصل « فَأَنْضَمَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَكْرَادِ وَصَارُوا تَبِعاً لَهُ » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان .

- وفيهما تُوفِّيَ الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل أبي بكر بن الأمير نجم الدين أيوب أخو الملك الكامل صاحب الترجمة. وقد تقدم أنه كان يريد الوثوب على أخيه الملك الكامل ، وأتفق مع ابن المشطوب حتى أخرجهما أخوه الملك المعظم عيسى من مصر ؛ فأتى الفائزين سنجار والموصل ، فحمل إلى سنجار ودُفِنَ بتربة عماد الدين زَنْكى والد السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، ومات وهو في عُنُقوان شَبِيته .

- وفيهما تُوفِّيَ الأمير أقباش بن عبد الله الناصري . قال أبو المظفر : « اشتراه الخليفة (يعنى الناصر لدين الله) وهو ابن خمس عشرة سنة بخمسة آلاف دينار ، ولم يكن بالعراق أجمل صورة منه ، ثم قرّبه إليه ولم يكن يفارقه ؛ فلما ترعرع ولّاه إمرة الحاج والحرمين ، وكان متواضعا محبوبا إلى القلوب . قُتِلَ بِمَكَّةَ المشرقة في واقعة بين أشراف مكة ، خرج ليُصْلِحَ بينهم فُقُتِلَ . وكان قتله في سادس عشر ذى الحجة .^(١)
- وفيهما تُوفِّيَ الشيخ عبد الله بن عثمان بن جعفر بن محمد اليُونِنِيّ ، أصله من قرية من قُرى ببلبك يقال لها « يُونين » . كان صاحب رياضات وكرامات ومجاهدات ومكاشفات ، وكان من الأبدال . وكانت وفاته يوم السبت في العشر الأول من ذى الحجة — رحمه الله — .

١٥

وفيهما تُوفِّيَ الشريف قتادة بن إدريس أبو عزيز الحُسَيْنِيّ المكي أمير مكة . كان شيخا عارفا متصيفا نفعه على عبيد مكة المفسدين ، وكان الحاج في أيامه في أمان

- (١) في الأصل : « في سادس عشر ذى الحجة » . والتصويب عن عقد الجمان و امرأة الزمان والذيل على الروضين . (٢) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي . وفي شذرات الذهب : « الشيخ عبد الله اليوناني ، وهو أبو عثمان بن عبد العزيز بن جعفر » . (٣) كذا في الأصل وعقد الجمان وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . وفي البداية والنهاية لابن كثير والذيل على الروضين و امرأة الزمان : « اليوناني » : نسبة الى يونان وهي أيضا من قرى ببلبك كما في معجم البلدان لياقوت . (٤) انظر بقية نسبه في تاريخ الإسلام في وفاته هذه السنة .

٢٥

على أموالهم ونفوسهم ، وكان يُؤذَن في الحرم بـ «حى على خير العمل» على قاعدة الرفض ، وما كان يلتفت إلى أحد من خلق الله تعالى ، ولا وُطِنَ بِسَاطِ الخليفة ولا غيره ، وكان يُحْمَلُ إليه من بغداد في كل سنة الذهبُ والحلَعُ وهو بداره في مكة ، وهو يقول : أنا أحق بالخلافة [من الناصر لدين الله] ^(١) ، ولم يرتكب كبيرة فيما قيل . قلت : وأى كبيرة أعظم من الرِّفْضِ وسب الصحابة ! — رضى الله عنهم — .

وفيهما تُوفِّي محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المنصور صاحب حمّة . كان شجاعاً مُحِبّاً للعلماء والفضلاء ، مات بجمّة ودُفِنَ بها . وقام بعده ولده الأكبر الملك الصالح الناصر قليج أرسلان . وجرى له مع الملك الكامل صاحب الترجمة أمور وفصول .

١٠ وفيها تُوفِّي محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق الملك الصالح ناصر الدين صاحب آمد ، كان شجاعاً عاقلاً جواداً مُحِبّاً للعلماء ، وكان الأشرف يُحِبُّه ، وجاء إلى الأشرف وخدمه غير مرة ، ومات بآمد في صفر . وقام بعده ولده مسعود ، وكان مسعود ضدّ اسمه بخيلاً فاسقاً ، حصّره الملك الكامل هذا وظفّره وأخذه إلى مصر وأحسن إليه ، فكاتب الروم وسعى في هلاك الكامل ، فحبسه الكامل — لما سمع ذلك — في الحبّ مدّة ثم أطلقه ، فضى إلى التتار ، وكان معه الجواهر والأموال فقتلته التتار ، وأخذوا جميع ما كان معه .

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام . (٢) يستفاد من الجزء الثاني من المخطط المقرّية (ج ٢ ص ٢٠٥) عند ذكر قلعة الجبل أنه كان يوجد بالقلعة جبان أقدمها أنشئ في عهد الدولة الأيوبية وهو الذى أشار إليه المؤلف ، وثانها أنشأه الملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨١ هـ وردمه الملك الناصر محمد بن قلاوون وبني فوقه طباقاً للمالك في سنة ٧٢٩ هـ . ويظهر أن الجب الأزل كان واقفاً داخل قلعة صلاح الدين وقد ردم ومكانه اليوم المدفن الواقع غربى جامع سليمان باشا المعروف بجامع سيدى سارية . وأن الجب الثانى كان واقفاً في الجهة الغربية من مباني القلعة الحالية في المكان الذى يطلق منه اليوم مدفع الظاهر .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّيَ عبد الرحمن بن أحمد ابن هَدِيَّة^(١) الوزاق في شهر ربيع الأول ، وقد جاوز التسعين ، وهو آخر من رَوَى عن عبد الوهاب الأنماطي^(٢) . وشيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن أبي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حمويه في جُمَادَى الأولى ذاهباً في الرِسلية من الكامل بالموصل ، وله أربع وسبعون سنة . وصاحب حمّاة الملك المنصور محمد ابن تقي الدين عمر بن شاهنشاه . والزاهد الكبير الشيخ عبدالله الأيوبي في ذى الحجة ببعلبك . وصاحب مكة قتادة بن إدريس الحسيني . وأبو الحسن المؤيد بن محمد ابن علي الطوسي المقرئ في شِوَال .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع ونصف إصبع .

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثمانى أصابع .



السنة الثالثة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة ثمانى عشرة وستائة .

فيها تُوُفِّيَ إسماعيل بن عبدالله أبو طاهر الأنماطي المحدث، كان إماماً فاضلاً سَمِعَ الكثير وَلَقِيَ الشيوخَ وحدث، وتُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ في شهر رجب وكان ثَقَّةً .

وفيها تُوُفِّيَ محمد بن خلف بن راجح المقدسي ويُلقَّب بالشهاب والد القاضي نجم الدين، كان زاهداً عابداً فاضلاً في فنون العلوم .

(١) في الأصل : « ابن هبة الله » . والتصويب عن المختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام للذهبي وشرح القصيدة اللامية في التاريخ . (٢) هو أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي الحافظ الحنبلي مفيد بغداد . توفي سنة ٥٣٨ هـ (عن شذرات الذهب) . (٣) في شذرات الذهب وما ساقى للؤلؤ فيمن نقل وفاتهم عن تاريخ الاسلام للذهبي وشرح القصيدة اللامية في التاريخ كانت وفاته سنة ٥٦٩ هـ . (٤) هو نجم الدين أحمد بن محمد بن خلف بن راجح أبو العباس . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٣٨ هـ .

وفيهما توفى محمد بن محمد الشيخ الإمام النحوى التكريتي، كان بارعا في النحو والأدب والشعر . ومن شعره قوله :

مَنْ كَانَ ذَمَّ الرَّقِيبَ يَوْمًا * فَأَنْتَى لِلرَّقِيبِ شَاكِرٌ
لَمْ أَرْ وَجْهَ الرَّقِيبِ وَقْتًا * إِلَّا وَوَجْهَ الْحَبِيبِ حَاضِرٌ
وله في مجنونة :

أَمْسَيْتُ^(١) مَجْنُونًا مَجْنُونَةً * يَفَارُ مِنْ قَامَتِهَا الْفُضُنُ
فَقَنْ عَذِيرِي مِنْ هَوَى ظَلِيمَةٍ * قَدْ عَشِقَتْهَا الْإِنْسُ وَالْجُنُ
قلت : وطريف قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى^(٢) - رحمه الله -
في هذا المعنى :

زَادُ جُنُونِي بِذِي جُنُونٍ * مُعَذِّرٌ وَالْعِذَارُ زَيْنُ^(٤)
قَالُوا بِهِ عَارِضٌ وَعَيْنٌ * قُلْتُ وَبِي عَارِضٌ وَعَيْنٌ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى شهاب الدين محمد ابن خلف بن راجح المقدسي في صفر ، وله ثمان وستون سنة . وأبو محمد هبة الله ابن الحضر بن هبة الله [بن أحمد بن عبد الله] بن طائوس في جمادى الأولى ، وله إحدى وثمانون سنة . وأبو نصر موسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلي في جمادى الآخرة . وأستشهد بهمذان خلق بأیدی التار، منهم : الإمام تقي الدين أبو جعفر محمد بن

(١) نسب المؤلف هذين البيتين لمحمد بن محمد التكريتي ، وهما لعمر بن مظفر بن الوردى كما في ديوانه المطوع بالآستانة ص ٢٨٧ . ورواية البيت الأول :

* إلى المجنون ... الخ *

(٢) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي القوارس المعري زين الدين المعروف بابن الوردى الفقيه الشافعي الشاعر المشهور ، وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٧٤٩ هـ . (٣) في الأصل هكذا : « في المعنى مذكر » . (٤) بحثنا في ديوان ابن الوردى عن هذين البيتين فلم نجدهما . (٥) الحكمة من تاريخ الاسلام للذهبي .

محمود بن إبراهيم الحنّام الواعظ . وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن هبة الله الرُّوذَرَاوَرِي^(١) .
وبهراة أبو روح [عبد المِعْز^(٢)] بن محمد الهَرَوِي . وبنيسابور أبو بكر القاسم بن عبد الله
ابن عمر بن الصَّفَّار . وأبو النّجيب إسماعيل بن عثمان بن إسماعيل بن أبي القاسم
القارئ الصوفي .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وست أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبعان .



السنة الرابعة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب
على مصر، وهي سنة تسع عشرة وستمائة .

- ١٠ فيها ظهر جرادٌ بالشام أكل الشجر والزروع والثمر ولم ير مثله .
وفيهما نُقِلَت رِمّة الملك العادل أبي بكر من قلعة دِمَشْق إلى مدرسته التي عند
دار العقيق^(٤)، فدُفِن بها .
وفيهما تُوُفِيَ مِسَار بن عمر بن محمد الشيخ أبو بكر بن العويس البغدادي في شعبان
بالموصل، وكان فاضلاً ثقة .
١٥ وفيها تُوُفِيَ نصر بن أبي الفرج الفقيه الحنبلي، كان إمام الحنابلة بمكة، جاور
بمكة سنين، ثم خرج إلى اليمن فمات بالمُهْجَم^(٦) ودُفِن به، وكان صالحاً متعبداً لا يفتر
عن الطَّوَاف .

(١) في الأصل : « الروذباري » نسبة إلى الروذبار : بلد عند طوس . وما أُتيناؤه عن تاريخ الاسلام
للذهبي . والروذراوري : نسبة إلى رذراور، بلد بهذان . (٢) التكة عن شذرات الذهب وتاريخ
الاسلام للذهبي . (٣) لم نجد هذا الاسم في تاريخ الاسلام في وفيات هذه السنة ولا في المراجع
التي بين أيدينا . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٥) في الأصل : « مسار بن محمد بن عمر » . والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبي والمختصر
الححتاج إليه . (٦) المهجم : بلد ولاية من أعمال زبيد باليمن ، بينها وبين زبيد ثلاثة أيام
(عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيها تُوُفِّيَ الأمير قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أخو الملك الكامل محمد هذا . مات بالقيوم فقيل إلى القاهر ودُفِن بها .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ الحافظ أبو الفتح نصر بن أبي الفرج البغدادى - ابن الحُصَريّ - المقرئ الحنبلى - في المحرم ، وله ثلاث وثمانون سنة . والحافظ أبو الطاهر تقيّ الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن المصرى - ابن الأنماطى - في رجب كهلاً . وأبو بكر مسمار بن عمر بن محمد بن العويس النّيار بالموصل في شعبان . والقُدوة الشيخ على - [بن أبي بكر محمد بن عبد الله] بن إدريس اليعقوبى - في ذى القعدة . وأبو سعد ثابت بن مشرف المِعَار في ذى الحجة .

(١) القيوم : كلمة معربة عن « يوم » وهي كلمة مصرية قديمة معناها البحيرة ، وكان هذا الاسم يطلق قديماً على أراضي الوادى المنخفض الذى يعرف اليوم بمديرية القيوم وقت أن كان هذا الوادى مغموراً بالمياه ، ويقال له أيضاً بالمصرى : « مرى » أو « موريس » ومعناها البحيرة الكبيرة . وقد تحولت أراضي هذه البحيرة الى أرض زراعية من الطلى الذى كانت تلقيه مياه النيل سنوياً في أرض ذلك الوادى في العصور السابقة بواسطة « بحر تمى » الذى عرف فيما بعد « ببحر المنهى » والآن بحر يوسف ولا يزال يوجد من بقايا هذه البحيرة « بركة قارون » الحالية الواقعة في الشمال الغربى لمديرية القيوم .

وكان إقاييم القيوم في عهد الفراعنة يسمى من الوجهة الادارية قسم « نوهيت نجو » وكانت قاعدته تسمى مدنيا : « شوديت » أى الجزيرة ودينيا « بى سبك » أى مدينة التماسح حيث كان هذا الحيوان معبود أهل هذا الإقليم ، وسمّاها الزوم « كوكوديلو بوليس » أى مدينة التماسح .

وفي زمن حكم البطالسة أطلق الملك بطليموس الثانى فيلادلف اسم زوجته « أرسينو » على الإقليم وقاعدته فسميت المدينة « أرسينو » والاقليم « أرسينوتيس » وبقى هذان الاسمان مستعملين الى أن استولى العرب على مصر فعرف الاقليم باسم « القيوم » وقاعدته « مدينة القيوم » وهو من أقدم الأقاليم المصرية . فقد كانت القيوم قسماً ثم كورة ثم عملاً ثم ولاية ثم مديرية في سنة ١٨٣٣ م وفي سنة ١٨٥١ م ضمت الى مديرية بنى سويف باسم مأمورية القيوم ثم فصلت عنها في سنة ١٨٥٨ م ثم أعيدت اليها في سنة ١٨٦٤ م وفي سنة ١٨٧٠ م صدر أمر عال بفصلها عن مديرية بنى سويف ومن ذاك التاريخ أصبحت القيوم بمديرية قاعة بذاتها ضمن مديريات الوجه القبلى وقاعدتها « مدينة القيوم » .

(٢) فى الأصل : « الأنصارى » . وما أئبناه عن تذكرة الحفاظ للذهبي وطبقات الحفاظ للسيوطى وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام . (٣) فى الأصل : « البتار » . والتصحيح عن المختصر المحتاج اليه وشرح القاموس مادة « سمر » . (٤) التكلة عن تاريخ الاسلام للذهبي .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



السنة الخامسة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر ، وهي سنة عشرين وستمائة .

- قال أبو شامة : ففيها عاد الملك الأشرف موسى من مصر [إلى الشام قاصداً (١) بلاده بالشرق] ، فالتقاء أخوه المعظم عيسى وعرض عليه التزول [بالقلعة] فامتنع ، ونزل بمحوّسق والده العادل ، وبدت الوحشة بين الإخوة الثلاثة (يعني الكامل محمداً صاحب الترجمة ، والمعظم عيسى صاحب دمشق ، والأشرف موسى صاحب خلّاط وغيرها) . قال : ثم رحل الأشرف سحراً على ضمير ثم سار إلى حرّان ، وكان [الأشرف] (١) قد استناب أخاه شهاب الدين غازي صاحب ميّافارقين على خلّاط ، [لمّا سافر إلى مصر] وجعله وليّ عهده ، ومكّنه من بلاده ؛ فسوّلت له نفسه العُصيان ، وحسن له ذلك الملك المعظم وكاتبه وأعانه ، وكذا كاتبه صاحب إربل [والمشاركة] ، فأرسل الأشرف إلى غازي المذكور يطلبه فامتنع ، فأرسل إليه : يا أُنحى لا تفعل ، أنت وليّ عهدي والبلاد في حكمك فأبى ؛ فجمع الأشرف عساكره وقصده ، ووقع له معه أمور حتى هزمه ، ثم رضى عنه الأشرف حسب ما ذكره في السنة الآتية . وفيها كانت بين التتار الذين جاءوا إلى الدربند وبين القَبجاق والروس وقعة هائلة ، وصبر الفريقان أياماً ، ثم أنهزم القَبجاق والروس ، ولم يَسَلَمْ منهم إلا اليسير .

- (١) الزيادة عن المذيل على الروضين . (٢) ضمير : موضع قرب دمشق ، وهو قرية وحسن في آخر حدود دمشق مما يلي البصرة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الدربند (باب الأبواب) : اسم لبلدة على ساحل بحر الخزر بين البحر والجل ، وهي شمالى باب الحديد . (عن تقويم البلدان لأبي القدا إسماعيل) . (٤) القَبجاق (القَفجاق) : جنس من الترك يسكنون صحارى تسمى صحارى الدشت أو صحارى القَبجاق ، أهل حل وترحال على عادة البدو (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٦) . (٥) في الأصل : « الأروس » . والنصوب عن ابن لأثير وشذرات لذهب .

وفيه تُوِّفَى عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد المقدسي - الجماعلي - الدمشقي - الصالح - الحنبلي صاحب التصانيف .
وُلِدَ بجماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقرأ القراءات واشتغل في صغره وسمِعَ من أبيه سنة نيف وخمسين ، ورحل إلى البلاد وسمِعَ الكثير ، وكتب وصنف وبرع في الفقه والحديث ، وأفتى ودرس وشاع ذكره وبعدَ صيته .
وكانت وفاته في يوم عيد الفطر ، وله ثمانون سنة .

وفيه تُوِّفَى عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الإمام المفتي نحر الدين أبو منصور الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر شيخ الشافعية بالشام . ولد في سنة خمسين وخمسمائة ، وسمِعَ من عمِّه : [الصائغ] هبة الله ، والحافظ أبي القاسم وجماعة آخر ، وتفقه على حميه قطب الدين التيسابوري ، وكان بارعا مُفْتَنًا مدرسا فقيها عالما محدثا ، وكانت وفاته في شهر رجب .

وفيه تُوِّفَى ملك الغرب يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي - السلطان المستنصر بالله الملقب بأمير المؤمنين المكنى أبا يعقوب القيسي المغربي - صاحب بلاد المغرب ، لم يكن في بني عبد المؤمن أحسن صورة منه ، ولا أبلغ خطابا ، ولكنه كان مشغولا باللذات ، ومات وهو شاب في هذه السنة ، ولم يخلف ولدا ، فاتفق أهل دولته على تولية الأُمِّ لأبي محمد عبد الواحد بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي ، فولى ولم يُحسِّن التدبير ولا الإدارة . وكان مولد يوسف صاحب الترجمة في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وأمه أُم ولد رومية أسمها قُرء ، وكانت دولته عشرين سنة . وشهرين .

(١) زيادة عن طبقات الشافعية وعقد الجمان والذيل على الروضتين . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩ من هذا الجزء . وقد ذكره المؤلف أيضا في حوادث سنة ٥٧٨ هـ . (٣) في الأصل : « وكانت دولته عشرين سنة وشهرين » . والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو سعد عبد السلام ابن المبارك [بن عبد الجبار بن محمد بن عبد السلام] بن البردعول في المحرم، وله تسع وثمانون سنة . والعلامة نحر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن عساكر الشافعي في رجب، وله سبعون سنة . والعلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي شيخ الحنابلة في يوم الفطر، وله ثمانون سنة .
- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع .
- مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .



- السنة السادسة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة إحدى وعشرين وستمائة .
- فيها استرد الملك الأشرف موسى مدينة خلاط من أخيه شهاب الدين غازي، وأبقى عليه مياقارقين، ورضى عنه بعد أمور وقعت بينهما، وقد تقدم ذكر ذلك أيضا . وفيها ظهر السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه بعد ما انفصل عن بلاد الهند وكرمان، وأستولى على أذربيجان وحكم عليها . وراسله الملك المعظم عيسى ليعينه على قتال أخيه الملك الأشرف موسى؛ ثم كتب المعظم أيضا لصاحب إربل في هذا المعنى، وبعث ولده الملك الناصر داود إليه رهينة .
- وفيها استولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل وأظهر أن الملك محمود بن القاهر قد توفى، وكان قد أمر بخنقه .

- (١) التكملة عن تاريخ الإسلام والمختصر المحتاج إليه . (٢) كذا في الأصل . وفي تاريخ الإسلام والمختصر المحتاج إليه : « ابن البردغول » بالعين المعجمة ويا بعد اللام .
- (٣) في الأصل : « الملك القاهر محمود » . والنصح عن عقد الجمان والذيل على الروضتين وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .

وفيهما بنى الملك الكامل صاحب الترجمة دار الحديث الكامليّة بالقاهرة في بين
القصرين، وجعل أبا الخطاب بن دحية شيخها .^(١)

وفيهما أقدم الملك مسعود أحمسيّ (المشهور بأقيّيس) على أبيه الملك الكامل من
اليمن طائط، وعزّمه أخذ الشام من عمته الملك المعظم عيسى، وقدم لأبيه أشياء
عظيمة، منها مائتا خادم .

قال ابن الأثير: وفيها عادت التار من بلاد القبجاق ووصلت إلى الرّي، وكان
من سَلِم من أهلها قد عمروها، فلم يشعروا إلّا بقدم التار بقتة، فوضعوا فيهم
السيف، ثم فعلوا بعتة بلاد آخر كذلك، فما شاء الله كان .

وفيهما حدث واقعه فيحة من الكرج، وهو أن الكرج — لعنهم الله — لم يبق
فيهم من بيت الملك أحد سوى امرأة فلنكها عليهم . قال ابن الأثير: ثم طلبوا
لها زوجا يترّوجها وينوب عنها في الملك، ويكون من بيت مملكة . وكان صاحب
أرزن الروم مُغيث الدين طغرل شاه بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان
وهو من الملوك السلجوقية وله ولد، فأرسل إلى الكرج يخطب الملكة لولده فامتنعوا،
وقالوا: لا يملكنا مسلم، فقال لهم: إن أبني يتنصر ويتزوجها، فأجابوه فتنصر
وتزوج بها، وأقام عندها حاكمًا في بلادهم، فنعوذ بالله من الخذلان! وكانت الملكة
تهوى مملوكًا، فكان هذا الزوج يسمع عنها من القبايح أشياء ولا يمكنه الكلام
لجزه، فدخل يومًا فرأها مع المملوك، فأنكر ذلك، فقالت: إن رَضيت بهذا وإلّا

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من هذا الجزء . (٢) هو أبو الخطاب عمر بن حسن بن
علي بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسي السبق الحافظ الكبير كان بصيرا بالحديث مفتنا به معروفًا بالضبط،
له حظ وافر من اللغة ومشاركة في العربية . وقد جعله الكامل شيخ دار الحديث . وسذكره المؤلف
في حوادث سنة ٦٢٣ هـ . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢١٠ من هذا الجزء .
(٤) راجع تفصيل هذه الأشياء في مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

أنت أخبر بما أفعله معك ! . [فقال : إني لا أرضى بهذا] فنقلته إلى بلد [آخر]^(١)
 ووكلت به من يحفظه وتجرت عليه ؛ وأحضرت لها رجلين ووصفا لها بحسن
 الصورة فتزوجت بأحدهما ، وبقي معها ذاك يسيراً ، ثم فارقته وأحضرت آخر من
 كنجة وهو مسلم ، فطلبت منه أن ينتصر ويتزوجها فلم يفعل ، فأرادت أن تنزوجه^(٢)
 [وهو مسلم] فقام عليها الأمراء ومعهم إيواني مقدمهم ، وقالوا لها : فضحيتنا^(١)
 بين الملوك بما تفعلين ! [ثم تريدن أن يتزوجك مسلم ، وهذا لا يملكك منه أبداً] ،
 والأمر بينهم متردد ، والرجل الكنجي عندهم [لم يُجبههم إلى الدخول في النصرانية] ،
 وهي تهواه . انتهى كلام ابن الأثير .

وفيهما توفى نحر الدين أبو المعالي محمد بن أبي الفرج الموصلي المقرئ ببغداد
 في شهر رمضان . وكان إماماً فاضلاً بارعاً في فنون . ومن شعره « مواليا » :
 ساقٍ قر بكفه شمسٌ ضحا * قد أسكرني من راحته وصحا
 لو أمكنني والراح في راحته * في الحان شربت كفه والقحدا
 فأت : ويمعيني في هذا المعنى قول أبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري^(٣)
 القيرواني الضرير المعروف بالحصري الشاعر المشهور ، ووفاته سنة ثمان [وثمانين]
 وأربعائة ، وهما :

أقول له وقد حيا بكأس * لها من مسك ريقته ختامُ
 أمين خديك يُعصر قال كلاً * متى عُصرت من الورد المدامُ
 وفيها توفى القاضي أبو البركات عبد القوي بن عبد العزيز الجباب السعدي
 في شوال ، وله خمس وثمانون سنة . وكان عالماً بارعاً ديناً عفيفاً أفتى ودرس سنين .

- (١) الزيادة عن ابن الأثير . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢ من الجزء الخامس من
 هذه الطبعة . (٣) هذه رواية الأصل وهامش ابن الأثير . وفي ملب ابن الأثير : « إيواني »
 بالياء التحتية . (٤) الكلمة عن ابن خلكان وشذرات الذهب .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوِّفَ أبو جعفر محمد بن هبة الله بن مُكْرَم الصوفي ببغداد في المحرم . وأبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي المقرئ بواسط . وأبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن صِرْمِي الْأَزْجِي^(١) في شعبان . ونفر الدين أبو المعالي محمد بن أبي الفرج الموصل - البغدادى المقرئ في رمضان .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ثلاث أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .



السنة السابعة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة اثنتين وعشرين وثمانئة .

فيها في شهر ربيع الأول وصل السلطان جلال الدين بن خُوَارَزْم شاه إلى دُقُوقَا^(٢) فافتتحها بالسيف، وأحرق البلد ونهب أهلها، وفعل فيها ما لا تفعله الكُفَّار لكونهم شتموه ولعنوه على الأسوار؛ ثم عزم على قصد بغداد، فأترع الخليفة الناصر لدين الله وأستعد لقتاله وأنفق ألف ألف دينار في هذا المعنى .

قال أبو المظفر : « قال لي الملك المعظم عيسى : كتب إلى جلال الدين يقول : تحضر أنت ومن عاهدني فتتفق حتى نقصد الخليفة ، فإنه كان السبب في هلاك المسلمين ، وفي هلاك أبي ، وفي مجيء الكُفَّار إلى البلاد ؛ ووجدنا كُتِبَ إلى الخُطَا

(١) كذا في المختصر المحتاج إليه . وفي القاموس أنهم سموا « صرمي » كدري . وفي الأصل : « صرما » . وفي شرح القصيدة اللامية في التاريخ : « صبرما » . (٢) خنوقا (بالمد والقصر) : مدينة بين إربل وبغداد معروفة ، لها ذكر في الأخبار والفتوح . (راجع سجم البلدان لياقوت) .

وتواقيعه لهم بالبلاد والخلع والخليل؛ فقال المعظم: فكتبت إليه: أنا معك على كل أحد إلا على الخليفة فإنه إمام المسلمين!». انتهى .^(١)

قلت: ثم وقع لجلال الدين المذكور في هذه السنة أمور ووقائع مع غير الخليفة من الملوك يطول شرحها. يأتي ذكر بعضها إن شاء الله.

- وفيها توفى الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بالله أبي محمد الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الخليفة المقتنى بأمر الله أبي عبد الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد الهاشمي العباسي البغدادى. وُلِدَ يوم الاثنين عاشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه المستضيء في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة. وأمه أم ولد تركية.

- قال الشيخ شمس الدين: «وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين، أنور الجبهة، أفتى الأنف، خفيف العارضين، أشقر اللحية رقيق المحاسن. كان نقش خاتمه: «رجائي من الله عفو». لم يَلِ الخلافة قبله أحد من بني العباس أطول مدة منه، إلا ما ذكرنا من خلفاء العبيدية المستنصر معدّ. انتهى. وفي أيام الناصر لدين الله ظهرت الفتوة ببغداد ورعى البندق ولعب الحمّام [المناسيب]^(٢)، وأقن الناس في ذلك، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك؛ فلبسوا الملك العادل ثم أولاده سراويل الفتوة، ولبسها أيضا الملك شهاب الدين صاحب غزنة والهند من الخليفة الناصر لدين الله، ولبسها جماعة آخر من الملوك. وأما لعب الحمّام فخرج فيه عن الحد، يُحكى عنه أنه لما دخلت التار البلاد وملكوا من [ما] وراء النهر إلى العراق، وقتلوا تلك المقتلة

(١) في الأصل: «على كل حال». وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان.

(٢) زيادة عن شذرات الذهب وعقد الجمان.

من المسلمين ، التي ما يُنكب المسلمون بأعظم منها ، دخل عليه الوزير فقال له : آه
يا مولانا ، إنَّ التَّارَ قد ملَّكَت البلاد وقتلت المسلمين ! فقال له الناصر لدين الله :
دعني أنا في شيء أهم من ذلك ! طيرني البَلَاءُ ، لي ثلاثة أيام ما رأيته ! وفي هذه
الحكاية كفاية إن صحَّت عنه . وكانت وفاته في سابع شهر رمضان ، وكانت خلافته^(١١)
سبعاً وأربعين سنة . وبويع بعده لولده أبي نصر ولُقِّب بالظاهر بأمر الله ، فكانت
خلافه الظاهر المذكور تسعة أشهر ومات . حسب ما يأتي ذكره .

وفيهما توفِّي السلطان الملك الأفضل عليّ - ابن السلطان صلاح الدين يوسف ابن
الأمير نجم الدين أيوب في يوم الجمعة من شهر ربيع الأول من السنة ، وهو الذي
كان ملَّك الشام في حياة أبيه ثم من بعده ، ووقع له تلك الأمور مع أخيه وعمه
العادل ، وقد تقدّم ذكر ذلك كلّهُ ، وتنقلت به الأحوال إلى أن صار صاحب
سُمِّيَ سَاط ، وبقى بها إلى أن مات في هذه السنة . وكان مولده بمصر في سلطنة والده
سنة خمس وستين وخمسمائة . وكان فاضلاً شاعراً حسن الخط قليل الخط غير
مسموع في حركاته - رحمه الله تعالى - ومن شعره - مما كتبه إلى الخليفة لما خرج
من دمشق ، وأتفق عليه الملك العادل وعمه والعزير أخوه - :

مولاي إنَّ أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصَّبا بالسيف حقَّ على
فانظر إلى حظِّ هذا الأسم كيف لقي * من الأواخر ما لاقى من الأوَّل

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفِّي الواعظ أبو إسحاق
إبراهيم بن المظفر [بن إبراهيم] بن البرقي بالموصل في المحرم . والخطيب المفسر نجر

(١) في الأصل : « في سابع شهر شعبان » والنصوب عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب
والذيل على الروضين وما سيذكره المؤلف فيمن ذكر وفاتهم عن الذهبي . (٢) الزيادة عن شذرات
الذهب وتاريخ الدول والملوك وعقد الجمان . (٣) في الأصل : « البرقي » . وفي القصيدة اللاحقة
في التاريخ : « البرقي » وكلاهما تصحيف . والنصوب عن المشبه وشذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك .

- الدين محمد بن الخضر بن محمد [بن الخضر بن علي بن عبد الله^(١)] بن تميمية الحزانى في صفر .
 والملك الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين بسطاط في صفر ، وله سبع وخمسون
 سنة . وأبو الحسن علي بن أبي الكرم [نصر بن المبارك] الجلال بن البناء بمكة في شهر
 ربيع الأول . وعبد المحسن خطيب المتوصل ابن عبد الله بن أحمد الطوسي في شهر ربيع
 الأول . وقاضي القضاة بالقاهرة زين الدين علي بن العلامة يوسف بن عبد الله بن
 بشار الدمشقي . والوزير الكبير صفى الدين عبد الله بن علي الشيباني^(٢) أن شكر بالقاهرة
 في شعبان . ومجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القزويني الصوفي بالموصل
 في شعبان . والناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضى بالله حسن بن المستنجد
 في سلخ شهر رمضان ، وله سبعون سنة ، وكانت خلافته سبعا وأربعين سنة .
 وغفر الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الفارسي الخبزي الصوفي بمصر في ذي الحجة ،
 وله أربع وتسعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع . مبلغ
 الزيادة ست عشرة ذراعا وتسع عشرة إصعا .



- السنة الثامنة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب علي
 مصر ، وهي سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

فيها قدم الشيخ محي الدين بن الجوزي إلى دمشق رسولا إلى الملك المعظم
 عيسى صاحب دمشق ، ومعه الخلع له ولإخوته أولاد العادل من الخليفة الظاهر

- (١) التكلة عن شذرات الذهب وابن خلكان . (٢) الزيادة عن شذرات الذهب .
 (٣) في الأصل : « الشيباني » . والنصوب عن شذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك . (٤) الخبزي :
 نسبة إلى خير ، قرية بشرى عن (لب القباب) . (٥) هو أبو المحاسن يوسف بن أبي الفرج
 عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البكري البغدادي الخبلي أستاذ دار المستعصم بالله ، ولد سنة ثمان وخمسة
 وتوفي سنة ٦٥٦ هـ (راجع ترجمته في شذرات الذهب) .

بامر الله أبى نصر محمد العبّاسى المتولى الخلافة بعد وفاة والده الناصر لدين الله .
[ومضمون رسالته طلب رجوع المعظم عن موالة ابن الخوارزمى] ^(١) .

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى ، قال لى الملك المعظم ، قال خالك :
المصلحة رجوعك عن هذا الخارجى (يعنى جلال الدين [بن] الخوارزمى) وترجع إلى
إخوتك ونصلح بينكم ، قال : فقلت لخالك : إذا رجعتُ عن [ابن] الخوارزمى
وقصدنى إخوانى تُجِدُونى ؟ قال : نعم ؛ فقلت : مالكم عادة تُجِدُون أحدا ! هذه
كتب الخليفة الناصر لدين الله عندنا ، ونحن على دِمَاط نكتب ونستصرخ به ،
ويجىء الجواب بأنا قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا . قال : قلت : مثلى معكم
كمثل رجل كان يخرج إلى الصلاة ويذهه عُكَّاز خوفاً من الكلاب ، فقال له بعض
أصدقائه : أنت شيخ كبير، وهذا العُكَّاز يُثْقِلُك ، وأنا أدلك على شيء يُغْنِيكَ عن
حملة ، قال : وما هو ؟ قال : تقرأ سورة يس عند خروجك من الدار، وما يقربك
كلب ، وأقام مدة فرأى الشيخ حامل العُكَّاز ، فقال له : أما قد علمت ما يُغْنِيكَ
عن حملة ؟ فقال : هذا العُكَّاز لكلب لا يعرف القرآن . وقد آتَفَقَ إخوانى على^(٢) ، وقد
أُنْزِلْتُ [ابن] الخوارزمى على خلاط ، إن قصدنى أخى الأشرف معه ؛ وإن قصدنى
أخى الكامل (يعنى صاحب الترجمة) فأنا له . ثم أصطلح الإخوة بعد ذلك فى السنة .
وفىها تُوُفِّيَ كافور بن عبد الله شَيْبَل الدولة الحُسامى خادِم ست الشام بنت
أيوب . كان عاقلاً ديناً صالحاً ، بنى مدرسته على نهر تَوْرَا بِدَمَشَق لأصحاب
أبى حنيفة — رضى الله عنه — والحنافه إلى جانب مدرسته . وكانت وفاته
بدمشق فى شهر رجب .

(١) الكلمة عن الذيل على الرضين وعقد الجمان . (٢) وقد كان الأشرف بمران .

(٣) الحسامى : نسبة إلى حسام الدين محمد بن عمران لاجين ولد ست الشام كما تقدم فى حوادث

- وفيهما تُوِّفِي الخليفة أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد الهاشمي - العباسي - البغدادي . ولى الخلافة بعد وفاة أبيه في السنة الماضية فلم تَطُل مدته فيها، ووقع له شدايد إلى أن مات في شهر رجب؛ وأمه أم ولد . وكانت خلافته تسعة أشهر وأياما، وكان مولده في المحرم سنة سبعين وخمسمائة^(١)، وكان جميل الصورة أبيض مُشْرَبًا بِجَمْرَةٍ حُلُو الشَّامِل شَدِيدَ الْقُوَى .
- أفضت الخلافة إليه، وله اثنتان وخمسون سنة إلا أشهرًا، فقليل له : ألا تنفسح ؟ فقال : قد فات الزرع ! فقليل له : يبارك الله في عمرك، فقال : مَنْ فَعَح دَكَاةً بَعْدَ الْعَصْرِ إِنْشَ يَكْسِبُ ! . وكان خيرًا عادلا قطع الظُّلُمَاتِ والمَكُوسَ، حتَّى قِيلَ : إِنْ جَمَلَةٌ مَاقَطَعَ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالْمَكُوسِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَتَصَدَّقَ فِي لَيْلَةِ الْعِيدِ بِمِائَةِ آلْفِ دِينَارٍ . وسببه أَنَّهُ لَمَّا ولى الخلافة ولى الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ ١٠ ابن الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجَلِيلِ - الْقُضَاءُ، فَمَاقِلَ عِمَادِ الدِّينِ إِلَّا بِشَرْطِ أَنْ يُورَثَ ذَوَى الْأَرْحَامِ، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَآتِ اللَّهَ وَلَا تُتَّقِ بَسْوَاهُ؛ فَكَلَّمَهُ الْقَاضِي أَيْضًا فِي الْأَوْرَاقِ الَّتِي تُرْفَعُ إِلَى الْخَلِيفَةِ؛ وَهُوَ أَنَّ حُرَّاسَ الدَّرُوبِ كَانَتْ تُرْفَعُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فِي صَبِيحَةِ كُلِّ يَوْمٍ مَا يَكُونُ عَنْدهُمْ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ الصَّالِحَةِ وَالطَّالِحَةِ، فَأَمَرَ الظَّاهِرَ بِتَبْطِيلِ ذَلِكَ، وَقَالَ : أَيْ - فَائِدَةٌ فِي كَشْفِ أَحْوَالِ النَّاسِ ! ١٥
- فَقِيلَ لَهُ : إِنْ تَرَكْتَ ذَلِكَ فَسَدَتْ أَحْوَالُ الرِّعْيَةِ، فَقَالَ : نَحْنُ نَدْعُوهُمْ بِالْإِصْلَاحِ . ثُمَّ أُعْطِيَ الْقَاضِي الْمَذْكُورَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ بَقِيَ بِهَا دِيُونُ مَنْ فِي السَّجُونِ مِنَ الْفُقَرَاءِ، ثُمَّ فُزِقَ بَقِيَّةُ الْمِائَةِ الْآلَافِ الدِّينَارِ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ . وَلَمَّا مَاتَ الظَّاهِرُ نَوَلَى الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ وَلَدَهُ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ .

(١) في شذوات الذهب أنه ولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . (٢) هو عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجليل . وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٣٣ .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى أبو المحاسن محمد بن السيد بن أبي لقمة الأنصارى الصقار في شهر ربيع الأول عن أربع وتسعين سنة. وقاضى الشام جمال الدين يونس بن بدران القرشى المصرى الشافعى في شهر ربيع الأول، ودُفن بقرب الصليحية^(١). وشمس الدين أحمد بن عبد الواحد المقدسى الملقب بالبُخارى الفقيه المناظر في جمادى الآخرة، وله تسع وخمسون سنة. والتقى خَزَعْل^(٢) ابن عسكر المصرى النحوى اللغوى بدمشق. والمحارى الزاهد أبو محمد عبد الرحمن ابن عبد الله بن علوان بجلب في جمادى الآخرة، وله تسعون سنة. والعلامة إمام الدين عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل الرافعى القسزوينى صاحب الشرح. والظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله في رجب، وله ثلاث وخمسون سنة، وكانت خلافته عشرة أشهر. ووبوع بعده أبنته المستنصر.
- ١٠ § أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإصبع واحدة.



- السنة التاسعة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب على مصر، وهى سنة أربع وعشرين وستمائة.
- ١٥ فيها عاد الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل إلى بلاده بعد أن صالح أخاه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل، وكلاهما أخو الملك الكامل هذا.

(١) في شذرات الذهب « الفليجية » . (٢) ضبطه السيوطى في بنية الوعاة (فتح أوله وسكون ثانية وضع ناله) . (٣) كذا في الأصل . وقد ترجمت له جميع المصادر التى تحت أيدينا ولم تذكر هذه النسبة . (٤) هو الشرح الكبير المسمى العزيز ، أو الفتح العزيز في شرح الوجيز وهو شرح مشهور في فروع الشافعية (عن طبقات الشافعية) .

وفيهما حج الناس من الشام الشجاع [على^(١) بن السلار، ومن مياقارين الشهاب غازي ابن الملك العادل .

- وفيهما توفى السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب بن شاذي الأيوبي صاحب الشام . قال أبو المظفر : وفيه توفى الملك المعظم العالم الفقيه المجاهد في سبيل الله الغازي النحوي اللغوي . وُئِدَ بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة، ونشأ بالشام وقرأ القرآن وتفقه على مذهب أبي حنيفة بجمال الدين الحصري^(٢)، وحفظ المسعودي^(٣)، وأعنى «بالجامع الكبير»، وقرأ الأدب [والنحو] على تاج الدين الكندي^(٤)، فأخذ عنه «كتاب سيويه» وشرحه الكبير للسيرافي^(٥)، «والحجة في القراءات» لأبي علي الفارسي^(٦) «والحماسة»، وقرأ عليه «الإيضاح» لأبي علي حفظاً، ثم ذكر مسموعاته في الحديث وغيره إلى أن قال :
 ١٠ وشرح الجامع الكبير، وصنف الرد على الخطيب، والعروض، وله «ديوان شعر» .
 قال : وكان شجاعاً مقداماً كثير الحياء متواضعاً مليح الصورة صحوً غيوراً جواداً حسن السيرة . وأطلق أبو المظفر عنان القلم في ميدان محاسنه حتى إنه ساق ترجمته في عدة أوراق في مرآة الزمان .

- (١) الكلمة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين . (٢) في الأصل : «بفخر الدين الرازي» . وهو خطأ والصحيح عن تاريخ الدول والملوك وشذرات الذهب وتاج التراجم والجواهر المضية في طبقات الحنفية . وهو جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري الحصري شيخ الحنفية في عصره . وسيد كره المؤلف في حوادث سنة ٦٣٦ هـ . (٣) هو الجامع الكبير في الحديث للبخاري . (٤) زيادة عن تاريخ الدول والملوك . (٥) هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسين بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث بن ذي رعين الأصغر الامام تاج الدين أبو اليمن الكندي النحوي ، ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦١٣ هـ . (٦) يريد به كتاب «السهم المصيب في الرد على الخطيب» وهو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ . (عن كشف الظنون وتاريخ الدول والملوك / وقد ذكره المؤلف في حوادث سنة ٤٦٣ هـ .

قلت : ويحق له ذلك ، فإنَّ المعظم كان في غاية ما يكون من الكمال في عِدة علوم وفنون ، وهو رجل بنى أيوب وعالمهم بلا مدافعة ، ومحاسنه أشهر من أن تُذكر . وكانت وفاته — رحمه الله — في ثالث ساعة من نهار الجمعة أول يوم من ذى الحجة ، ودُفِنَ بقلعة دمشق ، ثم نُقِلَ بعد ذلك من قلعة دمشق ودُفِنَ مع والدته في القبة (١) عند الباب . وخلف عِدة أولاد : الملك الناصر داود ، والملك المغيث عبد العزيز ، والملك القاهرة عبد الملك ، ومن البنات تسعا ، وقيل إحدى عشرة . وتولى آبنه الناصر داود دمشق بعده إلى أن أخذها منه عمه الملك الكامل صاحب الترجمة .

وفيهما تُوفى الملك جِنِكِرْخَان التُركي ، طاغية التار وملِكُهُم الأوَّل الذي حَرَب البلاد وأباد العباد ، وليس للتار ذكر قبله .

قلت : هو صاحب « التورا » « واليسق » ، وقد أَوْضَحْنَا أمره في غير هذا الكتاب ، وذكرنا أصله وأعتقاد التار فيه وأشياء كثيرة . والتورا باللغة التركية هو المذهب ، واليسق هو الترتيب ، وأصل كلمة اليسق سى يسا ، وهو لفظ مركَّب من أعجمي وتُركي ، ومعناه : الترتيب الثلاث ، لأن سى بالمعجمي في العدد ثلاثة ، ويسا بالتركي : الترتيب ؛ وعلى هذا مشى التار من يومه إلى يومنا هذا ، وأنتشر ذلك في سائر الممالك حتى ممالك مصر والشام ، وصاروا يقولون : « سى يسا » فنقلت عليهم فقالوا : « سياسة » (٢) على تحاريف أولاد العرب في اللغات الأعجمية . ولمَّا أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أحب أن يسلك في مُلكه بالديار المصرية طريقة جِنِكِرْخَان هذا وأموره ، ففعل ما أمكنه ، ورتب في سلطته

(١) في ابن خلكان : « ثم نقل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير » . (٢) في ابن خلكان وشذرات الذهب : « ودفن خارج باب النصر (أحد أبواب دمشق) في مدرسة شمس الدولة » . (٣) راجع المغريزي (ج ٢ ص ٢٢٠) تحت عنوان : « ذكر أحكام السياسة » فقد أطال الكلام في ذكر شىء من شريعة التار .

أشياء كثيرة؛ لم تكن قبله بديار مصر : مثل ضرب البوقات ، وتجديد الوظائف ، على ما نذكره — إن شاء الله تعالى — في ترجمته . وأستمر أولاد جَنْكِرْخَان في ممالكه التي قسمها عليهم في حياته ، ولم يختلف منهم واحد على واحد ، ومَشَوْا على ما أوصاهم به ، وعلى طريقته «التورا» و «اليسق» إلى يومنا هذا . انتهى .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى داود بن مُعَمَّر بن عبد الواحد بن الفاهر القرشي في رجب أو في شعبان ، وله تسعون سنة . وطاغية التتار جَنْكِرْخَان في شهر رمضان . وقاضي القضاة بجزان أبو بكر عبد الله بن نصر الحنبلي ، وله خمس وسبعون سنة . وأبو محمد عبد البر^(١) ابن الحافظ ابن العلاء الهمداني^(٢) برؤدرأور في شعبان . والبهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي الحنبلي الفقيه المحدث في ذى الحجة ، وله تسع وستون سنة . والملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل في ذى القعدة ، وله ثمان وأربعون سنة . وأبو الفرج الفتح بن عبد الله^(٣) [بن محمد آين علي بن هبة الله] بن عبد السلام الكاتب في المحرم ، وله سبع وثمانون سنة .
- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع أذرع وأثنتا عشرة إصبعا . هكذا وجدته مكتوبا ، ولعلّه وهم من الكاتب .

١٥



السنة العاشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على

مصر ، وهي سنة خمس وعشرين وستمائة .

- (١) في شذرات الذهب : « عبدالله ابن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني » .
 (٢) روضاورد : كورة قرب نهاوند من أعمال الجبال ، وهي مسيرة ثلاثة فراعص ، فيها ثلاث وتسعون قرية (عن معجم البلدان لياقوت) .
 (٣) التكلة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .
 (٤) في كنز الدرر ودرر النجاة : « مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وعشر أصابع »

٢٠

فيما نزل جلال الدين بن خوارزم شاه على خلاط مرة ثانية، وهجم عليه الشتاء فرحل عنها إلى أذربيجان، ونخرج الحاجب على من خلاط بالعسكر، فاستولى على خوى وساماس وتلك النواحي، وأخذ خزانين جلال الدين المذكور وعاد إلى خلاط، فقبل له : بئس ما فعلت ! وهذا يكون سببا لهلاك العباد والبلاد، فلم يلتفت .

وفيها كان فراغ مدرسة ركن الدين الفلكي بقاسيون دمشق .

وفيها توفى عبد الرحيم بن علي بن إسحاق سبط القاضي جمال الدين القرشي . كان إماما عالما فاضلا غزير المروءة كثير الإحسان شاعرا مترسلا، وكانت وفاته بدمشق في سابع المحرم . ومن شعره قوله في مليح بالحمام :

تجترد للحماء عن قشر لؤلؤ * وألبس من ثوب المحاسن ملبوسا
وقد زين موسى لترين رأسه * فقلت لقد أوتيت سؤلوك ياموسي

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو المعالي أحمد ابن الخضر بن هبة الله بن طائوس الصوفي في رمضان . والمحدث محب الدين أحمد ابن تميم اللبلي . وأبو منصور أحمد بن يحيى بن البراج الصوفي الوكيل في المحرم . والعلامة أبو القاسم أحمد بن يزيد القرطبي آخر من روى بالإجازة عن شريح

- ١٥ (١) هو حسام الدين علي بن حماد المتولي لبلاد خلاط والحاكم فيها من قبل الأسرف . (عن ابن الأنير) .
(٢) في الأصل غير واضح . وما أثبتناه عن معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبي القدا إسماعيل وخوى : بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والقواكه ، تنسب إليها الثياب الخوية ، وبسبب اليها كثير من العلماء . (٣) في الأصل : « سلمان » والتصحيح عن مرآة الزمان . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٥٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في الأصل : « مجد الدين » .
٢٠ والتصحيح عن شذرات الذهب والذيل على الرضتين ومعجم البلدان لياقوت . (٥) اللي : نسبة إلى لبله ، كورة بالأندلس كبيرة ، يتصل عملها بعمل أكشونية وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية خمسة أيام (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) كذا في الأصل والقصيدة الالامية في التاريخ . وفي شذرات الذهب : « البراج » بالخاء المهملة .

- في رمضان . وأبو علي الحسن بن إسحاق بن موهوب بن [أحمد ^(١)] الجَوَالِيْقَ في شعبان ، وله إحدى وثمانون سنة . ونَفِيس الدين الحسن بن علي [بن أبي القاسم الحسين] بن الحسن بن البُنِّ الأَسَدِيّ في شعبان ، وله ثمانين وثمانون سنة . والرئيس المنشي جمال الدين عبد الرحيم بن علي ^(٢) بن إسحاق بن شِيث القرشي القرضي يدمشق في المحرم ، وكان كاتب المعظم . وأبو منصور محمد بن عبد الله بن المبارك البَنْدَجِيّ .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وتسع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع .



- ١٠ السنة الحادية عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر ، وهي سنة ست وعشرين وستمائة .

فيها أعطى الملك الكامل صاحب الترجمة بيت المقدس لملك الفرنج الأبرور ^(١) .

وفيها خرج الملك الكامل في صفر من مصر ، ونزل تل العجول ، وكان الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى صاحب دمشق كاتب عمه الملك الأشرف

- ١٥ موسى بالحضور إلى دمشق ، فوصل إليها ونزل بالتيّرب ^(٢) ، وكان عمر الدين أَيْبَك قد أشار على الملك الناصر داود بمداواة عمه الملك الكامل محمد صاحب مصر

(١) الزيادة عن المختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب . (٢) تكله عن شذرات الذهب .

(٣) في الأصل : « على بن الحسين » . وما أثبتناه مما تقدم ذكره للزلف وعقد الجمان وشذرات الذهب . وفي الدليل على الروضتين : « عبد الرحيم بن علي بن شِيث بن إسحاق » . (٤) في الأصل :

- ٢٠ « الأبرور » . وفي عقد الجمان : « الأبرور » . وفي تاريخ ابن الوردي : « الانبراطور » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وشذرات الذهب والدليل على الروضتين وابن الأثير . (٥) كذا ورد في الأصل

وان الأبرور ومرآة الزمان وعقد الجمان . وقد بحثنا عنه كثيرا في المعاجم التي تحت أيدينا فلم نوفق إلى معرفته .

(٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

خالفه ؛ وقال الناصر لعَمّه الأشرف في قتال عمّه الكامل ، فلم يلتفت الأشرف إلى كلامه ؛ وأجتمع الأشرف مع أخيه الملك الكامل وأنفقا على حصار دمشق .
 ووصلت الأخبار بتسليم القدس إلى الأنبرور ، فقامت قيامة الناس لذلك ووقع أمور ، وتسلم الأنبرور القدس ؛ والكامل والأشرف على حصار دمشق ، فلم يُقَمَّ الأنبرور بالقدس سوى ليلتين ، وعاد إلى يافا بعد أن أحسن إلى أهل القدس ، ولم يُغَيِّرْ من شعائر الإسلام شيئا .

وفيها سَلِمَ الملك الناصر داود إلى عمّه الملك الكامل دمشق وعوضه عمّه الكامل الشُّوبَك ، وذلك في شهر ربيع الآخر من السنة .

وفيها توفي أَضْيَيْس المعروف بأقسيس المنعوت بالملك المسعود بن الملك الكامل صاحب الترجمة ، مَرِضَ بعد خروجه من اليمن مرضاً مزمناً ، ومات بمكة ودفن بالمعلّى في حياة والده الملك الكامل ، وكان معه من الأموال شيء كثير . وكان ظالماً جباراً سفاكاً للدماء قَتَلَ باليمن خلّاق لا تدخل تحت حصره ، وأستولى على أموالهم . وكان أبوه الملك الكامل يكرهه ويخافه . ودام باليمن حتى سمع بموت عمّه الملك المعظم عيسى ، فخرج من اليمن بطمع دمشق ، فمرض ومات . فلما سمع أبوه الملك الكامل بموته سَرَّ بذلك ، وأستولى على جميع أمواله .

وفيها تُوُفِيَ الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى الشيخ الإمام أبو القاسم الدمشقيّ التَّغَلَبِيّ . سمِعَ الحافظ ابن عساكر وغيره ، وروى الكثير ، وكان صالحاً ثقة — رحمه الله — .

(١) عبارة مرآة الزمان : « وقال الأشرف للناصر : أنا أمضى إلى الكامل وأصلح حالك معه ومضى

إليه فوجده قد دفع القدس إلى الأنبرور » .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى أبو القاسم [الحسن]^(١)
ابن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى في المحرم، وقد قارب التسعين . وتوفيت
أمة الله بنت أحمد بن عبد الله بن عليّ الآبُوسى . وأبو الحسن محمد بن محمد بن
أبي حرب الترسى الشاعر . والمهذب بن عليّ بن قنيدة^(٢) أبو نصر الأزجى . والملك
المسمود أقيس صاحب اليمن ابن الملك الكامل في جمادى الآخرة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع . مبلغ
الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعاً .



السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن
أيوب على مصر، وهى سنة سبع وعشرين وستمائة .

فيها أخذ السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه مدينة خلّاط بعد حصار طويل
أقام عليها عشرة أشهر، ولما بلغ صاحبها الملك الأشرف ذلك استنجد بملك الروم
وغیره من الملوك، وواقع جلال الدين الخوارزمى المذكور وكسره بعد أمور، وقتل
معظم عسكره، وأمتلأت الجبال والأودية منهم، وشيعت الوحوش والطيور من
رِمهم، وعظم الملك الأشرف في النفوس .

وفيها توفى الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشيخ أبو البركات زين
الأمناء المعروف بابن عساكر في ليلة الجمعة سابع عشر صفر، ودُفن عند أخيه نحر
الدين، وكان فاضلاً محدثاً، سَمِعَ الكثير وروى تاريخ الحافظ ابن عساكر .

(١) النكلة عما تقدم ذكره للؤلّف وشذرات الذهب . (٢) في الأصل : « ابن عبدة »
والتصويب عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي . (٣) راجع
تفصيل هذه الواقعة في مرآة الزمان وعقد الجمان فقد تبسطا فيها . (٤) هو عبد الرحمن بن محمد
ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الامام الملقب . وقد ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٢٠هـ .

وفيه توفى فتیان بن علی بن فتیان الأسدي الحریمی المعروف بالشاغوري المعلم الشاعر المشهور ، كان فاضلا شاعرا خدّم الملوك ومدحهم وعلم أولادهم ، وله ديوان شعر مشهور . قال الإسردي^(٢١) : إنه مات في هذه السنة . وقال ابن خلكان : إنه توفى سحر الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة وستمائة بالشاغور^(٢٢) ، ودُفن [بمقابر] الباب الصغير ، وقول ابن خلكان هو الأرجح . انتهى . ومن شعر الشاغوري في مدح أرض الزبداني^(٢٣) من دمشق :

قد أجمد التمر كانوا بكل قدح * وأخذ الجمر في الكانون حين قدح
يا جنة الزبداني أنت مسفرة * بحسن وجه إذا وجه الزمان كلح
فالتلج قطن عليه السحب تندفه * والجو يحلجه والقوس قوس قزح

وله وقد دخل الحمام وماؤها شديد الحرارة ، وكان قد شاخ ، فقال :

أرى ماء حمامكم كالحميم * نكابد منه عناء وبؤسا
وعهدي بكم تسمطون الجداء * فما بالكم تسمطون الثيوسا
ومثل هذا قول بعضهم :

حمامكم هذه حمام * وقودها الناس والمجارة
أعجب شيء رأيت فيها * طهورها ينقض الطهارة
ومن أحسن لغز سمعناه في الحمام :

(١) في ابن خلكان : « الخنف » . (٢) هو أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن هبة بن رحمة الحنبلي المحدث خطيب بيت ليا . وسيد كره المؤلف في حوادث سنة ٦٣٩ هـ . (٣) وافق ابن خلكان في ذلك صاحب شذرات الذهب والقصيدة اللامية في التاريخ . وقد نقل المؤلف في سنة ٦١٥ وفاة عن الذهبي . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢٦ من هذا الجزء . (٥) زيادة عن ابن خلكان . (٦) الزبداني : قرية بين دمشق وبعلبك كثيرة الأشجار والمياه .

وما ليلٌ يخالطه نهَارٌ * وأقارَ تصدُّ عن الشموِسِ
وأنهَارٌ على النَّيرانِ تجرى * وأسلحةٌ تُسلُّ على الروسِ

- الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى زين الأمانة الحسن
ابن محمد بن الحسن بن عساكر في صفر ، وله ثلاث وثمانون سنة . والشرف راجح
ابن إسماعيل الحليّ الشاعر . وعبد الرحمن بن عتيق [بن عبد العزيز ^(١)] بن صيلا
المؤدّب . وعبد السلام بن عبد الرحمن [ابن الأمين ^(٢)] على [بن علي ^(٣)] بن سُكينة .
وأبو المعالي محمد [بن أحمد ^(٢)] بن صالح الحنبليّ ببغداد . ونفر الدين محمد بن
عبد الوهاب الأنصاريّ يوم عيد الأضحى .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ذراعان سواء . مبلغ الزيادة
ست عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن
أيوب على مصر، وهي سنة ثمان وعشرين وستمائة .

- فيها ساق التتار خلف السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه بعد أن واقفهم
عدّة وقائع من بلاد تبريز، فأنهزم بين أيديهم إلى ديار بكر، فقتل في قرية من
أعمال ميافارقين .

وفيها توفى بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، الملك الأحمدي صاحب
بعلبك . كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أعطاه بعلبك عند وفاة أبيه

(١) في الأصل : « ابن عتيق بن صلايا » . والزيادة والتصحيح عن شذرات الذهب والقصيدة اللامية
في التاريخ . (٢) الكلمة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، فأقام فيها خمسين سنة حتى حصره الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب وأخرجه منها، وساعده عليه ابن عمه أسد الدين شيركوه صاحب جنص، فانتقل الملك الأحمدي إلى الشام وسكنها حتى قتله بعض مماليكه غيلة، وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً كاتباً، وله ديوان شعر كبير. ومن شعره «دويبت» :

كم يذهب هذا العمر في الحُسران * يا غفلى فيه وما أنساني
ضَيَعَت زماني كُلَّهُ في لَعِبٍ * يا عمرُ فهل بعدك عمرُ ثانٍ
قلت : وما أحسن قولَ قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر — رحمه الله —
في هذا المعنى، وهو مما أنشدني من لفظه لنفسه — عفا الله عنه — :
خليلٍ وليّ العمر منا ولم تُنَبِّ * وننوي فعلاً الصالحاتِ وَلَكِنَّا
لَحِقَ متى تُنَبِّئِي بُيُوتنا مِسِيْدَةً * وأعمارنا منا تُهَدِّدُ وما تُنَبِّئِي
وما ألطف قولَ السَّراجِ الوَرّاقِ (١) — رحمه الله — وهو قريب مما نحن فيه :
يا تَجَلَّيْ وصحائفي سُوداً غَدَتْ * وصحائفُ الأبرارِ في إشرَاقِ
وفضيجتي لمُعْنِفٍ لِي قَائِلٍ * أكْذا تكون صحائفُ الورّاقِ (٢)

وفيها قُتِلَ السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه، وأسمه تكش، وقيل محمود ابن السلطان علاء الدين خوارزم شاه، وأسمه محمد بن تكش، وهو من نسل

(١) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو الفضل النعماني بن حجر الكافي المصقلاني. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٢ هـ. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. وسيذكر المؤلف أيضاً في حوادث سنة ٦٩٥ هـ. (٣) هذه رواية نوات الوفيات. وفي الأصل :

* وتوفى لمؤنح لي قائل *

(٤) في عقد الجمان وشذرات الذهب أنه يسمى : « منكبرى ». وقال صاحب مرآة الزمان إنهم

اختلفوا في اسمه .

- عبد الله بن طاهر بن الحسين، وجده تُكش هو الذي أزال ملك السَّجُوقِيَّة . قُتِلَ بديار بكر، كما ذكرناه في أول هذه السنة . ولما قُتِلَ دخل جماعةٌ على الملك الأشرف موسى فهتئوه بموته ، فقال : تهنؤني به وفرحون ! سوف ترون غيبه ! والله لتكونن هذه الكُسرَةُ سبباً لدخول التتار إلى بلاد الإسلام ، ما كان الخُوَارَزْمِيّ إلا مثل [السَّدَّ^(١)] الذي بيننا وبين ياجُوجَ ومَاجُوجَ ؛ فكان كما قال الأشرف . كان الخُوَارَزْمِيّ •
- يقاتل التتار عشرة أيامٍ ليلايلها بعساكره، يترجلون عن خيولهم ويلتقون بالسيوف ، ويبقى الرجل منهم يأكل ويبول وهو يقاتل .

وفيها توفى المهذب بن الدُّخُور الطيب ، كان فاضلاً حاذقاً يعلم الطبَّ أستاذ عصره ، تقدّم على جميع أطباء زمانه ، ومع هذا مات بسة أمراض مختلفة، ووقف داره وكتبه على الأطباء .

- الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو نصر أحمد بن الحسين بن عبد الله بن التُّرْسِيّ البَيْع في رجب ، وله ثلاث وثمانون سنة . والملك الأحمَد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك . ومحمد بن عمر بن حسين المقرئ الكُرْدِيّ يَدْمَشْق . والمهذب عبد الرحيم بن عليّ رئيس الطبّ ، ويعرف بالدُّخُور في صفر . وأبو الفضل عبد السلام بن عبد الله الدَاهِرِيّ الخَفَاف في شهر ربيع الأول عن ثنتين وثمانين سنة . وأبو الرضا محمد بن أبي الفتح المبارك [ابن عبد الرحمن^(٤)] ابن عَصِيَّة الحرّبيّ في المحرم ، وله ثلاث وثمانون سنة .

(١) زيادة عن مرآة الزمان . (٢) في الأصل : « ابن الحسن » . وما أثبتناه عن

غاية النهاية . (٣) في الأصل : « الزامري » . وهو تصحيف . والتصويب عن المشتبه

وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . والداهري : نسبة إلى الداهرية ، قرية بينفاد .

(٤) الكلمة عن المنتبه وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

والعلامة زين الدين يحيى بن عبد المعطى بن عبيد النور الزاوى النحوى^(١) فى ذى القعدة بمصر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراع واحدة ونصف إصبع .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا سواء .



السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب على مصر، وهى سنة تسع وعشرين وستمائة .

ففى عاد التّار إلى الجزيرة وحرّان وقتلوا وأسروا وسبّوا ، وخرج الملك الكامل صاحب الترجمة من مصر إلى أن وصل إلى ديار بكر واجتمع مع أخيه الأشرف موسى ، واجتمعوا على دفع التّار ، وكان أهل حرّان قد خرجوا لقتال التّار ، فما رجع منهم إلّا القليل . وعاد التّار إلى بلادهم بعد أمور صدّرت منهم فى حقّ المسلمين . فلما بلغ الكامل عودُ التّار نزل على مدينة آمد ومعه أخوه الأشرف ، وحاصرها حتّى استولى عليها وعلى عِدّة قلاع .

وفىها توفى إسماعيل بن إبراهيم الشيخ شرف الدين الفقيه الحنفى وهو أبّن خالة شمس الدين ابن الشّيرازى . كان فقيها فاضلا زاهدا عابدا ورعا وله تصانيف حسان ، منها «مقدمة فى الفرائض» ، وكان بعث إليه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق يقول : أفّت بإباحة الأنثى ، وما يعمل من ماء الرمان ونحوه ، فقال : لا أفتح هذا الباب على أبى حنيفة ! لئنما هى رواية النوادر ، وقد صحّ عن أبى حنيفة أنّه

(١) هو ابن معطى النحوى المشهور صاحب الألفية التى أشار إليها ابن مالك . كان إماما مبرزاً فى العربية شاعرا محسنا . والزاوى (بالفتح) نسبة إلى زواوة : قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال إفريقية .

ما شربه قط، وحديث ابن مسعود لا يصح، وكذا ما يُروى عن^(١) عمر في إباحة شربه لا يثبت عنه . فعَضِبَ المعظم وأخرجه من مدرسة طَرخان .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو القاسم أحمد بن أحمد بن السَّمْدِي^(٢) الكاتب . والحافظ أبو موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي في رمضان، وله ثمان وأربعون سنة . وعبد اللطيف بن عبد الوهاب بن الطبري في شعبان . والعلامة موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف ابن محمد البغدادي النحوي الطيب في المحرم عن اثنتين وسبعين سنة . والزاهد الشيخ عمر بن عبد الملك الدينوري بقايسون . وأبو حفص عمر بن كرم بن أبي الحسن الدينوري الحمّامي في رجب، وله تسعون سنة . وأبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى المقرئ بالإسكندرية . والحافظ معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغنى بن نُقْطَةَ الحنبلي في صفر كهلاً .



§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وثمانى أصابع .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



١٥

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة ثلاثين وستمائة .

فيها فتح الملك الكامل محمد صاحب الترجمة آمد، وأخرج منها صاحبها الملك المسعود بن مودود بعد حصار طويل ؛ وتسلم منه جميع القلاع التي كانت يده ،

(١) في الأصل : « وكذا ما يروى عن محمد » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٢) السمدى : نسبة الى السمذ ، وهو الخبز الأبيض الذى يعدل للفواص .

وبقي حصن كَيْفًا عاصياً ؛ فبعث الكامل أخاه الأشرف ، وأخاه شهاب الدين غازيا ، ومعهما صاحب آيد تحت الحوطة ؛ فسألهم صاحب آيد في تسليم الحصن فلم يُسلموا البلد ، فعذبه الأشرف عذابا عظيما ، وكان ينفذه ؛ ولا زال الأشرف يحاصر حصن كَيْفًا حتى تسلمها بعد أمور في صفر من السنة ، ووجد عند مسعود المذكور خمسائه بنت من بنات الناس للفراش .

وفيها فتحت دار الحديث الأشرفية المجاورة لقلعة دمشق التي بناها الملك الأشرف موسى ، وأمل بها ابنُ الصلاح الحديث ، وذلك في ليلة النصف من شعبان ، ووقف عليها الأشرف الأوقاف ، وجعل بها نعل النبي صلى الله عليه وسلم . وفيها توفى الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر ، وزيرُ الملك العادل ؛ وأصله من الدميرة ، وهي قرية بالوجه البحري من أعمال مصر . وكان صفي الدين المذكور وزيراً مهيباً عالماً فاضلاً له معرفة بقوانين الوزارة ، وكانت عنايته مصروفة إلى العلماء والفقهاء والادباء ، وكان مالكي المذهب . ومات بالقاهرة وهو على حرمة ، وله بالقاهرة مدرسة معروفة به .^(١)

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الكندي الشهرزوري الشافعي نفي الدين المعروف بابن الصلاح . وسب ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٤٣ هـ .

(٢) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٢٢ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي ، وقد وافق الذهبي في ذلك صاحب عقد الجمان والذيل على الروضتين وشذرات الذهب . وخالف هؤلاء صاحب مرآة الزمان فذكر وفاته في هذه السنة ووافقه المؤلف . (٣) وهي الآن إحدى قرى مركز طابا بمديرية الغربية .

(٤) وردت هذه المدرسة في الجزء الثاني ص ٣٧١ من المخطط المقرئية باسم المدرسة صاحبة بالقاهرة ، كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس ومن جملة دار الدياج . أنشأها الوزير صاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر الدميري في سنة ٦١٨ هـ وجعلها وقفا على المالكية . ثم جدها القاضي علم الدين إبراهيم بن عبد اللطيف بن إبراهيم المسروق بابن الزبير ناظر الدولة في سنة ٦٥٨ هـ ، وأقام فيها منبرا فصار يصل بها الجمعة . ويستفاد مما ذكره السخاوي في تحفة الأحباب ص ١٨ أن المدرسة صاحبة كانت واقعة بين المدرسة الزمامية (جامع الداودي) وبين =

وفيهما توفى الملك العزيز عثمان ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب أخو الملك الكامل هذا، وكان شقيق المعظم عيسى، وهو صاحب بانياس وتبين^(١) والحصون، وهو الذي بنى الصبية^(٢)، ودام مالكا لهذه القلاع إلى أن مات في يوم الاثنين عاشر شهر رمضان بستانه بيت لهما^(٣)، وحمل تابوته فدفن بقاسيون عند أخيه الملك المعظم عيسى، وقد تقدم أنه كان شقيقه .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى بهاء الدين إبراهيم ابن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي الشافعي في المحرم، ولي قضاء المعرة خمسة أعوام . وأبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الأزجي بالقُدُس في صفر . وأبو محمد الحسن ابن الأمير السيد علي بن المرتضى العلوي الحسيني في شعبان . وصفي^(٤) الدين أبو بكر عبد العزيز بن أحمد [بن عمر بن سالم بن محمد] بن باقا الناجري رمضان، وله خمس وسبعون سنة . وصاحب الصبية الملك العزيز عثمان بن العادل — رحمه الله — والعلامة عز الدين أبو الحسن علي بن الأمير بن محمد بن محمد بن عبد الكريم

- = المدرسة الفخرية (جامع أبو سعيد جعفر) . والظاهر أن هذه المدرسة قد اندثرت واستولى على أرضها أصحاب الدور المجاورة لها ولم يبق من آثارها إلا بعض جدران قبة قديمة لها موضع القبة التي دفن تحتها الوزير يعقوب بن كلس حيث ذكر المقرئ في ترجمة هذا الوزير بالجزء الثاني ص ٥ من خطه عند الكلام على حارة الوزيرية أن موضع قبر هذا الوزير بالمدرسة صاحبة . ويشغل مكان هذه المدرسة اليوم منزلان متجاوران البحري منهما وقف الشيخ محمد ونس الفق رقم ٨ بشارع الوزير صاحب (المسمى خطأ باسم السلطان صاحب) وهذا الشارع هو الذي كان يعرف قديما باسم سوقة صاحب وكان فيه باب المدرسة ، والقيل بينهما هو منزل ورة محمد أفندي على حلاوة رقم ٤ بزاقي سعادة بطفلة الست مريم بشارع درب سعادة وفي داخل هذا المنزل توجد بقايا القبة السابق ذكرها . (١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) الصبية : اسم قلعة بانياس ، وهي من الحصون المنيع . (٣) بيت لهما : قرية مشهورة بفوطه دمشق . (٤) في الأصل : « أبو بكر بن عبد العزيز » وهو خطأ . والتصويب عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . (٥) التكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

الشَّيْبَانِيَّ الْحَزْرِيَّ المؤرِّخ في شعبان ، وقد قارب ستاً وسبعين سنة . وصاحب
إِرْبِيلَ مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكُورِيَّ ^(٣) أَبْنِ صاحب إِرْبِيلَ أَيْضاً زَيْنُ الدِّينِ عَلِيٌّ ^(٢) بَنُ بَكْتِكِينَ
الْتُرْكُمَانِيَّ في رمضان . والوزير مؤيد الدين محمد بن محمد بن القمي ببغداد . وشرف
الدين محمد بن نصر الله بن مكارم الدمشقي الشاعر الكاتب في شهر ربيع الأول .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ
الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وست أصابع ، وطال مكثه على الأراضى . والله أعلم .



السنة السادسة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن
أيوب على مصر، وهي سنة إحدى وثلاثين وستائة .

فيها اجتمع الملك الكامل صاحب الترجمة وإخوته وأسد الدين شيركوه
صاحب حمص ، وساروا ليدخلوا بلاد الروم من عند النهر الأزرق ، فوجدوا الروم
قد حفظوا الدربند ، ووقفوا على رءوس الجبال وسدوا الطرق ، فأمتنعت العساكر
من الدخول ؛ وكان الملك الأشرف صاحب دمشق يومئذ ضيق الصدر من أخيه
الملك الكامل هذا ، لأنه طلب منه الرقة فامتنع ؛ وقال له : ما يكفيك كرسي
بنى أمية ! فأجتمع أسد الدين شيركوه صاحب حمص بالأشرف وقال له : إن

(١) في الأصل : « وقد قارب أربعين سنة » وهو خطأ . والتصويب عن وفيات الأعيان وشذرات
الذهب وعقد الجمان . (٢) واجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٧٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٣) في الأصل هنا : « نور الدين » . والصحيح عما تقدم ذكره للؤلؤ ص ٣٣٠ ج ٥
وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢١٦ من هذا الجزء .

(٥) هو المعروف بابن عنين الشاعر المشهور الذي تقدم ذكره في ترجمة صلاح الدين .
(٦) النهر الأزرق : نهر بالفرجين بهسنا وحسن منصور في طرف بلاد الروم من جهة حلب (عن معجم
البلدان لياقوت) .

حَكَّم الكامل على الروم أخذ جميع ما بأيدينا فوق القاعد ، فلمَّا رأى الكامل ذلك عَبرَ القرات ونزل السَّوِيْدَاءَ ، وجاءه صاحب خَزَائِرَتِ^(١) ، وهو من بنى أَرْتُقْ ، وقال له : عندنا طريق سهلة تدخل منها إلى الروم . فخهر الملك الكامل بين يديه ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأبن أخيه الملك الناصر داود بن المعظَّم ، والخدام صوابا ، بغاءتهم عساكر الروم ؛ وكان الناصر تأخروا تقدَّم صواب في خمسة آلاف فارس ، ومعه الملك المظفَّر صاحب حَمَاة ، وقاتلوا الروم وأنهمزوا ؛ فعاد الملك الكامل إلى آمِد . وكان أسير صواب وجماعة من الأمراء فأطلقهم الروم بعد أن أحسنوا إليهم .

وفيها قدِم رسول الأنبرور الفرنجى على الملك الكامل بهدايا فيها دُبُّ أبيض ، وشعره مثل شعر السَّبع ، ينزل البحر فيصعد بالسَّمَك فيأكله ومعه أيضا طاوس .
أيض .

وفيها تُوِّفَ الشيخ العارف المُسلِّك الزاهد شهاب الدين أبو حفص - وقيل أبو عبد الله - عمر بن محمد بن عبد الله بن [محمد بن عبد الله] بن عمَّويه القرشى التَّيْمِيّ البَكْرِيّ السُّهْرَوْرْدِيّ الصُّوفِيّ . وذكر الذهبي وفاته في سنة أثنَين وثلاثين وهو الأشهر . قلت : ومولده في شهر رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بِسُهْرَوْرْدَ ، وقَدِم بغداد وهو أُمَرْد ، فصحب عمه الشيخ أبا النَّجيب عبد القاهر وأخذ عنه التَّصَوُّفَ والوعظ

(١) السويدة: بلدة مشهورة في ديار مصر قرب حران بينها وبين بلاد الروم (عن معجم البلدان لياقوت).

(٢) خزيرت : اسم أرمني ، وهو الحصن المعروف بمحصن ز ياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما القرات (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) في عقد الجمان : « إلى الملك الأشرف » . (٤) التكلة عن طبقات الشافعية .

(٥) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٣ هـ . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٨٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وصحب أيضا الشيخ عبد القادر الحلي^(١)، وسمع الحديث من عمه المذكور وغيره، وروى عنه البرزالي وجماعة كثيرة؛ وكان له في الطريقة قدم ثابتة ولسان ناطق، وولي عدة رُبط للصوفية، ونفذه الخليفة إلى عدة جهات رسولا؛ وكان فقيها عالما واعظا مُقتنًا مصنفًا، وهو صاحب النصانيف المشهورة، وأشتهر اسمه وقُصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة فتابوا، ووصل به خلق إلى الله تعالى، وكُف بصره قبل موته .

قال أبو المظفر سبط بن الجوزي : رأيت في سنة تسعين وخمسمائة يعظ برباط درب المقير على منبرطين، وعلى رأسه مئزر صوف؛ قال : وصنف كتابا للصوفية وسمّاه «عوارف المعارف» . قال : وجلس يوما ببغداد وذكر أحوال القوم وأنشد — رحمه الله تعالى وعفا عنه — :

ما في الصحاب أخو وجد نظارحه * حديث تجيد ولا صب تجاريه
وجعل يردد البيت ويطرّب، فصاح به شاب من أطراف المجلس، وعليه قباء وكُوتة^(٢) وقال : يا شيخ، لم تشطع وتنقص القوم ! والله إن فيهم من لا يرضى أن يجاريك، ولا يصل فهمك إلى ما يقول، هلا أنشدت :

ما في الصحاب وقد سارت محولهم * إلا محب له في الركب محبوب
كأنه يوسف في كل راحلة * والحي في كل بيت منه يعقوب !

- (١) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦١ هـ . (٢) البرزالي، هوزكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الاشيلي . توفي سنة ٦٣٦ هـ . (عن شذرات الذهب وطبقات الحفاظ) . والبرزالي (بكر الباء الموحدة) : نسبة إلى برزالة، قبيلة من البربر . (عن شرح القاموس) .
(٣) كذا في الأصل : وفي مرآة الزمان : « درب المقبرة » .
(٤) الكلوة : نوع من لباس الرأس، فارسي .

فصاح الشيخ ونزل من على المنبر وقصده فلم يجدّه، ووجد موضعه حفرة بها دمّ
مما خَصَّ برجلية عند إنشاد الشيخ البيت . انتهى كلام أبي المظفر باختصار .

وفيهما توفى الشيخ طي^(١) المصري معويد الشيخ محمد الفزاري، قدم الشام وأقام
مدة بزاويته، وكان يَفْشاه الأكابر، وأنتفع بصحبته جماعة، وكان زاهدا عابدا،
ودُفِن بزاويته بدمشق .

وفيهما توفى الشيخ عبد الله الارمني الزاهد العابد الوري، كان رحّالا سافر
إلى البلاد ولقي الأبدال وأخذ عنهم، وكان له مجاهدات ورياضات وعبادات
وسياحات، وكان في بداية أمره لا يأوي إلا البراري القفار ويتناول المباحات؛
قرأ القرآن وكتاب التذوُّرى في الفقه، وصحب رجالا من الأولياء، وكان معدوداً من
فقهاء الحنفية؛ وله حكايات ومناقب كثيرة . ومات في يوم الجمعة تاسع عشرين
١٠ ذى القعدة، ودُفِن بسفح قلبيون، وقد جاوز سبعين سنة .

وفيهما توفى العلامة سيف الدين عليّ بن أبي عليّ بن محمد بن سالم المعروف
بالسيف الأيمى، كان إماماً بارعاً لم يكن في زمانه من يُجاريه في علم الكلام .
قال أبو المظفر : وكان يُرمى بأشياء ظاهرها أنّه كان بريئاً منها، لأنّه كان سريع
الدّعة، رقيق القلب سليم الصدر، وكان مقيماً بحماة وسكن دمشق، وكان بنو العادل :
١٥ المعظم والأشرف والسكامل يكرهونه لما أشتهر عنه من الاشتغال بالمنطق وعلوم
الأوائل . ثم قال أبو المظفر بعد كلام آخر : وأقام السيف خاملاً في بيته إلى أن توفى
في صفر، ودُفِن بقاسيون في تربته .

(١) في الأصل : « الشيخ على المصري مرید الشيخ محمد القرواني » . وما أثبتناه من مرآة الزمان

وعقد الجمان .

وفيهما توفى كريم الدين الخَلَّاطِيّ الأمير، كان أديبا لطيفاً حسن اللقاء ذا مروءة
خدم الأشرف والمعظم والكامل، وجمع بالناس أميراً من الشام، وتوفى بدمشق ودُفِنَ
بقايسون عند مقبرة الجوع .

وفيهما توفى الصلاح الإربلي^(١)، كان أديبا فاضلاً شاعراً، خدم مظفر الدين
صاحب إربل، ثم انتقل إلى خدمة الملك المغيث بن العادل، ثم خدم الكامل
وتقدم في دولته وصار نديمه، ثم سخط عليه، لأنه بعثه رسولاً إلى أخيه المعظم
فقتل عنه أن المعظم آسماه، فحبسه الكامل في الحب مدة سنتين، ثم رضى عنه
وأخرجه . ومن شعره من قصيدة :

من يوم فراقنا على التحقيق * هذى كبدي أحق بالتمزيق

لودام لنا الوصال ألفى سنة * ما كان يقي بساعة التفريق

الذين ذكر الذهب وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى إسماعيل بن علي بن إسماعيل
ابن ماتكين الجوهرى في ذى القعدة، وله ثمانون سنة . ونجم الدين ثابت بن بادان^(٣)
التفليسى الصوفى شيخ الأسدية . وسراج الدين الحسين بن أبى بكر المبارك بن محمد
الزبيدى الحنبلى في صفر، وله خمس وثمانون سنة . وزكريا بن^(٤) علي بن حسان
الغائب في شهر ربيع الأول . والخادم طغريل أتابك الملك العزيز ومدبر دولته .
والشيخ القدوة عبد الله بن يونس الأرميني . والسيف الأمدى علي بن أبى علي بن
محمد بن سالم القلبي في صفر، وله ثمانون سنة . والمحدث أبو رشيد محمد بن أبى بكر

(١) هو صلاح الدين أبو العباس أحمد بن عبد البديع بن شعبان الإربلى (عن شذرات الذهب
وآين خلكان) . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من هذا الجزء .

(٣) في الدليل على الروضتين : « ابن باوان » بالواو بدل الدال .

(٤) هو الملك العزيز بن الظاهر غازي ابن صلاح الدين صاحب حلب .

(٥) في شذرات الذهب والقصيدة اللامية في التاريخ : « الأرموى » .

الأصبهانى الغزالى المقرئ . وأبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبى فى صفر بالمدينة . وأبو الغنائم المسلم بن أحمد المازنى النصبى فى شهر ربيع الأول .
§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب على مصر، وهى سنة آتنتين وثلاثين وستائة .

فبها خرجت عساكر الروم نحو آمد وحاصروها وأقامو عليها أياما، ثم نازلوا السويداء فأخذوها .

- ١٠ . وفيها كان الوباء العظيم بمصر حيث إنه مات فى شهر نيّف وثلاثون ألف إنسان .
وفيها توفى عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن [أبى] عصر^(٢)ون . كان فقيها فاضلا زاهدا إلا أنه كان مغترى بالنكاح، كان عنده نيّف وعشرون جارية للفراش . ومات بدسّشق ودُفن بقاسيون، وهو والد قطب الدين وتاج الدين^(٣) .
وفيها توفى صواب العادل مقدّم عسكر الملك الكامل الذى كانت الروم أسرته فى عام أول، وكان خادما عاقلا شجاعا، وكان العادل والكامل يعتمدان عليه، وكان حاكما على الشرق كلّهُ من قبل الكامل .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٢ من هذا الجزء . (٢) تكلّة عن شذرات الذهب ومرآة الزمان .

(٣) هو قطب الدين أبو المال أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبى سعد عبد الله بن أبى عصرون التميمى الشافعى . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٥ هـ . (٤) هو تاج الدين محمد بن

عبد السلام بن المطهر بن أبى سعد عبد الله بن أبى عصرون التميمى الشافعى، مدرس الشامية الصغرى . توفى سنة ٦٩٥ (عن شذرات الذهب) .

وفيها توفى الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد ابن علي المعروف بابن الفارض الحموي الأصل، المصري [المولود^(٢)] الدار والوفاة الصالح الشاعر المشهور، أحد البلغاء الفُصحاء الأديباء . مولده في ربيع ذى القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة، وتوفى بالقاهرة في يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى، ودُفن من الغد بسفح المقطم، وقبره معروف به يُقصد للزيارة . والفاضر (بفتح الفاء وبعدها ألف وراء مكسورة وضاد معجمة) . وهو الذي يكتب الفروض على النساء والرجال . وهو صاحب النظم الرائق والشعر الفائق الغرامى . ودبوان شعره مشهور كثير الوجود بأيدى الناس، وشعره أشهر من أن يذكر . فن مقتطعات شعره قوله:

وحياة أشواق آتية * لك وحرمة الصبر الجميل^(٥)

لا أبصرت عيني سوا * لك ولا صبوت إلى خليل^(٦)

ومن قصائده المشهورة — رحمه الله وعفا عنه — :

سائق الأظعان يطوى اليد طي * مُنِعاً عَرَّجَ على كُثْبَانِ طي

وبذات الشَّيْخ عني إن مررت * تَ بَحَى من عُرَيْبِ الحَزْجِ حَي

وتَلَطَّفَ وأجرد ذكرى عندهم * عليهم أن يَنْظُرُوا عَطْفًا إِلَى

قُلْ تَرَكْتُ الصَّبَّ فيكم شَبَعًا * ماله مما بَرَّاه الشَّوْقُ قِي

(١) في ابن خلكان وعقد الجمان : « أبو حفص وأبو القاسم » . (٢) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان . (٣) في الأصل : « جمادى الثانية » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وثنرات الذهب وما سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي . (٤) في الأصل : « وراء مفتوحة » . وهو خطأ . (٥) في الأصل وفي إحدى نسخ ديوانه المخطوطة (المحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٤٨ أدب) : « وترية ... الخ » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وشرح ديوانه لشيخين حسن البوريني وعبد الفتى بن إسماعيل النابلسي طبع مرصلية سنة ١٨٥٣ م .

(٦) في الأصل : « لا نظرت » . وما أثبتناه عن ابن خلكان . ورواية هذا البيت في إحدى النسخ المخطوطة :

ما استحضت عيني سوا * لك ولا نظرت إلى خليل

خافياً عن طائفة لاح كما * لاح في بُردته بعد النثر طى
 صار وَصْفُ الضَّرِّ ذاتياً له * عن عَنَاءٍ والكلامُ الحى لى
 كِهَلَالِ الشَّكِّ لولا أنه * أن عَيْنى عَيْنَه لم تَتَأَى
 منلَ مَسْلُوبِ حَيَاةٍ مَثَلًا * صار فى حُبِّكم مَلْسُوبَ حى
 مُسَيَّلًا للنَّأى طَرَفًا جاد إن * ضَنُّ نَوءِ الطَّرْفِ إِذْ يَسْقُطُ حَى
 بين أَهْلِهِ غَيْرِيًّا نازحًا * وعلى الأوطان لم يَغِطْفَه لى
 جاعحًا إن يَمِ صَبْرًا عَنْكُمْ * وعليكم جَانَحًا لم يَتَأَى
 نَشَرَ الكاشِخُ ما كان له * طَاوَى الكَشَجِ قُبَيْلَ النَّأى طى
 فى هِوَاكم رَمَضَانُ عُمْرُهُ * يَنْقُضِ ما بين إحياءٍ وطى
 صَادِيًا شَوْقًا لِمَصْدَى طَيْفِكُمْ * جِدُّ مُلْتَاحٍ إِلَى رُؤْيَا وَرَى
 حَائِرًا فِيمَا إِلَيْهِ أَمْرُهُ * حَائِرٌ وَالْمَرْءُ فى المِحْنَةِ عَى
 فَكَايُنَ من أَمَى أَعْيَا الإِسَى * نَالُ لو يُغْنِيهِ قَوْلِي وَكَأَى
 رَائِيًا لِنَكَارِ ضَرْرٍ مَسَّهُ * حَذَرَ التَّعْنِيفِ فى تَعْرِيفِ رَى
 وَالَّذِى أَرَوِيهِ عن ظَاهِرِهِ * باطِنِى بِزَوِيهِ عن عِلْمِي زَى
 يَا أَهْيَلِ الْوَدِّ أُنَى تُنْكِرُوا * نِى كَهَلًا بَعْدَ عِرْفَانِي قَى
 وَهَوَى الْغَادَةِ عَمْرِى عَادَةً * يَجْلِبُ الشَّيْبُ إِلَى الشَّابِّ الْأَحَى
 نَصَبًا أَكْسَبَنِ الشَّوْقُ كما * تُكْسِبُ الْأَفْعَالُ نَصَبًا لَامَ كَى
 [ومنى أشكو جراحًا بالحشى * زِيدَ بالشُّكْوَى إِلَيْهَا الْجُرْحُ كَى]
 عَيْنُ حُسَادِي عَلَيْهَا لى كَوَتْ * لَا تَعْدُهَا إِلَيْمُ الْكَى كَى
 عَجَبًا فى الْحَرْبِ أَدْعَى بَاسَلًا * وَلَهَا مُسْتَبِيلًا فى الْحَبِّ كَى
 هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَسَدًا * صَادَهُ لِحَسْطِ مَهَاةٍ أَوْ طَبَى

سَهْمُ شَهْمِ الْقَوْمِ أَشْوَى وَشَوَى * سَهْمُ الْخَاطِمِ أَحْشَايَ شَيْءٍ
وَضَعِ الْآسَى بِصَدْرِي كَفَّهُ * قَالَ مَالِي حِيلَةٌ فِي ذَا الْهُوَى
أَيُّ شَيْءٍ مُبْرَدٌ حَرًّا شَوَى * لِلشَّوَى حَشَوَ حَشَايَ أَيُّ شَيْءٍ
سَقَمِي مِنْ سُقَمِ أَجْفَانِكُمْ * وَبِمَعْسُولِ النَّيَا لِي دَوَى
أَوْعِدُونِي أَوْعِدُونِي وَأَمْطَلُوا * حُكْمُ دَيْنِ الْحُبِّ دَيْنُ الْحُبِّ لِي
رَجَعَ اللَّاحِ عَلَيْهِمْ آيَسَا * مِنْ رَشَادِي وَكَذَاكَ الْعَشْقُ عَنِّي
أَبْعَيْتَنِي عَمِّي عَنْكُمْ كَمَا * صَمَمْتُ عَنْ عَذْلِي فِي أَذُنِي
أَوْلَمْ يَنْتَهِ النَّهْيُ عَنْ عَذْلِي * زَاوِيَا وَجَهَ قَبُولِ النَّصِجِ زَيْ
ظَلَّ يَهْدِي لِي هُدًى فِي زَعْمِهِ * ضَلَّ كَمْ يَهْدِي وَلَا أَصْنَى لِي
وَلِمَا يَفْذُلُ عَنْ لَمْيَاءِ طَو * عَهْوِي فِي الْعَذْلِ أَعْصَى مِنْ عُصَى
لَوْمُهُ صَبًا لَدَى الْجَحْرِ صَبًا * بِكُمْ دَلَّ عَلَى جَحْرِ صَبِي
عَاذِلِي عَنْ صَبْوَةِ عُدْرِيَّةٍ * هِيَ بِي لَا فَيْتَتْ هِيَ بِي
ذَابَتِ الرُّوحُ أَشْتِيَاقًا فَهِيَ بَعْدَ * حَدِّ نَفَادِ الدَّمْعِ أَجْرَى عَبْرَتِي
فَهَبُّوا عَيْنِي مَا أَجْدَى الْبُكََا * عَيْنَ مَاءٍ فَهِيَ إِحْدَى مَنِيَّتِي
أَوْ حَشَا سَالٍ وَلَا أَخْتَارُهَا * إِنْ تَرَوْا ذَاكَ بِهَا مَنَّا لِي
بَلْ أَسِثُوا فِي الْهُوَى أَوْ أَحْسِنُوا * كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ مِنْكُمْ لَدَيَّ

وفيها توفي عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن ثمار تكيين الشيخ الإمام الأديب
البارع حسام الدين أبو يحيى - وقيل : أبو الفضل - الإزيلي المعروف بالحاجري
الشاعر المشهور . كان جندياً من أولاد الأتراك ، وكان أديباً فاضلاً ظريفاً
فصيحاً ، وله ديوان شعر مشهور ، يغلب على شعره الرقة والانسجام .

(١) في الأصل : « ابن حماد » . وما أتقناه عن شذرات الذهب وابن خلكان وعقد الجمان .

قال ابن خلكان — رحمه الله — : وكان صاحبي وأنشدني كثيرا من شعره ،
فمن ذلك وهو معنى جيد في نهاية الجودة :

ما زال يحلف لي بكلّ أليّة * ألا يزال مدى الزمان مصاحبي
لما جفا نزل العذار بجده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

قال وأنشدني لنفسه أيضا :

لك خال من فوق عمر * ش ش شقيق قد استوى
بعث الصّدغ مُرسلا * يأمر الناس بالمهوى

انتهى .

قلت : ومن شعره أيضا :

١٠ لك أن تُشوّقني إلى الأوطان * وعلى أن أبكي بدمعي القاني
إن الألى رحلوا غداة محجر * ملثوا القلوب لوائح الأحران
فلا بعثت مع النسيم إليهم * شكوى تميل لها غصون البان
نزلوا برامة قاطنين فلا تسئل * ما حل بالأغصان والفزلان

وكانت وفاته في يوم الخميس ثاني شوال ، وتقدير عمره خمسون سنة . والحاجري

١٥ (بفتح الحاء المهملة وبعد الألف جيم مكسورة وبعدها راء) وهذه النسبة إلى
حاجر ، وكانت بليدة بالحجاز . وسبب تسميته بذلك لأنه كان يكثر من ذكر الحاجر
في شعره فسمي بذلك .

(١) هذه الأبيات من قصيدة تبلغ ثلاثة وعشرين بيتا واردة في ديوانه ، مطلعها :

لمن المماظ مريضة الأجفان * سطوب سيف في القلوب يمان

(٢) رواية هذا البيت في الأصل :

٢٠ إن الذي رحلوا غداة المنحنى * ملثوا القلوب لوائح الأنجان

وما أثبتناه عن ديوانه .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى الحسن بن صباح بن
 حُسام الخزومي الكاتب في رجب، وله إحدى وتسعون سنة، وتوفي الدين علي بن
 أبي الفتح [المبارك بن الحسن بن أحمد] بن ماسويه الواسطي في شعبان، وله ست
 وسبعون سنة. والأديب شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحموي بن الفاراض
 بمصر في جمادى الأولى. والزاهد العارف أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله التيمي
 السهروردي في أول السنة، وله ثلاث وتسعون سنة. وأبو عبد الله محمد بن عماد
 ابن محمد الحراني الناجر في صفر بالإسكندرية، وله تسعون سنة. والقُدوة الزاهد
 غانم بن علي [بن إبراهيم بن عساكر] المقدسي. والقاضي العلامة بهاء الدين يوسف
 ابن رافع بن تميم الشافعي ابن شَداد بَحْلَب في صفر. وسيف الدولة محمد بن غَسَّان
 الحِصِّي في شعبان. وأبو الوفا محمود [بن إبراهيم بن سفيان] بن مَنْدَةَ الناجر بأصفهان
 شهيدا في خلق لا يُحْصَوْنَ بسيف التتار في شَوَّال. وأبو سعد محمد بن عبد الواحد
 المديني. وحُسام الدين عيسى بن سِنَجَر بن بَهْرَام الإِزْبِيلِي المعروف بالحَارِثِي
 الشاعر المشهور، قتله شخص في شَوَّال، وله خمسون سنة.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة

ست عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعًا.

- (١) كذا في الأصل وشرذات الذهب والقصيدة اللامية في التاريخ. وفي الذيل على الروضين:
 «الحسن بن يحيى بن صباح المصري». (٢) في الأصل: «ابن أبي الفتح بن ماسويه». وذكر
 والتكلمة والصحيح عن شرذات الذهب والمختصر المحتاج إليه وغاية النهاية والذيل على الروضين. وذكر
 صاحب الذيل أنه حضر صلاة الجنازة عليه بظاهر دمشق. (٣) هو الذي ذكر المزلف وفاته
 سنة ٦٣١ هـ. وقد ذكر الذهبي وفاته في هذه السنة ووافقه على ذلك ابن خلكان وشرذات الذهب والقصيدة
 اللامية في التاريخ والذيل على الروضين. (٤) زيادة عن شرذات الذهب.
 (٥) راجع بقية ترجمته بتفصيل واف في ابن خلكان. (٦) التكلمة عن شرذات الذهب.
 (٧) في شرذات الذهب: «أبو عداقه».



السنة الثامنة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، على مصر، وهي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

- فيها استعاد الكامل من الروم حرّان والرّها وغيرها، وأنحرب قلعة الرّها ونزل على دُنَيْسِر فأنحربها ومعه أخوه الأشرف، وبنينا هم في ذلك جاء كتاب بدر الدين لؤلؤ .
- إلى الأشرف يقول : قد قطع التّارِدِجَلَة في مائة طُأبِ كُلِّ طُأبِ نهمائة فارس ، ووصلوا إلى سنجار، فخرج إليهم معين الدين بن كمال الدين بن مُهاجر فقتلوه على باب سنجار، ثم رجع التّارُ ثم عادت . فأمنهم الأشرف للتّوجّه إلى جهة الشرق .
- وفي هذه السّنة كان الطّاعون العظيم بمصر وقراها ، مات فيسه خلق كثير من أهلها وغيرها حتى تجاوز الحدّ .

١٠

وفيها جاءت الخوَارِزْمِيَّة إلى صاحب مَآرِدِين فقتل إليهم وقائلهم، ثم نزلوا نَصِيبَيْن وأحرقوها، وفعلوا فيها أعظم ما فعل الكامل بدُنَيْسِر .

وفيها تُوفِّي الحسن بن محمد القاضي القِيلَوِيُّ^(١)، وقِيلَوِيَّة : قرية من قرى بغداد .

١٥

كان فاضلاً كاتباً، ولِدَ بالعراق سنة أربع وستين ونهمائة، وكان كثير الأدب مليح الخطّ عارفاً بالتواريخ حسن العبارة متواضعاً، وكانت وفاته في ذى القعدة ودُفِنَ بمقابر الصّوفيّة عند المُنَيَّبِيع^(٢) .

وفيها تُوفِّي أبو المحاسن محمد بن نصر^(٣) [الدين بن نصر بن الحسين] بن عُتَيْن الزرعي، أصله من حوَران .

(١) في اب الباب : « قِيلَوِيَّة قرية بنواحي طبراباذ » . وفي معجم البلدان لياقوت : « قرية من نواحي مطرباذ » . (٢) كذا في الأصل وتاريخ أبي الفداء إسماعيل وتاريخ ابن الوردي . وفي ابن خلكان وعند الجمان وشذرات الذهب أن وفاته كانت سنة ٦٣٠ هـ . (٣) التكلة من ابن خلكان . وفي عقد الجمان وشذرات الذهب : « أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن ابن عتّين » .

٢٠

قال أبو المظفر : « كان خيـث اللسان هـجاء فاسقا مهتـكاً ، عـمـل قصيدة مـمـاها :
«مِقراض الأعراض» خمسمائة بيت ، لم يُفـلـت أحد من أهل دمشق منها بأقبح
هجو . ونفاه السلطان صلاح الدين إلى الهند ، فمضى ومدح ملوكها وأكنسب مالا ،
وعاد إلى دمشق . ومن هجوه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمه
الله تعالى — قوله :

سلطاننا أعرجُ وكاتبه * ذو عَمَش والوزير مُنَحِيدُ
وصاحبُ الأمر خُلُقُه شَرِسٌ * وعارضُ الجيشِ داؤه عَجَبُ
والدَّولِيُّ الخطيب معتكف * وهو على قشر بيضة يَنبُ
ولأبن باقاً وعظ يفتـر به الذـ * ساس وعبد اللطيف مُحْتَسِبُ

ولمّا نفي كُتب من الهند إلى دِمَشق :

فَعَبْلَامَ أَبَدْتُمْ أَخَانَقَةَ * لم يَحْتَرِمَ ذَنْباً وَلَا سَرَقاً
إِنْفُسُوا الْمُؤَذَّنَ مِنْ بِلَادِكُمْ * إن كان يُنْفَى كُلُّ مَنْ صَدَقَا

ولمّا عاد إلى دِمَشق هـما الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب بقوله :

إن سلطاننا الذي تَرْجِيهِ * واسعُ المال ضيقُ الإنفاقِ
هو سيف كما يُقال ولكن * قاطعُ للرُؤُوم والأرزاقِ

قال : واستكتبه الملك المعظم ، وكان من أكبر سيئات المعظم . ومات عن
أحدى وثمانين سنة . انتهى كلام أبي المظفر باختصار .

وقال ابن خلكان : « كان خاتمة الشعراء ، لم يأت بعده مثله ، ولا كان في أواخر
عصره من يُقاس به ، ولم يكن شعره مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد . ثم
نعتّه بأشياء إلى أن قال : ولمّا ملك الملك العادل دِمَشق كتب إليه قصيدته الرائية

١٠

١٥

٢٠

يستأذنه في الدخول إليها ، ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة ؛ وقد أحسن فيها كل الإحسان وأستعطفه كل الاستعطاف ، وأولها :

ماذا على طيف الأجابة لو سرى * وعليهم لو ساعحوني في الكرى

ثم وصف دمشق وقال :

• فارقتها لاعم رضا وهجرتها * لاعم قلى ورحلت لا متخيرا
أسى لرزي في البلاد مشنت * ومن العجائب أن يكون مقرا
وأصون وجه مداحي متفتحا * وأكف ذيل مطامعي مسترا

ومنها يشكو الغربة :

أشكو إليك نوى تمادى عمرها * حتى حسبت اليوم منها أشهرا
• لا عشتى تصفو ولا رسم الهوى * يعفو ولا جفني يصاخر الكرى
أنهى عن الأخوى المريع محلا * وأبيت عن ورد النسيم منقرا
ومن العجائب أن يقبل بظلكم * كل الورى وأبيت وحدي بالعرّا
فلما وقف عليها العادل أذن له في الدخول إلى دمشق ، فلما دخلها قال :
هجوئ الأكابر في جلتي * ورعت الوضيع بسب الرفيع
• وأخرجت منها ولكنني * رجعت على رغم أنف الجميع

وفيهما توفي أبو الخطّاب بن دحية المغربي . قال أبو المظفر : كان في المحدثين مثل ابن عتّين في الشعراء ، يثلب علماء المسلمين ويقع فيهم ، ويتريد في كلامه ، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه . وكان الكامل مقيلا عليه ، فلما أنكشف له حاله

(١) كذا في ابن خلكان وديوانه . وفي الأصل : « ولا وجه الهوى » .

(٢) رواية هذا البيت في ديوانه :

ومن العجائب أن تفيأ ظلكم * كل الورى ونبتت وحدي بالعرّا

(٣) جلق : اسم لكورة الفوطة كلها ، وقيل بل هي دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

أعرض عنه، وأخذ منه دار الحديث وأهانه، فمات في شهر ربيع الأول بالقاهرة
ودُفِنَ بقرافة مصر .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوِّفِيَ الجمال أبو حمزة أحمد
ابن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي . وعَفِيفَ الدين علي بن عبد الصمد^(١) [بن محمد بن
مفرج] بن الرماح المصري المقرئ النحوي . وأبو الحسن [علي] بن أبي بكر بن روزبة
القلائسي^(٢) الصوفي في شهر ربيع الآخر، وقد جاوز التسعين . والعلامة أبو الخطّاب
عمر [بن الحسن] بن علي^(٣) البليّني المعروف بابن دحية في شهر ربيع الأول عن
سبع وثمانين سنة . والفخر محمد بن إبراهيم بن مسلم الإريّلي^(٤) الصوفي بإريّيل في شوال
أو شهر رمضان . وقاضى القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق آبن الشيخ
عبد القادر الحلي^(٥) الحنّيلي في شوال .

§ امر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبعا .



السنة التاسعة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر
ابن أيوب على مصر، وهى سنة أربع وثلاثين وستمائة .

فيها زلّت التّار على إريّيل وحاصرتها مدة حتّى أخذوها عتوةً، وقتلوا كلّ من
فيها وسبّوا وفَضَحُوا البنات، وصارت الابار والدُّور قبوراً للناس . وكان آيدِكين^(١)

(١) الزيادة عن غاية النّهاية وشذرات الذهب . (٢) في الأصل : « أبو الحسن بن
أبي بكر بن روروية » . والتكلمة والتصحيح عن شذرات الذهب والقصيدة اللامية في التاريخ .
(٣) في الأصل : « عمر بن علي البليّني » . والتكلمة والتصحيح عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات
الذهب . (٤) في مرآة الزمان وعقد الجمان : « بادكين » .

ملوك الخليفة بالقلعة فقاتلهم ، فنقبوا القلعة وجعلوا لها سِرْدَابًا وطُرْقًا ، وقتل عندهم المياه حتى مات بعضهم عطشًا ، فلم يبقَ سِوَى أَخْذِهَا ؛ فرحلوا عنها في ذِي الْحِجَّةِ ، وقد عجزوا عن حمل ما أخذوا من الأموال والغنائم .

- وفيها استُخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل — صاحب الترجمة — الخوَارَزْمِيَّةَ أصحاب جلال الدين ، فَأَنْضَمُوا عَلَيْهِ وَأَنْفَصَلُوا مِنَ الرُّومِ ؛ وسُرَّ والده الملك الكامل بذلك .

وفيها بدت الوحشة بين الأخوين ، وسببها أَنَّ الْأَشْرَفَ طَلَبَ مِنَ الْكَامِلِ الرِّقَّةَ وقال : الشرق كله صار له ، وأنا أركب كلَّ يوم في خدمته ، فتكون الرِّقَّةَ بِرِسْمِ عَلِيٍّ دَوَائِي ، فَأَبَى الْكَامِلُ وَأَغْلَظَ فِي الْجَوَابِ ، فوقع الوحشة بينهم بسبب ذلك .

- وفيها تُوُفِيَ النَّاصِحُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ نَجْمِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْحَنْبَلِيُّ ، وُلِدَ بِدِمَشْقَ ١٠ ونشأ بها ، وتفقه ووعظ وصنف ودرّس بمدرسة ربيعة خاتون . ومات في غُرَّةِ الْمُحَرَّمِ .

- وفيها تُوُفِيَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ مُحَمَّدُ ابْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غَازِي ابْنِ السُّلْطَانِ صلاح الدين يوسف بن أيوب . كَانَ صَاحِبَ حَلَبَ ، وَلِهَا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ الظَّاهِرِ . ومولده في ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ تِسْعٍ أَوْ عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ . وَتُوُفِيَ وَالِدُهُ وَهُوَ طِفْلٌ ، فَنَشَأَ تَحْتَ ١٥ يَحْيَى شِهَابِ الدِّينِ الْخَادِمِ ، فَتَرَبَّأَ شِهَابُ الدِّينِ أُمُورَهُ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . اسْتَقَلَّ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى أَنْ تُوُفِيَ بِحَلَبَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ . وَكَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ كَرِيمًا عَفِيفًا ، وَلَمْ يَبْلُغْ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً . وَدُفِنَ بِقَلْعَةِ حَلَبَ ، وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ الْمَالِكِيَّةُ الْعَزِيزِيَّةُ الْآتِي ذِكْرُهُمْ فِي عَدَّةٍ أَمَا كُنْ .

- وفيها تُوُفِيَ كَيْقَبَاذُ السُّلْطَانِ علاء الدين صاحب الروم . كَانَ عَاقِلًا شَجَاعًا ٢٠ مَقْدَامًا جَوَادًا ، وَهُوَ الَّذِي كَسَرَ الْخَوَارَزْمِيَّ وَكَسَرَ الْكَامِلَ وَأَسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ الشَّرْقِ .

وكان الملك العادل زوجته ابنته فأولدها أولاداً؛ وكان عادلاً منصفاً مهيباً، ما وقف له مظلوم إلا وكشف ظلامته، وكانت وفاته في شوال .

قلت : وبنو قرمان ملوك الروم في زماننا هذا يزعمون أنهم من نسل السلطان علاء الدين هذا — والله أعلم — .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى الملك المحسن أحمد ابن السلطان صلاح الدين في المحرم، وله سبع وخمسون سنة . والحطيب أبو طاهر الخليل أحمد الجوسقي في شهر ربيع الأول . وأبو منصور سعيد بن محمد بن يس السفار، وقد حج تسعاً وأربعين حجة، في صفر . والحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البليسي في ذي الحجة، وله سبعون سنة . والإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلي في المحرم، وقد نيف على الثمانين . ومفتي حران ناصر الدين عبد القادر بن عبد القاهر بن أبي الفهم الحنبلي في شهر ربيع الأول عن اثنتين وسبعين سنة . وعلى بن محمد بن جعفر بن كب المودب . وكمال الدين علي بن أبي الفتح بن الكباري الطيب بحلب في المحرم . وسلطان الروم علاء الدين كيخسرو بن كيخسرو بن قلاج أرسلان الساجوق في شوال . والحافظ أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر القطيعي في شهر ربيع الآخر عن تسع وثمانين سنة . والملك العزيز

- (١) كان يقال بلدهم نوره صوفى، أصله أرمني فأسلم وسكن مدينة أمانية وصار من توابع بابا الياس، ولما قتل الياس المذكور انتقل لمدينة قونية وسكن بها واعتقده أناس كثير حتى السلطان علاء الدين كيخسرو السلجوق وجعل ولده (قرمان) مقرباً عنده وزوجه وأخته وولاه إمرة بلاد لارندة ففتح بلاد سلفكة . ولما توفى السلطان علاء الدين استول على جميع بلاده وسمى تلك البلاد باسمه (عن كتاب أخبار الدول وآثار الأول لأبي العباس القرمانى) . (٢) الكلاعي : نسبة إلى ذي الكلاع، قبيلة من حمير . (٣) في شذرات الذهب : « ناصح الدين » . (٤) في المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد : « ابن كبة » . (٥) في الأصل : « ابن عمران » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

- محمد آبن الملك الظاهر غازي بن [صلاح الدين] يوسف صاحب حلب بها في شهر ربيع الأول . ومعتسب دِمَشْقُ الفخر محمود بن عبد اللطيف . وأبو الحسن مَرْتَضَى ابن أبي الجُود حاتم بن المسلم الحارثي المصري في شوال . وأبو بكر هبة الله بن عمر ابن الحسن القَطَّان، وكان آخر مَنْ رَوَى عن أمته كمال بنت عبد الله بن السَّمَرَقَنْدِي، وعن هبة الله الشَّيْبِي، عاش نيّفاً وثمانين سنة . وياسمين بنت سالم [بن علي] بن البيطار يوم عاشوراء .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعا .



- ١٠ السنة العشرون من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنة خمس وثلاثين وستمائة، وهي السنة التي مات الكامل المذكور في رجبها، وحكم آبنه العادل في باقيها حسب ما تقدّم [في] وفاة الكامل في ترجمته . وفيها أيضاً توفّي الملك الأشرف موسى، ثم بعده أخوه الملك الكامل . وملك دمشق بعد موت الأشرف الملك الجوّاد بن الأشرف . على ما سيأتي ذكره [في] وفاة الأشرف في هذه السنة .

١٥

وفيها اختلفت الخوارجُ زِمِيّة على الملك الصالح أيوب بن الكامل، وأرادوا القَبْض عليه فهرب إلى سينجار، وترك خزائنه وأثقاله، فتهبوا الجميع . ولمّا قدِم الصالح سينجار سار إليه بدر الدين لؤلؤ في ذى القعدة وحصره بها، فأرسل إليه الصالح يسأله الصلح؛ فقال: لا بُدَّ من حمله في قَفَص إلى بغداد، وكان لؤلؤ [و] المشاركة

- (١) في شذرات الذهب « أبو بكر الحربي هبة الله بن عمر بن كمال الخلاج آخر من حدّث عن هبة الله ابن الشَّيْبِي وكال بنت السمرقندي » . (٢) تكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

٢٠

يكرهونه وينسبونه إلى التكبر والظلم؛ فاحتاج الصالح أن يبعث إلى الخوارج زمية، وهم على حرّان يستنجدهم، فساقوا جريدة من حرّان، وكبسوا لؤلؤاً، فنجوا وحده، ونهبوا أمواله ونحاشته وجميع ما كان في عسكره .

وفيهما توفى الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين موسى شاه أرمن ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب، أخو الملك الكامل محمد صاحب الترجمة . وأقل شيء، ملكه الأشرف هذا من الفيلاع والبلاد الرها في أيام أبيه، وآخر شيء دمشق . ومات بها بعد أن ملك قلاع ديار بكر سنين . وقد تقدّم من ذكره نبذة كبيرة في حوادث دولة أخيه الكامل، وفي غزوة دميّاط وغير ذلك . ومولده سنة ثمان^(١) وسبعين وخمسمائة بقصر الزمرد^(٢) بالقاهرة قبل أخيه المعظم عيسى بيلة واحدة، وكان مولدهما بموضع واحد - وقيل : كان بقلعة الكرك - والأول أشهر . وكان الملك الأشرف ملكاً كريماً حليماً واسع الصدر كريم الأخلاق كثير العطايا، لا يوجد في خزانته شيء من المال مع اتساع مملكته؛ ولا تزال عليه الدين؛ ونظر يوماً في دواة كاتبه وشاعره كمال الدين علي بن النبيه المصري فرأى بها قلمًا واحدًا فأنكر عليه، فأنشد الكمال بديها دوبيت :

(١) في ابن كثير وشذرات الذهب ومرآة الزمان : « في سنة ست وسبعين وخمسمائة » .

(٢) قصر الزمرد، قال المقرئ في الجزء الأول من خطه (ج ١ ص ٤٠٤) : إن هذا القصر كان من جملة قصور الخلفاء الفاطميين داخل سور القصر الكبير، وقيل له قصر الزمرد لأنه كان بجوار الزمرد أحد أبواب القصر الكبير . وقد عرف هذا القصر بقصر قوصون ثم عرف أخيراً بقصر المجازية . ومحلّه البرم جامع المجازية وما يجاوره من الدور التي تحدها الشمال والقرب بطلة القفاصين، ومن الجنوب ديوان بوليس قسم المجالية، ومن الشرق ظهر الدور المشرقة على شارع حبس الرحبة وبيت المال .

(٣) هو السلامة كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن النبيه المصري الكاتب الشاعر صاحب ديوان رسائل الملك الأشرف موسى بن العادل . وله ديوان شعر مشهور كله ملح . توفى سنة ٦١٩ هـ (عن شذرات الذهب) .

قال الملك الأشرف قولاً رَشَدًا * أَفْلا مَكَ يَأْ كَال قَلْت مَدَا

جَاوَبْتُ لِعَظِيمِ كَتَبٍ مَا تُطْلِقُهُ * تَحْتَى نَقْطَ فَمِى تَفْنَى أَبَدَا

- ولكمال الدين ابن النبيه المذكور فيه غُرر المدايح معروفة بمخالص قصائده في ديوانه ،
وُسَمِيَ الأشرفيات . وكانت وفاة الأشرف في يوم الخميس رابع المحرم بدمشق ،
ودُفِنَ بقلعتها ؛ ثم نُقِلَ بعد مدة إلى التربة التي أنشأت له بالكَلَّاسَةِ في الجانب الشمال
• من جامع دمشق .

وفيها تُوُفِيَ يحيى بن هبة الله بن الحسن القاضي شمس الدين أبو البركات بن سَنَاء
الدولة ، كان إماماً فقيهاً فاضلاً حافظاً للقوانين الشرعية ، ولى القضاء بالبيت المقدس
ثم بدمشق ، وكان الملك الأشرف موسى يُحِبُّهُ وَيُثْنِي عليه . ومات في ذى القعدة .

- الذين ذكر الذهب وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِيَ الأنجب بن أبي
١٠ السعادات الحمَامَى في شهر ربيع الآخر ، وله نيّف وثمانون سنة . وأبو محمد
الحسين بن عليّ بن الحسين بن رئيس الرؤساء في رجب . وقاضى حلب زين الدين
أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسديّ ابن الأستاف . وأبو
المنجّ عبد الله بن عمر بن عليّ بن اللّثيّ القزّاز في جمادى الأولى ، وله تسعون سنة .
وأبو طالب عليّ بن عبد الله بن مظفرّ ابن الوزير عليّ بن طرّاد الزيّنيّ في رمضان .
١٥ والرّضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسيّ المقرئ . وشيخ الشيوخ صدر الدين
عبد الرزاق بن عبد الوهاب [بن عليّ بن عليّ] بن سُكَيْنَة في جمادى الأولى . والسلطان

(١) في الأصل : « وأبو القاسم » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب . والذي يكنى بأبي القاسم
هو جده الوزير رئيس الرؤساء بن المسلة كما تقدم ذكره للؤلّف ص ٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) في شذرات الذهب : « أبو طالب عبد الله بن المظفر » .

(٣) التكلة من المختصر المحتاج إليه .

الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل في رجب بدمشق، وله ستون سنة . وأبو بكر محمد بن مسعود بن يهروز الطيب في شهر رمضان، وقد نيف على التسعين، وهو آخر من حدث ببغداد عن أبي الوقت . وشرف الدين محمد بن نصر المقدسي ابن أنى الشيخ أبي اليان في رجب . والقاضي شمس الدين أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد ابن الشيرازي في جمادى الآخرة، وله ست وثمانون سنة . وخطيب دمشق جمال الدين محمد بن أبي الفضل الدوالي في جمادى الأولى، ودفن بمدرسته ببيرون، وله ثمانون سنة . ونجم الدين مكرم بن محمد بن حمزة بن أبي الصقر القرشي السفار في رجب، وله سبع وثمانون سنة . والسلطان الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل في المحرم، وله تسع وخمسون سنة . وقاضي القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله بن سناء الدولة في ذى القعدة، وله ثلاث وثمانون سنة، وهو من تلامذة القطب النيسابوري . والشهاب يوسف بن إسماعيل الحلبي بن الشواء الشاعر المشهور .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع .

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

- (١) هو أبو اليان نيا بن محمد بن محفوظ القرشي الدمشقي القوي الشافعي الزاهد القدوة . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٥١ هـ . (٢) في الأصل : « محمد بن عبد الله » . والتصويب من شذرات الذهب والذيل على الرضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان ونزهة الأنام .
- (٣) ببيرون من أبواب الجامع بدمشق وهو باب الشرق . (٤) هو أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم المعروف بالشواء الملقب شهاب الدين الكوفي الأصل الحلبي المولود والمنشأ والوفاة (راجع بقية ترجمته بتفصيل واف في ابن خلكان) .

ذكر سلطنة الملك العادل الصغير على مصر

- هو السلطان الملك العادل أبو بكر ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب الأيوبي المصري . وسبب تسلطه وتقدمه على أخيه الأكبر نجم الدين أيوب أنه لما مات أبوه الملك الكامل محمد بقلعة دمشق في رجب - حسب ما ذكرناه في أواخر ترجمته - كان ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب - وهو الأكبر - نائب أبيه الملك الكامل على الشرق وإقليم ديار بكر، وكان ابنه الملك العادل أبو بكر هذا - وهو الأصغر - نائب أبيه بديار مصر، فلما مات الكامل قعد الأمراء يشتركون فيمن يؤلون من أولاده فوقع الاتفاق بعد اختلاف كبير - نذكره من قول صاحب المرات - على إقامة العادل هذا في سلطنة مصر والشام، وأن يكون نائبه بدمشق ابن عمه الملك الجواد يونس، وأن يكون أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب على ممالك الشرق على حاله، فتم ذلك وتسلطن الملك العادل هذا في أواخر سنة خمس وثلاثين وستمائة، وتم أمره ونعت بالعدل سيف الدين على لقب جده . ومولد العادل هذا بالمنصورة، ووالده الملك الكامل على قتال الفرنج يدمياط في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة .
- ١٠ وقال العلامة شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في مرآة الزمان : « ذكر ما جرى بعد وفاة الملك الكامل ، اجتمع الأمراء وفيهم سيف الدين [علي^(١)] بن قليج ، وعز الدين أيك ، والركن الهيثمى ، وعماد الدين ونفر الدين أبنا الشيخ ، وتشاوروا وأنفصلوا على غير شيء ، وكان الناصر داود (يعنى ابن الملك المعظم عيسى) بدار أسامة ، [بجاءه^(٢)] الهيثمى ، وأرسل إليه عز الدين أيك يقول : أخرج
- ٢٠ (١) التكلة من عقد الجمان . (٢) هى دار الملك المعظم ، وتعرف بدار أسامة كما فى عقد الجمان . (٣) التكلة من عقد الجمان و مرآة الزمان .

المال وفرقه في ممالك أبيك المعظم والعوام معك ، وتملك البلد ويقبوا في القلعة
محصورين فما آتفق ذلك ؛ وأصبحوا يوم الجمعة في القلعة فحضر من ستمينا^(١) [بالأمس] ،
وذكروا الناصر والجواد — قلته : والناصر داود هو آبن المعظم عيسى ، والجواد
مظفر الدين يونس هو آبن شمس الدين مودود بن العادل (أعنى هما أولاد عم) .
إتتهى — قال : وكان أضرمًا على الناصر عماد الدين آبن الشيخ ، لأنه كان يجرى
في مجالس الكامل مباحثات فيخطئه فيها ويستجعله فبق في قلبه ، وكان أخوه نجر الدين
يميل إلى الناصر ؛ فأشار عماد الدين بالجواد ، ووافقوا أمره ، وأرسلوا الميخاوي في يوم
الجمعة إلى الناصر ، وهو في دار أسامة^(٢) ، فدخل عليه وقال له : إيش قعودك في بلد
القوم ؟ قم فأخرج ، فقام وركب [و جميع من في دمشق من دار أسامة إلى القلعة]
وما شك أحد أن الناصر لما ركب من دار أسامة إلا أنه طالع إلى القلعة ، فلما تعدى
مدرسة العباد الكاتب وخرج من باب الغرب عرج إلى باب الفرج ، فصاحت
العامة لا لا [لا] ؛ وأنقلبت دمشق وخرج الناصر من باب الفرج إلى القابون^(٣) ،
فوقع بهاء الدين بن ملكيشوا وغلماناه في الناس بالدبابيس ، فأنكروا فيهم فهربوا .
وأما الجواد فإنه فتح الخزان وأخرج المال وفزق ستة آلاف ألف دينار ، وخلف
خمسة آلاف خلعة ، وأبطل المكوس والخمور ، ونفى الخواطي . وأقام الناصر
بالقابون أياما ، فغزموا على قبضه ، فرحل وبات بقصر أم حكيم ، وخرج خلفه أيك
الأشرفي ليمسكه ، وعرف عماد الدين بن مؤسك فبعث إليه في السر ، فسار في الليل
إلى تخلون ، ووصل أيك إلى قصر أم حكيم ، وعاد إلى دمشق .

(١) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) القابون : موضع بين وبين دمشق ميل
واحد في طريق القاصد إلى العراق في وسط البساتين (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) في الأصل :
« ابن بركيشو » . وفي مرآة الزمان : « مركيشو » . وما أئبناه عن عقد الجمان ، وقد ذكر فيه غير مرة
على هذه الصورة . (٤) قصر أم حكيم : برج الصفر من أرض دمشق .
(٥) حصن وريضة في جبل النور الشرق قبالة بيسان .

وسار الناصر إلى غزّة، فاستولى على الساحل، فخرج إليه الجوّاد في عسكر مصر والشام، وقال للأشرفيّة : كاتبوه وأطعموه فكاتنوه وأطعموه فأغتر بهم، وساق من غزّة في سبعمائة فارس إلى نابلس بأنقاله وخزائنه وأمواله، وكانت على سبعمائة جمل، وترك العساكر منقطعة خلفه، وصّرب دهلّيزه على سبسطيّة^(١)، والجوّاد على جيتين^(٢) فساقوا عليه وأحاطوا به، فساق في نفر قليل إلى نابلس، وأخذوا الجمال بأحمالها والخزائن والجواهر والجنائب وأستغنوا غنى الأبد، وأفتقر هو فقراً ما أفتقره أحد، ووقع عماد الدين بسقط صغير فيه آثنا عشرة قطعة من الجوهر وفصوص ليس لها قيمة، فدخل على الجوّاد فطلبه منه فأعطاه إياه. وسار الناصر لا يُلوى على شيء إلى الكرك. ثم وقع له أمور نذكر بعضها في حوادث العادل والصالح وغيرهما. انتهى.

١٠

ولما تمّ أمر العادل وتسلطن، صر وأستقر الجوّاد بدمشق على أنّه نائب العادل، وبلغ هذا الخبر الملك الصالح نجم الدين أيوب عظم عليه ذلك، كونه كان هو الأكبر، فقصد الشام بعد أمور وقعت له مع الخوّارزمية ومع لؤلؤ صاحب الموصل، ثم سار الملك الصالح بعساكر الشرق حتى وافى دمشق ودخلها في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة، فخرج إليه الملك الجوّاد وألتقاه، وآتفق معه على مقايضة دِمَشْق بِسِنْجَار وعانة، وسببه [ضيق^(٤)] عَطَن الجوّاد، [وعجزه عن القيام بمملكة الشام] فإنه كان يُظهر أنّه نائب العادل بدمشق في مدة إقامته، ثم خاف الجوّاد أيضا من العادل، وظنّ أنّه يأخذ دمشق منه، فخرج الجوّاد إلى البريّة وكاتب الملك الصالح

١٥

(١) سبسطية : بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان وبها قبر زكريا. ويحيى عليهما السلام. (٢) جيتين : قرية ببلدة غزّة (عن تصحيحات ياقوت). (٣) عانة : بدمشقر بين الرقة وهيت يعد في أعمال الجزيرة وهي مشرفة على الفرات قرب مدينة النورة (عن معجم البلدان لياقوت). (٤) زيادة عن مرآة الزمان.

٢٠

المذكور حتى حضر، فلما حضر آستانس به وقايضه ودخلا دمشق، ومشي الجواد بين يدي الصالح وحمل الفاشية من تحت القلعة، ثم حملها بعده الملك المظفر صاحب حماة من باب الحديد، ونزل الملك الصالح أيوب بقلعة دمشق، والجواد في دار فرخشاه، ثم ندم الجواد على مقايضة دمشق بسنجار، وأستدعى المقدمين والجند وأستحلفهم، وجمع الصالح أصحابه عنده في القلعة، وأراد الصالح أن يحرق دار فرخشاه، فدخل ابن جرير في الوسط وأصلح الحال. ثم خرج الجواد إلى التيرب، وأجتمع الخلق عند باب النصر يدعون عليه ويسبونه في وجهه، وكان قد أساء السيرة في أهل دمشق. ثم خرج الصالح من دمشق وتوجه إلى خربة الأصوص على عزم الديار المصرية، فكتب عمه صاحب بعلبك الملك الصالح إسماعيل بن العادل، وسار الملك الصالح نجم الدين إلى نابلس فاستول عليها وعلى بلاد الناصر داود، فتوجه الناصر داود إلى مصر داخلا في طاعة الملك العادل، فأكرمه العادل وأقام الصالح بنابلس ينتظر مجيء عمه الصالح إسماعيل، فلم ينفذ الملك الصالح إسماعيل إلى ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب هذا، وتوجه نحو دمشق وهجم عليها ومعه أسد الدين شيركوه صاحب خمص فدخلوها يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر من سنة سبع وثلاثين، وكل ذلك والصالح نجم الدين مقيم بنابلس، وأتفق الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك، وأسد الدين شيركوه صاحب خمص على أن تكون البلاد بينهما مناصفة. ونزل الصالح إسماعيل في دمشق بداره بدرب الشعارين، ونزل صاحب خمص بداره

(١) في الأصل : « من تلك القلعة » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٢) باب الحديد ، هو الباب الخاص بقلعة دمشق (راجع زهرة الأنعام في محاسن الشام) . (٣) ابن

جرير هو صاحب جمال الدين علي بن جرير الرقي الوزير، وزر للأشرف ثم للصالح إسماعيل وتوفي في جمادى

الآخرة سنة ٦٣٦ هـ . (عن شذرات الذهب) . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٨ ج ٥ .

من هذه الطبعة . (٥) هو من أبواب دمشق الحديثة بين باب الجابية والفراedis (عن زهرة الأنعام) .

(٦) خربة الأصوص : مكان بالشام . (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٦٠٤) .

- أيضا ، وأصبحوا يوم الأربعاء فزحفوا على القلعة وقبضوها من ناحية باب الفرج ،
 وهتكوا حرمتها ودخلوها ، وبها الملك المغيث عمر بن الملك الصالح أيوب ، فأعقله
 الصالح إسماعيل في بُرج ، وآستولى على جميع ما في القاعة . وبلغ الملك الصالح
 نجم الدين أيوب ما جرى ، وقيل له في العود إلى دمشق ، فخلع الصالح أيوب على
 عمه ^(١) مجير الدين وتيق الدين وعلى غيرهم ، وأعطاهم الأموال وقال لهم : ما الرأي ؟
 قالوا : نسوق إلى دمشق قبل أن تؤخذ القلعة . فخرجوا من نابلس فنزلوا القصير فبلغهم
 أخذ القلعة ، ففر بنو أيوب بأسرهم وخافوا على أولادهم وأهلهم بدمشق ، وكان
 الفساد قد لعب فيهم ، فتركوا الصالح أيوب وتوجهوا إلى دمشق ، وبقي الصالح
 في ممالكه وغلبانه لا غير ، ومعه جاريته شجرة الدر أم خليل ، فرحل من القصير
 يريد نابلس فطمع فيه أهل الغور والقبائل ، وكان مقدمهم شيخا جاهلا يقال له
 مسبل من أهل بيسان قد سفك الدماء ، فقاتل عسكر الصالح معه حتى كسروه ؛
 ثم اتفق بعد ذلك بجي الملك الناصر داود من مصر بغير رضا من الملك العادل
 صاحب مصر ووصل إلى الكرك ، وكتب الوزير ^(٢) إلى الناصر يُخبره الخبر ، فلما
 بلغ الناصر ذلك أرسل عماد الدين بن موسى والظاهر بن سُقُر الحلبّي في ثلثمائة فارس
 إلى نابلس . فركب الصالح أيوب وألحقاهم فخدموه وسلموا عليه بالسلطنة ، وقالوا له :
 طيب قلبك ، إلى بيتك جئت ، فقال الصالح : لا ينظر ابن عمي فيما فعلت ، فلا زال
 الملوك على هذا ؛ وقد جئت إليه أستجير به ، فقالوا : قد أجارك وما عليك بأس ؛
- (١) هو مجير الدين يعقوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وراجع الحاشية رقم ١٤ ص ١٧٢
 من هذا الجزء . (٢) هو تيق الدين عباس بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .
 (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من هذا الجزء . (٤) الغور : المراد به غور الأردن بالشام
 بين بيت المقدس ودمشق . (٥) في مرآة الزمان وعقد الجمان : « يقال له تيل » .
 (٦) في الأصل : « فسأل الملك الصالح الوزير أن يكتب له الوزير الخبر » وهي عبارة
 غير واضحة . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وأقاموا عنده أياما حول الدار . فلما كان في بعض الليالى ضربوا بوق التغير وقالوا : جاءت الفرنج ، فركب الناس ومماليك الصالح ووصلوا إلى سبسطية ، وجاء عماد الدين والظاهر بالسكر إلى الدار ، وقالوا للصالح : تطلع إلى الكرك ، فإن ابن عمك له بك اجتماع ، وأخذ سيقه . وكانت شجرة الدُرّ حاملا فسقطت ، وأخذوه وتوجهوا به إلى الكرك . واستفحل أمر أخيه الملك العادل صاحب مصر بالقبض على الصالح هذا ، وأخذ وأعطى وأمر ونهى ، فتغير عليه بعض أمراء مصر ، ولكن ما أمكنهم يومئذ إلا السكات .

وأما الصالح ، قال أبو المظفر : ولما اجتمعت به (يعنى الصالح) في سنة تسع وثلاثين وسقانة بالقاهرة حكى لى صورة الحال قال : أركبوني بغلة بغير مهماز ولا مفرجة ، وساروا إلى الموتة^(١) في ثلاثة أيام ، والله ما كتبت أحدا منهم كلمة ، ولا أكلت لم طعاما حتى جاءنى خطيب الموتة ومعه بُردة عليها دجاجة ، فاكلت منها وأقاموا بى في الموتة يومين وما أعلم إيش كان المقصود ، فإذا بهم يريدون [أن] يأخذوا طالما نحسا يقتضى ألا أخرج من حبس الكرك ، ثم أدخلوني إلى الكرك ليلا على الطالع الذى كان سبب سعادتى ونحوسهم .

قلت : وأنا تمق ينكر على أرباب التقاويم أفعالهم وأقوالهم لأنى من عمرى أصحب أعيانهم فلم أرى يقولونه محبة ، بل الكذب الصريح المحض ، ويعجنى قول الإمام الربانى عبد المؤمن بن هبة الله الجرجانى فى كتابه « أطباق الذهب » الذى يشتمل على مائة مقالة [وأثنين] ، والذى أعجنى من ذلك هى المقالة الثالثة والعشرون ،

(١) فى الأصل : « إلى البرية » . وما أثبتناه عن عقد الجمان . والموتة : قرية من قرى البلسان فى حدود الشام وقيل من مشارف الشام وهى على مرحلة من الكرك (عن معجم البلدان) لياقوت وتقوم البلدان لأبى الفدا إسماعيل .

(٢) فى الأصل : « طالما غيئا » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

- وهي تما نحن فيه من علم الفلك والنجوم، قال: «أهل التسبيح والتقديس، لا يؤمنون بالتربيع والتسديس؛ والإنسان بعد علو النفس، يَجَلُّ عن ملاحظة السعد والنحس؛ وإن في الدين القويم، استغناء عن الزيج والتقويم؛ والإيمان بالكهانة، باب من أبواب المهانة؛ فأعرض عن الفلاسفة، وغضّ بصرك عن تلك الوجوه الكاسفة، فأكثرهم عبدة الطمع، وحرس الكواكب السبع؛ ما للنجيم الغي، والعلم الغيبي، وما للكاهن الأجنبي»^(١)، وسرّحجب عن النبي؛ وهل يخدع بالقال، إلّا قلوب الأطفال؛ وإن أمراً جهل حال قومه، وما الذي يجري عليه في يومه؛ كيف يعرف علم الغد وبعده، ونحس الفلك وسعده! وإن قوما يأكلون من قرصة الشمس لمهزولون، وإنهم عن السمع لمعزولون؛ ما السموات إلّا مجاهل خالية، والكواكب صوّاه^(٢)، والنجوم إلّا هياكل عالية، ومن الله قواها؛ سبعة سيرة نيرة، خمسة منها متحيرة، شرارة وخيرة طباعها متغايرة؛ كل يسرى لأمرٍ مُعْتَى، وكل يجري لأجل مستمى! انتهت المغالة بتأملها وكملها. وقد خرجنا بذكرها عن المقصود، ولنرجع إلى ما نحن فيه من ترجمة العادل وأخبار أخيه الصالح.

- قال: ووكّلوا بى مملوكاً لهم، [فظاً غليظاً^(٣)] يقال له: زُرَيْق، وكان أضّر على من كلّ ما جرى، فأفقت عندهم إلى شهر رمضان سبعة أشهر، ولقد كان عندي خادمٌ صغير فأتفق أن أكل ليلةً كثيراً فأنتقم وبال على البساط، فأخذتُ البساط بيدي والخادم، وقتت من الإيوان إلى قرب الدّهليز، وفي الدهليز ثمانون رجلاً يحفظوننى، وقلت: يا مقدّمون، هذا الخادم قد أتلف هذا البساط، فأذهبوا به إلى الوادى

(١) زيادة عن أطباق الذهب.

(٢) في الأصل: «صوّاه» وهو تصحيف.

وما أمتناه عن أطباق الذهب.

(٣) زيادة عن عقد الجمان.

وَأَغْسَلُوهُ فَتَقَرَّ فِي زُرْبَيْقٍ، وَقَالَ : إِيْشْ جَاءَ بِكَ إِلَى هَا هُنَا ! وَصَاحُوا عَلَى فَعْدَتِ
إِلَى مَوْضِعِي . اِنْتَهَى .

قلت : وَأَمَّا مَمَالِيكَ وَخَزَائِنُهُ فَإِنَّ الْوَزِيرَ تَوَجَّهَ بِهِمْ إِلَى قَلْعَةِ الصَّلْتِ^(١) . وَأَقَامَ
مَمَالِيكَ بِنَابُلُسَ ، وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ بَلَغَ الْمَلِكُ الْعَادِلَ صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ
مَا جَرَى عَلَى أَخِيهِ الصَّالِحِ ، فَأَظْهَرَ الْفَرْحَ وَدُقَّتِ الْكُوسَاتُ وَزُيِّنَتِ الْقَاهِرَةُ ؛
ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ الْمَذْكُورَ الْعَلَاءَ بْنَ النَّابُلُسِيِّ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبِ
الْكُرْكِ ، يَطْلُبُ الْمَلِكُ الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ الْمَذْكُورَ مِنْهُ ، وَيُعْطِيهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ
فَمَا أَجَابَ . ثُمَّ كَاتَبَهُ الْمَلِكُ الصَّالِحَ صَاحِبُ بَعْلَبَكْ ، وَصَاحِبُ يَمْحَصَ أَسَدَ الدِّينِ^(٢)
شِيرِكُوهُ فِي إِرسَالِهِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ إِلَى مِصْرَ ؛ كُلُّ ذَلِكَ وَالْعَادِلُ فِي قَلْقٍ مِنْ جِهَةِ
الصَّالِحِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ الْمَلِكُ النَّاصِرُ دَاوُدَ لِكَلَامِهِمْ ؛ وَأَقَامَ الصَّالِحُ مَدَّةً فِي الْحَبْسِ حَتَّى
أَشَارَ عِمَادُ الدِّينِ وَأَبْنُ قَلِيحٍ وَالظَّهْرِيُّ عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِالْإِتِّفَاقِ مَعَ الصَّالِحِ نَجْمَ الدِّينِ
أَيُّوبَ وَإِنْجِرَاجِهِ ، فَأَخْرَجَهُ النَّاصِرُ وَتَخَالَفَا وَاتَّفَقَا ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ ،
وَكَانَ تَحْلِيْفُ النَّاصِرِ دَاوُدَ لِلصَّالِحِ أَيُّوبَ عَلَى شَيْءٍ مَا يَقُومُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَهُوَ
أَنَّهُ يَأْخُذُ لَهُ دِمَشْقَ وَحِمَاةَ وَحُلُبَ وَالْجَزِيرَةَ وَالْمَوْصِلَ وَدِيَارَ بَكْرٍ وَنِصْفَ
دِيَارِ مِصْرَ وَنِصْفَ مَا فِي الْخَزَائِنِ مِنَ الْمَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْخَلِيلِ وَالثِّيَابِ وَغَيْرِهَا ؛
فَخَلَّفَ الصَّالِحُ عَلَى هَذَا كُلِّهِ وَهُوَ تَحْتَ الْقَهْرِ وَالسِّيفِ . وَلَمَّا عَلِمَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ
صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ بِمَخْلَاصِ أَخِيهِ الصَّالِحِ اتَّفَقَ مَعَ عَمِّهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ
صَاحِبِ بَعْلَبَكْ الَّذِي مَلَكَ دِمَشْقَ ؛ فَسَارَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ مِنْ مِصْرَ وَالْمَلِكُ الصَّالِحُ مِنْ

(١) الصلت : بليدة وقلة من جند الأردن وهي في جبل النور الشرق جنوبي مجلون على مرحلة عنها
(عن تقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل) .

(٢) في الأصل : « فأجاب » . وما أتبعناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

- دمشق ومعه أسد الدين صاحب حصص ، ثم عزموا على قصد الناصر والصالح ؛ فأول من برز لهم الملك العادل صاحب الترجمة بعساكر مصر ، ونهج وسار حتى وصل إلى بليس ؛ وكان قد أساء السيرة في أمرائه وحواشييه ، فوقع الخلف بينهم وتزايد الأمر حتى قبضوا عليه ، وأرسلوا إلى الصالح نجم الدين أيوب يعرفونه ويسألونه الإسراع في المحي ، إلى الديار المصرية . فسار ومعه الملك الناصر داود صاحب الكرك وجماعة من أمرائه ابن مؤسك وغيره ، فكان وصول الصالح إلى بليس في يوم الأحد رابع عشرين ذى القعدة ، فنزل في خيمة العادل ، والعادل معتقل في نحره . قال أبو المظفر : حكى لي الصالح واقعات جرت له في مسيره إلى مصر [منها] ^(١) أنه قال : ما قصدت بجي الناصر معي إلا خوفا أن تكون معمولة على ، ومنذ فارقتا غزاة تغير على ، ولا شك أن بعض أعدائي أطعمه في الملك ، فذكر لي جماعة من ممالكي أنه تحدث معهم في قتل . قال : ومنها أنه لما أخرجني (يعني الناصر) ندم وعزم على حبسي ، فرميت روعي على ابن قبيج ، فقال : ما كان قصده إلا أن يتوجه إلى دمشق أولاً فإذا أخذنا دمشق عدنا إلى مصر . قال : ومنها أنه ليلة وصل إلى بليس شرب وشطح إلى العادل ، فخرج له من الحركاه فقبل الأرض بين يديه ، فقال له : كيف رأيت ما أشرت عليك ولم تقبل مني ! فقال : يا خوندة ، التوبة ، فقال : طيب قلبك ، الساعة أطلقك ، وجاء فدخل علينا الخيمة ووقف ، فقلت : باسم الله اجلس ، فقال : ما أجلس حتى تطلق العادل ، فقلت : أفعد ، وهو يكرر الحديث ؛ ثم سكت ونام فما صدقت بنومه وقت في باقي الليل ، فأخذت العادل في محفة ورحلت به إلى القاهرة . ولما دخلنا القاهرة

بعث إليه بعشرين ألف دينار، فعادت إلى مع ظلماتي ، وغضب وأرد نصف ما في خزائن مصر .

قلت : وأستولى الصالح على ملك مصر وقبض على أخيه العادل صاحب الترجمة في يوم الاثنين خامس عشرين ذي الحجة وحبسه عنده بالقلعة سنين .

قال سعد الدين مسعود بن حمويه : وفي خامس شوال سنة ست وأربعين وستمائة جهز الصالح أخاه أبا بكر العادل ونفاه إلى الشوبك ، وبعث إليه الخادم محسنًا يكلمه في السفر، فدخل عليه الحبس وقال له : السلطان يقول لك : لا بُدَّ من رَواحك إلى الشوبك ، فقال : إن أردتم أن تقتلوني في الشوبك فهاتنا أولى ولا أروح أبدًا ، فعذله محسنٌ، فرماه بدواة كانت عنده ، فخرج وعرف الصالح أيوب بقوله ، فقال : دبر أمره ، فأخذ المحسن ثلاث ممالك ودخلوا عليه ليلة الاثنين تاني عشر شوال فخنقوه بشاش وعلقوه به ، وأظهروا أنه شقَّ نفسه وأخرجوا جنازته مثل بعض القُرباء ، ولم يتجاسر أحد أن يترحم عليه أو يبكي حول نعشه ، وعاش بعده الملك الصالح عشرة أشهر رأى في نفسه العبر من مرض تمارى به وما نفعه الاحتراز كما سيأتي ذكره في ترجمته . إن شاء الله تعالى . وزاد ابنُ خلِّكان في وفاته بأن قال : ودُفن في تربة شمس الدولة خارج باب النصر — رحمه الله تعالى — . وكان للعادل المذكور ولد صغير يقال له الملك المغيث مقيم بالقلعة فلا زال بها إلى أن وصل ابنُ عمه الملك المعظم توران شاه بعد موت أبيه الصالح نجم الدين إلى المنصورة ، وسير المغيث المذكور من هناك ونقله إلى الشوبك ، فلما جرت الكائنة على المعظم ملك المغيث الكرك وتلك النواحي . قلت : وكانت ولاية الملك العادل

(١) في الأصل : « فدخل عليه المحسن » . وما أئبناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٢) راجع هذا الخبر في ابن خلِّكان في ترجمة والده الملك الكامل .

على مصر سنة واحدة ونحو شهرين وأياماً مع ما وقع له فيها من الفتن والأنكاد، ولم يُعرف حاله فيها لِصِغَر سنه وقِصَر مدته — رحمه الله تعالى — والعاقل هذا يُعرف بالعاقل الصغير، والعاقل الكبير هو جدّه .



٥. السنة الأولى من ولاية الملك العادل الصغير أبي بكر ابن الملك الكامل محمد على مصر، وهى سنة ست وثلاثين وستمائة . على أنه ولى السلطنة في شهر رجب منها . فيها تُوفى محمود بن أحمد الشيخ الإمام العلامة جمال الدين الحَصِيرى الحنفى، أصله من بخارى من قرية يقال لها حَصِير، وتفقه في بلده وسمع الحديث وبرّع في علوم كثيرة، وقديم الشام ودرس بالنورية، وأتته إليه رياسة الحنفية في زمانه، وصنّف الكتب الحسان، وشرح «الجامع الكبير»^(١)، وقرأ عليه الملك المعظم عيسى الجامع الكبير وغيره . وكان كثير الصدقات غزير الدّعة، عاقلاً ديناً زهواً عفيفاً وقوراً، وكان المعظم يحترمه ويؤيّه . وكانت وفاته في يوم الأحد ثامن صفر، ودفن بمقابر الصوفية عند المنيّس، ومات وله تسعون سنة .

- وفيهما تُوفى عماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ محمد المنعوت بالصاحب، وهو الذى كان السبب في عطاء دِمَشق الجواد، فلمّا مضى إلى مصر لآمَهُ العادل على ذلك وتهنّده، فقال: أنا أمضى إلى دمشق، وأنزل بالقاعة وأبعث بالجواد إليك، وإن أمتنع فُتْنَا عليه، فسار إلى دِمَشق فوصلها قبل مجئ الملك الصالح نجم الدين أيوب، ونزل بقلعة دمشق وأمر ونهى، وقال: أنا نائب العادل، وأمر الجواد بالمسير

(١) في تاج التراجم والجواهر الماضية في طبقات الحنفية وعقد الجان: «والحصيرى نسبة إلى محلة بخارى يعمل بها الحَصِير» . (٢) هو الجامع الكبير في الفروع للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى صاحب أبى حنيفة التوفى سنة ١٨٩ هـ .

إلى مصر . وكان أسد الدين صاحب حصن بدمشق ، فاتفق مع الجواد على قتل عماد الدين ، فاستدعى صاحب حصن نصارى قارة وأمره بقتله ، فركب ابن الشيخ يوماً من القلعة بعد العصر فوثب عليه النصرائي وضربه بالسكاكين حتى قتله ؛ وذلك في جمادى الأولى . ودخل الصالح أيوب دمشق فحبس النصرائي أياماً ثم أطلقه ، ومات عماد الدين وله ست وخمسون سنة .

وفيها توفى الحافظ زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزاني الإشبيلي بمكة في رابع عشرين شهر رمضان ودُفن بها ، وكان إماماً فقيهاً محدثاً فاضلاً ديناً — رحمه الله —

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني المالكي بمكة . وصاحب مآريدين ناصر الدين أرتقي الأرتقي . وأبو المعالي أسعد بن المسلم بن مكي بن علان القيسي في رجب ، وله ست وتسعون سنة . والمحذث بدل بن أبي المعمر التبريزي في جمادى الأولى . وأبو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله الحمداني المالكي المقرئ في صفر ، وله تسعون سنة . والعلامة جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل [بن عثمان ابن يوسف بن حسين] بن حفص الصفراوي المالكي مفتي الإسكندرية ومقرئها في شهر ربيع الآخر ، وله اثنتان وتسعون سنة . والشيخ عثمان القصير الزاهد . وشيخ

(١) قارة : قرية كبيرة على قارة الطريق ، وهي المنزل الأول من حصن للقاصد إلى دمشق ، وأهلها كلهم نصارى (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) البرزاني : راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٤ من هذا الجزء . (٣) في عقد الجنان والبداية والنهاية لابن كثير : « في رابع عشر » . (٤) القسطلاني : نسبة إلى قسطلية ، وهي مدينة بالأندلس وهي أيضاً إقليم بإفريقية ، كما في شرح القاموس ومعجم البلدان . (٥) في الأصل : « بدر » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية في التاريخ . (٦) التكلية عن غاية النهاية وشذرات الذهب . (٧) الصفراوي : نسبة إلى وادي الصفراء بالجهاز .

- تَصِيْبِيْن عَسْكَر بن عبد الرحيم بن عسكر عن نَيْف وسبعين سنة . والصاحب عماد الدين
عمر ابن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر الجَوْنِي قَتِيلًا بقلعة دمشق .
وأبو الفضل محمد بن محمد بن الحسن بن السَّبَّاح في شهر ربيع الآخر . والحافظ
زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن البرزالي الإشبيلي بجماعة في رمضان ، وله
ستون سنة . والعلامة جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري الحِصْرِي .
شيخ الحنفية بدمشق في صفر ، وله سبعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ
الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .



- ١٠ السنة الثانية من ولاية الملك العادل الصغير ابن الملك الكامل على مصر ،
وهي سنة سبع وثلاثين وستمائة .
فيها خَلِع الملك العادل المذكور من مُلك مصر بأخيه الملك الصالح نجم الدين
أيوب حسب ما تقدم ذكره .

- وفيها هَيَّم الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك على دمشق ، ومعه أسد الدين
شِيرْكُوهُ صاحب حمص ومَلِكْهَا في يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر .
١٥ وفيها تُوْفِيَ الملك ناصر الدين أُرْتُقُ صاحب ماوِدين الأَرْتُقُ ، كان الملك المعظم
عيسى بن العادل تزوج أخته ، وهي التي بنت المدرسة والتربة عند الجسر الأبيض
بقايسون ، ولم تُدْفَن فيها لأنها نُقِلَتْ بعد موت زوجها المعظم إلى عند أبيها بماوِدين

(١) في الأصل : « الحسين » . والتصحيح عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

(٢) هو الذي تقدمت وفاته في السنة الماضية فيمن ذكر الذهبي وفاتهم .

فانت هناك . وكان ناصر الدين المذكور شيخا شجاعا شهما جوادا ما قصده أحد
وخبه . قتله ولده بماردين خنقا وهو سكران .

وفيهما توفى الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه
ابن شادى الأيوبي صاحب حصص ، أعطاه أبن عم أبيه السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب حصص بعد وفاة أبيه محمد بن شيركوه في سنة إحدى وثمانين ، فأقام بها إلى
هذه السنة ، وحفظ المسلمين من الفرنج والعرب ، ومات بخص في يوم الثلاثاء
العشرين من شهر رجب ودفن بها .

وفيهما توفى يعقوب الخياط كان يسكن مقارة الجوع بقايسون . وكان شيخا
صالحا لقي المشايخ وعاصر الرجال ومات بقايسون — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى قاضى القضاة
شمس الدين أحمد بن الخليل الخوي^(١) في شعبان ، وله أربع وخمسون سنة .
وأبو البقاء إسماعيل بن محمد بن يحيى المؤدب راوى مسند إسحاق ، في المحرم . والصدر
علاء الدين أبو سعد ثابت بن محمد [بن أبي بكر]^(٢) النجندى بشيراز ، وله تسع وثمانون
سنة . وأمين الدين سالم بن الحافظ بن صصرى في جمادى الآخرة ، وله ستون سنة .
وصاحب حصص الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن شادى في رجب ، وكانت

(١) في الأصل : « الحصى » . والتصويب عن عقد الجمان والذيل على الروضتين والمشتبه في أسماء
الرجال . والخوي ، نسبة إلى خوى : بلد مشهور من أعمال أذربيجان وهو حصن كثير الخير والقواكه
(عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) الزيادة عن شذرات الذهب . والنجندى (بضم الخاء المعجمة
وقتح الجيم وسكون النون ومهمله) : نسبة إلى نجنده : مدينة بطرف سيجون .

(٣) هو بهاء الدين أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن صبرى (عن تراجمان للقبوى) .

(٤) في تراجمان : « مولده في جمادى الآخرة سنة ٥٧٣ هـ » .

- دولته ستاً وخمسين سنة . والقاضى أبو بكر عبد المجيد بن عبد الرشيد بن علي بن
 سَمَانُ الهَمْدَانِي سِيطَ الحافظ أبي العَلَاءِ في شَوَّالِ ^(١) عن ثلاث وسبعين سنة .
 وأبو القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن الطُّفَيْلِ في ذى الحِجَّةِ . وإمام الرُّبُوعِ ^(٢)
 عبد العزيز بن دُلْفِ المقرئ الناسخ في صفر . وأبو الحسن علي بن أحمد الأندلسي
 الحَمَزَانِي الصوفي المفسر بَحْمَاة . وشمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الكريم ^(٣)
 الكاتب بدمشق في رجب . والحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى في شهر ^(٤)
 ربيع الآخر، وله تسع وسبعون سنة . وتوفي الدين محمد بن طَرْخَانَ السلمي الصالحى
 في المحرم، وله ست وسبعون سنة . وأبو طالب محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن [بن أحمد ^(٥)
 ابن علي] بن صابر السلمي الزاهد في المحرم . والمحاسب رشيد الدين أبو الفضل
 محمد بن عبد الكريم بن الهادي التَّنِسِيّ في جُمَادَى الآخِرَةِ ، وله ثمانٍ وثمانون سنة . ١٠

(١) في مجلد من تاريخ الإسلام للذهبي مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت ١٤٥٢ تاريخ:

« محمد بن عبد الرشيد ابن علي بن نيهان أبو أحمد الهمداني » . وقد ذكر وفاته سنة ٦٣٨ هـ .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل الامام الحافظ الأستاذ أبو العلاء

الهمداني العطار شيخ همدان وإمام العراقيين ، تقدمت وفاته فيمن ذكر الذهبي وفاتهم سنة ٥٦٩ هـ .

- (٣) الربوة يريد ربوة دمشق : وهى مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربى وبه صفة محراب يقال إنه
 مهد عيسى عليه السلام . يزار وينذر له . وفيها جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد ، وبها قاعات وأطباق ،
 وفيها عين ماء . (عن نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٨٣) . وذكر صاحب شذرات الذهب أن عبد العزيز
 ابن دلف هذا كان مقبلاً ببغداد وتوفي بها ودفن بجانب معروف الكرخي (راجع ترجمته بتفصيل واف
 في شذرات الذهب) . (٤) في شذرات الذهب : « ابن الكريم الكاتب شمس الدين محمد
 ابن الحسن بن محمد بن علي البغدادي المحدث الأديب » . (٥) هو الديلمي المؤرخ المشهور كان
 في الحديث وأسماء رجاله والتاريخ من الحفاظ المشهورين والنبلاء المذكورين . صنف كتاباً جعله
 ذيلاً على تاريخ أبي سعد عبد الكريم بن السمعانى (راجع ترجمته في ابن خلكان ونثر الجمان للقبوي
 وطبقات الشافعية) . (٦) الكلمة عن شذرات الذهب .

(٧) التنسي ، نسبة إلى تنس : بلد بآمنافريقية عما يلي المغرب . وفي شذرات الذهب : « التنسي » .

والصاحب شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد المستوفي بالموصل في المحزم .
 والصاحب ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم [بن عبد الواحد^(٢)
 المعروف بآ] بن الأثير الشيباني الجزري الكاتب مؤلف كتاب « المثل السائر »
 في شهر ربيع الآخر، وله نحو من ثمانين سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وثمانى أصابع .
 مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا .

(١) في الأصل : « أبو البركات نصر الله بن المبارك » . والتصويب عن ابن خلكان وشذرات الذهب
 وعقد الجمان . كان رئيسا جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم ولم يصل الى إربل أحد من الفضلاء .
 إلا وبادر إلى زيارته (راجع بقية نسبه وترجمته في ابن خلكان وثر الجمان) .

(٢) زيادة عن ابن خلكان وثر الجمان للقبوى (راجع بقية ترجمته أيضا في ابن خلكان وثر الجمان) .

ذكر سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر

- هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى الأيوبي سلطان الديار المصرية . وقد تقدم أن الملك الصالح هذا ولى الشرق وديار بكر فى أيام والده الملك الكامل سنين ، وذكرنا أيضا ما وقع له بعد موت الكامل مع أخيه العادل ، ومع ابن عمه الملك الناصر داود وغيرهما فى ترجمة أخيه العادل مفصلا إلى أن ملك الديار المصرية فى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وثلاثين وستمائة . ومولده بالقاهرة فى سنة ثلاث وستمائة وبها نشأ ، واستخلفه أبوه على مصر لما توجه إلى الشرق فأقام الصالح هذا بمصر مع صواب الحادى لا أمر له ولا نهى إلى أن عاد أبوه الكامل إلى الديار المصرية ، وأعطاه حصن كيفا فتوجه إليها ، ووقع له بها أمور ووقائع مع ملوك الشرق بتلك البلاد فى حياة والده حتى مات أبوه ، ووقع له ما حكيناه إلى أن ملك مصر ، ولما تم أمره بمصر أصلح أمورها ومهد قواعدها .

- قلت : والملك الصالح هذا هو الذى أنشأ الممالك الأتراك وأمرهم بديار مصر ، وفى هذا المعنى يقول بعضهم :

الصالح المرتضى أيوب أكثر من * ترك بدولته يا شر مجلوب
قد أخذ الله أيوباً بفعلته * فالناس كلهم فى ضرر أيوب^(١)

وقال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي فى تاريخه — بعد أن ذكر من مبدأ أمره نبذة إلى أن قال — : « ثم ملك مصر بلا كلفة واعتقل أخاه ، ثم جهز من أوهم

(١) كذا فى بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس . وفى الأصل : « لا أخذ الله أيوبا... الخ » .

الناصر بأن الصالح في نية القبض عليه ، خاف وغضب فأسرع إلى الكرّك . ثم تحقق الصالح [فساد] ^(١) نيات الأشرية ، وأنهم يريدون الوثوب عليه ؛ فأخذ في تفريقهم والقبض عليهم ، فبعث مقدّم الأشرية وكبيرهم أَيْبَك الأشرق نائباً على جهة ، ثم سَير مَنْ قبض عليه ، ثم مسكهم عن بكرة أبيهم وسجنهم ؛ وأقبل على شراء المالك الترك والخطائية ، واستخدم الأجناد ؛ ثم قبض على أكبر الخدام : شمس الدين الخاخص وجوهر الثوبى وعلى جماعة من الأمراء الكاملية وسجنهم بقلعة صدر بالقرب من ايلة ؛ وأخرج نحر الدين ابن الشيخ من سجن العادل فركب رُكبة عظيمة ، ودعت له الرعية لكرمه وحسن سيرته ، فلم يُعجب الصالح ذلك وتخيّل ، فأمره بلزوم بيته . وأستوزر أخاه معين الدين . ثم شرع يُؤمّر غلمانَه (يعنى مماليكه) فاكثرت من ذلك ، وأخذ في بناء قلعة الجزيرة وأتخذها سكناً ، وأنفق عليها أموالاً عظيمة ، وكانت الجزيرة قبلاً منترها لوالده ، فشيدها في ثلاثة أعوام وتحول إليها . وأما الناصر داود فإنه اتفق مع عمه الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص فاتفقوا على الصالح .

- (١) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي . (٢) في تاريخ الاسلام : « أيلك الأسمر » .
 (٣) قلعة الجزيرة (قلعة الروضة) : هذه القلعة أنشأها الملك الصالح بجزيرة الروضة في سنة ٦٣٨ هـ
 ١٥ ضرفت بقلعة الروضة ، وبقلة الجزيرة ، وبقلة جزيرة القسطنطين ، وبقلة المقياس ، وبالقلعة الصالحية . قال المقرئى (ج ٢ ص ١٨٣) : وقد اتفق الصالح في عمارتها أموالاً كثيرة حيث بنى فيها الدور والقصور ، وعمل لها ستين برجاً ، وبنى بها جامعا ، ثم اتخذها دار ملك وسكن فيها بأهله وحرمة وأسكن فيها معه مماليك البحرية . وكانت عندهم نحو الألف مملوك ، وقد عرفوا بالممالك البحرية لسكنائهم هذه الجزيرة الواقعة في بحر النيل . وقد درست هذه القلعة بما كان فيها ولم يبق لها أثر اليوم .
 ٢٠ وما ذكره المقرئى من أن هذه القلعة كانت تمتد مبانيها إلى مقياس النيل من الجهة الجنوبية ؛ وما ذكره السيوطى في كوكب الروضة عند الكلام على جامع الرئيس الذى يعرف اليوم باسم زاوية البساطى من أنها في مكان برج الطراز من القلعة في جهتها الشمالية . ومن بحوث أخرى تبين أن هذه القلعة كانت تشغل مساحة من الأرض لا تقل عن ٦٥ فداناً واقعة في الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة . ومكانها المنطقة التى تحت اليوم من الشمال بشارع الملك المظفر ، ومن الغرب بئر النيل ، ومن الجنوب بسلامك سراى حسن باشا فؤاد المسترلى وبمقياس النيل ، ومن الشرق بسيالة جزيرة الروضة . والسلامك المذكور كان مكانه الجامع =

- وأما الخوَارَزْمِيَّةُ فإنَّهم تغلبوا على عِدَّةِ فِلَاحٍ وعائوا وخرَّبوا البلادَ ، وكانوا شُرَّاءَ
من التَّتَّارِ ، لا يعفون عن قتل ولا [عن] سَبِّ ولا في قلوبهم رحمة . وفي سنة
إحدى وأربعين وقع الصالح بين الصالحين وصاحب حِمص على أن تكون دمشق
للصالح إسماعيل ؛ وأن يُقيم هو والحلبيون والحِمْصِيُّونَ الخطبةَ في بلادهم لصاحب
مصر ، وأن يخرج ولده الملك المغيث من اعتقال الملك الصالح إسماعيل . — والملك
المغيث هو ابن الملك الصالح نجم الدين ، كان مُعْتَقَلًا قبل سلطته في واقعة جرت .
قلت : (يعني أن الصالح قبض عليه لما ملك دِمَشْقَ بعد خروج الصالح من
دِمَشْقَ قاصداً الديار المصرية قبل أن يقبض عليه الناصر داود) وقد ذكرنا ذلك
كله في ترجمة العادل مفصلاً . قلت : وكذلك أطلق أصحاب الصالح ، مثل حُسام الدين
أبن أبي علي ، ومجير الدين بن أبي ذكري ، فأطلقهم الملك الصالح إسماعيل . —
وركب الملك المغيث وبقى يسير ويرجع إلى القلعة ، وردَّ على حُسام الدين ما أخذ منه .
ثم ساروا إلى مصر ، وأتفق الملوك على عداوة الناصر داود وجهاز الصالح إسماعيل
عسكراً يحاصرون عَجَلُونَ وهي للناصر ، وخطب لصاحب مصر في بلاده ، [وبقى
عنده المغيث حتى نأثيه نُسخُ الأيمان ، ثم بطل ذلك كله] . وقال ابن واصل :
لقد ننى جلال الدين الحِلَاطِيَّ قال :

١٥

- = الذى أنشأه أمير الجيوش بدر الجمال في سنة ٥٤٨٥ هـ على النيل بجوار المقباس من الجهة الغربية وعرف
بجامع المقباس ، وكانت بقايا هذا الجامع قائمة إلى سنة ١٢٦٧ هـ . وفيها أزال حسن باشا المذكور تلك
البقايا وبني هذا السلاطك في مكان جامع المقباس . (١) عبارة الذهبي : « فانهم تغلبوا على
حران وملكوا غيرها من القلاع وعائوا وخرَّبوا البلاد الجزرية » . (٢) في الأصل :
« بين الصالح » . والصواب عن تاريخ الاسلام للذهبي . (٣) راجع الحاشية رقم ٥ .
ص ٣٠٤ من هذا الجزء . (٤) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي .
(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

كنتُ رسولاً من جهة الصالح إسماعيل ، فورد عليّ منه كتابٌ وفي طيّه : كتابُ
 من الصالح نجم الدين إلى الخوَارِزْمِيَّةِ يختمهم على الحركة ويعلمهم [أنه] إنما صالح عمه
 الصالح ليخلص أباه المغيث من يده ، وأنه باقٍ على عداوته ، ولا بدّ له من أخذ
 دمشق منه ، فضيّت بهذا الكتاب إلى الصاحب مُعين [الدين] فأوقفته عليه ، فما أبدى
 عنه عُدراً يسوغ . وردّ الصالحُ إسماعيلُ المغيث بن الصالح نجم الدين إلى الاعتقال ،
 وقطع الخطبة وردّ عسكره عن عجلون وأرسل إلى الناصر داود وأتفق معه على
 عداوة صاحب مصر ؛ وكذلك رجع صاحب حلب وصاحب حمص عنه ، وصاروا
 كلمة واحدة عليه ، واعتقلت رسلهم بمصر ؛ واعتضد صاحبُ دمشق بالفرنج ،
 وسلم إليهم القدس وطبرية وعسقلان ، وتجهّز صاحب [مصر] الملك الصالح هذا
 لقتالهم ، وجهّز البعوث وجاءته الخوَارِزْمِيَّةُ فساقوا إلى غزّة وأجتمعا بالمصريّين ،
 وعليهم ركن الدين بيبرس البندُقداريّ الصالحى . قلت : ويبرس هذا هو غير
 بيبرس البندُقداريّ الظاهريّ ، وإنما هذا أيضاً على اسمه وشهرته ، وهذا أكبر من
 الظاهر بيبرس [وأقدم] ، وقبض عليه الملك الصالح بعد ذلك وأعدمه . انتهى .

قال ابن واصل : وتسلم الفرنج حرم القدس وغيره ، وعمروا قلعي طبرية
 وعسقلان وحصنوهما ، ووعدهم الصالح إسماعيل بأنه إذا ملك مصر أعطاهم
 بعضها ، فجمعوا وحشدوا وسارت عساكر الشام إلى غزّة ، ومضى المنصور
 صاحب حمص بنفسه إلى عكا وطلبها فأجابوه . قال : وسافرت أنا إلى مصر
 ودخلت القدس ، فرأيت الرهبان على الصخرة وعليها قناني الحمر ، ورأيت الجرس

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي . (٢) الكلمة عن تاريخ الاسلام للذهبي .

(٣) في الأصل : «وقتل الملك الصالح بعد ذلك وأعدمه» . وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبي .

في المسجد الأقصى، وأبطل الأذان بالحرم وأعلن الكفر . وقَدِمَ - وأنا بالقدس -
الناصر داود إلى القدس فنزل بغربيته .

- وفيها وَلَّى الصالحُ نجمُ الدين قضاءَ مصرَ للأفضل بعد أن عزَلَ أبنَ عبد السلام نفسه بمُدَيْدَةٍ . ولَمَّا عَدَّت الخوَارِزْمِيَّةُ القُرَات ، وكانوا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ ما مَرَّوا بِشَيْءٍ إِلَّا نَهَبُوهُ وَتَقَهَّقُوا الَّذِينَ بَغَزَهُ مِنْهُمْ ، وطلَعَ الناصر إلى الكَرْكَ وهربَت الفرنج من القدس ، فَهَجَمَت الخوَارِزْمِيَّةُ القدس وقتلوا مَنْ به من النصاري ، وَهَدَمُوا مَقْبَرَةَ القُتَّامَةِ (٣) ، وَجَمَعُوا بِهَا عِظَامَ الْمُوتَى فَحَرَقُوهَا ، وَنَزَلُوا بِغَزَةٍ وَرَاسَلُوا سَاحِبَ مِصْرَ (يعني الملك الصالح هذا) فَبَعَثَ إِلَيْهِم بِالْخِلْعِ وَالْأَمْوَالِ وَجَاءَتْهُمْ الْعَسَاكِرُ ، وَسَارَ الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ بِعَسَاكِرِهِ لِيَكُونَ مَرْكَزًا بِنَابُلُسَ ، وَتَقَدَّمَ الْمَنْصُورُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الشَّامِيِّينَ (يعني لِقَاتِلِ الْمِصْرِيِّينَ) وَكَانَ شَهْمًا شَجَاعًا قَدْ أَنْتَصَرَ عَلَى الْخوَارِزْمِيَّةِ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَسَارَ بِهِمْ وَرَافَقَتْهُ الْفَرَنْجُ مِنْ عَكَا وَغَيْرِهَا بِالْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ ، وَنَقَذَ النَّاصِرُ دَاوُدَ عَسَاكِرًا فَوَقَعَ الْمِصَافُ بِظَاهِرِ غَزَةٍ ، فَأَنْكَسَرَ الْمَنْصُورُ إِبْرَاهِيمَ شَرَكْسَةً . وَأَخَذَتْ سَيُوفُ الْمُسْلِمِينَ الْفَرَنْجَ فَأَفْتَوْهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا ، وَلَمْ يُقَلِّتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّارِدُ ، وَأَسْرَ أَيْضًا مِنْ عَسَاكِرِ دِمَشْقَ وَالْكَرْكَ جَمَاعَةً مِنَ الْمُقَدِّمِينَ .
- قال ابن واصل : حُكِيَ لِي عَنِ الْمَنْصُورِ أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ قَصُرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ

(١) الأفضل هو محمد بن تامار بن عبد الملك قاضي القضاة أفضل الدين الخونجيني (بجاء معجبة مضومة) أبو عبد الله الشافعي . كانت له اليد الطولى في العقولات ، وهو صاحب الموجز في المنطق وغيره توفي سنة ٦٤٦ هـ . (راجع ترجمته في شذرات الذهب وطبقات الشافعية) . (٢) هو عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلي الدمشقي الشافعي شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها (راجع ترجمته بتفصيل واف في طبقات الشافعية وشذرات الذهب) . وسيد ذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٠ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

ووقع في قلبي أنه لا نتصر لانتصارنا بالفرنج — قلت : عليه من الله ما يستحقه من الخزي . وإيش يفيد تقصيره بعد أن صار هو والفرنج يداً واحدة على المسلمين ! — قال : ووصلت عسكر دمشق معه في أسوأ حال .

وأما مصر فزينت زينة لم ير مثلها ، وصُربت البشائر ودخلت أسارى الشام
 ٥ الفرنج والأمراء ، وكان يوماً مشهوداً بالقاهرة . ثم عطف حُسام الدين بن أبي علي ،
 وركن الدين بيبرس فنازلوا عسقلان وحاصروها وبها الفرنج الذين تسلموها بخروج
 حُسام الدين ، ثم ترحلوا إلى نابلس ، وحكّوا على فلسطين والأغوار إلا تجلّون فهي
 بيد سيف الدين [بن] قليج نيابة عن الناصر داود . ثم بعث السلطان الملك الصالح
 نجم الدين وزيره مُعين الدين ابن الشيخ على جيشه وأقامه مُقام نفسه ، وأنفذ معه
 ١٠ الخزائن وحكّه في الأمور ، وسار إلى الشام ومعه الخوّارزمية ، فنازلوا دمشق وبها
 الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص ، فذلّ الصالح إسماعيل ، وبعث وزيره
 أمين الدولة مستشفعاً بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين ،
 فلم يظفر بباطل ، ورجع واشتد الحصار على دمشق ، وأشدت بالآمان لقلة من مع
 صاحبها ، ولعدم الميرة بالقلعة ، واتّخلى الحلبين عنه ، فترحل الصالح إسماعيل إلى
 ١٥ بعلبك ، والمنصور إلى حمص ، وتسلم الصالح معين الدين القلعة والبلد .

ولما رأت الخوّارزمية أن السلطان قد تملك الشام بهزم أعداءه صار لهم
 عليه إدلال كثير ، مع ما تقدّم من نصرهم له على صاحب الموصل قبل سلطته وهو
 بسنجار ، فطمعوا في الأخباز العظيمة ؛ فلما لم يحصلوا على شيء فسدت نيّتهم له
 ونرجوا عليه ، وكتبوا الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وهو أكبر أمراء
 ٢٠ الصالح نجم الدين أيوب ، وكان بفرّة ، فأصغى إليهم — فيما قيل — وراسلوا صاحب

- (١١) الكرك فترل إليهم [وواقفهم] . وكانت أمه [أيضا] خوارزمية وتزوج منهم ، ثم طلع إلى الكرك وأستولى حينئذ على القدس ونابلس [وتلك الناحية] ، وهرب منه تواب صاحب مصر ، ثم راسلت الخوارزمية الملك الصالح إسماعيل وهو في بعلبك وحاقفوا له فصار إليهم ، وآتفت كلمة الجميع على حرب الصالح صاحب مصر ، ففلق الصالح لذلك وطلب ركن الدين بيبرس فقدم مصر فاعتقله . وكان آخر العهد به ، ثم خرج بعساكره نعيم بالعباسة وكان قد نفذ رسوله إلى الخليفة المستنصر يطلب تنليدا بمصر والشام [والشرق] ، بغناه التشرىف والطوق الذهب والمركوب ، فليس التشرىف الأسود والعمامة والحبّة ، وركب الفرس بالحياة الكاملة ، وكان يوما مشهودا ، ثم جاء الصالح إسماعيل والخوارزمية ونازلوا دمشق وليس بها كبير عسكرة ، وبالقلعة الطواشي رشيد ، وبالبلد نائبها حسام الدين بن أبي عليّ الهذباني ، فضبطها وقام بحفظها بنفسه ليلا ونهارا ، وأشدت بها الغلاء وهلك أهلها جوعا ووباء . قال : وبلغني أن رجلا مات في الحبس فأكلوه ، كذلك حدثني حسام الدين بن أبي عليّ ، فعند ذلك آتفق عسكر حلب والمنصور صاحب حمص على حرب الخوارزمية وقصدوهم ، فتركوا حصار دمشق وساقوا أيضا يقصدونهم فالتقى الجمعان ، ووقع المصاف في أول سنة أربع وأربعين على القصب ، وهي منزلة بريد من شخص من قبلها ، فاشتد القتال والصالح إسماعيل مع الخوارزمية فأنكسروا عند ما قتل مقدمهم حسام الدين بركة خان ، وأنهزموا ولم تقم لهم بعدها قائمة ، وقتل بركة خان مملوك من الحلبيين وتشتت الخوارزمية ، وخدم طائفة منهم بالشام وطائفة بمصر

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث

من هذه الطبعة . (٣) في الأصل : « على العصب » بالعين المهملة . وفي عقد الجمان : « على هيون القصب » . وما أئبناه عن تاريخ الاسلام للذهبي وتاريخ ابن الوردي وتاريخ أبي الفدا إسماعيل .

وطائفة مع كُثِّلُوا خان ذهبوا إلى التَّار وخدموا معهم؛ وكفى الله شرهم . وعُلِّقَ رأس
بركة خان على قلعة حلب . ووصل الخبر إلى القاهرة فزَيَّنَتْ ، وحصل الصلح
النَّام بين السلطان (يعني الصالح نجم الدين أيوب) وبين صاحبِ حمص والحلبين .

وأما الصالح إسماعيل [فإنه] آلتجاً إلى ابن أخته الملك الناصر صلاح الدين
صاحب حلب . وأما نائب دمشق حُسام الدين فإنه سار إلى بعلبك وحاصرها
وبها أولاد الصالح إسماعيل فسلموها بالأمان؛ ثم أرسلوا إلى مصر تحت الحوطة
هم والوزير أمين الدولة والأستاد ناصر الدين بن يَغْمُور فَأَعْقِلُوا بمصر . وصَفَّتِ
البلاد للملك الصالح . وبقي الملك الناصر داود بالكرك في حكم المحصور ، ثم رَضِيَ
السلطان على نحر الدين ابن الشيخ وأخرجه من الحبس بعد موت أخيه الوزير معين
الدين ، وسيره إلى الشام وآستولى على جميع بلاد الناصر داود ، ونحِبَ ضياع
الكرك ثم نازلها أياماً ، وقَلَّ ما عند الناصر من المال والذخائر وقَلَّ ناصرهِ ، فعمل
قصيدة يعاتب فيها السلطان فيما له عنده من اليد من الذب عنه وتمليك ديار
مصر ، وهي :

قُلْ لِلذَّيْ قَاسَمَتُهُ مَلِكُ الْيَدِ * وَنَهَضْتُ فِيهِ نَهْضَةَ الْمُسْتَأْسِدِ
عَاصِبْتُ فِيهِ ذَوِي الْحِجَى مِنْ أَسْرَقِي * وَأَطَعْتُ فِيهِ مَكَارِمِي وَتَوَدَّدِي
يَا قَاطِعَ الرَّحِيمِ الَّتِي صِلْتِي بِهَا * كُنْتُ عَلَى الْفَلَكَ الْأَثِيرِ بِمَسْجِدِ
إِنْ كُنْتُ تَقْدَحُ فِي صَرِيحِ مَنَاسِبِي * فَأَصْبِرْ بِعِزِّكَ لِلْهَيْبِ الْمُرْصِدِ
عَمِّي أَبُوكَ وَوَالِدِي عَمِّي بِهِ * يَلُوحُ أَنْتَابُكَ كُلِّ مَلِكٍ أَصِيدِ
صَالَاً وَجَالَاً كَالْأَسْوَدِ ضَوَارِيَا * فَارْتَدَّ تِيَارُ الْفُرَاتِ الْمُزِيدِ

(١) في الأصل : « التجأ إليه ابن أخيه » ، والنصوب عن تاريخ الاسلام .

دع سيف مقول البليغ يدب عن * أعراضكم بفريده المتوقد
فهو الذي قد صاغ تاج نفاركم * بمفصل من لؤلؤ وزبرجد
ثم أخذ يصف نفسه [وجوده ومحاسنه وسؤده] إلى أن قال :

يا تحرّج بالقول والله الذي * خضعت لعزته جباه السجّد
لولا مقال الأعجبر منك لما بدا * متى أفتخار بالقرىض المنشد
إن [كنت] قلت خلاف ما هو شيعي * فالها كون بسمع وبتمهّد
والله يا ابن القم لولا خيفتي * لميت فترك بالعداء المرد
لكنى من يخاف حرامه * ندما يُحرّغى سيمام الأسود
فأراك ربك بالهدى ما ترحي * لراك تفعل كل فعل مرشد
لعمد وجه الملك طلقا ضاحكا * وتردّ شمل البيت غير مبدّد
كي لا ترى الأيام فينا فرصة * لتجارين ومُحْكَة للشد

قال : ثم إن السلطان طلب الأمير حسام الدين بن أبي على وولاه نيابة الديار
المصرية ، وأستتاب على دمشق صاحب جمال الدين يحيى بن مطروح ، ثم قديم
الشام وجاء إلى خدمته صاحب حمّة الملك المنصور وهو ابن اثنتي عشرة سنة
وصاحب حصص [وهو صغير] ، فأكرمهما وقربهما ، ووصل إلى بعلبك ، ثم ردّ
إلى الشام ، ثم رجع السلطان ومريض في الطريق .

قال ابن واصل : حكى لي الأمير حسام الدين قال : لما ودعني السلطان قال :
إنّى مسافر وأخاف أن يعرض لي موت وأنى العادل بقلعة مصر ، فياخذ البلاد
وما يجرى عليكم منه خيراً ، فإن مرضت ولو أنّه حتى يوم فأعده ، فإنه لا خير فيه ؛

وولدَى ثوران شاه لا يصلح للـك، فإن بلغك موتى فلا تُسلم البلاد لأحد من أهلى،
بل سلمها للخليفة . انتهى .

قال : ودخل السلطان مصر، وصرف حسام الدين عن نيابة مصر بجمال الدين
ابن يغمور، وبعث الحسام بالمصريين إلى الشام، فأقاموا^(١) بالصالحية^(٢) أربعة أشهر.
• قال ابن واصل : وأقمت مع حسام الدين هذه المدة، وكان السلطان في هذه المدة
وقبلها مقبياً بأشمون طناح^(٣)، ثم في السنة خرج الحلييون وعليهم شمس الدين لؤلؤ الأميني^(٤)،
فنازلوا حصص، ومعهم الملك الصالح إسماعيل يرجعون إلى رأيه، فحاصرها شهرين
ولم يُجدها صاحب مصر؛ وكان السلطان مشغولاً بمرض عَرَضَ له في بيضه ثم فتح،
وحصل منه ناسورٌ يُسر بول^(٥)، وحصلت له في رثته بعضُ قرحة مُتَلَفَةٍ، لكنّه عازم
على إنجاء صاحب حصص . ولما أشدَّت الحصار بالأشرف صاحب حصص أضطرَّ
إلى أن أذعن بالصلح، وطالب العوض عن حصص تلّ بإشرافاً إلى ما بيده،
وهو الرّجبة وتدّمر^(٦)، فتسلمها الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني^(٧)، وأقام بها ثواباً لصاحب

(١) الزبادة عن تاريخ الاسلام للذهبي . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه
الطبعة . (٢) أشوم طناح : هي من المدن المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى للبحر الصغير
الذى كان يسمى بحر أشوم نسبة إلى هذه المدينة وكان اسمها المصرى شمون أرمان والرومى بانيه وسوس،
وسماها العرب أشوم طناح نسبة إلى كورة طناح التى كانت تقع أشوم في دائرتها وتعرف اليوم باسم أشمون
الزمان، وهو اسمها القديم محرفاً .

ولما تكلم عليها ابن دقان في كتاب الانتصار قال : « وتعرف بأشوم طناح وأشوم الزمان، وهي
قبة كورة الدهليسة ومدينة ذات حمامات وأسواق وجامع وفنادق » وقد استمرت قاعدة لإقليم الدقهلية
والمراوحة إلى آخر عهد دولة المماليك . وفي أوائل الحكم العثماني نقلت القاعدة إلى مدينة المنصورة . ومن
ذلك الوقت اضمحلت أشمون الزمان وزال ما كان فيها من آثار المدينة والعدنان، وأصبحت اليوم قرية
عادية من قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية . (٣) في تاريخ الاسلام : « يصير برؤه وحصلت له
في رثته قرحة ... الخ » . (٤) يريد الرّجبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات . استحدثها شيركوه
ابن محمد بن شيركوه صاحب حصص . وهي بلدة صغيرة ولها قلعة على تل تراب، وشرب أهلها من قناة من
نهر سميد الخارج من الفرات وهي اليوم محط القوافل من العراق والشام، وهي أحد النفور الاسلامية
عن تقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل .

- حَلَب . فلما بلغ السلطان أَخْذَ حِصْصَ ، وهو مريض ، غَضِبَ وَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَتَرَحَّلَ إلى القاهرة فاستناب بها أَبْنُ يَعْمُورَ وَبَعَثَ الْجِيُوشَ إلى الشام لِكِسْفِ حِصْصَ ، وسار السلطان في حِمْفَةٍ ، وذلك في سنة ست وأربعين وستمائة ؛ فَنَزَلَ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ وَبَعَثَ جَيْشَهُ فَنَازَلُوا حِصْصَ وَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمِجَانِيقَ ، مِنْهَا مَنْجْنِيْقٌ مَغْرِبِيٌّ . ذَكَرَ
- الأمير حُسَامُ الدِّينِ أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي حِجْرًا زَنْتُهُ مِائَةٌ وَأَرْبَعُونَ رِطْلًا بِالْأَمَشَقِ ؛ وَنَصَبَ
- عَلَيْهَا قَرَأُفًا أَيْ عَشْرَ مَنْجْنِيْقَاتٍ سُلْطَانِيَّةٍ ، وَذَلِكَ فِي الشِّتَاءِ . وَخَرَجَ صَاحِبُ حَلَبَ بِعَسْكَرِهِ فَنَزَلَ بِأَرْضِ كَفَرطَابَ ، وَدَامَ الْحَصَارُ إِلَى أَنْ قَدِمَ الْبَادِرَانِيُّ لِلصِّلَحِ بَيْنَ صَاحِبِ حَلَبَ وَالسُّلْطَانِ ، عَلَى أَنْ تَقَرَّرَ حِصْصَ بِيَدِ صَاحِبِ حَلَبَ ، فَوَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَتَرَحَّلَ السُّلْطَانُ عَنْ حِصْصَ لِمَرَضِ السُّلْطَانِ وَلِأَنَّ الْفَرَنْجَ تَحَزَّكَوْا [وَقَصَدُوا مِصْرَ] ، وَتَرَحَّلَ السُّلْطَانُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ كَذَلِكَ وَهُوَ فِي حِمْفَةٍ .
- وَكَانَ النَّاصِرُ صَاحِبُ الْكَرْكِ قَدْ بَعَثَ شَمْسَ الدِّينِ الْخُسْرُو شَاهِيَّ إِلَى السُّلْطَانِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ يُطَلِّبُ خُبْرًا بِمِصْرَ وَالشُّوَبَكِ وَيُنْزِلُ لَهُ عَنِ الْكَرْكِ ، فَبَعَثَ السُّلْطَانُ تَاجَ الدِّينِ [بَنَ] مُهَاجِرًا فِي إِبْرَامَ ذَلِكَ إِلَى النَّاصِرِ ، فَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ حَرَكَةَ الْفَرَنْجِ ؛ وَطَلَبَ السُّلْطَانُ نَائِبَ مِصْرَ جَمَالَ الدِّينِ بَنَ يَعْمُورَ فَاسْتَنَابَهُ بِدِمَشْقَ وَبَعَثَ عَلَى نِيَابَةِ مِصْرَ حُسَامَ الدِّينَ بَنَ أَبِي عَلِيٍّ فَدَخَلَهَا فِي الْحَزْمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ ؛
- وَسَارَ السُّلْطَانُ فَنَزَلَ بِأَشْمُومَ طَنْحَاحَ لِيَكُونَ فِي مَقَابِلَةِ الْفَرَنْجِ إِنْ قَصَدُوا دِمَاطَ ، وَنَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنْ رِيدَا قَرْنُسَ مَقْدَمِ الْأَفْرَنْسِيَّةِ قَدْ خَرَجَ مِنْ بِلَادِهِ فِي جُمُوعٍ عَظِيمَةٍ وَشَتَّى بِحَزِيرَةِ قُبْرُصَ ؛ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الْفَرَنْجِ وَأَشَدَّهُمْ بَأْسًا . وَرِيدَا

(١) البادراني : نسبة إلى بادران ، قرية بأصصهان ، وهو عز الدين رسول الخليفة قدم للسلطان

في الصالح بين الملك الصالح نجم الدين والحليين (عن عقد الجمان في حوادث سنة ٦٤٦ هـ) .

(٢) الزيادة من تاريخ الاسلام للذهبي وعقد الجمان .

بلسانهم : الملك ، فَشِحِنَتْ دِمِيَاطُ بِالذَّخَائِرِ وَأُحْكِمَتْ الشَّوَانِي ، وَنَزَلَ نَخْرُ الدِّينِ
ابن الشيخ بالعساكر على جزيرة دِمِيَاط ، فَأَقْبَلَتْ مَرَاكِبُ الْفَرَنْجِ فَارَسَتْ فِي الْبَحْرِ
بِأَزَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ ، ثُمَّ شَرَعُوا مِنَ الْغَدِّ فِي النَّزُولِ إِلَى الْبَرِّ الَّذِي فِيهِ
الْمُسْلِمُونَ وَضُرِبَتْ خَيْمَةٌ حَمْرَاءَ لَرِيدَا قَرْئَسٍ وَنَاوَشَهُمْ ^(١) [الْمُسْلِمُونَ] الْقِتَالُ ، فَقُتِلَ
يَوْمَئِذٍ الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ ابْنُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، وَالْأَمِيرُ الْوَزِيرِيُّ — رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى —
فَقَرَحَلَ نَخْرُ الدِّينِ ابْنَ الشَّيْخِ بِالنَّاسِ ، وَقَطَعَ بِهِمُ الْجَسَرَ إِلَى الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ الَّذِي فِيهِ
دِمِيَاط ، وَتَقَهَّقُوا إِلَى أَشْجَمُونَ طَنَاحٍ ، وَوَقَعَ الْخُذْلَانُ عَلَى أَهْلِ دِمِيَاط ، فَخَرَجُوا مِنْهَا
طُولَ اللَّيْلِ عَلَى وجوههم حتى لم يبق بها أحدٌ ؛ وَكَانَ هَذَا مِنْ قَبِيحِ رَأْيِ نَخْرُ الدِّينِ ،
فَإِنَّ دِمِيَاطَ كَانَتْ فِي نَوْبَةِ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ أَقَلِّ ذَخَائِرٍ وَعَدَدًا ، وَمَا قَدَّرَ
عَلَيْهَا الْفَرَنْجُ إِلَّا بَعْدَ سَنَةٍ ، وَإِنَّمَا هَرَبَ أَهْلُهَا لَمَّا رَأَوْا هَرَبَ الْعَسْكَرِ وَضَعْفَ
السُّلْطَانِ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَتِ الْفَرَنْجُ مَلَكُوهَا صَفَّوْا بِمَا حَوَتْ مِنَ الْعُدَدِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ
وَالْغِلَالِ وَالْحَبَانِيِّ ، وَهَذِهِ مَصِيبَةٌ لَمْ يَجْرُ مِثْلُهَا ! فَلَمَّا وَصَلَتِ الْعَسَاكِرُ وَأَهْلُ دِمِيَاطَ
إِلَى السُّلْطَانِ حَبَنَى عَلَى الشَّجْعَانِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا ، [وَأَمَرَ بِهِمْ ^(١)] فَشَتَّقُوا جَمِيعًا ثُمَّ
رَحَلَ بِالْجَلِيشِ ، وَسَارَ إِلَى الْمَنْصُورَةِ فَتَزَلَّ بِهَا فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَ أَبُوهُ نَزَلَها ، وَبِهَا قَصْرٌ
بَنَاهُ أَبُوهُ الْكَامِلُ ، وَوَقَعَ التَّغْيِيرُ الْعَامُّ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَاجْتَمَعَ بِالْمَنْصُورَةِ أُمَمٌ لَا يُخَصَّوْنَ
مِنَ الْمُطَوَّعَةِ وَالْعُرْبَانِ ؛ وَشَرَعُوا فِي الْإِغَارَةِ عَلَى الْفَرَنْجِ وَمَنَاقَشَتِهِمْ وَتَخَطُّفِهِمْ ، وَأَسْتَمَرَّ
ذَلِكَ أَشْهُرًا ، وَالسُّلْطَانُ يَتَرَايِدُ وَالْأَطْبَاءُ قَدْ آيَسَتْهُ لَأَسْتَحْكَامُ الْمَرَضِ بِهِ .

وَأَمَّا صَاحِبُ الْكَرَّكَ (يَعْنِي الْمَلِكُ النَّاصِرُ دَاوُدَ) فَإِنَّهُ سَافَرَ إِلَى بَغْدَادَ فَاخْتَلَفَ
أَوْلَادَهُ ، فَسَارَ أَحَدُهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ وَسَلَّمْ إِلَيْهِ الْكَرَّكَ ، فَفَرَحَ [بِهَا]
مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ ، وَزُيِّنَتْ بِلَادُهُ وَبَعِثَ إِلَيْهَا بِالطَّوَّاشِيِّ بَدْرُ الدِّينِ الصَّوَّائِي

نائباً، وقدم عليه أولادُ الناصر داود، فبالغ الملك الصالح في إكرامهم وأقطعهم أخبازاً جليلاً. ولم يزل يترأى به المرض إلى أن مات، وأخفى موته على ما سياتي ذكره. إن شاء الله تعالى.

- قال ابن واصل في سيرة الملك الصالح نجم الدين أيوب هذا: وكان مهيباً عزيز النفس عفيفاً طاهر اللسان والدليل، لا يرى الهزل ولا العبث، شديد الوقار كثير الصمت، اشترى من الممالك الترك ما لم يشتره أحد من أهل بيته حتى صاروا معظم عسكره، ورتجهم على الأكراد [وأمرهم^(١)]، وأشترى وهو بمصر خلقاً منهم، وجعلهم بطانته والمحيطين بدليله، وسماهم «البحرية». حكى لى حسام الدين ابن أبي علي: أن هؤلاء الممالك مع فرط جبروتهم وسطوتهم كانوا أبلغ من يعظم هيئته، كان إذا خرج وشاهدوا صورته يرددون خوفاً منه، وأنه لم يقع منه في حال غضبه كلمة قبيحة قط، أكثر ما يقول إذا شتم: يامتخلف، وكان كثير الباه بجواريه فقط، ولم يكن عنده في آخر وقت غير زوجتين: إحداهما شجرة الدر، والأخرى بنت العالمة، تزوجها بعد مملوكه البلوكتدار^(٢)، وكان إذا سمع الغناء لا يترعرع ولا يتحرك، وكذلك الحاضرون ياتزمون حالته كأنما على رؤوسهم الطير، وكان لا يستقل أحداً من أرباب دولته بأمر بل يراجعون القصص مع الخدام، فيوقع عليها بما يعتمده كتاب الإنشاء، وكان يحب أهل الفضل والدين، وما كان له ميل لمطالعة الكتب، وكان كثير العزلة والافتراء، وله نهمة باللعب بالصوالة، وفي إنشاء الأبنية العظيمة الفاتحة. انتهى كلام ابن واصل.

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام. (٢) البلوكتدار، كلمة فارسية مركبة من كلمتين:

«جوكان» و«دار» ومعناها حامل الصولجان في لعب الكرة.

وقال غيره : وكان ملكًا مهيبًا جبارًا ذا سطوة وجلالة ، وكان فصيحًا حسن
 المحاورة عفيفًا عن الفواحش ، أمر مماليكه الترك ؛ وجرى بينه وبين عمه الملك
 الصالح أمور وحروب إلى أن أخذ نقابة دِمَشْق عام ثلاثة وأربعين ، وذهب إسماعيل
 إلى بعلبك ، ثم أخذت من إسماعيل بعلبك ، وتعتز وألتجا إلى ابن أخته الناصر
 صاحب حلب . ولما خرج الملك الصالح هذا من مصر إلى الشام خاف من بقاء
 أخيه الملك العادل فقتله سرًّا ولم يتبع بعده ؛ ووقعت الإكَّة في خذه بدمشق .
 ونزل الأفرنس ملك الفرنج بجيوشه على دِمَياط فأخذها ، فسار إليه الملك الصالح
 في محقة حتى نزل المنصورة عليلًا ، ثم عرض له إسبال إلى أن مات في ليلة النصف
 من شعبان بالمنصورة ، وأخفى موته حتى أحضروا ولده الملك المعظم توران شاه من
 حصن كَيْفًا وملكوه .

وقال سعد الدين : إن ابن عمه نحر الدين نائب السلطنة أمر بتخليف
 الناس لولده الملك المعظم توران شاه ، ولولى عهده نحر الدين فتقرر ذلك ،
 وطلبوا الناس فحضرُوا وحلفوا إلا أولاد الناصر داود صاحب الكرك توقفوا ،
 وقالوا : نشتى [أن] نبصر السلطان ، فدخل خادم وخرج وقال : السلطان يُسلم
 عليكم ، وقال : ما يشتى أن تروه في هذه الحالة ، وقد رسم لكم أن تحلفوا .
 فحلفوا ؛ وكان للسلطان مدة من وفاته ولا يعلم به أحد ، وزوجته شجرة الدر
 تُوَقَّع مثل خطه على التواقيع — على ما يأتي ذكره — ولما حلف أولاد الناصر
 صاحب الكرك جاءتهم المصيبة من كل ناحية ، لأن الكرك راحت من يدهم ،
 وأسودت وجوههم عند أبيهم ، ومات الملك الصالح الذي أملوه وأعطوه الكرك ؛

٢٠ (١) في الأصل : « إلى أن نوابه بدمشق » . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبي .

(٢) في تاريخ الاسلام : « في نخذه » .

ثم عقيب ذلك نفّوهم من مصر . ثم إن الأمير نحر الدين نفذ نسخة الأيمان إلى البلاد [ليحلفوا للعظم^(١)] ثم كل ذلك والسلطان لم يظهر موته . قال : وكانت أم ولده شجرة الدر ذات رأي وشهامة ، فدبرت أمر الملك الصالح وأخفت موته . وهى التى وليت الملك مدة شهرين بعد ذلك ، وخطب لها على المنابر بمصر وغيرها — على ما يأتى ذكر ذلك فى محله إن شاء الله تعالى . ثم ملك بعدها الأتراك إلى يومنا هذا . انتهى .

وقال الشيخ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى فى تاريخه مرآة الزمان — بعد ما ذكر أسم الملك الصالح ومولده قال — : « ولما ملك مصر اجتهد فى خلاص ولده المغيث فلم يقدر . قلت (يعنى المغيث الذى كان حبسه الملك الصالح إسماعيل بقلعة دمشق فى مبادئ أمر الملك الصالح) . قال : وكان مهيبا ، هيبته عظيمة ، جبّارا أباد الأشرفية وغيرهم . وقال جماعة من أمرائه : والله ما نقعد على بابيه إلّا ونقول من هاهنا نُحمل إلى الحبوس ، وكان إذا حبس إنسانا نسيه ، ولا يتجاسر أحد أن يخاطبه فيه ، وكان يحلف أنه ما قتل نفسا بغير حق . قال صاحب المرأة : وهذه مكابرة ظاهرة ، فإن خواص أصحابه حكوا أنه لا يمكن إحصاء من قتل من الأشرفية وغيرهم ، ولو لم يكن إلّا قتل أخيه العادل [لكفى^(٢)] . قال : وكانت عتيقه شجرة الدر تكتب خطا يُشبه خطه ، فكانت تعلم على التواقيع ، وكان قد نُسِر مخرج السلطان وأمتد إلى نخذه اليمنى ورجله وتُحَل جسمه وعُملت له حِفْفة يركب فيها ، وكان يتجلّد ، ولا يطّلع أحد على حاله ، ولما مات حُمل تابوته إلى الجزيرة فعلق بسلاسل حتى قُبر فى تربته إلى جانب مدرسته بالقاهرة . »

(٢) زيادة يقتضها السياق .

(١) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي .

قلت : وذكر القطب اليُونَنِي^(١) في كتابه الذيل على مرآة الزمان ، قال في ترجمة البهاء زهير كاتب الملك الصالح قال :

فلما خرج الملك الصالح بالكرك من الاعتقال وسار إلى الديار المصرية ، كان بهاء الدين زهير المذكور في صحبته ، وأقام عنده في أعلى المنازل وأجلّ المراتب ، وهو المشار إليه في كُتّاب الدرج والمقدم عليهم ، وأكثرهم اختصاصا بالملك الصالح واجتماعا به ، وسيره رسولا في سنة خمس وأربعين وستائة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب يطلب منه إنفاذ الملك الصالح عماد الدين إسماعيل إليه فلم يُجب إلى ذلك ، وأنكر الناصر هذه الرسالة غاية الإنكار ، وأعظمها وأستصعبها ، وقال : كيف يسعني أن أسير عمه إليه ، وهو خال أبي وكبير البيت الأيوبي حتى يقتله ، وقد استجار بي ! والله هذا شيء لا أفعله أبدا . ورجع البهاء زهير إلى الملك الصالح نجم الدين بهذا الجواب ، فعظم عليه وسكت على ما في نفسه من الحق . وقبل موت الملك الصالح نجم الدين أيوب بمُدَّة يسيرة — وهو نازل على المنصورة — تغير على بهاء الدين زهير وأبعده لأمر لم يطلع عليه أحد . قال : حكى لي البهاء أن سبب تغيره عليه أنه كتب عن الملك الصالح كتابا إلى الملك الناصر داود صاحب الكرك ، وأدخل الكتاب إلى الملك الصالح ليُعلم عليه على العادة ، فلما وقف عليه الملك الصالح كتب بخطه بين الأسطر : « أنت تعرف قلّة عقلك ما بن عمي ، وأنه

(١) هو موسى بن محمد بن أحمد الشيخ الامام المؤرخ المحدث قطب الدين أبو الفتح ابن الشيخ قطب الدين اليُونَنِي البجلي الحنبلي . صف تاريخا جعله ذيل على تاريخ العلامة أبي المظفر يوسف بن قزّاغلي سبط بن الجسوزي المسمى بمرآة الزمان . — يوجد منه (جزءان من نسخة مخطوطان بحفظ طان بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥١٦ تاريخ ، وهما الجزء الخامس عشر ، وبه نقص من الأول ويتبدى من أثناء سنة ٨٦٥٥ هـ والجزء السابع عشر ويتبدى من أثناء سنة ٨٦٧١ هـ) . توفي سنة ٧٢٦ هـ (عن المنهل الصافي) . (٢) هو زهير ابن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم أبو الفضل وقيل أبو العلاء بهاء الدين الأزدي المكي المولد القوصي المنشأ المصري الدار . وسيفكره المؤلف في حوادث سنة ٨٦٥٦ هـ .

يحب من يعظمه ويعطيه من يده فأكتب له غير هذا الكتاب ما يعجبه» ، وسير
الكتاب إلى البهاء زهير ليغيره ، والبهاء زهير مشغول ، فأعطاه لخير الدين إبراهيم بن
لقمان وأمره بحتمه ، فحتمه وجهزه إلى الناصر على يد نجاب ، ولم يتأمله فسافر به
النجاب لوقته ، وأسبطا الملك الصالح عود الكتاب إليه ليعلم عليه ، ثم سأل عنه
بهاء الدين زهير بعد ذلك ، وقال له : ما وقفت على ما كتبته بخطي بين الأسطر ؟
قال البهاء زهير : ومن يحسر أن يقف على ما كتبه السلطان بخطه إلى ابن عمه ! وأخبره
أنه سير الكتاب مع النجاب ، فقامت قيامة السلطان ، وسيروا في طلب النجاب فلم
يدركوه ، ووصل الكتاب إلى الملك الناصر بالكرك فعظم عليه وتآلم له ، ثم كتب
جوابه إلى الملك الصالح ، وهو يعتب فيه العتب المؤلم ، ويقول له فيه : والله ما بي
ما يصدر منك في حق ، وإنما بي اطلاع كتابك على مثل هذا ! فعز ذلك على الملك
الصالح ، وغضب على بهاء الدين زهير ، وبهاء الدين لكثرة مروءته نسب ذلك
إلى نفسه ولم يتسبه لكتاب الكتاب ، وهو خير الدين بن لقمان - رحمه الله تعالى - .
قال : وكان الملك الصالح كثير التخييل والفضب والمواخذه على الذنب الصغير
والمعاقبة على الوهم ، لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يرعى سالف خدمة ، والسيئة
عنده لا تغفر ، والتوسل إليه لا يقبل ، والشفائع لديه لا تؤثر ، فلا يزداد بهذه الأمور
التي تسأل سخائم الصدور إلا انتقاما . وكان مليكا جبارا متكبرا شديد السطوة كثير
التعبر والتعاطم على أصحابه وندمائه وخواصه ، ثقیل الوطأة ، لا جرم أن الله تعالى
قصر مدة ملكه وأبتلاه بأمراض عديم فيها صبره . وقتل مماليكه ولده توران شاه
من بعده ، لكنه كان عنده سياسة حسنة ومهابة عظيمة وسعة صدر في إعطاء
العساكر والإنفاق في مهمات الدولة ، لا يتوقف فيما يخرججه في هذا الوجه ، وكانت
هفته عالية جدا ، وآماله بعيدة ، ونفسه تحذنه بالاستيلاء على الدنيا بأسرها والغلب

عليها ، وَاَتَرَاعَهَا مِنْ يَدِ مُلُوكِهَا ، حَتَّى لَقِدَ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِالْأَسْتِيلَاءِ عَلَى بَغْدَادَ
وَالْعِرَاقِ ؛ وَكَانَ لَا يُمْكِنُ الْقَوَى مِنَ الضَّعِيفِ ، وَيُنِصَفُ الْمَشْرُوفَ مِنَ الشَّرِيفِ ؛
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آسَتْكَثَرُ مِنَ الْمَمَالِكِ مِنْ مُلُوكِ الْبَيْتِ الْأَيُّوبِيِّ ، ثُمَّ آقَدُوا بِهِ لِمَا آلَ
الْمَلِكِ إِلَيْهِمْ .

قلت : وَمَنْ وَلى مِصْرَ بَعْدَ الصَّالِحِ مِنْ بَنِي أَيُّوبَ حَتَّى آقَتْنِي الْمَمَالِكُ ! هُوَ
آخِرُ مُلُوكِ مِصْرَ ، وَلَا عِبْرَةَ بُولَايَةِ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ تُوْرَانَ شَاهٍ ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ الَّذِي
بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ فِيمَكُنْ ، وَأَمَّا بِمِصْرَ فَلَا .

وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ بِمِصْرَ تَمُتُ سِتِّينَ وَسَعَةً أَشْهُرَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا لِأَنَّهُ وَلى السُّلْطَنَةَ
فِي عِشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَمَاتَ فِي نِصْفِ شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ
وَسِتِّمِائَةَ . اِنْتَهَى .

قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ لَمْ يَحْزَنَ لِمَوْتِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ مَعَ مَا كَانَ
النَّاسُ فِيهِ مِنْ قَصْدِ الْفَرْنَجِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَاسْتِيلَائِهِمْ عَلَى قَلْعَةٍ مِنْهَا ، وَمَعَ هَذَا
سَرَّ مُعْظَمُ النَّاسِ بِمَوْتِهِ حَتَّى خَوَّاصَهُ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَأْمَنُونَ سَطَوَتَهُ وَلَا يَقْدِرُونَ
عَلَى الْإِحْتِرَازِ مِنْهُ . قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ فِي خُلُقِهِ الْمِيلُ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا أَهْلِهِ
وَلَا أَوْلَادِهِ وَلَا مُحَبَّةٌ لَهُمْ وَلَا حُنُوٌّ عَلَيْهِمْ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ . وَكَانَ يُلَازِمُ
فِي خَلَوَاتِهِ وَمَجَالِسِ أَنْسِهِ مِنَ التَّامُوسِ مَا يُلَازِمُهُ إِذَا كَانَ جَالِسًا فِي دَسْتِ السُّلْطَنَةِ .
وَكَانَ عَفِيفٌ الذِّيلِ طَاهِرٌ اللِّسَانِ قَلِيلَ الْفُحْشِ فِي حَالِ غَضَبِهِ ، يَنْتَقِمُ بِالْفِعْلِ
لَا بِالْقَوْلِ — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — . اِنْتَهَى مَا أَوْرَدَنَاهُ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ مِنْ
أَقْوَالِ جَمَاعَةِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ مِمَّنْ عَاصَرَهُ وَبَعْدَهُمْ ، فَهُمْ مِنْ شُكْرٍ وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ .

قلت : وَهَذَا شَأْنُ النَّاسِ فِي أَعْمَالِ مُلُوكِهِمْ ، وَالْحَاكِمِ أَحَدَ الْخَصْمِينَ غَضْبَانَ
مِنْهُ إِذَا حَكَمَ بِالْحَقِّ ، فَكَيْفَ السُّلْطَانُ ! وَفِي الْجُمْلَةِ هُوَ عِنْدِي أَعْظَمُ مُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ

وأجلّهم وأحسنهم رأياً وتديراً ومهابة وشجاعة وسؤددا بعدد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهو أخو جدّه الملك العادل أبي بكر بن أيوب ؛ ولولم يكن من محاسنه إلّا تجلّده على مقابلة العدو بالمنصورة ، وهو بتلك الأمراض المزمنة المذكورة وموته على الجهاد ، والذبّ عن المسلمين . — والله يرحمه — ما كان أصبره وأغزر مـروءته .

ولما مات رثاه الشعراء بعدة مرّاث . وأما مدائحه فكثيرة من ذلك ما قاله

فيه كاتبه وشاعره بهاء الدين زهير من قصيدته التي أولها :

- وعدّ الزيارة طرّفه المـلـق * وبلاء قلبي من جفونٍ تنطق
إني لأهوى الحسن حيث وجدته * وأهيم بالقدر الشيق وأعشق
يا عاذلي أنا من سمعت حديثه * فعساك تحنو أو لعلك ترق
لو كنت متاً حيث تسمع أو ترى * لرأيت ثوب الصبر كيف يمزق
ورأيت الطف عاشقين تشاكيا * وعجبت ممن لا يحبّ ويعشق
أيسومني العذال عنه تصبراً * وحياته قلبي أرق وأشفق
إن عنفوا أو سوفوا أو خوفوا * لا أنتهي لا أنتهي لا أفرق
أبداً أزيد مع الوصال تلهفاً * كالعقد في جيد المليحة يقلق
ياقاتلي إني عليك لمشفق * يا هاجري إني اليك لشيق
وأذاع آني قد سلوتك معشر * يارب لا عاشوا لذاك ولا بقوا
ما أطمع العذال إلا أنني * خوفاً عليك إليهم أتملق
وإذا وعدت الطيف منك بهجعة * فأشهد على بأنّي لا أضدق
فعلام قلبك ليس بالقلب الذي * قد كان لي منه المحب المشفق
وأظنّ قدك شامتاً لفراقنا * فلقد نظرت إليه وهو مُحلق

ولقد سعتُ إلى العَلا بمزيمَةٍ * ففضى لسعي أَنه لا يُحَقِّقُ
وسريتُ في ليلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ * من قَرَطَ غيرَها إلى تُحَدِّقُ
حتى وصلتُ سُرَادِقَ المَلِكِ الذي * تقفُ الملوِكُ بيباهِ تَسْتَرْزِقُ
ووقفتُ من مَلِكِ الزمانِ بموقِفٍ * أَلْفَيْتُ قَلْبَ الدهرِ منه يَخْفُقُ
فإليك يا نَجْمَ السماءِ فَإِنِّي * قد لاحَ نَجْمُ الدينِ لي يَتَأَلَّقُ
الصالحُ المَلِكُ الذي لزمانِهِ * حُسْنٌ يَتِيهِ به الزمانُ وَرَوِّقُ
مَلِكٌ تَحَدَّثَ عن أبيه وَجَدَهُ * نسبَ لعمري في العَلا لا يُلَحَقُ
سجدتُ له حتى العيونُ مَهَابَةً * أو ما تَرَانَا حينَ يُقْبِلُ تُطْرِقُ
والفصيدة أطول من هذا تركتها خوف الإطالة والملل .

+

السنة الأولى من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد على مصر، وهي سنة ثمانٍ وثلاثين وستمائة .

فيها سلم الملك الصالح إسماعيل الشَّيْف لصاحب صَيْدَاء الفرنجي . وعزل
عز الدين بن عبد السلام عن الخطابة وحبسه، وحبس أيضا أبا عمرو بن الحاجب
لأنهما أنكرا عليه فعله ، فحبسهما مدة ثم أطلقهما، وولى العِمَادُ بْنُ خَطِيبٍ بيت
الآبَارِ الخطابة عوضاً عن ابن عبد السلام .

(١) هو شَيْفِ أَرْنُون، وقد تقدّم الكلام عليه في الحاشية رقم ٣ ص ٤٢ من هذا الجزء .
(٢) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر الفقيه المالكي المعروف بأبي الحاجب الملقب
بجمال الدين . وسبّك المؤلف وفاته سنة ٦٤٦ هـ .
(٣) هو عماد الدين داود بن عمر بن يوسف المقدسي (عن عقد الجمان والتذيل على الروضتين) .

وفيما ظهر بالروم رجل تُركي يقال له البابا وأدعى النبوة، وكان يقول قولوا : لا إله إلا الله البابا ولي الله، وأجتمع إليه خلق كثير، فجهز إليه صاحب الروم جيشا فالتقوا، فقتل بينهم أربعة آلاف، وقتل البابا المذكور . قال أبو المظفر :

« وفيها ذكر أن بمارنديران^(١) — وهي مدينة العجم — عين ماء يطلع منها في كل ست وثلاثين سنة حية عظيمة مثل المئارة ، فتقيم طول النهار ، فإذا غربت الشمس غاصت الحية في العين فلا ترى إلا مثل ذلك الوقت ؛ وقيل : إن بعض ملوك العجم جاء بنفسه إليها في مثل ذلك اليوم ، وربطها بسلاسل حتى يعوقها ، فلما غربت الشمس غاصت في العين ، وهي إلى الآن إذا طلعت رأوا السلاسل في وسطها . »

قلت : ولعلها لم تتعرض لأحد بسوء ، وإلا فكان الناس يحيلوا في قتلها وقتلوها بأنواع المكاييد . وأمر هذه الحية مشهور ذكره غير واحد من المؤرخين .

وفيها وصل الملك الناصر داود من مصر إلى غزة ، وكان بينه وبين الفرنج وقعة ، وكسروهم فيها وغنم منهم أشياء كثيرة .

وفيها توفي أبو بكر محمد بن علي بن محمد الشيخ الإمام محي الدين العالم المشهور بآبن عربي الطائي [الأندلسي^(٢)] الحاتمي في شهر ربيع الآخر ، وله مان وسبعون سنة .

وكان إماما في علوم الحقائق ، وله المصنفات الكثيرة . وقد اختلف الناس في تصانيفه وأقواله اختلافا كبيرا . قال : وكان يقول : أعرف الأسم الأعظم ، وأعرف الكيمياء^(٣) .

(١) اسم لولاية طبرستان . (٢) كذا في الأصل وشذرات الذهب . وفي الذيل على الرضتين وعقد الجمان وثر الجمان والبداية والنهاية لابن كثير : « أبو عبد الله » . (٣) زيادة عن عقد الجمان وشذرات الذهب وثرعة الأنام في تاريخ الاسلام (قطيعين من نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٠ تاريخ) . (٤) في الأصل : « في شهر ربيع الأول » . والتصحيح من شذرات الذهب وعقد الجمان وثر الجمان والذيل على الرضتين وما سيذكره المؤلف فيمن قتل وقامهم عن الذهبي . (٥) يريد صاحب مرآة الزمان .

بطريق المنازلة لا بطريق الكسب^(١) ، وكانت وفاته بدمشق ودُفِنَ بقاسيون بقرية
القاضي محي الدين [بن الرزكي]^(٢) . ومن شعره في جزار :

ناديتُ جَزَارًا تَرُوقُ صفاتُهُ * قد أنجَلتْ سُمَرُ القَنَا حركاتُهُ
يا واضعَ السَّكِينِ في قَمِهِ وقد * أهْدَى بها ماءَ الحَيَاةِ لَهَا تُه
صَعَّمَهَا على المَذْبُوحِ ثَانِي كَرَّةً * وأنا الضَّمِينِ بأنْ تَعُودَ حَيَاتُهُ

قلت : وأحسن من هذا قول البرهان القيراطي^(٣) - رحمه الله - في المعنى :

رُبَّ جَزَارٍ هَوَاهُ * صار لي دما ولحما
فُزْتُ بِالْأَلْيَةِ مِنْهُ * وأمتلا قلبي شحما

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو علي أحمد بن
محمد بن محمود الحزاني ثم البغدادي في المحرم . والعلامة القاضي نجم الدين أبو العباس
أحمد بن محمد بن خلف بن راجح المقدسي الشافعي - مدرس العذراوية في سؤال .
وخطيب داريا^(٤) سَمَحَ بن ثابت . وجمال الملك علي بن مختار العامري - ابن الجمل
في شعبان ، وله تسعون سنة . ومحيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن العربي -
الطائي الحاتمي - المرسي ، وله ثمان وسبعون سنة . مات في شهر ربيع الآخر .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وتسع أصابع .

(١) في الأصل : ومراة الزمان : « لا بطريق الكتب » . وما أئبناه عن عقد الجمان وشذرات الذهب .

(٢) زيادة عن شذرات الذهب ومراة الزمان وعقد الجمان . (٣) القيراطي : نسبة إلى
قيراط ، وهي بلدة بالشرقية من أعمال الديار المصرية ، وهو الإمام الأديب البارع الشاعر المقتن الفقيه
برهان الدين أبو إسماعيل إبراهيم ابن الشيخ الإمام المفتي شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن
نجم بن شادي بن هلال الطائي الطريفي القيراطي الشافعي . وسذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٧١ هـ .
(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٥ من الجزء الثاني من هذه الطبعة .



السنة الثانية من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر ، وهي سنة تسع وثلاثين وستمائة .

- فيها شرع الملك الصالح المذكور في عمارة المدارس بين القصرين من القاهرة ،
 وشرع أيضا في بناء قلعة الجزيرة ، وأخذ أملاك الناس ، وأخرب نيفا وثلاثين
 مسجدا ، وقطع ألف نخلة ، وغيرم عليها خراج مصر سنين كثيرة ، فلم تقم بمدوفاته ،
 وأخربها ممالك الأراك سنة إحدى وخمسين وستمائة .

- (١) يريد المدارس الصالحة التي أنشأها الملك الصالح بخط بين القصرين من القاهرة باسم « المدرسة الصالحة » كما هو مذكور في الورقة المثبتة فوق الباب العمومي لهذه المدارس بأسفل المثانة . وقد ذكرها المقرئ في خطه (ج ٢ ص ٣٧٤) بهذا الاسم ، وذكر أن موضعها كان من جملة القصر الكبير الشرق ودخل فيها باب الزهرة أحد أبواب القصر ومكانه مدرسة الحنابلة ، ثم قال : وبني الصالح مدرستين وضع أسماهما في سنة ٦٤٠ هـ ، وتمت عمارتهما في سنة ٦٤١ هـ .
- ومن البحث تبين لي أن هذه المدرسة كانت تشغل مساحة من الأرض لا تقل عن ٦٠٠٠ متر مربع وكانت تتكون من قسمين : أحدهما على يمين الداخل من الباب العمومي ، والثاني على يساره ، وهما ما عبر عنها المقرئ باسم مدرستين وكان بكل مدرسة إيوانان ويتوسط القسمين صحن كبير . وقد جعل الملك الصالح هذه المدرسة أربع مدارس للذهاب الأربعة لمحل الإيوانيين الذين على يمين الداخل من الباب العمومي مدرستين : إحداهما للحنابلة وهي الغربية حيث موقع باب الزهرة ، ويقابلها من الشرق مدرسة الحنفية ؛ وجعل الإيوانيين الذين على يسار الداخل مدرستين : إحداهما للسلكية وهي الغربية التي بجوارقة تربة الملك الصالح ، ويقابلها من الشرق مدرسة الشافعية ؛ ومن ذاك الوقت أصبحت المدرسة الصالحة تعرف « بالمدارس الصالحة » وكانت من أجل مدارس القاهرة . والظاهر أن بناء هذه المدارس قد أتم من زمن بعيد فمعرض الخراب بدليل أنه لما تكلم عليه السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، في كتاب حسن المحاضرة قال : « إن هذه المدارس قد تقدم عليها العهد فرث » . ولذلك فإن حالها اليوم مما يؤسف له إذ لم يبق من مبانيها القليلة إلا وجهها الغربية التي بها اليب العمومي المشرف على شارع بين القصرين ونصلوه مثذتها . ومع ذلك فإن هذه الوجهة الأثرية الجبلية الحافظة بالخراف والكتابات تحتجب اليوم وراء سبيل خسرو باشا وما يجاوره من دكاكين حقيرة بشوارع بين القصرين ووراء دكاكين شارع الصرمانية .
- وأما المدارس فقد اعتدى عليها الأهالي فاغتصبوا أرض الصحن ولم يتركوا منها الا طريقا ضيقا تجاه الباب العمومي من الداخل يعرف اليوم بمجرة الصالحة ثم اغتصبوا أيضا مكان مدرستى الحنابلة والحنفية بأكلهما ولم يبق اليوم بعد الوجهة الغربية السابق ذكرها إلا إيوان المدرسة المالكية وبقي إيوان المدرسة الشافعية بمحاريبه . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من هذا الجزء .

وفيهما تُوِّفَ أحمد بن الحسين بن أحمد الشيخ الإمام العالم شمس الدين النحوى
الإربيلي ثم الموصلي الصّيرير [المعروف بابن الحَبَّاز] صاحب التصانيف . كان إماما
بارعا مفتتا عالما بالنحو واللغة والأدب . ومن شعره في العناق :

كَأَنِّي عَانَقْتُ رَيْحَانَةً * تَنْفَسْتُ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ

فَلَوْ تَرَانَا فِي قَيْصِ الدَّبَجِ * حَسِبْتَنَا فِي جَسَدٍ وَاحِدِ

قلت : ومثل هذا قول العلامة أبي الحسن علي بن الجهم — رحمه الله تعالى — :

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمْنَا بَعْدَ هَجْرَةٍ * وَأَدْنَى فَوَادٍ مِنْ فَوَادٍ مَعْدِبِ

فَيْتَنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَى زُجَاجَةً * مِنْ الْخُرْفِ مَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبِ

ومثل هذا قول القائل :

لَا وَالْمَسَازِلِ مِنْ تَجْدٍ وَلَيْلَتَنَا * بِالْخَيْفِ إِذْ جَسَدَانَا بَيْنَنَا جَسَدُ

كَمْ رَامَ مَنَا الْكَرَى مِنْ لُطْفِ مَسَلِكِهِ * نَوْمًا فَمَا أَنْفَكَ لَا خَدُّ وَلَا عَضْدُ

ومثل هذا أيضا قول [أبن] النّماويذي^(٣) — رحمه الله تعالى — :

فَكَمْ لَيْلَةٍ قَدِ بَتَّ أَرْشُفُ رَيْقِهِ * وَجُرْتُ عَلَى ذَاكَ الشَّيْبِ الْمُنْضِدِ

وَبَاتَ كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ مَعَانِي * وَبَتَ وَإِسَاءَهُ كَحَرْفِ مَشْدِدِ

وقد خرجنا عن المقصود ولترجع لما نحن بصدده .

وفيهما تُوِّفَ موسى بن يونس بن محمد بن منّعة بن مالك العلامة كمال الدين
أبو الفتح الموصلي الشافعي . مولده في صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بالموصل ،
وتفقه على والده وغيره ، وبرع في عدة علوم .

(١) الزيادة عن شذرات الذهب وعقد الجمان وبغية الوعاة . (٢) هو أبو الحسن علي

ابن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود الشاعر المشهور . تقدمت وفاته سنة ٤٢٩ هـ (وانظر بقية نسيه

في ابن خلكان) . (٣) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

قال ابن خلكان - رحمه الله - : وكان الشيخ يعرف الفقه والأصولين والخلاف والمنطق والطبيعي والإلهي والمجسطي وإقليدس والهيئة والحساب والجبر والمقابلة والمساحة والموسيقى معرفة لا يشاركه فيها غيره . ثم قال بعد ثناء زائد إلا أنه كان يُتهم في دينه لكون العلوم العقائية غالبية عليه .

وعمل فيه العباد المغربي وهو عمر بن عبد النور الصنهاجي النحوي هجوا - رحمه الله تعالى -

أجذكَ أن قد جاد بعدَ العَبَسِ * غزالٌ بوصليلى وأصبح مُؤنِسي
وعاطيته صَبَاءَ من فيه مَرْجُها * كَرَفَّةٌ شِعْري أو كَدينِ ابنِ يُونُسَ
وكان العباد المذكور قد مدحه قبل ذلك بأبيات منها :

كَمَالُ كَيْلِ الدِّينِ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ * فَهِيَاتَ سَاجٍ فِي مَسَاعِيكَ يَطْمَعُ
إِذَا اجْتَمَعَ النَّظَارُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ * فَنَايَةُ كُلِّ أَنْ تَقُولَ وَيَسْمَعُوا
فَلَا تَحْسَبُوهُمْ مِنْ عَنَادٍ تَطِيلُسُوا * وَلَكِنْ حَيَاءٌ وَأَعْرَاقًا تَقْنَعُوا
ومن شعر ابن يونس ما كتبه لصاحب الموصل يشفع عنده شفاعة، وهو :
لَنْ شُرِفَتْ أَرْضٌ بِمَالِكَ قَدِيرِهَا * فَمَمْلَكَةُ الدُّنْيَا بِكُمْ تَتَشَرَّفُ

- (١) المجسطي (بكر الميم والجيم وتخفيف الياء) : كلمة يونانية معناها الترتيب . وهو أشرف ما صنف في الهيئة بل هو الأم ، ومنه تستخرج سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن ، وهو كتاب لبطليموس الفلوزي الحكيم يذكر فيه القواعد التي يتوصل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية (عن كشف الظنون) . (٢) إقليدس : لفظ يوناني مركب من « إقل » بمعنى القتاح و « دس » بمعنى المقدار أو الهندسة (أي مفاتيح الهندسة) . وإقليدس : اسم رجل وضع كتابا في هذا العلم (عن كشف الظنون) . (٣) في الأصل : « العباد المغربي وهو عمر ابن عبد النور » . والتصويب عن ابن خلكان . وهو العباد أبو غل عمر بن عبد النور بن مائج بن يوسف الصنهاجي القرني (فتح اللام وسكون الزاي ، نسبة إلى لؤي وهي قبيلة من البربر) النحوي البجائي . توفي سنة ٨٦٩ هـ ، (عن ابن خلكان في ترجمة موسى بن منعم) . (٤) رواية ابن خلكان : « بمالك دقها » . ورواية عقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير :
- * لئن زينت دنيا بمالك أمرها *

بَقِيَتْ بَقَا نَوْجٍ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ * وَسَعِيكَ مَشْكُورٌ وَظَلَمُكَ مُنْصِفٌ
وَمُكِنْتُ فِي حِفْظِ الْبَسِيطَةِ مِثْلَ مَا * تَمَكَّنَ فِي أَمْصَارِ فِرْعَوْنَ يُوسُفُ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تَوَفَّى العلامة شمس الدين أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلي ثم الموصلي الضرير النحوي صاحب التصانيف .
وأحمد بن يعقوب أبو العيناء المارستاني^(٢) الصوفي في ذى الحجة . والفقيه إسحاق ابن طرخان الشاغوري في رمضان، وله نحو تسعين سنة . وأبو الطاهر إسماعيل ابن ظفر النابلسي في شوال، وله خمس وستون سنة . وأبو علي الحسن بن إبراهيم ابن هبة الله بن دينار الصائغ في جمادى الآخرة . وخطيب بيت هيا^(٣) أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسعريدي الحنبلي في شهر ربيع الآخر .
والفقيه عبد الحميد بن محمد بن أبي بكر بن ماض . والعلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس الموصلي، ذو الفنون في شعبان عن تسع وثمانين سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .



السنة الثالثة من ولاية الملك، الصالح نجم الدين أيوب على مصر، وهي سنة أربعين وستمائة .

(١) رواية ابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير :

بَقِيَتْ بَقَا الدَّهْرِ أَمْرُكَ نَافِذٌ * وَسَعِيكَ مَشْكُورٌ وَحُكْمُكَ مُنْصِفٌ

(٢) في شذرات الذهب : « أبو العباس » .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) في المشبه : « عن تسع وستين سنة » .

(٥) بيت هيا : قرية مشهورة بغوطة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

ففيها كان الوباء ببغداد وتزايدت الأمراض . وتوفي الخليفة المستنصر وبويع
أبنته المستعصم .

وفيهما عزّم الملك الصالح المذكور على التوجه إلى الشام ، فقيل له : البلاد مختلفة
والعساكر مختلفة ، فجهز إليها العساكر وأقام هو بمصر .

- وفيهما توفي كمال الدين أحمد ابن صدر الدين شيخ الشيوخ بمدينة غزة في صفر
عن ست وخمسين سنة ، وبني عليه أخوه معين الدين قبة على جانب الطريق ، وكان قد
كسره الجواد بعسكر الملك الناصر داود صاحب الكرك ؛ وقيل : إنه مات مسموما .
ومن شعره ما تحبه لأبن عمه سعد الدين :

- لو أن في الأرض جنات مخرقة * تحف أركانها الولدان والخدم
ولم تكن رأى عيني فالوجود بها * إذ لا أراك وجودك كله عدم
وفيهما توفي الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو جعفر منصور ابن الخليفة
الظاهر بأمر الله محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الخليفة
المستضيء بأمر الله حسن ابن الخليفة المستنجد بالله يوسف العباسي الهاشمي البغدادي .
مولده في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد ، وأمه أم ولد تركية ، بويع بالخلافة بعد
موت أبيه الظاهر بأمر الله في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ؛ ولما ولي
الخلافة نشر العدل في الرعايا وبذل الإنصاف ، وقرب أهل العلم والدين ، وبني
المساجد والرُط والمدارس ، وأقام منار الدين وقمع المتمرّدة ، ونشر السنن وكف
الفتن . وكان أبيض أشقر الشعر ضحّا قصيرا ، وخطه الشيب نخضب بالحناء ، ثم
ترك الخضاب . ومات في العشرين من جمادى ، وقيل : في يوم الجمعة عاشر
جمادى الآخرة عن إحدى وخمسين سنة وأربعة أشهر وتسعة أيام وكُم موته ،

(١) كذا في الأصل ورمّة الزمان . وفي عقد الجمان : « وكتب الى عمه سعد الدين » .

وخطب له يومئذ بالجامع حتى أقبل شرف الدين إقبال الشَّرَاف^(١) ومعه جمع من الخدام، وسلم على ولده المستنعم بالله أمير المؤمنين، وأستدعاه إلى سُدَّة الخلافة، ثم عرّف الوزير وأستاذ الدار، ثم طلبوا الناس، وبايعوه بالخلافة وتم أمره .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوِّفَى زين الدين أحمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي المحدث الشُّرُوطي . وإبراهيم بن بركات بن إبراهيم الخشوعي في رجب . وعبد العزيز بن محمد بن الحسن بن عبد الله ويعرف بآبن الدجاجة . وعلم الدين علي بن محمود آبن الصابوني الصوفي في شوال، وله أربع وثمانون سنة . وأبو الكرّم محمد بن عبد الواحد بن أحمد المتوكليّ، المعروف بآبن شُفَيْنين في رجب ، وله إحدى وتسعون سنة . والمستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر، وله اثنتان ونحسون سنة ، توفّي في جُمادى الآخرة ، وكانت خلافته ثلاث عشرة سنة .

قلت : لعل الذهبي وهم في مدّة خلافته ، والصحيح أنه ولي في سنة ثلاث وعشرين وستائة، وتوفّي سنة أربعين .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



السنة الرابعة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر، وهي سنة إحدى وأربعين وستائة .

فيها ترددت الرسل بين السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور وبين عمّه الملك الصالح إسماعيل صاحب الشام^(٢) [في الصلح] ، وكان الملك المغيثُ بن الصالح

(١) راجع ترجمته في سنة ٦٥٣ هـ في شذرات الذهب . (٢) زيادة عن مرآة الزمان .

نجم الدين هذا في حبس الصالح إسماعيل صاحب الشام بدمشق ، فاطلقه الصالح إسماعيل وخطب للصالح هذا ببلاده ، ثم تغير ذلك كله وقبض الصالح إسماعيل ثانيا على الملك المغيث بن الصالح نجم الدين وحبسه .

قال أبو المظفر — رحمه الله — : «وفيها قدمت القاهرة وسافرت إلى

- الإسكندرية في هذه السنة ، فوجدتها كما قال الله تعالى : ذات قرار ومعين معمورة^(١) بالعلماء ، مغمورة بالأولياء ، [الذين هم في الدنيا شامة] : كاشيخ محمد القباري^(٢) والشاطبي وآبن أبي أسامة . وهي أولى بقول القيسراني رحمه الله في وصف دمشق :

أرض تحل الأماني من أماكنها * بحيث تجتمع الدنيا وتفترق

إذاشدا الطير في أغصانها وقفت * على حدائقها الأسماع والحدق^(٣)

- قلت : وأين [قول] أبي المظفر من قول مجير الدين بن تميم في وصف^(٤) الإسكندرية ! :

لما قصدت سكندرية زائرا * ملأت فؤادي بهجة وسرورا

ما زرت فيها جانبا إلا رأيت * عيناي فيها جنة وحريرا

- وفيها صالح صاحب الروم التار على أن يدفع إليهم في كل يوم ألف دينار وفرنسا ومملوكا وجارية وكلب صيد ؛ وكان صاحب الروم يومئذ آبن علاء الدين كيقباد ، وهو شاب لعاب ظالم قليل العقل ، يلعب بالكلاب والسباع ويسلطها على الناس فعضه بعد ذلك سبع فمات ، فأقام التار شحنة على الروم .

(١) زيادة عن امرأة الزمان وعقد الجمان . (٢) هو القدوة الورع الزاهد أبو القاسم محمد ابن مصور الاسكندراني . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٢ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي .

(٣) في امرأة الزمان وعقد الجمان : «وآبن أبي شامة» . (٤) راجع ترجمته في ص ٣٠٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) زيادة يقتضها السياق .

(٦) هو محمد بن يعقوب بن علي مجير الدين بن تميم الاسمردي . كان أدبيا مجيدا مطبوعا كريم الأخلاق بديع النظم رفيقه لطيف التخيل . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٤ هـ .

وفيهما توفى الشيخ نجم الدين خليل بن علي بن الحسين الحموي الحنفى الفقيه^(١)
[قاضى العسكر] ، قدم دمشق وتفقه بها وخدم المعظم ودرس فى الرّيحانية بدمشق ،
وناب فى القضاء بها عن الرّفيح^(٢) . ومات فى شهر ربيع الأوّل ودُفِن بقاسيون .

وفيهما توفى مظفر الدين الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل أبى بكر بن
أيوب . وقد تقدّم من ذكره نبذة كبيرة عند وفاة الملك الكامل محمد بدمشق .
اتّهى . وكان مظفر الدين هذا قد جاء إلى ابن عمه الملك المعظم لما وقع بينه وبين
الملك الكامل صاحب مصر [ما وقع]^(٣) فأحسن إليه المعظم ، ثم عاد إلى مصر
لما مات الملك الأشرف موسى شاه أرمن ، فأقام بها عند الكامل إلى أن عاد .
صحبته إلى دمشق وأقام بها إلى أن مات الكامل فلكوه دمشق ، حسب ما حكينا .
فى ترجمة الكامل والعادل أبنه ؛ ووقع له بعد ذلك أمور . وكان جوادا كما أسمه ،
ويحبّ الصالحين والفقراء .

قال أبو المظفر : « إلا أنه كان حوله من ينهب الناس ويظلم وينسب ذلك
إليه » . قلت : ثم قبض عليه عمه الملك الصالح إسماعيل وأعتقله ، فطلبه منه الفرنج
لصحة كانت بينهم ، فنفقه ابن يغمور وقال : إنه مات ، وكان ذلك فى سؤال ،
ودفن بقاسيون دمشق فى تربة المعظم . وأما ابن يغمور فإنه حبس بأذن الصالح
بقلاعة دمشق ، ثم شنته الملك الصالح أيوب لما ملك دمشق بعث به ابن شيخ

(١) الزيادة عن الجواهر المضية . (٢) هو عبد العزيز بن عبد الواحد بن
إسماعيل الجليل الشافى أبو حامد القاضى الملقب بالرفيع قاضى القضاة بدمشق . وسيدكر المؤلف وفاة
فى سنة ٦٤٢ هـ .

(٣) زيادة عن مرآة الزمان . ٢٠

الشيخ إلى مصر، فحبسه الصالح بالجُب، ثم شقه بعد مدة هو وأمين الدولة على قلعة القاهرة .

وفيهاتوفى الشيخ الصالح الزاهد أبو بكر [الشَّعْبِيَّ^(٢١)] ، كان من أهل مَيَّافَارِقِينَ وكان من الأَبْدَال ، بعث إليه غازي صاحب مَيَّافَارِقِينَ مرارا يسأله الإذن في الزيارة ، فلم يأذن له ، فقيل له : هل يطرقُ البلادَ التَّارُ؟ فرفع رأسه إلى السماء وأنشد :

وما كُلُّ أسرارِ القلوبِ مباحةٌ * ولا كُلُّ ما حلَّ الفؤادُ يُقالُ

ثم خرج إلى الشَّعْبِيَّةِ^(٢٢) وهي قرية هناك وقال : احفروا لي ها هنا ، فبعد يومين اموت ، فمات بعد يومين — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو تمام على-

ابن أبي الفَحَّارِ هبة الله بن محمد الهاشمي خطيب جامع آبن المطَّاب [ببغداد] ، وله تسعون سنة . وأبو الوفاء عبد الملك بن عبد الحق [بن عبد الوهاب بن عبد الواحد] ابن الحنبلي . وأتم الفضل كريمة بنت عبد الوهاب القرشي في جمادى الآخرة .-

والعدل أبو المكارم عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد [بن محمد] بن هلال في رجب . وأبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي بن القبيطي^(٢٣) التاجر ، وله ست

وثمانون سنة . وأبو محمد عبد الحق بن خلف الحنبلي . وأبو الرضا علي بن زيد التساريسي^(٢٤) الخياط بالثغر . والأعز بن كرم بن محمد الإسكافي . والقاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجبا الحنبلي ، وله أربع وثمانون سنة . والحافظ تقي الدين إبراهيم

(١) هو أمين الدولة السامري أبو الحسن بن غزال الملباني وزير الصالح إسماعيل . كان سامريا فاعلم (عن عقد الجمان) . (٢) الزيادة عن عقد الجمان و امرأة الزمان . (٣) في الأصل :

«صاحب مادرين» . والتصويب عن امرأة الزمان وعقد الجمان . (٤) في الأصل : «ثم خرج إلى الشعبة» . وما أثبتناه عن امرأة الزمان وعقد الجمان . (٥) الزيادة عن شذرات الذهب .

(٦) في الأصل : «ابن القبطي» . والتصويب عن شرح القصيدة اللامية في التاريخ وشرح القاموس . (٧) كذا في الأصل ومعجم البلدان لياقوت وشرح القصيدة اللامية في التاريخ ؛ نسبة :

إلى تسارس ، قصر بركة . (٨) في شذرات الذهب : «أبو محمد» .

ابن محمد بن الأزهر يدمشق ، وله ستون سنة . وقصر بن فيروز المقرئ البواب^(١) في رجب . وقاضى القضاة الرفيع الحنبلى في آخر السنة .
 § أمر النيل في هذه السنة المساء القديم ثلاث أذرع ، وقيل أكثر . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى أصابع .



السنة الخامسة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر ، وهى سنة آنتين وأربعين وستائة .

فيها توفى شهاب الدين أحمد^(٢) [بن محمد بن على بن أحمد] بن الناقذ وزير الخليفة . كان أبوه وكيل أم الخليفة الناصر لدين الله ، ونشأ أبنه هذا وتقل في الخدم حتى ولى الوزارة لخليفة المستنصر ، ولقب مؤيد الدين ، وحسنت سيرته . وكان رجلا صالحا فاضلا عفيفا دينيا صار في وزارته أحسن سيرة — رحمه الله تعالى — .
 وفيها توفى شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر [بن على] بن محمد آين حمويه . كان فاضلا نزها شريفا النفس على الهمة ، صنف التاريخ وغيره ، وكان معدودا من العلماء الفضلاء . ومات في صفر .

وفيها قُتل القاضى الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل أبو حامد الملقب بالرفيع . قال أبو المظفر في تاريخه : قيل إنه كان فاسد العقيدة دهرياً مستهترا بأمور الشريعة ، يخرج إلى الجمعة سكران ، وكذلك كان يجلس في مجلس الحكم ، وكانت داره مثل الحانات ، قبض عليه أمين الدولة وبعث به في الليل إلى بعلبك ،

(١) كذا في الأصل وشذرات الذهب . وفي غاية النهاية : « قصر بن عداة بن الفيروزان » .

(٢) كذا في الأصل ومرآة الزمان . وفي عقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير : « نصير الدين » .

(٣) النكبة عن عقد الجمان وآين كثير .

(٤) النكبة عما سيذكره المؤلف نقلا على الذهبي وشذرات الذهب .

وصُودر هناك، وباع أملاكه ؛ وبعد ذلك جاءه داود النصراني^(١) [سيف النعمة] فقال : قد أمرنا بملكك إلى بعلبك ، فأيقن بالهلاك ؛ فقال : دَعُونِي أَصْلِي رَكْمَتَيْنِ ! فقال له داود : صَلِّ ، فقام يُصَلِّي فأطال ، فرَفَسه داود من رأس شَقِيفٍ مَطْلٍ على نهر إبراهيم فوقَ ، فما وصل إلى الماء إلا وقد تقطع — وقيل : إنه تعلق بذيله بسنّ الجبل فما زال داود يضربه بالحجارة حتى قتله — . قلت : لا شئتُ يدها ! فإنه كان من مساوئ الدنيا ! .

وفيها توفى الملك المُنْهَيْتُ عمر بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الترجمة ، مات في حياة والده الملك الصالح في حبس دِمَشْق — بعد أن عجز والده في خلاصه — في يوم الجمعة ثاني عشرين شهر ربيع الآخر ، وحُمل إلى تربة جده الملك الكامل محمد فدُفِنَ بها ، وكان شاباً حسناً عاقلاً دِيناً . وقد مرّت من ذكره نبذة كبيرة في عدة مواضع من هذا الكتاب .

وفيها توفى شمس الأئمة محمد بن عبد الستار بن محمد الإمام العلامة فريدُ دهره ووحيدُ عصره المعروف بشمس الأئمة الكُرْدِيّ^(٢) البرّاقينيّ^(٣) الحنفيّ . وبراقيين : قصبة من قصبات كُرْدَر من أعمال جُرْجَانِيَّة . قال الذهبي : كان أستاذ الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق ؛ برع في علوم ، وأقرأ في فنون ؛ وآتته إليه رئاسة الحنفية في زمانه . انتهى . قلت : وشمس الأئمة أحد العلماء الأعلام وأحد من سار ذكره شرقاً وغرباً ، وانتشرت تصانيفه في الدنيا — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى شيخ الشيوخ تاج الدين عبد الله بن عمر بن عليّ^(٤) الحَوْثِيّ في صفر ، وله سبعون سنة ، وأبو المنصور

- ٢٠ (١) زيادة عن عقد الجمان . (٢) في الأصل : « الكردى » . والصواب عن عقد الجمان والجواهر المضية في طبقات الحنفية . وضبطه صاحب الباب (يفتح الكاف) وقال : نسبة إلى كردر ، ناحية بخوارزم . (٣) جرجانية : مدينة عظيمة على شاطئ جيحون . (٤) في شذرات الذهب : « ولد بدمشق سنة ٥٦٦هـ » .

ظافر بن طاهر [بن ظافر بن إسماعيل ^(١)] بن محم الأزدى المطرزي بالإسكندرية
 في شهر ربيع الأول . وأبو الفضل يوسف بن عبد المعطى بن منصور بن نجا العسالى ^(٢)
 ابن الخليل - أحد رؤوس الثغر في جمادى الآخرة، وله أربع وسبعون سنة . وأبو الضوء
 قمر بن هلال بن بطاح ^(٣) القطيبي في رجب . وتاج الدين أحمد بن محمد بن هبة الله بن
 محمد بن الشيرازي في رمضان، وقد نيف على السبعين .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع سواء . مبلغ الزيادة
 خمس عشرة ذراعا سواء .



السنة السادسة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر، وهي
 سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

فيها كان الحصار على دمشق [من المصريين و] ^(٤) من الخوارزمية .
 وفيها كان الغلاء العظيم بدمشق، وبلغت الغيرة القمح ألفا وستمائة درهم،
 وأبيعت الأملاك والأمتعة بالهوان .

وفيها أيضا كان الغلاء بمصر، وقاسى أهلها شدائد .

وفيها توفى الوزير معين الدين الحسن ابن شيخ الشيوخ أبو علي وزير الملك الصالح
 أيوب، وهو الذي حصر دمشق فيما مضى . كان أستوزره الملك الصالح بعد أخيه

(١) التكلة عن شذرات الذهب . (٢) في شذرات الذهب : « الناصي » .
 (٣) الخليل : نسبة الى نخيلة، قبيلة من البربر (عن شرح القاموس) . (٤) في الأصل :
 « قمر بن هلال بن بطاح » . وما أثبتناه عن المشتبه في أسماء الرجال . ولم نقف عليه في مصدر آخر من
 المصادر التي تحت يدينا . (٥) الزيادة عن امرأة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

عماد الدين، وكانت وفاته بدمشق في شهر رمضان، ودُفِنَ إلى جانب أخيه عماد الدين المذكور بقايسون .

وفيهما توفيَّ عبد المحسن بن حمود بن [عبد^(١)] المحسن أبو الفضل أمين الدين الحلبيّ، كان كاتباً لعزّ الدين أيّك المعظميّ، وكان فاضلاً ديناً بارعاً حسن الخط . ومن شعره في إجازة — رحمه الله تعالى — :

قد أجزتُ الذي فيها * إلى ما ألتسوه مني
فلهم بعدها رواية ما صَحَّ لديهم من الرواية عني^(٢)
وكانت وفاته في شهر رجب، ودُفِنَ بباب توما .^(٣)

وفيهما تُوفيت ربيعة خاتون بنت أيوب أختُ السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب، وأخت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، كان تزوجها أولاً سعد الدين مسعود بن مُعين [الدين^(٤)] أنز، وبعد موته تزوجها صلاح الدين بن مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل، ثم قُدمت دمشق، وهي صاحبة الأوقاف، وماتت بدمشق ودُفنت بقايسون، وقد جاوزت ثمانين سنة .

وفيهما توفيَّ أحمد بن عيسى آبن العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الإمام الحافظ الزاهد سيف الدين بن المجد الحنبليّ . وُلِدَ سنة خمس وستائة .
وسَمِعَ الحديثَ الكثير، وكتب وصنّف وجمع ونَحَرَ، وكان ثقةً حجةً بصيراً بالحديث ورجاله، ومات في أوّل شعبان .

- (١) زيادة عن مرآة الزمان . (٢) في الأصل : «لغزأيك» . وما اتبناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) ليس هذا البيت مستقيم الوزن والمعنى ولم نعرطه في مصدر آخر . (٤) باب توما : من أبواب دمشق، ينسب إلى عظيم من عظام الروم وسمى باسمه، وكان به كنيسة باسمه (عن نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٢٤) . (٥) زيادة عما تقدّم وعقد الجمان .

وفيهما توفى عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى أبي نصر الإمام المقتي
تقي الدين أبو عمرو ابن الإمام البارص صلاح الدين النضري الكردى الشهير زورى
الشافعى المعروف بابن الصلاح . ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة وتنفقه على والده
الصلاح بشهر زور وغيره ، وبرخ فى الفقه والحديث والعربية وشارك فى فنون .
ومات فى شهر ربيع الآخر ودفن بمقابر الصوفية .

وفيهما توفى على بن محمد بن عبد الصمد العلامة شيخ القراء بدمشق علم الدين
أبو الحسن الحمزانى السخاوى المصرى . ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة ،
وكان إماما علامة مقرنا محققا مجودا بصيرا بالقراءات ، ماهرا فى النحو واللغة إماما
فى التفسير ، مات بدمشق فى جمادى الآخرة .

وفيهما توفى محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل الحافظ
ضياء الدين أبو عبد الله المقدسى السعدى ثم الدمشقى الصالحى صاحب التصانيف
المشهوره . ولد سنة تسع وستين وخمسمائة ، وسمع الكثير ورحل البلاد ، وكتب
وصنف وحصل شيئا كثيرا من الأجزاء والأسانيد . ومات يوم الاثنين
الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، وله أربع وسبعون سنة .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى الحافظ أبو القاسم
عبد الرحمن بن مقرب النجيبى الإسكندرى فى صفر . والحافظ أبو العباس أحمد
ابن محمود بن إبراهيم بن تبهان بن الجوهري بدمشق فى صفر . والحافظ العلامة
تقى الدين عثمان بن الصلاح عبد الرحمن بن عثمان الكردى فى شهر ربيع الآخر ،
وله ست وستون سنة . والحافظ سيف الدين أحمد بن المجد عيسى بن الموفق
فى شعبان . والحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى فى جمادى الآخرة ،
وله أربع وسبعون سنة . والحافظ الفقيه تقي الدين أحمد بن المعز محمد بن عبد الفنى

- ابن عبد الواحد المقدسي في شهر ربيع الآخر، وله اثنتان وخمسون سنة . والحافظ
المفيد تاج الدين محمد بن أبي جعفر [أحمد بن علي] القرطبي إمام الكلاسة^(١)
في جمادى الأولى . والرئيس عز الدين ابن النسابة محمد بن أحمد بن محمد [بن الحسن]^(٢)
ابن عساكر في رجب، وله ثمان وسبعون سنة . والعلامة موفق الدين يعيش بن علي بن
يعيش النحوي بحلب في جمادى الأولى، وله تسعون سنة . والعلامة علم الدين
علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي المقرئ المفسر، وله خمس وثمانون^(٣)
سنة في جمادى الآخرة . وأبو غالب منصور بن أحمد بن أبي غالب [محمد بن محمد]
المراتبي ابن المعوج فيه، وله ثمان وثمانون سنة . وخطيب الجبل شرف الدين عبد الله^(٤)
ابن الشيخ أبي عمر [محمد] المقدسي فيه أيضا . والحافظ مجد الدين محمد بن محمود بن^(٥)
حسن [بن هبة الله بن محاسن] بن التجار محدث العراق في شعبان، وله خمس وتسعون
سنة . والصاحب معين الدين حسن ابن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر
الجويني بدمشق في رمضان . والشيخ أبو الحسن علي بن الحسين بن المقرئ التجار^(٦)
بمصر في ذي القعدة، وله ثمان وتسعون سنة . وأبو بكر محمد بن سعد بن الموفق^(٧)
الصوفي بن الخازن ببغداد في ذي الحجة، وله سبع وثمانون سنة . والأمير
١٥ سيف الدين علي بن قليج، ودُفن بترابته داخل دمشق .
- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

(١) الزيادة عن شذرات الذهب . (٢) التكملة عن شذرات الذهب .

(٣) المراتبي : نسبة الى باب المراتب . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨١ من هذا الجزء .

(٤) في الأصل : « أبي عمرو المقدسي » . والتصحيح والزيادة عن شذرات الذهب والذي على
الرويتين . (٥) التكملة عن عقد الجمان وشذرات الذهب . (٦) في الأصل :

« ابن القد » . والتصويب عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية في التاريخ وشرح القاموس
والذي على الرويتين . (٧) في شذرات الذهب : « محمد بن سعيد » .



السنة السابعة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر، وهي سنة أربع وأربعين وستمائة .

• فيها توفى الملك المنصور صاحب حصص وأسمه إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير أخو أيوب . كان المنصور هذا شجاعا متواضعا موافقا لملك الصالح إسماعيل ومصاهرا له . ومات بدمشق في يوم الأربعاء حادى عشر صفر، وحمل في تابوت إلى حصص، ومات وله عشرون سنة . وقام بعده على حصص ولده الأشرف موسى ، فأقام بها سنتين وشهورا وأخذت منه .

• وفيها تسلم السلطان الملك الصالح أيوب قلعة الصبيبة^(١) من ابن عمه الملك السعيد ابن الملك العزيز ، ثم أخذ السلطان أيضا حصن الصلت^(٢) من الملك الناصر داود صاحب الكرك .

• وفيها قدم رسولان من التتار إلى بغداد ، أحدهما من بركة خان ، والآخر من ناخو، فاجتمعا بالوزير مؤيد الدين ابن العلقمي ، فتغتمت على الناس بواطن الأمور . وفيها أخذت الفرنج مدينة شاطبة من بلاد المغرب صلحا ، ثم أجلوا أهلها بعد سنة عنها . فما شاء الله كان .

• وفيها توفى بركة خان الخوارزمي أحد الخانات الأربعة ، كان أصلهم في الميل إلى الخير ، وكان الملك الصالح نجم الدين - صاحب الترجمة - قد صاهره وأحسن إليه ، وجرى منه [عليه] ما جرى في حياة والده الملك الكامل . ولما

(١) الصبيبة : اسم لقلعة بانياس وهي من الحصون المنيع (عن تقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل) .

(٢) الصلت : بلدة وقعة من جند الأردن ، وهي في جبل النور الشرق جنوبي بحلون على مرحلة

سها (عن تقويم البلدان لأبي الفدا) . (٣) الككلة عن عقد الجمان ومرآة الزمان .

قُتِلَ آنَحَلُ نظامُ الخُوَارَزْمِيَّةِ من بعده، وكان قتلُهُ بالقرب من حلب في قتال كان بينه وبين صاحب حلب وِخْص . وقد تقدّم ذكر ذلك كلّ في أوّل ترجمة الصالح هذا .

- قال الأمير شمس الدين لؤلؤ : لما ألقينا على وِخْص رأيتُ الخُوَارَزْمِيَّةَ حَقًّا عظيمًا، وكنا بالنسبة إليهم كالشامة السوداء في الثور الأبيض ، فقال لي غلماني (بني ممالكه) : أيُّما أحبُّ إليك، نأخذ بركة خان أسيرا، أو نَحِلَ رأسه إليك؟ فقلت : رأسه ، كأن الله أنطقني وألقينا . فلما كان بعد ساعة وإذا بواحد من أصحابنا يحمل رأسا مليح الصورة وليس في وجهه سوى شَعرَات يسيرة ، ولم يعرفه أحد ولا نحن عرفناه، وأنهمزوا ، وجرى بَطائِفَةٌ منهم أُسارى، فلما رأوا الرأس رمّوا نفوسهم من خيولهم وحشّوا التراب على رؤوسهم ، فعلمنا حينئذ أنه رأسه ، وبعثنا به إلى حلب .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو عبد الله محمد بن حَمَّان بن رافع العامري خطيبُ الموصل . وعبد المنعم بن محمد ^(١) [بن محمد] بن أبي الضياء الدمشقي ^(٢) بجَمَّة . والزاهد إسماعيل بن علي الكُوراني ^(٣)، ودُفِنَ بمقابر الصُوفِيَّة .

١٥

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستُّ أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع أصابع .



السنة الثامنة . من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر، وهي سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

٢٠

(١) التكلة عن شذرات الذهب . (٢) في شذرات الذهب : « ابن أبي المضاء » .

(٣) الكوراني : نسبة إلى كوران ، قرية بأسفراين .

فيها نزل الوزير نجر الدين آبن الشيخ بعسكر الصالح نجم الدين المذكور على طبرية
فتفتحها عنوةً، وحاصر عسقلانَ وقتل عليها قتالا عظيما [وأخذها المسلمون] .

وفيها وجه الملك الصالح نجم الدين تاج الدين بن مهاجر من مصر إلى دمشق
ومعه المبارز نسيبه ومعهما تذكرة فيها أسماء جماعة من أعيان الدماشقة بأن يُجملوا
إلى مصر فُجملوا، وهم : [القاضي] محي الدين بن الزكي وآبن الحصري وآبن العماد
الكاتب وبنو صصرى الأربعة، وشرف الدين بن المعتمد وآبن الخطيب المقرَّباني
والتاج [الإسكندراني] الملقَّب بالشحرور وآبو الشامات والحكيمى مملوك إسماعيل
وغازي وآلي بصرى وآبن الهادي المحتسب ؛ وأخرج العماد آبن خطيب بيت الأبار
من جامع دمشق ، وولى العماد الحرسَ تاني الخطابة عوضه . وسبب حمل هؤلاء الجماعة
إلى مصر ، أنه نُقل إلى الملك الصالح أيوب أنهم خواص الصالح إسماعيل ، يخاف
أن يتجربى ما جرى في التوبة الأولى من أخذ دمشق . ولما وصلوا إلى مصر حبس
منهم السلطان الملك الصالح جماعة فأقاموا في الحبس إلى أن مات الملك الصالح ،
فأخرجوا وعادوا إلى دمشق .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي العلامة أبو علي
عمر بن محمد الأزدي الشيبلي النحوي الشلويني في صفر ، وله ثلاث وثمانون سنة .

- (١) الزيادة عن شذرات الذهب ، وما نفيدُه عبارة الذيل على الروضتين وعقد الجمان .
(٢) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) كذا في الأصل . وعبرة عقد الجمان
ومرآة الزمان : « وآبو الشامات مملوك إسماعيل » (٤) هو عماد الدين داود آبن خطيب بيت
الأباركا في الذيل على الروضتين . (٥) هو عماد الدين آبن الحرساني أبو الفضائل عبد الكريم
آبن القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد الأنصاري الدمشقي الشافعي (وسبق ذكر المؤلف وفاته في حوادث
سنة ٦٦٢ هـ) . (٦) الشلويني : نسبة إلى الشلوين ، وهي لغة الأندلس الأبيض الأشقر
(عن ابن خلكان) .

وأبو مَدِين شُعَيْب بن يحيى الإسكندراني الزُّعْفَرَانِي التاجر بمكة — شرفها الله تعالى —
والشيخ على الحريري في رمضان عن سِنِّ عالية .

في أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم صُتُّ أذرع سواء . مبلغ الزيادة
سبع عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعا .



السنة التاسعة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر ، وهي
سنة ست وأربعين وستائة .

فيها قايض الملك الأشرف موسى صاحبُ خُصِّ تَلٍّ بأشرٍ بمخص مع الملك
الناصر يوسف [بن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين] صاحب حلب ، ولذلك
خرج الملك الصالح نجم الدين أيوب هذا من مصر بالعساكر حسب ما ذكرناه
في ترجمته ، ثم عاد مريضاً لما بلغه بحجى الفرنج إلى دِمياط .

وفيها أخذ الملك الصالح نجم الدين المذكور من الأمير علاء الدين أيدكين
البندقداري بيبرس البندقداري الذي تسلطن ، اشتراه منه ورقاه إلى أن صار من
أمره ما صار .

وفيها زار الملك الصالح في عودته إلى مصر القُدَسَ الشريف ، وأمر أن يُدْرَعَ
مُورُهُ ، بخاء ستة آلاف ذراع ، فأمر بأن يصرف مُغَلَّ القدس في عمارته . وتصدق
السلطان الملك الصالح بالنقود ديناراً في الحرم ، وزار الخليل — عليه السلام — ثم عاد
إلى مصر .

وفيها توفى على^(١) بن أبي الجن بن منصور الشيخ أبو الجن . وأبو محمد الحريري^(٢) ،
مقدم الطائفة الفقراء الحريرية^(٣) ، ولد بقرية بسر وقديم دمشق صبيا فنشأ بها .
وفي أحوال الحريري هذا أقوال كثيرة^(٤) ، أتى عليه أبو شامة وغيره ، وتكلم فيه جماعة
منهم الذهبي وغيره . والله أعلم بحاله . وقال ابن إسرائيل : وتوفى في الساعة
التاسعة من يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان سنة خمس وأربعين من غير
مرض ، وكان أخبر بذلك قبل موته بمدة .

وفيها توفى عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الشيخ الإمام العالم العلامة
جمال الدين أبو عمرو المعروف بابن الحاجب الكندي المالكي النحوي الأصولي
صاحب التصانيف في النحو وغيره . مولده في سنة سبعين وخمسمائة بإسنا من بلاد
الصعيد ، ومات في شوال ، وفي شهرته ما يغني عن الإطناب في ذكره — رحمه
الله تعالى — .

(١) بحثنا على هذا الاسم في المصادر التي تحت أيدينا فلم نضبطه . (٢) هو الذي ذكر
المؤلف وفاته أيضا في السنة الماضية . (٣) بسر : قرية من أعمال حوران من أراضي دمشق
(عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) راجعنا ما كتبه عنه أبو شامة في الذيل على الروضتين في حوادث
سنة ٥٦٤ هـ ، فوجدناه قد أكثر في ذمه ولم يثن عليه . (٥) إسنا (بالكسر وتفتح) : مدينة مصرية
قديمة شهيرة بالصعيد الأعلى واقعة على الشاطئ الغربي لليل ، اسمها المصري القديم «سن» والقبطي «إسن»
والرومي «لاتو بوليس» وكانت هذه المدينة في المهددين الفرعوني والروماني قاعدة الاقليم الثالث بالصعيد .
وفي عهد العرب كانت قاعدة كورة اسنا . ومن عهد الدولة الفاطمية الى آخر حكم المماليك كانت من أعمال
القوصية التي كانت قاعدتها مدينة قوص . وفي عهد الحكم العثماني كانت من أعمال ولاية جرجا . وفي سنة ١٨٣٣
جعلت اسنا قاعدة لأمورية قائمة بذاتها ، وكانت هذه الأمورية تضم أحيانا الى قنا ويتكون منهما مديرية
واحدة ، تارة باسم مديرية نصف ثاني قلى ، وتارة باسم مديرية عموم قنا واسنا . وفي سنة ١٨٦٨
صدر الأمر بفصل اسنا عن قنا لثلاثة الخيام باسم مديرية اسنا . وكانت تتكون من أربعة أقسام :
وهي اسنا وادفو والكوز وحلقا . ولما ظهرت أخطار الثورة المهدية في بلاد السودان صدر قرار مجلس
النظار في ٢٦ أبريل سنة ١٨٨٨ بالفا . مديرية اسنا على أن يضاف مركز اسنا الى مديرية قنا وأن يتكون
من الثلاثة المراكز الأخرى مديرية جديدة باسم مديرية الحدود (مديرية أسوان اليوم) وبهذا التعديل ألغيت
المديرية من مدينة اسنا مع بقائها الى اليوم قاعدة المركز المسمى بها ضمن مراكز مديرية قنا .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو علي منصور ^(١) ابن سند [بن منصور المعروف بأ] ^(٢) بن الدباغ بالإسكندرية في شهر ربيع الأول . وأبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله [بن الحسين بن عبد الله] ^(٣) بن رَوَاحَةَ الأنصاري في جمادى الآخرة . وله ست وثمانون سنة . وأم حمزة صفية بنت عبد الوهاب بن علي القرشي أخت كريمة في رجب . والعلامة أبو الحسن علي بن جابر بن الدباغ الإشبيلي بها عند استيلاء الفيرنج عليها . والوزير الأكرم علي بن يوسف جمال الدين القفطي بحلب . والعلامة جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الحاجب . وعمرو بن عبد الله بن أبي بكر الإشبيلي في شوال بالإسكندرية ، وله ست وسبعون سنة .

- ١٠ § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .



السنة العاشرة من ولاية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر ، وهي سنة سبع وأربعين وستمائة ، وفيها كانت وفاته في شعبان ، حسب ما تقدم ذكره .

١٥

فيها في أولها كان عود السلطان الملك الصالح المذكور من دمشق — حسب ما ذكرناه في العام الماضي — قال الذهبي : وفيها في أولها عاد الملك الصالح إلى

- (١) في الأصل : « بن سند بن الدماخ » بالعين المهملة . والزيادة والتصحيح عن تاريخ الاسلام للذهبي . وفي شذرات الذهب « منصور بن السيد بن الدماخ » . وفي حسن المحاضرة : « منصور بن سندی الدباغ » بالعين المعجمة . وفي شرح القصيدة اللامية في التاريخ : « منصور بن الدماخ » .
 (٢) التكلفة عن تاريخ الاسلام للذهبي . (٣) القفطي (بكر القاف وسكون القاف)
 نسبة الى قفط (بالطاء المهملة) ، بلد بصعيد مصر (عن شذرات الذهب) .

الديار المصرية مريضا في تحفة ، وكان قد قتل أخاه الملك العادل قبل خروجه من مصر فها هنا الله . واستعمل على نيابة دمشق الأمير جمال الدين [موسى]^(١) ابن يغمور . قال : وفيها ولدت امرأة بيغداد آبنين وبنين في جوف ، وشاع ذلك فطلبوا إلى دار الخلافة وأحضروا ، وقد مات واحد ، فأحضر ميتا فتعجبوا ، وأعطيت الأم من الثياب والحلي ما يبلغ ألف دينار .

وفيها توجه الملك الناصر داود صاحب الكرك إلى الملك الناصر يوسف صاحب حلب ، وبلغ السلطان الملك الصالح نجم الدين ذلك ، فأرسل إلى نائبه ابن يغمور يدمشق بخراب دار أسامة وقطع شجر بستان القصر الذي للناصر داود بالقبون^(٢) وخراب القصر ، ففعل ذلك .

وفيها سار الملك الظاهر [شاذي]^(٣) والملك الأجدد أبنا الملك الناصر داود المقدم ذكره من الكرك إلى مصر ، وسما الكرك إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين بغير رضا أبيهما الناصر ، فأعطى الملك الصالح للظاهر بن الناصر داود عوضا عن الكرك خبز مائتي فارس بمصر ، وخمسين ألف دينار ، وثلاثمائة قطعة قاش ، والذخائر التي بالكرك ؛ وأعطى لأخيه الأجدد إنعيم^(٤) ، وخبز مائة وخمسين فارسا بمصر ؛ فلم تطل مدتهم بمصر ومات الملك الصالح وزال ذلك كله من أيديهم حسب ما تقدم ذكره ، وحسب ما يأتي ذكره أيضا .

وفيها هجمت الفرينج ديمياط وأحاطت بها في شهر ربيع الأول ، وقد ذكر ذلك كله .

(١) التكملة عن الذيل على الروضتين وشذرات الذهب . (٢) القابون : موضع بينه وبين

دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق في وسط البساتين (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) الزيادة عن عقد الجمان . (٤) هو مجد الدين حسن كا في مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وفيها توفّي الصّاحب نغر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ^(١) [أبي الحسن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجوّيني] . كان عاقلاً جواداً ممدّحاً مدبراً خليفاً بالملك محبوباً إلى الناس . ولما مات الملك الصّالح نجم الدين أيّوب على دميّاط نُدب إلى الملك فامتنع ، ولو أجاب لما خالفوه ، وأسْتَشِيدَ على دميّاط بعد أخذها . ومن شعره قوله :

عَصَيْتُ هَوَى نَفْسِي صَغِيرًا فَعِنْدَمَا * رَمَتْنِي اللَّيَالِي بِالْمَشِيبِ وَبِالْكِبَرِ
أَطَعْتُ الْهَوَى عَكْسَ الْقَضِيَّةِ لَيْتَنِي * خُلِفْتُ كَبِيرًا وَأَتَقَلْتُ إِلَى الصَّغَرِ
قلت : ويذكر هذا الشعر أيضاً لغيره فيما يأتي — إن شاء الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفّي أبو يعقوب يوسف ابن محمود بن الحسين السّاوي^(٢) في رجب بالقاهرة ، وولد يدمشق في سنة ثمان وستين . والسلطان الملك الصّالح نجم الدين أيّوب بن التّكامل بن العادل بالمنصورة في شعبان ، وله أربع وأربعون سنة . والأمير مقدّم الجيوش نغر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين الجوّيني في ذى القعدة شهيدا يوم وقعة المنصورة . وأبو جعفر محمد بن عبد الكريم بن محمد ببغداد . وصفيّ الدين عمر بن عبد الوهاب ابن البرادعيّ في شهر ربيع الآخر .

١٥

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانين أصابع .

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب .

(٢) السّاوي : نسبة الى سادة ، مدينة بين الرى وهمدان .

ذكر سلطنة الملك المعظم توران شاه على مصر

هو السلطان الملك المعظم توران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل سيف الدين محمد ابى بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذى، سلطان الديار المصرية الأيوبى الكردى، آخر ملوك بنى أيوب بمصر، ولا عتبة بولاية الأشرف فى سلطنة الملك المعز أيتك . تسطن الملك المعظم هذا بعد موت أبيه الملك الصالح بنحو شهرين ونصف، وقيل : أربعة أشهر ونصف وهو الأصح؛ لأن الملك الصالح أيوب كانت وفاته فى ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين بالمنصورة، والفرنج حادثة بعاكر الإسلام، فأخفت زوجته أم ولده خليل شجرة الدر موته مخافة على المسلمين، وباعوا لابنه المعظم هذا بالسلطنة فى غيبته، وصارت شجرة الدر تدبر الأمور وتخفى موت السلطان الملك الصالح إلى أن حضر المعظم توران شاه هذا من حصن كيفا إلى المنصورة فى أول المحرم من سنة ثمان وأربعين وستمائة . وكان المعظم هذا نائبا لأبيه الملك الصالح على حصن كيفا وغيرها من ديار بكر . ولما وصل المعظم إلى المنصورة فتح الله على يديه، ونصر الله الإسلام فى يوم دخوله فتمن الناس بطلعته . وسبب نصرانه لما استهلّت سنة ثمان وأربعين والفرنج على المنصورة والجيوش الإسلامية بإزائهم، وقد طال القتال بين الفريقين أشهراً ضعف حال الفرنج لأتقطاع الميرة عنهم، ووقع فى خيلهم وباء وموت، وعزم ملكهم الفرنسيس على أن يركب فى أول الليل ويسير إلى دياط، فعلم المسلمون بذلك . وكان الفرنج قد عملوا جسراً عظيماً من الصنوبر على النيل، فسموا عن قطعه، فعبر منه المسلمون فى الليل إلى برهم، وخيامهم على حائلهم ونقلهم، وأحدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلاً وأمراً، فالتجئوا

- إلى قرية تسمى مِثَّةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَتَحَصَّنُوا بِهَا، وَدَارَ الْمُسْلِمُونَ حَوْلَهَا، وَظَفِرَ
 أَسْطُولُ الْمُسْلِمِينَ بِأَسْطُولِهِمْ، فَغَنِمُوا جَمِيعَ الْمَرَائِبِ بَيْنَ فِيهَا . وَاجْتَمَعَ إِلَى
 الْفَرَنْسِيِّسِ نَحْمَانَةُ فَارَسٍ مِنْ أَبْطَالِ الْفِرْنَجِ، وَقَعَدَ فِي حَوْشِ مِثَّةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ؛
 وَطَلَبَ الطَّوَائِشِ رَشِيدَ [الدين] ^(٢١)، وَالْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ الْقَيْمُرِيَّ ^(٢٢) فَخَضَرَا إِلَيْهِ؛
 فَطَلَبَ مِنْهُمَا، الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ؛ فَأَجَابَاهُ وَأَمَنَاهُ فَلَمْ يَرْضَ الْفِرْنَجِ وَحَمَلُوا ^(٢٣)
 عَلَى حِمِيَّةٍ؛ وَأَحْدَقَ الْمُسْلِمُونَ بِهِمْ؛ وَبَقُوا يَحْمِلُونَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً بَعْدَ حَمْلَةٍ، حَتَّى أُبِيدَتْ
 الْفِرْنَجِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ سِوَى فَارَسِينَ، فَرَمَوْا نَفْسَهُمْ بِخَيْوَلِهِمْ إِلَى الْبَحْرِ ففَرَّقُوا
 [وَلَمْ يَصِلْ إِلَى دِمِيَاطٍ مَنْ يُخْبِرُ بِحَالِهِمْ] وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ مَا لَا يُوصَفُ وَأَسْتَفْنَى
 خَلْقًا؛ وَأُتْزِلَ الْفَرَنْسِيِّسُ فِي حَرَّاقَةٍ، وَأُخْدِقَتْ بِهِ مَرَائِبُ الْمُسْلِمِينَ تُضْرَبُ
 فِيهَا الْكُوسَاتُ وَالطُّبْسُولُ ^(٢٤). وَفِي الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ الْعَسْكَرُ سَائِرُ مَنْصُورٍ مُؤَيَّدٍ، وَالْبَرِّ
 الْقَرْبِيِّ فِيهِ الْعُرْبَانُ وَالْعَامَّةُ فِي لَهْوٍ وَتَهَانٍ وَسُرُورٍ بِهَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، وَالْأَسْرَى
 تَقَادُ فِي الْحَبَالِ؛ فَكَانَتْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ الْعَظِيمَةِ الْمَشْهُودَةِ . وَقَالَ سَعْدُ الدِّينِ
 فِي تَارِيخِهِ: لَوْ أَرَادَ الْفَرَنْسِيُّسُ أَنْ يَخْجُوَ نَفْسَهُ لَخَلَّصَ عَلَى خَيْلِ سَبْقِي أَوْ فِي حَرَّاقَةٍ،
 لَكِنَّهُ أَقَامَ فِي السَّاقَةِ يَتَمَحَّى أَصْحَابَهُ . وَكَانَ فِي الْأَسْرِ مُلُوكٌ وَكُنُودٌ مِنَ الْفِرْنَجِ .
 وَأُخْصِي عِدَّةُ الْأَسْرَى فَكَانُوا نِيفًا وَعِشْرِينَ أَلْفَ آدَمِيٍّ، وَالَّذِي غَرِقَ وَقُتِلَ سَبْعَةٌ .

- (١) مِثَّةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، هَذِهِ الْقَرْيَةُ لَا تَزَالُ مَوْجُودَةً إِلَى الْيَوْمِ عَلَى الشَّاطِئِ الشَّرْقِيِّ لِفَرْعِ النَّيْلِ الشَّرْقِيِّ
 (فَرْعِ دِمِيَاطٍ) وَهِيَ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِاسْمِ مَيْتِ الْخُلُوفِ عَبْدِ اللَّهِ إِحْدَى فَرَى مَرْكَزِ فَاوَسْكَوْرٍ بِمَدْرِيَةِ الدِّهْنِيَّةِ .
 (٢) زِيَادَةٌ عَنْ عَيُونِ التَّوَارِيخِ . (٣) الْقَيْمُرِيُّ: نَسَبَةٌ إِلَى قَيْمِرْقَلَةَ بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَخِلَاطٍ
 (عَنْ لِبِ الْأَلْيَابِ) . (٤) فِي الْأَصْلِ . «وَهَرَبَ بَاقِي الْفِرْنَجِ عَلَى حَيَّةٍ» . وَالصَّحِيحُ عَنْ عَيُونِ
 التَّوَارِيخِ وَمَا يَفْهَمُ مِنْ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ . (٥) الْكُوسَاتُ: صَنْجُجٌ مِنْ نَخَاسٍ شَبَّ الزَّرْسِ الصَّغِيرِ،
 يَدُقُّ بِأَحَدِهَا عَلَى الْآخَرِ بِإِجَاعٍ مُخْصُوصٍ . (رَاجِعْ بَقِيَّةَ الْكَلَامِ عَلَيْهِمَا فِي صَبْحِ الْأُمْنَى ج ٤ ص ٩) .
 (٦) هُوَ سَعْدُ الدِّينِ مَسْعُودُ بْنُ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَوْيَةَ شَيْخِ الشُّيُخِ كَمَا فِي مَرَاةِ
 الزَّمَانِ وَغُنْدُ الْجَمَانِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ . (٧) أَمَلُهُ يَرِيدُ كُنُودٌ جَمْعُ كُنُودٍ لَقَبٌ شَرَفٌ فِي أَوْدِيَا .
 وَفِي شَذَرَاتِ الذَّهَبِ: «فِيهِمْ مُلُوكٌ وَكِبَارٌ» .

آلاف نفس . قال : فرأيت القتلَ وقد ستروا وجه الأرض من كثرتهم ، وكان
 الفارس العظيم يأتيه وسائق يسوقه وراءه كأذ لم يكن ، وكان يوماً لم يشاهد
 المسلمون مثله ؛ ولم يُقتل في ذلك اليوم من المسلمين مائة نفس ، وتقدَّ السلطان
 الملك المعظم توران شاه للفرنسيين والملوك الذين معه والكندود خلعاً . وكانوا
 نيفاً وخمسين ، فليس الكلُّ سواء . وقال : إن بلادى بقدر بلاد صاحب مصر ،
 كيف ألبس خلعته ! وعمل السلطان من الفد دعوة عظيمة فأمنع الملعون أيضاً
 من حضورها ؛ وقال : أنا ما أكل طعامه وما يُحضرنى إلا ليَهْزَأَ بى عسكره
 ولا سبيلَ إلى هذا ! وكان عنده عقلٌ وثباتٌ ودين ، فالتصارى كانوا يعتقدون فيه
 بسبب ذلك . وكان حسنَ الخلق . وأبقى الملكُ المعظمُ الأسرى ، وأخذ أصحاب
 الصنائع ، ثم أمر بضرب رقاب الجميع . انتهى . وقال غيره : وحسبوا الفرنسيين
 بالمنصورة بدار ابن لقمان يحفظه الطواشي [جمال الدين] صبيح [المهظبي] مكراً
 غاية الكرامة . وقال آخر : بمصر بدار ابن لقمان وهو الأصح ، وزاد بعضهم فقال :
 دار ابن لقمان هي الدار الكبيرة بالقرب من باب الخرق (يعنى دار ابن قطينة) انتهى .

(١) دار ابن لقمان : أجمع كتاب التاريخ من العرب والافرنج على أن القديس لويز التاسع ملك فرنسا
 ومن معه سجنوا بمدينة المنصورة بدار الحكومة التي كان ينزل فيها القاضي نضر الدين ابراهيم بن لقمان كاتبه
 الانشاء كلها جاء الى المنصورة لعل يتعلق بوظيفته ، ولم يشر أحد من المؤرخين الى أنه سجن بدار ابن لقمان
 التي بالقاهرة إلا مؤلف هذا الكتاب ، وهذه رواية ضعيفة لا يصح التعويل عليها ؛ وأصدق دليل في هذا
 الموضوع ما رواه شاهد عيان هو الجنرال جواثيل أحد كبار قواد الجيش الفرنسي الذي حضر موقعة ديباط
 يوم ٣ المحرم سنة ٦٤٨ هـ . وأسرع ملك فرنسا ثم سجن معه في هذه الدار التي بالمنصورة حيث قال بنص
 صريح في كتابه الذي وضعه عن هذه الحروب عقب عودته الى فرنسا : « بأنهم سجنوا جميعاً بالمنصورة
 الى أن أطلق سراحهم » . وموق ذلك فان هذه الدار لا تزال معروفة بالمنصورة ولا يزال جزء منها وهو الذي
 فيه الباب قائماً الى اليوم بجوار جامع الشيخ المواقى على يمين الداخل في الحارة المجاورة للجامع من الجهة
 الشرقية وتعرف لدى العامة بدار ابن لقمان . وقد تسلبها ديوان الأوقاف من سنة ١٨٩٠ م ووضعت لجنة
 حفظ الآثار العربية على بابها لوحة من الرخام عليها كتابة تفيد أن هذه الدار هي التي سجن فيها القديس
 لويز التاسع ملك فرنسا في سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م . (٢) زيادة عن عيون التواريخ .

- وقال أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان : «وفي أول ليلة منها (يعني سنة ثمان وأربعين) كان المصاف بين الفرنج والمسلمين على المنصورة بعد وصول المعظم توران شاه إلى الحميم ، وميسك الفرنسيس وقُتل من الفرنج مائة [ألف] ^(١) ، ووصل كتاب المعظم توران شاه إلى جمال الدين بن يغمور (يعني إلى نائب الشام) يقول : «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . وما النصر إلّا من عند الله . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وأما بنعمة ربك فحدث . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . نبشّر المجلس السامى الجمالى ، بل نبشّر الإسلام كافة بما من الله به على المسلمين ، من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره وأستحكم شره ؛ ويؤس العباد من البلاد ، [والأهل] ^(٢) والأولاد ؛ فتودوا : (وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) الآية . ولما كان يوم الأربعاء ^(٣) مستهل السنة المباركة تمم الله على الإسلام بركتها ؛ فتحنا الخزان ، وبدلنا الأموال ، وفرقنا السلاح ، وجمعتنا العربان والمطوعة وأجمع خلق لا يحصيهم إلّا الله تعالى ، بغاوا من كل فج عميق ، ومن كل مكان بعيد يحيق ؛ ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الاتفاق بينهم وبين الملك العادل أبى بكر فأبينا . ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هارين ، فسيرنا في آثارهم طالبين ؛ وما زال السيف يعمل فيهم عاتمة الليل ، ويدخل فيهم الخزي والويل . فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج . وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج ؛ وألتجا الفرنسيس إلى المنية ^(٤) وطلب الأمان فأتناه ، وأخذناه وأكرمناه ؛ وتسلمنا دمياط بعونه وقوته ، وجلاله وعظمته » .

٢٠

(٢) الزيادة عن المقرزى .

(٤) يريد منية أبى عبد الله .

(١) الكلمة من مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٣) في المقرزى : « يوم الاثنين » .

وأرسل الملك المعظم مع الكتاب إلى ابن يغمور المذكور ينفارة الفرنسي^(١)
فليسها ابن يغمور في دنت مملكته بدمشق، وكانت سقرلاط^(٢) أحمر بفرو سنجاب.
فكتب ابن يغمور في الجواب إلى السلطان الملك المعظم المذكور بيتين لابن إسرائيل،
وهما :

أسيد أملك الزمان بأسيهم * تجزّت من نصر الإله وعوده
فلا زال مولانا يبيع حي العدا * ويلبس أسلاب الملوك عبيده
انتهى كلام أبي المظفر بعد أن ساق كلاما طويلا من هذا التودج بنحو
ما حكيناه .

وقال غيره : وبقى الفرنسي في الاعتقال إلى أن قُتل الملك المعظم توران شاه
ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب (يعني صاحب الترجمة) ، فدخل حسام الدين
ابن أبي علي في قضيته ، على أن يسلم للمسلمين دمياط ويحمل خمسمائة ألف دينار .
فأركبوه بغلة وسأقت معه الجيوش إلى دمياط ، فاصولوا إلا والمسلمون على أعلاها
بالتكبير والتهليل ، والفرنج الذين كانوا بها قد هربوا إلى المراكب وأخلوها ، فخاف
الفرنسي وأصفق لونه . فقال الأمير حسام الدين بن أبي علي [للك المعز] : هذه
دمياط قد حصلت لنا ، وهذا الرجل في أسرنا وهو عظيم النصرانية ، وقد أطلع على
عوراتنا ، والمصلحة ألا نطلقه ، وكان قد تسلطن أيبك التركاني الصالحى أو صار
حاكما عن الملكة شجرة الدر ، فقال أيبك وغيره من المسالك الصالحية : ما ترى

(١) النفارة (بالكسر) : زرد من الدرع يفسح على قدر الرأس يلبس تحت القلنوسة (عن شرح
القاموس) . (٢) سقرلاط : ملابس صوفية مدفنة (عن القاموس الفارسي الانجليزى) .

(٣) هو نجم الدين أبو المعالي محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن
الحسين الشيباني الدمشقي الشاعر المشهور . وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٧ هـ .

(٤) زيادة عن عيون التواريخ .

- الفدرا! وكانت المصلحة ما قاله حسام الدين . فقفوا عليه وأطلقوه طمعاً في المال!
- فركب في البحر الرومي في شينى^(١١) . وذكر حسام الدين أنه سأل الفرنسيين عن عدّة
العسكر الذى كان معه لما قديم لأخذ دميّاط؛ فقال: كان معي تسعة آلاف وخمسمائة
فارس، ومائة ألف وثلاثون ألف طبّيسى^(١٢) سوى الغلمان والسوقة والباعة . انتهى .
- قال سعد الدين في تاريخه : اتفقوا على أن يسلم الفرنسيين دميّاط، وأن يُعطى
هو والكثود ثمانمائة ألف دينار عوضاً عما كان يدميّاط من الحواصيل، ويُطلقوا
أسرى المسلمين، فحلفوا على هذا؛ وركبت العساكرُ ثاني صفر إلى دميّاط قرب
الظهر، وساروا حتى دخلوها، ونهبوا وقتلوا من بقي من الفرنج حتى ضربتهم الأمراء
وأخرجوهم، وقزموا الحواصيل التي بقيت في دميّاط بأربعمائة ألف دينار، وأخذوا
من الملك الفرنسيين أربعمائة ألف دينار، وأطلقوه العصر هو وجماعته؛ فأخذوا
في شينى إلى البطس^(١٣)، وأفّذ رسولاً إلى الأمراء الصالحية يقول: ما رأيت أقلّ
عقلاً ولا ديناً منكم! أما قلّة الدين فقتلتم سلطانكم بغير ذنب (يعنى لما قتلوا ابن
أستاذهم الملك المعظم توران شاه بعد أخذ دميّاط بأيام) على ما سنذكره هنا إن
شاء الله تعالى . قال: وأما قلّة العقل فكذا، مثل ملك البحر وقع في أيديكم
بعتموه بأربعمائة ألف دينار، ولو طلبتم مملكتي دفعتموها لكم حتى أخاض . ثم لما سار
إلى بلاده أخذ في الاستعداد والعود إلى دميّاط فأهلكه الله تعالى . ونديمت الأمراء
على إطلاقه . ولما أراد الفرنسيين العود إلى دميّاط قال في ذلك صاحب جمال الدين^(١٤)
يحيى بن مطروح قصيدته المشهورة، وكتب بها إليه يعنى إلى الفرنسيين، وهى :

- (١) نوع من المراكب الشراعية . (٢) في القاموس، الفارسي الانجليزي : أن الطبسى كلمة
فارسية مأخوذة عن العربية بمعنى الناس أو الجماعة أو الجنود . (٣) البطس : جمع بطسة، يريد بها
المراكب الكبيرة (الأسطول) كما يفهم من سيرة صلاح الدين (ج ٣ ص ١٨٣) من مجموعة الحروب الصليبية .
(٤) هو الأمير صاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح المصرى .
وسيدكر المؤلف وفاته سنة ٦٤٩ هـ .

قُلْ لِلْفَرَنْسِيِّسِ إِذَا جَتَّه * مَقَالَ صِدِّيقٍ مِنْ قَوْلِ فَصِيحٍ ^(١١)
 أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى مَا جَرَى * مِنْ قَتْلِ عُبَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
 أَتَيْتَ مِصْرَ تَبْنِي مُلْكُهَا * تَحْسَبُ أَنَّ الزَّمْرَ يَا طَبْلُ رِيحِ
 فَسَافَكَ الْحَبِيزُ إِلَى أَذْهِمِ * ضَاقَ بِهِ عَنْ تَاطُرِكَ الْفَسِيحِ
 وَكُلُّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعَتْهُمْ * بِحَسَنِ تَدْيِيرِكَ بَطْنِ الضَّرِيحِ
 نَحْسُونَ أَلْفًا لَا تَرَى مِنْهُمْ ^(١٢) * إِلَّا قَتِيلًا أَوْ أَسِيرًا جَرِيحِ
 وَقَقَّكَ اللَّهُ لِأَمْثَالِهَا * لَعَلَّ عَيْسَى مِنْكُمْ يَسْتَرِيحِ
 إِنْ كَانَ بِأَبَائِكُمْ بَذًا رَاضِيًا * فَرُبَّ غِشٍّ قَدْ آتَى مِنْ نَصِيحِ ^(١٣)
 وَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَضْمَرُوا عَوْدَةً * لِأَخْذِ نَارٍ أَوْ لَقْعِدٍ صَحِيحِ
 دَارُ أَبِي لَهْمَانَ عَلَى حَالِهَا * وَالْقَبْدُ بَاقٍ وَالطَّوَاشِي صَبِيحِ

قلت : لله دزه ! فيما أجاب عن المسلمين مع اللطف والبلاغة وحسن التركيب ،
 رحمه الله .

وأنا أمرُ الملك المعظمُ توران شاه صاحب الترجمة ، قال العلامة شمس الدين
 يوسف بن قزّاغلي في تاريخه في سبب قتله ، قال : « ذكرنا مجيئه إلى الشام
 وذهابه إلى مصر ، وأتفق كُتْرَةُ الْفِرَنْجِ عند قدومه فتيمن الناس بطلعته ،
 [وَأَسْتَبْشَرُوا بِمُشَاهَدَتِهِ] ؛ غَيْرَ أَنَّهُ بَدَتْ مِنْهُ أَسْبَابُ تَقَرَّتِ الْقُلُوبُ عَنْهُ فَأَتَقَفُوا عَلَى ^(١٤)
 قَتْلِهِ وَكَانَ فِيهِ نَوْعٌ خَفِةٌ ، فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَى السَّمَاطِ ، فَإِذَا سَمِعَ فَقِيهَا يَذْكُرُ مَسْأَلَةً
 وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ ، يَصْبِيحُ : لَا نَسْلَمُ ! . ثُمَّ أَحْتَجِبُ عَنِ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ أَبِيهِ ؛ وَكَانَ

(١) رواية المقرئ . * مقال نصيح عن قول فصيح *

(٢) في الأصل : « تسعون » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والمقرئ وعقد الجمان .

(٣) في عيون التواريخ وعقد الجمان : « أو لقصد صحيح » . (٤) زيادة عن مرآة الزمان .

إذا سكر يجمع الشموع ويضرب رءوسها بالسيف فيقطعها ويقول : كذا أفعل
 بالبحرية ! يعني ممالك أبيه الذين كان جعلهم بقاعة البحر بجزيرة الروضة^(١) ، ثم
 يسمى ممالك أبيه باسمائهم ؛ وأهانتهم وقدم الأردال وأبعد الأمانل . ووعد
 [الفارس] أقطاي أن يؤمره ولم يف له ، فاستوحش منه . وكانت أم خليل^(٢)
 (يعني شجرة الدر) زوجة والده الملك الصالح لما وصل إلى القاهرة مضت هي
 إلى القدس ، فبعث يهتدها ويطلب المال والجواهر منها تخافت منه ، فكاتبت
 فيه ، فاتفق الجميع عند ذلك على قتله . فلما كان يوم الاثنين سابع عشرين المحرم
 جلس المعظم على السطاط فضربه بعض ممالك أبيه البحرية بالسيف فلقاه بيده
 فقطع بعض أصابعه ، وقام من وقته ودخل البرج [الخشب الذي كان قد عمل هناك^(٣)
 بفارسكور] وصاح : من جرحني ؟ قالوا : الحشيشية . فقال : لا والله إلا البحرية ،
 والله لا أبقى منهم بقية .

وأستدعى المزين فحيط يده وهو يتوعدهم ، فقال بعضهم لبعض : تمسوه
 وإلا أبادكم ! فدخلوا عليه فأنهزم إلى أعلى البرج ، فأوقدوا النيران حول البرج
 ورموه بالنشاب ، فرمى نفسه وهرب نحو البرج ، وهو يقول : ما أريد ملكا !
 دعوني أرجع إلى الحصن يا مسلمون ! ما فيكم من يصطنعني ويحبرني ! والعساكر^(٤)
 واقفة فما أجابه أحد ، والنشاب تأخذه ، فعلق بذيل [الفارس] أقطاي فما أجاره ،
 فقطعوه قطعا وبقي على جانب البحر ثلاثة أيام متنفخا لا يجسر أحد أن يدفنه حتى
 شفع فيه رسول الخليفة ، فحُمل إلى ذلك الجانب فدُفن به . ولما قتلوه دخلوا على

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من هذا الجزء . (٢) في الأصل : « أقطاي » . والزيادة
 والتصحيح عن فوات الوفيات وتاريخ الاسلام وعقد الجمان . وهو أقطاي بن عبدالله الجدار الأمير فارس الدين
 الصالح النجمي التركي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٥٢ هـ . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام
 وفوات الوفيات وعقد الجمان . (٤) يريد حصن كيفا ، كما صرح بذلك في فوات الوفيات .
 (٥) في الأصل : « فما أجابه » . وما أثبتناه عن فوات الوفيات وعقد الجمان وتاريخ الاسلام .

القرنيس الخيمة بالسيوف، فقالوا : نريد المال، فقال : نعم، فأطلقوه وسار إلى عكا على ما اتفقوا عليه معه . قال : وكان الذي باشر قتله أربعة ، وكان أبوه الملك الصالح أيوب قال يُحْسِنُ الخادم : اذهب إلى أُنحى العادل إلى الحبس ، وخذ معك من الممالك من يَحْنُقُهُ ، فعرض محسن ذلك على جميع الممالك فامتنعوا إلا هؤلاء الأربعة فإنهم مضوا معه وخنقوه ، فسقطهم الله على ولده فقتلوه أقبح قتل ، ومثلوا به أعظم مثلة لما فعل بأخيه !

قال الأمير حسام الدين بن أبي علي : كان ثوران شاه لا يصلح للـك ؛ كما نقول لأبيه الملك الصالح نجم الدين أيوب : ما تُنفِذُ تُخِضِرُهُ إلى ها هنا ، فيقول : دعوني من هذا ، فالحنا عليه يوما ، فقال : أجيئه إلى ها هنا أقتله !
وقال عماد الدين بن دُرْبَاس : رأى بعض أصحابنا الملك الصالح أيوب في المنام وهو يقول :

قتلوه شرّ قتل * صار للعالم مثلة
لم يراعوا [فيه] ^(١) إلا * لا ولا من كان قبله
ستراهم عن قليل * لأقل الناس أكله

وكانوا قد جمعوا في قتله ثلاثة أشياء : السيف والنار والماء !
وتسلطن بعده زوجة والده أم خليل شجرة الدر باتفاق الأمراء وخشدا شينها الممالك الصالحة ، وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة . وكانت ولاية ثوران شاه هذا على مصر دون الشهر ، وقُتِلَ في يوم الاثنين سابع عشرين المحرم من سنة ثمان وأربعين وستائة ، وكان قدومه من حصن كَيْفَا إلى المنصورة في ليلة مستهل المحرم من السنة المذكورة حسب ما تقدم ذكره .

(١) في الأصل : « الخازن » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وتاريخ الاسلام وعقد الجمان .

(٢) تكملة عن مرآة الزمان .

ذكر ولاية الملكة شجرة الدر على مصر

- هى الملكة شجرة الدر بنت عبد الله جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وزوجته وأُم ولده خليل، وكانت حَظِيَّةً عنده إلى الغاية، وكانت في صحبته وهو ببلاد المشرق في حياة أبيه الملك الكامل، ثم سارت معه لما حبسه الملك الناصر داود صاحب الكرك بالكرك، ومعها ولدها خليل أيضا، وقاست مع الصالح تلك الأحوال والمحن، ثم قُدمت معه مصر لما تسلطن، وعاش أبنا خليل بعد ذلك وتوفى صغيرا. ولا زالت في عَظَمَتِها من الحَشم والخدم وإليها غالب تدبير الديار المصرية في حياة سيدها الملك الصالح وفي مرضه وبعد موته، والأمور تدبرها على أكمل وجه إلى أن قَدم ولدُ زوجها الملك المعظم توران شاه، فلم يشكرها توران شاه ما فعلته من الإخفاء لموت والده وقيامها بالتدبير أتم قيام، حتى حضر ١٠ إلى المنصورة وجلس في دَسْت السلطنة. ولم تدع أحدا يطمع في الملك لعظمتها في النفوس، فترك توران شاه ذلك كله وأخذ في تهديدها، وطلب الأموال منها سرعة، فلم يحسن ذلك ببال أحد. وأنفقوا على ولايتها لحسن سيرتها وغزير عقلها وجودة تدبيرها، وجعلوا المعزايك التركاني أنابكا لها، وخُطب لها على المنابر بمصر والقاهرة لكتبتها لم تلبس خُلعة السلطنة الخليفة على العادة، غير أنهم بايعوها ١٥ بالسلطنة في أيام إرسالها وأتم أمرها.

قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى في تاريخه: «شجرة الدر أم خليل الصالحية وجارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأُم ولده خليل،

(١) هو صلاح الدين أبو الصفا خليل ابن الأمير من الدين أيك بن عبد الله الصفدى الشاعر المشهور. ومن مصنفاته تاريخه الكبير المسمى «الوفاى بالوفيات». (توجد منه نسخة في سبعة عشر مجلدا مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩ تاريخ) وتاريخ آخر =

كان الملك الصالح يُحبها حباً عظيماً ، ويعتمد عليها في أموره ومُهماته ، وكانت بديعة الجمال ذات رأي وتدير ودَّها وعقل ، ونالت من السعادة ما لم ينله أحد في زمانها . ولما مات الملك الصالح في شعبان سنة سبع وأربعين وثمانئة على دِمَاط في حِصار الفرنج ، أخفت موته وصارت تعلّم بخطها مثل علامة الملك الصالح ، وتقول : السلطان ما هو طيب . وتمنّع الناس من الدخول إليه ؛ وكان أرباب الدولة يحترمونها . ولما علموا بموت السلطان ملكوها عليهم أياماً . وتسلمت بعد قتل السلطان الملك المعظم ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخُطب لها على المنابر ، وكان الخطباء يقولون على المنبر بعد الدعاء للخليفة : « وأحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين ، عِصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصية صاحبة السلطان الملك الصالح » . انتهى كلام الصفدي . ١٠

وقال غيره : وكانت تعلّم على المناشير وغيرها «والدة خليل» ، وبقيت على ذلك مدة ثلاثة أشهر إلى أن خلعت نفسها ، وأسقط زوجها الملك المعز أيك التركاني الصالح - الآتي ذكره [مدة ^(١) ، إلى أن آتفت الممالك البحرية وقالوا : لا بد لنا من واحد من بني أيوب يجتمع الكل على طاعته ، وكان القائم بهذا الأمر الأمير الفارس أقطاي الجندار ، ويبرس البندقداري ، وبلبان الرشيدى وسنقر الرومي ؛ فأقاموا في السلطنة الملك الأشرف الأيوبي ^(٢) . وقيل : إنه تزوجها أيك بعد سلطنته ، وكانت مستولية على أيك في جميع أحواله ليس له معها كلام ، وكانت تركية ذات ١٥

= أصغر منه مماء «أعيان العصر وأعوان النصر» (ويوجد منه الجزء الثالث والسادس والسابع في سنة مجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسي ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ) . وسيذكر المؤلف في حوادث سنة ٧٦٤ هـ . (١) في الأصل : «الآتي ذكره والملك الأشرف» . والتكلمة والصحيح عن المنهل الصافي . (٢) سيذكر المؤلف سلطته على الديار المصرية سنة ٦٥٧ هـ . (٣) هو مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف بن الكامل الملقب بالملك الأشرف (عن المنهل الصافي) .

شهادة ونفس قوية وسيرة حسنة ، شديدة الغيرة . فلما بلغها أن زوجها الملك المعز أليك يريد أن يتزوج بنت الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وقد عزم على ذلك ، فتخيلت منه ^(٢١) [أنه] ربما عزم على إبعادها أو إعدامها ^(٢٢) [بالكلية] لأنه سئم من تجرأها عليه وأستطالتها ، فعاجلته وعزمت على الفتك به وإقامة غيره في الملك .

- قال الشيخ قطب الدين : « وطلبت صفى الدين ^(٢٣) [إبراهيم] بنت مرزوق وكان بمصر فاستشارته ووعده بالوزارة ، فانكر عليها ونهاها عن ذلك فلم تُصغ إلى قوله ، وطلبت مملوكا للطواشي ^(٢٤) محسن [الجوهري] الصالحى وعرضت عليه أمرها ووعده ومته إن قتل المعز ! ثم استدعت جماعة من الخُدام وآتفت معهم . فلما كان يوم الثلاثاء الثالث والعشرون من شهر ربيع الأول لعب المعز بالكرة ومن معه ، وصعد إلى القلعة آخر النهار ، وأتى الحمام ليغتسل ، فلما قلع ثيابه وثب عليه سنجر الجوهري ^(٢٥) والخدم فرموه وخنقوه ، وطلبت شجرة الدر آبن مرزوق على لسان الملك المعز ، فركب حماره وبادر وطلع القلعة من باب السر ، فراها جالسة والمعزين يديها ميت ، فآخبرته الأمر فعظم عليه جدا ، واستشارته فقال : ما أعرف ما أقول ، وقد وقعت في أمر عظيم مالك منه مخلص ! ثم طلبت الأمير جمال الدين بن أيدغدى ^(٢٦) [ابن عبد الله] العزيزى وعز الدين أليك الحلبي ، وعرضت عليهما السلطنة فامتنعا ، فلما ارتفع النهار شاع الخبر وأضطربت الناس . » انتهى كلام قطب الدين .

- (١) هو لؤلؤ بن عبد الله النورى الملك الرحيم بدر الدين أبو الفضائل الأرمنى الأتابكى صاحب الموصل .
توفى سنة ٦٥٧ هـ (عن التل الصافي) . (٢) التكلة عن عيون التواريخ . (٣) التكلة عن التل الصافي . (٤) يعنى سنة ٦٥٥ هـ . (٥) فى الأصل وعقد الجمان : « الجوهري » .
وما أئتيته عن التل الصافي . (٦) التكلة عن التل الصافي . أصله من ممالك الملك العزيز صاحب حلب وتقل فى الخدم حتى صار من أكابر الأمراء وأعيان الدولة . توفى ليلة مرفة سنة ٦٦٤ هـ (كما فى التل الصافي) .

- وقيل في قتله وجه آخر : وهو أن شجرة الدر لما غارت رُبَّتْ للمعز سِنَجَر
 الجوهري مملوك الفارس أقطاي ، فدخل عليه الحمام [و] لكه ورماء ، وألزم الخُدَّامَ
 معاونته ، وبقيت هي تضربه بالقباب وهو يستغيث ويتضرع إليها إلى أن مات ،
 وأنطوت الأخبار من الناس تلك الليلة . فلما كان سَحَرُ يوم الأربعاء والعشرين
 من شهر ربيع الأول ركب الأمراء الأكابر إلى القلعة على عادتهم ، وليس عندهم
 خبر بما جرى ، ولم يركب الفائز^(١) في ذلك اليوم ، وتحيرت شجرة الدر فيما تفعل ،
 فأرسلت إلى الملك المنصور نور الدين على - آبن الملك المعز تقول له عن أبيه : إنه ينزل
 إلى البحر في جمع من الأمراء لإصلاح الشواني التي تجهزت للضي إلى دِمياط ففعل ،
 وقصدت بذلك لنقل الناس من على الباب لتمكن مما تريد ، فلم يتم مرادها .
 ولما تعالى النهار شاع الخبر بقتل الملك المعز ، وأضطربت الناس في البلد
 وأختلفت أقاويلهم ولم ينفوا على حقيقة الأمر ، وركب العسكر إلى جهة القلعة ،
 وأحرقوا بها ودخلها مماليك الملك المعز آبيك والأمير بهاء الدين بغدي الأشرقي^(٢) مقدم
 الحلقة ، وطمع الأمير عز الدين الحلبي في التقدم ، وساعده على ذلك جماعة من
 الأمراء الصالحية ، فلم يتم له ذلك . ثم استحضر الذين في القلعة الوزير شرف الدين
 الفائز وآتفقوا على تملك الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز آبيك ، وعمره
 يومئذ نحو خمس عشرة سنة ، فرتبوه في الملك ونوَّدى في البلد بشعاره ، وسكن
 الناس وتفزعوا إلى دورهم ، ونزل الأمراء الصالحية إلى دورهم . فلما كان يوم
 الخميس خامس عشرين الشهر وقع في البلد خبطة عظيمة وركب العسكر إلى القلعة .
 وآتفق رأى الذين بالقلعة على نصب الأمير علم الدين سِنَجَر الحلبي في السلطنة ، وكان
 أتابك الملك المعز ويعرف بالمشد ، واستحلفوا العسكر له ، وحلف له الأمراء الصالحية
 (١) هو شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفائز ، وهو أول قبلي ولي وزارة مصر (عن
 المقرئ ج ٢ ص ٢٣٧) . (٢) في المنهل الصافي : « بهاء الدين تغدي » بالطاء المثناة والتعدي .

على كره من أكرههم، وامتنع الأمير عز الدين ثم خاف على نفسه خلف وانتظمت الأمور، ثم آتَقَضَ بعد ذلك . وفي يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الأول خُطِبَ لملك المنصور بمصر والقاهرة .

- وأما شجرة الدر صاحبة الترجمة فإنها امتنعت بدار السلطنة، هي والذين قتلوا الملك المعز أَيْك، وطلب الممالك المعزية هجوم الدار عليهم، خالت الأمراء الصالحية بينهم وبينها، حية لشجرة الدر لأنها خشداشتهم؛ فلما غلبوا ممالك المعز منهم ومنها أتموها وحلقوا لها أنهم لا يتعرضون لها بسوء . فلما كان يوم الاثنين التاسع والعشرون منه أُخْرِجَتْ من دار السلطنة إلى البرج الأحمر فُخِست به وعندها بمض جوارياها، وقُضِيَ على الخُدام وأقسمت الأمراء جوارياها؛ وكان نصر العزري الصالحى، وهو أحد الخُدام القتل، قد تسرب إلى الشام يوم ظهور الواقعة^(١)، وأحاطت الممالك المعزية بالدار السلطانية وجميع ما فيها؛ ويوم ظهور الواقعة أحضر الصفى بن مرزوق من الدار وسُئِلَ عن حضوره عند شجرة الدر لما طلبته بعد قتل المعز واستشارته، فزفهم صورة الحال فصدقوه وأطلقوه . وحضر الأمير جمال الدين أيدغدى العزري، وكان الناس قد قطعوا بموت المعز، فعند حضور أيدغدى العزري المذكور أمر بأعتقاله بالقلعة، ثم نُقِلَ إلى الإسكندرية، فأعتقل بها، ثم صُلب الخُدام الذين آتفقوا على قتل المعز، وهرب سنجر غلام الجوهرى ثم طُفِرَ به وصُلب إلى جانب أستاذه محسن، فمات سنجر من يوم الاثنين المذكور وقت العصر على

(١) البرج الأحمر بالقلعة — تبين بعد البحث أن هذا البرج هو الذى يعرف اليوم باسم برج المقطم فى الجهة الجنوبية من القلعة ويشرف على باب المقطم أحد أبواب القلعة . وهو من الأبراج القديمة التى أنشئت فى عهد الدولة الأيوبية جنوبى باب القلعة (راجع خريطة مدينة القاهرة مقياس ١:١٠٠٠ طبع سنة ١٩٣١) .

(٢) فى الأصل : « وكان يوم الخ ... » .

- الخشب، وتأخر موت الباقيين إلى تمام يومين . واستمرت شجرة الدر بالبرج الأحمر
بقلعة الجبل، والملك المنصور على - ابن الملك المعز أيك والدته يحضن المعزية على
قلعها، والممالك الصالحة تمنعهم عنها، لكونها جارية أستاذهم، ولا زالوا على ذلك إلى
يوم السبت حادى عشر شهر ربيع الآخر وجدت مقتولة مسلوقة خارج القامة، فحُملت
إلى التربة^(١) التي كانت بطنها لنفسها بقرب مشهد السيدة نفيسة - رحمها الله تعالى -
فدفنت بها . ولشجرة الدر أوقاف على التربة المذكورة وغيرها . وكان صاحب^(٢)
بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف بأبن حنّا وزيرها، ووزارته لها أول درجة
ترقاها من المناصب الجليلة . ولما تيقنت شجرة الدر أنها مقتولة أودعت بجملة من
المال والجواهر، وأعدت أيضا جملة من الجواهر النفيسة فسحقها في الهاون
لثلاث يأخذها الملك المنصور ابن المعز أيك وأمه، فإنها كانت تكره المنصور والدته،

- (١) تربة شجرة الدر - يستفاد مما هو منقوش على عصابة أسفل القبة التي بها قبر شجرة الدر أن هذه التربة
أنشأتها الملكة شجرة الدر في سنة ٦٤٨ هـ قبل وفاتها، ولما توفيت في سنة ٦٥٦ هـ دفنت فيها ولا يزال هذه
التربة موجودة إلى اليوم تحت قبة داخل مسجد صغير أصله مدرسة أنشأتها شجرة الدر بجوار تربتها بشارع الخليفة
بقسم الخليفة بالقاهرة . والقبة التي أنشأتها شجرة الدر فوق قبرها شكلها من أقدم أشكال القباب المعروفة
في مصر، ولا زالت محفوظة بشكلها القديم . وأما المدرسة فتعرف اليوم باسم جامع شجرة الدر أو جامع
الخليفة وقد تجدد بناؤه مرارا . والآن يتولى قسم حفظ الآثار العربية عمارة هذا الجامع من جديد .
- (٢) المشهد النفيسى - يستفاد مما ذكره المقرئى في الجزء الثانى من خطه ص ٤٤٠ عن ذكر المشهد
النفيسى والجامع بالمشهد النفيسى أن السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى
الله عنهم جميعا توفيت في شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ ودفنت في منزلها وهو الموضع الذى به قبرها الآن
في الخط الذى كان يعرف قديما بخط درب السبع . ولا يزال مشهد السيدة نفيسة داخل جامعها المعروف
باسمها الشريف محفوظا بعناية الله إلى اليوم بشارع الأشرف بقسم الخليفة بالقاهرة . وأول من بنى على قبرها
هو عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر في سنة ٢١٠ هـ . وأول من أنشأ المسجد المجاور لمشهد هو
الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٤ هـ . والبناء الحال للجامع والمشهد جددته ديوان عموم الأوقاف
في سنة ١٣١٤ هـ . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٧٧ هـ .

وكانت غير متجملّة في أمرها لما تزوّجها أبيك حتّى منعه الدخول إليهما بالكلية،
 فلهذا كان المنصور وأمه يحرضان الممالك المعزية على قتلها . وكانت خيرة دينية
 رئيسة عظيمة في النفوس، ولها مآثر وأوقاف على وجوه البرّ معروفة بها . والذي
 وقع لها من تملكها الديار المصرية لم يقع ذلك لأمرأة قبلها ولا بعدها
 في الإسلام .



اتّهى الجزء السادس من النجوم الزاهرة، ويليه الجزء السابع،
 وأوله : ذكر ولاية المعز أبيك التّركماني على مصر

استدراكات

على بعض تعليقات وردت في الأجزاء الثالث والرابع والخامس من هذا الكتاب

منبوبة

ورد في الحاشية رقم ٣ ص ٩٩ بالجزء الثالث (من هذه الطبعة) أن منبوبة هي المعروفة اليوم باسم انبابة التي يقال لها أيضا أنبوبة . والصواب أن منبوبة وانبابة ناحيتان إحداهما منفصلة عن الأخرى :

فأما منبوبة ويقال لها أنبوبة فهذه تعرف اليوم باسم أمبوبة وقد أضيفت إلى ناحيتي وراق الحضروميت النصارى وأصبح يتكوّن من هذه النواحي الثلاث قرية واحدة مشتركة في الزمام والادارة باسم « وراق الحضروأمبوبة وميت النصارى بمركز امبابة بمديرية الحيزة » . ١٠

وأما انبابة وتعرف اليوم باسم امبابة فقد وردت في تزهة المشتاق للإدريسى ثم حدث أن قسمت هذه البلدة إلى خمس نواح : وهي منية تاج الدولة التي تعرف اليوم باسم تاج الدول، ومنية كرداك التي تعرف اليوم باسم ميت كردك، ومنية أبو على التي تعرف اليوم باسم كفر الشوام، وكفر الشيخ إسماعيل، وجزيرة امبابة . وهذه النواحي مدرجة في جدول أسماء البلاد الحالية بأسمائها المذكورة كلّ ناحية قائمة بذاتها إلا أنه بسبب تجاورها في السكن لا يزال يطلق على مجموعها اسم « امبابة » وإليها ينسب مركز امبابة أحد مراكز مديرية الحيزة . ١٥

خليج القاهرة

ورد في التعليق الخاص بهذا الخليج في صفحة ٤٣ من الجزء الرابع أن الخليج المصرى ردم في سنة ١٨٩٦ . والصواب أنه بدئ في ردمه من جهة فنترة غمرة في أول ابريل سنة ١٨٩٧ وأتم ردمه من جهة فم الخليج في يونية سنة ١٨٩٩ ٢٠

قنطرة السد

بما أن الشرح الخاص بهذه القنطرة المدرج في صفحة ٤٤ بالجزء الرابع جاء غير واف فيستبدل به الشرح الآتي :

- يستفاد مما ورد في الجزء الثاني من الخطط المقريرية ص ١٤٦ : أن هذه القنطرة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ٦٤٣هـ على الخليج المصرى (خليج القاهرة) بالقرب من فمه وكانت واقعة في شارع الخليج المصرى تجاه النقطة التى يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع مدرسة الطب .

وكانت هذه القنطرة موجودة ومعروفة كما شاهدها بأسم قنطرة الماوردى إلى منتصف سنة ١٨٩٩ التى تم فيها ردم هذا الخليج ، و برده أختفت هذه القنطرة من تلك السنة .

١٠

- وذكر المقريرى أنها عرفت بقنطرة السد بسبب السد الذى كان يقام سنويا من القراب بجوار هذه القنطرة عند ما يبدأ ماء النيل فى الزيادة وقت الفيضان لكى يصد الماء ، ومتى وصلت الزيادة إلى ست عشرة ذراعا يفتح السد حينئذ بأحتفال رسمى عظيم ويمز الماء فى الخليج فتملأ منه صهاريج مدينة القاهرة وبركها وتروى منه بساتينها كما تروى الأراضى الزراعية الواقعة على جانبي الخليج حتى نهايته الشمالية فى مديرية الشرقية .

١٠

بركة الحبش

بما أن الشرح الخاص بهذه البركة المدرج في صفحة ١٤ بالجزء الخامس جاء غير واف فيستبدل به الشرح الآتي :

- هذه البركة كانت واقعة جنوبى مدينة مصر فيما بين النيل والجبل . وذكر المقريرى فى الجزء الثانى من خططه عند الكلام على البرك ص ١٥٢ : بأن هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافرو بركة حيرو باصطبل قره وباصطبل قامش وبركة الأشراف وبركة الحبش وهو الاسم الذى أشتهرت به .

٢٠

وهذه البركة لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة وإنما كانت تطلق على حوض من الأراضي الزراعية التي يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنوياً بواسطة خليج بنى وائل الذى كان يأخذ ماءه من النيل جنوبى مصر القديمة، فكانت الأرض وقت أن يغمرها الماء تشبه البرك ولهذا سميت بركة. وبعد أن ينتهى فيضان النيل ويصرف الماء عنها تتكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث لينها بل تلاقى لوقا وتزرع أصنافاً شتوية أسوة بأراضى الملق التى فى حياض الوجه القبلى .

وأما اليوم فقد بطلت طريقة الري الحوضى لهذه الأرض وأصبحت تروى رياً صيفياً وشتوياً من ترعة الخشاب التى تأخذ مياهها من النيل بواسطة طلببات اللبى ببلدة الصف فى أيام الصيف، وبواسطة طلببات بلدة الكريمت فى أيام فيضان النيل .

ويتضح مما ذكره المقرئى أنها سميت بركة الحبش لأنه كان يوجد بموارها من الجهة الجنوبية جنان تعرف بالحبش فنسبت إليها البركة . ويستفاد مما ذكره أبو صالح الأرمنى فى كتاب الديارات أن هذه الجنان عرفت بالحبش لأنها كانت لطائفة من الرهبان الحبش، يؤيد ذلك ما ذكره المقرئى أيضاً عند الكلام على هذه البركة حيث قال : «وفى تواريخ النصرى أن الأمير أحمد بن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار فباع النصرى رباع الكائس بالإسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر» .

ومن تطبيق الحدود التى ذكرها المقرئى لهذه البركة على موضعها اليوم يتبين أنها كانت تشغل من الأرض مساحة قدرها نحو ١٥٠٠ فدان : منها ٢١٣ فداناً وهو مجموع الزمام المتردع من أراضى قرية دير الطين، والباقي من زمام ناحية البساتين، وتحد هذه المنطقة اليوم من الشمال بصحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر وأرض قرية أثر النبي فى الحد الفاصل بينها وبين دير الطين،

ومن الغرب جسر النيل بين قرية دير الطين ومعادى الخيري ، ومن الجنوب والشرق
بأق أراضى ناحية البساتين التابعة لمركز الجيزة بمديرية الجيزة .

قوص

- يضاف إلى ما ورد في شرحها المدرج بصفحة ٢٩٢ بالجزء الخامس ما يأتي :
- وكانت مدينة قوص قاعدة لإقليم يعرف بالأعمال القوصية نسبة إلى قوص من عهد الدولة الفاطمية إلى آخر أيام حكم المماليك . وفي أيام الحكم العثماني أندمجت الأعمال القوصية كلها بما فيها مدينة قوص في ولاية جرجا التي كانت تمتد في ذلك الوقت على جانبي النيل من مدينة أسيوط شمالا إلى وادي حلفا عند الشلال الثاني جنوبا . ولما أنشئت مديرية قنا في سنة ١٨٣٣ تتبع لها مدينة قوص وجعلت قاعدة لأحد أقسام هذه المديرية ولا تزال قوص قاعدة لمركز قوص بمديرية قنا إلى اليوم .

منية ابن خصيب

ذكر سهوا في صفحة ٣٠٩ بالجزء الخامس أن منية ابن خصيب واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل . والصواب أنها واقعة على الشاطئ الغربى للنيل كما هو معلوم .



- ١٥ تنبيه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على اختلاف أنواعها والمدن والقرى القديمة وغيرها مع تعيين وتحديد مواضعها هي من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزي بك المفتش بوزارة المالية سابقا . ففسدى إليه حزيل الشكر وفسأل الله جلت قدرته أن يجزيه خيرا الجزاء عن خدمته للعلم وأهله .

فهرس الولاة الذين تولوا مصر

من سنة ٥٦٧ هـ الى سنة ٦٤٨ هـ

(١)

ابن العزيز = المنصور محمد بن العزيز عثمان .

أبو بكر = العادل سيف الدين بن أيوب .

أبو المظفر = صلاح الدين يوسف بن أيوب .

أبو المظفر = الكامل محمد بن العادل .

أبو الهادي ناصر الدين = الكامل محمد بن العادل .

أم خليل المستعصية = شجرة الدر .

(ش)

شاهنشا ملك الملوك = العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب .

شجرة الدر بنت عبد الله جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين

أيوب وزوجته وأم ولده خليل ٣٧٣ - ٣٧٩

(ص)

الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر

ابن أيوب بن شادي بن مروان ٣١٩ - ٣٦٣

صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي

ابن مروان الملك الناصر أبو المظفر ١ - ١١٩

(ع)

العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي

ابن مروان ١٦٠ - ٢٢٦

العادل الصغير أبو بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب

ابن شادي بن مروان ٣٠٣ - ٣١٨

العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين يوسف

ابن أيوب ١٢٠ - ١٤٥

(ك)

الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بن مروان

٢٢٧ - ٣٠٢

(م)

محمد بن أبي بكر بن أيوب = الكامل محمد بن العادل .

محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب

١٤٦ - ١٥٩

المظلم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل

ابن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بن مروان

٣٦٤ - ٣٧٢

المنصور = محمد بن العزيز عثمان .

(ن)

الناصر = صلاح الدين يوسف بن أيوب .

ناصر الدين = محمد بن العزيز عثمان .

(١) يلاحظ أنه ابتداء من السلطان صلاح الدين رأس الأسرة الأيوبية لقب بالسلطان ولقب بذلك أولاده من بعده الى

انتهاء هذه الأسرة سنة ٦٤٨ هـ وهي آخر السنوات في هذا الجزء .